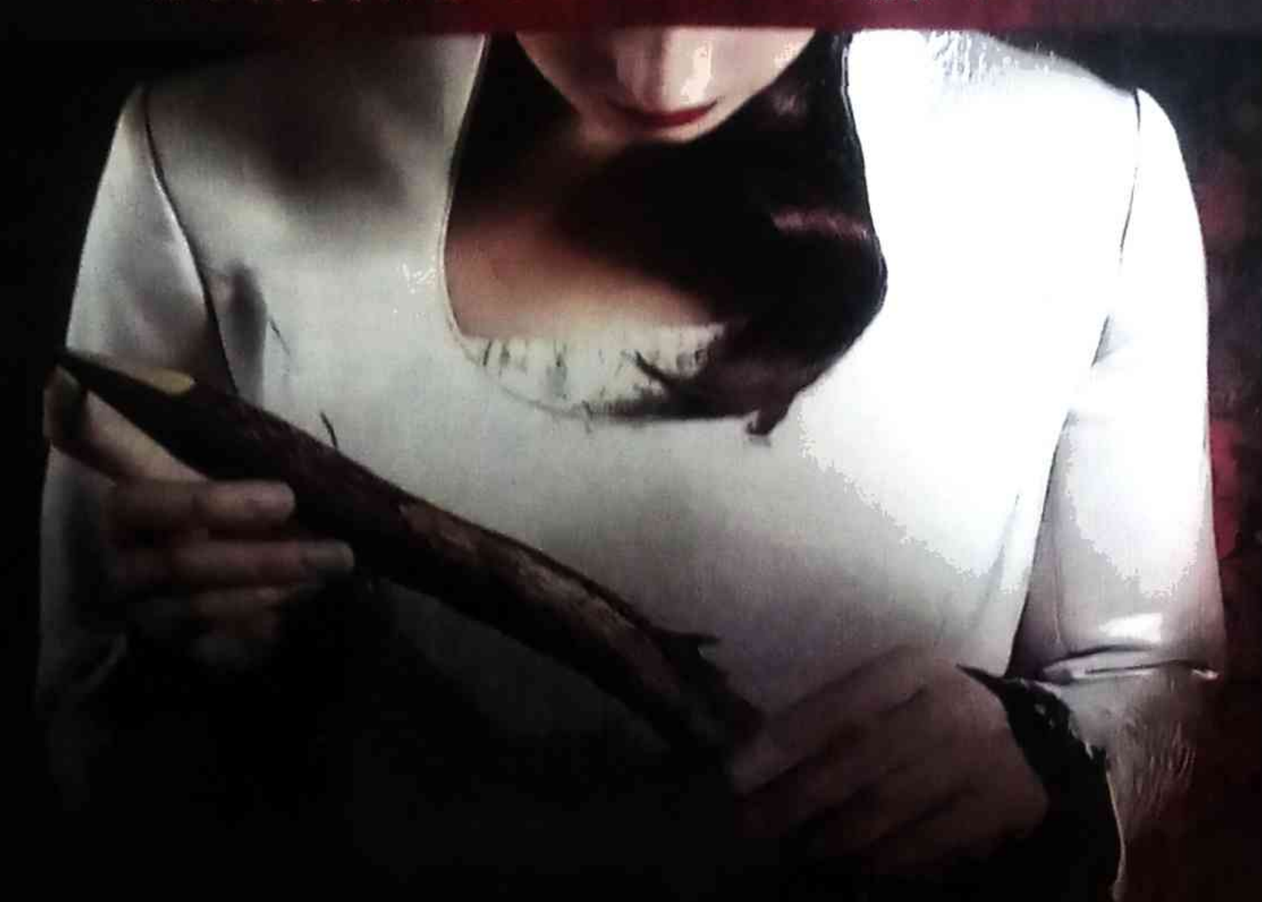
HUNTING PRINCE DRACULA



اصطياد الأمير دراكولا

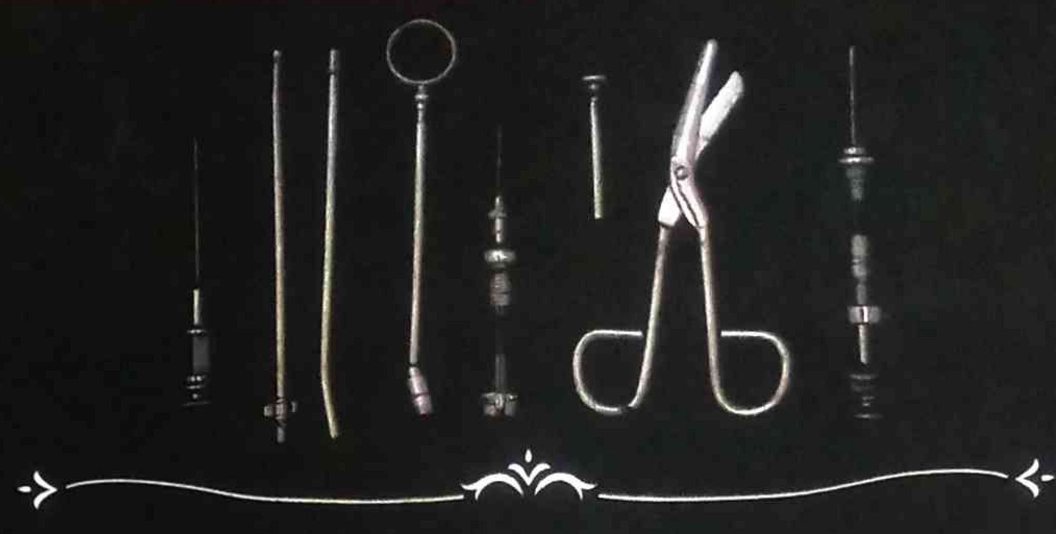
كيري مانسكالكو

ترجمها للعربية

د. أثير أسعد جعفر



KERRI MANISCALCO



في البداية طاردَت جاك السفّاح، لكن الأمور على وشك أن تُصبح أكثر دمويّة!

بعد الكشف المروّع عن هويّة جاك السفّاح الحقيقية، غادرَت أودري روز وادزورث منزلها في لندن الفكتوريّة للتسجيل بصفتها الطالبة الوحيدة في أرقى مدرسة للطبّ الجنائي في أوروبا، لكنّ سلسلةً من الوفيّات المُقلقة تثير إشاعات عودة فلاد المُخوزِق المتعطّش للدماء، فتقوم أودري روز ورفيقها حادّ البديهة توماس كريسويل بكشف القرائن الخفيّة التي ستقودُهم إلى القاتل الشبيه بالظلّ، حيًّا كان أو ميتًا.

هل يُمكن أن يكون مُقلّدًا؟ أم أن الأمير الدمويّ دراكولا قد قام من قبره حقًا؟

هذه الرواية ستمنحك الجواب، رواية "اصطياد الأمير دراكولا" الأكثر مبيعًا بشهادة نيويورك تايمز، التي نالت استحسان مئات النقّاد وآلاف القرّاء حول العالم.



ISBN.978-9922-9850-5-3





DAR ASHUR
PRINTING, PUBLISHING
AND DISTRIBUTION
دار آشور للطباعة والنشر والتوزيع



آشور
بغداد - شارع المتنبي

Design by: Shurooq Sameer

اصطياد
الأمير دراكولا

اصطياد الأمير دراكولا
كيري مانسكالكو
ترجمة: د. أثير أسعد جعفر
الطبعة الأولى: 2022

Hunting Prince Dracula
kerri maniscalco
first edition:2022



العراق-بغداد-شارع المتنبي
ashurbanipal.bookstore
ashurbanipal_books
darashurbanipal@gmail.com
+964 770 656 5807

الرقم الدولي (ISBN)
978-9922-9850-5-3

كيري مانسكالكو

اصطياد الأمير دراكولا

ترجمها للعربية
د. أثير أسعد جعفر





إلى أبي وأمّي لإدخالي إلى عالم المُغامرات التي لا تنتهي بين صفحات الكتب،

وإلى أختي التي رافقَتني في رحلاتي بين الأراضي الغامضة، الحقيقية منها والخياليّة.

كيري مانسكالكو



"آه أيّها الموت الفخور،
أيُّ وليمةٍ تُقيم في سجنكَ السرمديّ
حتى أصبتَ برميةٍ واحدة كلّ هؤلاء الأمراء
بهذه الدمويّة؟"

هاملت، الفصل 5– المشهد 2

ويليام شكسبير


Brasov
R O M A N I A
Bran Castle
1
2
3
4
5
6
7
8
9
1. Audrey Rose's tower chambers
2. Thomas's rooms
3. basement morgue/entrance to underground tunnels
4. food stores
5. Radu's class
6. Percy's surgical theater
7. Anastasia's rooms
8. master library
9. underground tunnels
copyright 2017 Tim Paul



1

أشباح الماضي



قطار الشرق السريع

مملكة رومانيا

1 ديسمبر 1888

شقّ قطارُنا طريقه على المسارات المُتجمّدة، نحو قمم جبال الكاربات[1] البيضاء كالأنياب. من موقعنا خارج العاصمة الرومانيّة بدَت القمم بلون كدماتٍ باهتة، ونظرًا لتساقط الثلوج الكثيفة فمن المُحتمل أن تكون القمم باردةً كاللحم الميّت. فكرةٌ ساحرة لِصباحٍ عاصف.

ضربَت ركبةٌ جانب اللوح الخشبي المحفور في مقصورتي مرّةً أخرى، فأغمضتُ عينيّ ودعوتُ أن ينام رفيقي في السفر. قد تؤدّي حركةٌ

1 - **جبال الكاربات**: أطول سلسلة جبال في أوربا وتمتد عبر رومانيا ودول أخرى. (المُترجِم)



أخرى من أطرافه الطويلة إلى انهيار رباطة جأشي. ضغطتُ برأسي على المقعد الفخم عالي الظهر، وأنا أركّز على المخمل الناعم، بدلاً من وخز ساقه المُستفزّة بدبّوس قبّعتي.

بعد أن شعرَ بانزعاجي المُتزايد انتقلَ السيّد توماس كريسويل إلى النقر بأصابعه على حافّة النافذة في مقصورتنا. مقصورتي أنا، في الواقع. كان لدى توماس مكانه الخاص، لكنّه أصرّ على قضاء كل ساعة من اليوم برفقتي، لئلّا يركب قاتلٌ مُحترف القطار ويُطلِق العنان لمذبحة. على الأقل هذه هي القصّة السخيفة التي أخبرَ بها مُرافقتَنا السيّدة هارفي، وهي امرأةٌ ساحرة ذات شعر فضيّ، اعتنَت بتوماس خلال إقامته في شقّته في بيكاديللي لندن، وكانت حاليًا في غفوتها الرابعة لهذا اليوم الجديد.

لقد مرضَ أبي في باريس، ووضع ثقته ومسؤولية رعايتي في كلّ من السيّدة هارفي وتوماس. كشفَ ذلك كثيرًا عن مدى تقدير أبي لتوماس، وكيف يُمكن أن يكون صديقي بريئًا وساحرًا للغاية عند المزاج أو الوقت المناسب. أصبحَت يديّ فجأةً دافئة ورطبة داخل القفّازات.

تلاشى هذا الشعور عندما انزلق تركيزي من شعر توماس البُنّي الغامق وبدلته الملساء إلى صحيفته الرومانيّة المُهملة. كنت قد درستُ اللغة بما يكفي لأستوعب معظم ما وردَ فيها، مثل نصّ العنوان الرئيسي:



هل عادَ الأمير الخالد؟ تمّ العثور على جثّة مطعونةٍ بوتدٍ خشبيّ في القلب بالقرب من براشوف - القرية ذاتها التي كنّا نُسافر إليها - مما دفع المؤمنين بالخرافات إلى التفكير بالمستحيل: عودة فلاد دراكولا، أمير رومانيا الذي مات منذ قرون، إلى الحياة ليقوم بمُمارسة الصيد.

كان كلّ ذلك هراءً يهدف إلى إثارة الرّعب وبيع الصحف. لا يوجد كائنٌ خالد. الرجال بلحمِهم ودمِهم هُم الوحوش الحقيقيّون، مع ذلك يُمكن جرحهم بسهولةٍ كافية. في النهاية، حتى جاك السفّاح نزفَ كأيّ رجل. على الرغم من أنّ الصحف لا تزال تدّعي إنه يجوب شوارع لندن الضبابيّة، وبعضها قال إنه ذهب إلى أمريكا. كما لو أنّ ذلك مُمكن.

أصابَتني صدمةٌ ألفتُها في أحشائي لتسرقَ أنفاسي. الأمرُ دائمًا هكذا عندما أفكّر في قضيّة السفّاح والذكريات التي تُثيرها بداخلي. عندما أحدّق في المرآة، أرى نفس العيون الخضراء والشفاه القرمزية، جذور أمي الهنديّة ونُبل أبي الإنجليزي واضحان في عظام وجنتيّ. كلّ مظهري الخارجي دلّ على إنني لا أزال فتاةً نابضة بالحياة، تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا.

مع ذلك، فقد تلقّيتُ ضربةً قاضية لروحي. تساءلتُ كيف يمكن أن أبدو كاملةً وهادئة من الخارج مع معاناتي من كلّ هذا الاضطراب في داخلي.



لقد شعرَ عمّي بالتحوّل الذي حدث في داخلي، ولاحظ الأخطاء غير المُبالية التي بدأتُ في ارتكابها في مختبر الطب الجنائيّ خاصّته خلال الأيام القليلة الماضية... لقد نسيتُ استخدام حمض الكاربوليك عند تنظيف شفراتنا، عيّنات لم أجمعها، شقٌّ متعرّج صنعتُه في لحم مُثلّج، على عكس دقّتي المعتادة في التعامل مع الأجساد على طاولة الفحص. لم يقُل شيئًا، لكنني علمتُ أنه أصيبَ بخيبة أمل. كان من المفترض أن يشتدّ قلبي في مواجهة الموت. ربّما لم أولد لدراسة الطب الجنائي بعد كلّ شيء.

تاب. تاب-تاب-تاب. تاب.

اصطكت أسناني بينما كان توماس ينقر مع صرير العجلات. بدا نوم السيّدة هارفي عجيبًا وسط الضوضاء. على الأقل نجح توماس في سحبي من بئر المشاعر العميقة ذاك، من المشاعر الساكنة والمُظلمة للغاية، الراكدة الفاسدة مثل مياه المستنقعات، مع مخلوقات حمر العيون قابعة في القعر.

قريبًا سننزل جميعًا في بوخارست قبل أن نقطع بقيّة الطريق بالعربة إلى قلعة بران، موطن أكاديميّة علوم الطبّ الجنائي. كانت السيدة هارفي ستقضي ليلةً أو اثنتَين في براشوف قبل أن تعود إلى لندن، وتاقَ جزءٌ مني للعودة معها، رغم إنني لم أعترف بذلك بصوتٍ عالٍ أمام توماس.

فوق قسمنا الخاص، تأرجحت ثريّا فاخرة في إيقاع متناغم مع القطار، وتشابكت بلّوراتها معًا لتُضيف طبقة جديدة من النغمات إلى نقرات توماس المُتقطّعة. دفعتُ لحنه المتواصل من أفكاري، وشاهدتُ العالم في الخارج يتضبّب بين نفثات البخار وفروع الأشجار المتحرّكة. كانت خاليةً من الأوراق، مُغطّاة باللون الأبيض اللامع، وتلألأت انعكاساتها على اللون الأزرق المصقول، القريب من خشب الأبنوس، لقطارنا الفاخر.

اقتربتُ أكثر، وأدركتُ أن الفروع لم تكن مغطاة بالثلج، بل بالجليد. لقد التقطَت أوّل ضوء في النهار ولمعَت بلون النيران في وهج الشمس البرتقالي المحمرّ.

كانت هادئة لدرجة أنني كدتُ أن أنسى... ذئاب! قفزتُ بسرعة لدرجة أن توماس قفز معي في مقعده. شخرَت السيدة هارفي بصوتٍ عال، أقرب إلى زمجرة. رمشَت عيناي لتختفي المخلوقات، وتستبدلها فروعٌ تتمايل مع سير القطار.

ما اعتقدتُها أنيابًا متلألئة كانت مجرّد أغصان شتائيّة. زفرت. لقد سمعتُ صيحاتٍ وهميّة طوال الليل، والآن أرى أشياء غير موجودة خلال ساعات النهار أيضًا.

"سأقوم بمطّ أطرافي."



رفع توماس حاجبيه الداكنين وانحنى إلى الأمام، وقبل أن يتمكن من عرض مُرافقَتي، هرعتُ إلى الباب وفتحتُه.

"أحتاجُ لبضع لحظاتٍ، لوحدي."

"حاولي ألّا تفتقديني كثيرًا يا وادزورث." جلس توماس إلى الوراء، وتعكّر وجهه قليلاً قبل أن يعود تعبيره مرحًا. لم تصل الخفّة إلى عينيه تمامًا. "رغم إن ذلك قد يكون مهمة مستحيلة. أنا، على سبيل المثال، أفتقدُ نفسي بشدّة حين أنام."

"ماذا قلتَ يا عزيزي؟" سألت السيدة هارفي وهي ترمش خلف نظّاراتها.

"قلتُ لك أن تحاولي عدّ الخراف."

"هل نمتُ مرّةً أخرى؟"

استفدتُ من الإلهاء لأغلقَ الباب خلفي وأمسكُ تنّورتي. لم أرغب في أن يقرأ توماس التعبير على وجهي، التعبير الذي لم أتقِنهُ بعد في حضوره. تجوّلتُ في الممرّ الضيّق، وأنا بالكاد استوعبُ عظمة القطار في طريقي ببطء نحو عربة الطعام. لم أستطع البقاء هنا دون مُرافِق لفترة طويلة، لكنّني احتجتُ للهرب، على الأقل من أفكاري ومخاوفي.

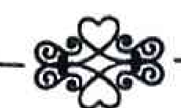
في الأسبوع الماضي، رأيتُ ابنة عمّتي ليزا تصعد سلالم منزلي. مشهدٌ طبيعي كأيّ شيء آخر، باستثناء أنّها غادرَت قبل أسابيع إلى الريف. بعد

أيّام حدث شيء أكثر ظلامًا. أقسمُ أن جثّةً رفعَت رأسها نحوي في مختبر العمّ، ونظرَت إليّ دون أن ترمش، نظرةً مليئة بالازدراء على الشفرة التّي كانت في يدي، وفمها مليء بالديدان التي تدفّقَت على طاولة الفحص. عندما رمشتُ، أصبح كلّ شيء على ما يرام.

لقد أحضرتُ بعض المجلّات الطبّية للرحلة، لكن الفرصة لم تسنح لي للبحث في الأعراض التي أعاني منها مع تفحّص توماس لي علانيةً. قال إنني بحاجة لمواجهة حُزني، لكنني لم أرغب في إعادة فتح الجرح بعد. ربّما في أحد الأيام.

بعد بضع مقصورات، انفتحَ بابٌ ليُعيدني إلى الحاضر. خرج رجلٌ ذو شعر مصفّف بعنايةٍ من الغرفة، مُتحرّكًا بخفّة أسفل الممر. كانت بدلته سوداء فاحمة مصنوعة من خامة جيّدة، كما اتضح من طريقة التفافها على كتفيه العريضين. عندما سحبَ مشطًا فضيًّا من معطفه، كدتُ أبكي. التوى شيءٌ في صميمي بعنف حتى تصلّبَت ركبتاي. هذا مستحيل. لقد مات منذ أسابيع في ذلك الحادث المروع. أدركَ عقلي استحالةَ ما أرى، وهو يبتعدُ بشعره المثاليّ وملابسه المُتطابقة، لكنّ قلبي رفض الاستماع.

جمعتُ تنّورتي الكريميّة اللون في قبضتيّ وركضت. كنتُ سأميّز تلك الخطوات في أيّ مكان. لم يستطع العلم تفسير قوّة الحبّ أو



الأمل. لا توجد صيغ أو استنتاجاتٌ للفهم، بغضّ النظر عمّا ادّعاه توماس فيما يتعلّق بالعلم مقابل الإنسانية.

رفع الرجل قبّعته للركّاب الجالسين لتناول الشاي. كنتُ نصف مُدركةٍ لنظراتهم وأفواههم المفتوحة بينما قمتُ بالجري وراءه، وقبّعتي تميل إلى أحد الجانبين. اقتربَ من باب غرفة السيجار، وتوقّفَ للحظة، مُنتظرًا فتح الباب الخارجي للتنقل بين العربات. تصاعد دخانٌ من الغرفة واختلطَ بتيار جليديّ من الهواء، برائحةٍ قويّةٍ بما يكفي لجعل أحشائي تتأرجح. مددتُ يدي، مُستعدّةً لجذب الرجل نحوي ورمي ذراعيّ حوله والبكاء. أحداث الشهرِ الماضي لم تكن سوى كابوس.

"سيّدتي؟"

وخزَت الدموع عينيّ. لم تكن تصفيفة الشعر والملابس للرجل الذي ظننتُه. قمتُ بمسح الجزء الأول من البلل الذي انزلقَ على خديّ، ولم أكترث إن لطّختُ الكحل الذي اعتدتُ وضعهُ حول عينيّ. رفعَ عكّازًا، وحوّلَها إلى يده الأخرى. لم يكن حتى يُمسك مشطًا. كنتُ أفقد الاتصال بما هو حقيقي. تراجعتُ ببطء، مُلاحظةً الثرثرة الهادئة من العربة التي وراءنا. تكاثفَت طقطقة فناجين الشاي مع اللهجات المُختلَطة للمُسافرين حول العالم، وتصاعدَت في صدري. صعّبَ الذعر التنفّس أكثر من المشدّ الذي ربطَ أضلاعي. كنتُ ألهث، مُحاولةً سحب ما يكفي



من الهواء لتهدئة أعصابي المُتقلّبة. ارتفعَ الصخب والضحك إلى درجةٍ حادّة، وتمنّى جزءٌ مني أن تقوم الضوضاء بإسكات النبض الذي يضرب رأسي. كنتُ على وشك التقيّؤ.

"هل أنتِ بخير سيّدتي؟ تبدينَ..."

ضحكتُ دون اكتراث لارتداده عن ثورتي المفاجئة. آه، إن كانت هناك قوّةٌ عُليا فقد استمتعَت على حسابي. فهمتُ كلامه أخيرًا: لقد تحدّثَ الرجل بلكنةٍ رومانيّة. لم يكن حتّى إنجليزيًا، ولم يكن شعره أشقرًا بل بنّيًا فاتحًا. قُلت مُجبرةً نفسي على الخروج من حالة الهستيريا باعتذارٍ هزيل: "عذرًا، ظننتُكَ شخصًا آخر."

قبل أن أُحرِج نفسي أكثر، أخفضتُ عينيّ وتراجعتُ بسرعة إلى عربتنا الخاصّة. أبقيتُ رأسي منخفضًا، مُتجاهلةً الهمسات والضحكات، رغم أنني سمعتُ ما يكفي. كنتُ بحاجة لجمع شتات نفسي قبل أن أرى توماس ثانيةً. رغمَ تظاهُري بعكس ذلك، لكنّني كنتُ أرى القلق يتغضّن في جبينه، وفي الحذر الإضافيّ بالطريقة التي يُمازحني أو يُزعجني بها. فهمتُ بالضبط ما فعلهُ في كلّ مرّة ضايقَني فيها. بعد ما مرّت به عائلتي، أيّ رجل نبيل كان سيُعاملني كدُميةٍ من الخزف: سهلة الكسر وغير قابلة للتصليح. لكنّ توماس لا يُشبه الشباب الآخرين.



وصلتُ إلى مقصورتي وألقيتُ بكتفيّ إلى الخلف. لقد حان وقت ارتداء المظهر الخارجي البارد للعلماء. جفّت دموعي وأصبح قلبي الآن قبضةً قويّة في صدري. تنفّستُ برويّة. جاك السفّاح لن يعود أبدًا، هذه حقيقةٌ ثابتة. لا قتلة في هذا القطار، حقيقةٌ أخرى.

لقد انتهى خريف الإرهاب الشهر الماضي. من المؤكد أنّ الذئاب لم تُطارد أحدًا على قطار الشرق السريع. إذا لم أتوخَّ الحذر، سأبدأ في الاعتقاد بأنّ دراكولا قد نهَض من جديد. سمحتُ لنفسي بأخذ أنفاس عميقةٍ أخرى قبل أن أزيح الباب لأفتحه، طاردةً كل أفكار الأمراء الخالدين مع دخولي للمقصورة.



2

المحبوب الخالد



قطار الشرق السريع
مملكة رومانيا

1 ديسمبر 1888

أبقى توماس تركيزه ثابتًا بعناد على النافذة، وأصابعه لا تزال تقرع الإيقاع المُزعج. تاب. تاب-تاب-تاب. تاب.

ليس من المُستغرَب أنّ السيّدة هارفي كانت تُريح عينيها من جديد. أشارَ شخيرها الناعم إلى عودتها للنوم. حدّقتُ في رفيقي، لكنّه لم يشعر بي أو تظاهرَ بذلك، فانزلقتُ على المقعد المُقابل له. كان منظره من الجانب نموذجًا للخطوط والزوايا المثاليّة، كلّها مُتّجهة بعناية إلى العالم الشتائيّ في الخارج. كنتُ أعلم إنه أحسَّ باهتمامي، لأنّ فمه انحنى ببهجةٍ لا تأتي من ذهنٍ شارد.



سألتُه: "هل يجب أن تستمرّ بهذا النقر البائس يا توماس؟ إنه يقودني إلى الجنون مثل إحدى شخصيّات بو[1] التعيسة. بالإضافة إلى ذلك، لا بدّ أنّ السيّدة هارفي المسكينة تحلم بأشياء مروّعة."

حوّلَ انتباهه إليّ، وبدا التفكير في عينيه البُنّيتَين الداكنتَين للحظة. كان ذلك المظهر الدقيق - الدافئ والجذّاب مثل أشعة الشمس في يومٍ خريفيّ بارد - هو الذي يعني وجود متاعب. بإمكاني عمليًّا رؤية عقله يُقلّب الأفكار العنيدة وهو يرفع أحد جانبي فمه إلى أعلى. دعَت ابتسامتُه المُلتوية إلى أفكار تجدها العمّة أميليا غير لائقة مطلقًا، وأخبرَتني الطريقة التي سقطَت بها نظرته على شفتيّ أنه عرفَ ذلك، الشرّير.

"بو؟ هل ستَنتزعين قلبي وتضعينه تحت سريركِ إذن يا وادزورث؟ يجب أن أعترف، إنها ليست طريقة مثالية لأدخل بها مكان نومك."

"تبدو متيقّنًا للغاية من قدرتِك على سحر أيّ شيء، عدا الثعابين."

"اعترفي بذلك. كانت قبلتنا الأخيرة مُثيرةً إلى حدٍّ ما." انحنى إلى الأمام، ووجهه الوسيم يقترب كثيرًا من وجهي. يا لهُ من مُرافِق. تسارعَ قلبي عندما لاحظتُ بقعًا صغيرة في قزحيّة عينيه، بدَت كشموسٍ ذهبية

1- بو: إدغار آلان بو أديب أمريكي شهير عُرِفَ بقصصه القصيرة المُرعِبة والسوداويّة. (المُترجِم)

تجذبني صوبَها بأشعتها الساحرة. "قولي لي إنكِ لا تحبّين فكرة قُبلةٍ أخرى."

ذكّرتُه: "تقصد القبلة الأولى والأخيرة. كان الأدرينالين يتدفق في عروقي بعد أن كدتُ أموت على يد اولئك الوحوش، وليسَ بسبب قوّتك في الإقناع."

رفعَت ابتسامةٌ شريرة زوايا فمه بالكامل. "إذا وجدتُ موقفًا خطرًا لنا، فهل سيُغريكِ ذلك ثانيةً؟"

"كما تعلم، أفضّلكَ كثيرًا وأنتَ ساكت."

"آه..." جلس توماس، وهو يستنشق بعمق. "في كلا الحالتين، أنتِ تُفضّلينني."

كان يجب أن أعرف أن الوغد سيجد طريقة لتحويل حديثنا إلى مثل هذه المواضيع المُعيبة. في الحقيقة، فوجئت بأنّ الأمر استغرق كلّ هذا الوقت ليعودَ إلى وقاحته. كنّا قد سافرنا من لندن إلى باريس مع والدي، حتى يتمكّن من توديعنا في قطار الشرق السريع المثير للإعجاب، وكان توماس رجلاً نبيلاً طول الطريق. بالكاد تعرّفتُ عليه وهو يتحدّث بحرارة مع أبي خلال تناول الكعك والشاي.

لولا الميلان الوقح لشفتيه عندما لم يكن أبي ينظر، أو الخطوط المألوفة لفكّه العنيد، لظننتُه مُنتحلاً. من المُحال أن توماس كريسويل هذا هو



نفس الصبي الذكي المُزعج الذي نما ولعي به منذ الخريف الماضي. دسستُ خصلةً من شعري الفاحم خلف أذني ونظرتُ من النافذة ثانيةً.

"هل يعني صمتُكِ إنّكِ تفكّرين في قُبلةٍ أخرى إذن؟"

"ألا يُمكنكَ الكفّ عن استنتاج إجابتي يا كريسويل؟" حدّقتُ فيه، وأحد حاجبيّ مرفوعٌ في تحدٍّ، حتى هزّ كتفيه واستمرّ في قرع أصابعه على حافة النافذة.

نجح توماس هذا أيضًا في إقناع والدي، اللورد إدموند وادزورث القويّ، بالسماح لي بالدراسة في أكاديميّة علوم الطبّ الجنائيّ معه في رومانيا، حقيقةٌ ما زلتُ لا أستطيع قبولها تمامًا. كان أسبوعي الأخير في لندن مليئًا بترتيب الملابس وحزم الأمتعة، الأمر الذي أتاح لهما الكثير من الوقت للتعرّف أكثر، على ما يبدو. عندما أعلن والدي أن توماس سيُرافقني إلى الأكاديمية مع السيّدة هارفي بسبب مرضه، كدتُ أختنق في رشفة الحساء الخاصّة بي، بينما كان توماس يغمز لي.

بالكاد وجدتُ وقتًا للنوم في الليل، ناهيكَ عن التفكير في العلاقة الناشئة بين صديقي المُثير للغضب وأبي الصارم عادةً. تقتُ لمغادرة المنزل الهادئ بشكل مُخيف، والذي جذبَ الكثير من أشباح الماضي القريب، وهو ما أدركهُ توماس تمامًا.

"أحلام يقظة بمشرطٍ جديد، أم إنّ هذا المظهر يهدُف فقط لإثارتي؟" سأل توماس ليسحبَني بعيدًا عن أفكاري المُظلمة. ارتعشَت شفتاه في إثر عُبوسي، لكنّه كان ذكيًّا بما يكفي لعدم إنهاء تلك الابتسامة. "آه، إذن مُعضلةٌ عاطفيّة. مُفضّلَتي." شاهدتُه وهو يتمعّن في التعبير الذي حاولتُ جاهدةً السيطرة عليه، والقفّازات التي لم أستطع التوقّف عن العبث بها، مع التصلّب الذي جلستُ به في قسمِنا، والذي لم يكن له علاقة بالمشدّ الذي ربطَ أعلى جسدي، ولا بالمرأة المُسنّة التي شغلَت معظم مقعدي. ثبتَ نظرهُ على عينيّ، بإخلاصٍ وتعاطُف كبير. كان بإمكاني رؤية الوعود والأماني تتشابك في ملامحه، بمشاعرٍ تكفي شدّتُها لجعلي أرتجف. "متوتّرة بشأن الصفّ؟ سوف تسحرينهم جميعًا يا وادزورث." كان من المُريح أحيانًا عدم قراءته لحقيقة مشاعري الكاملة. لِيعتقد أنّ الارتجاف كان بالكامل بسبب الصفّ وليس لاهتمامه المُتزايد بالخطوبة. لقد اعترف توماس بحبّه لي، لكن كما هو الحال مع العديد من الأشياء مؤخرًا، لم أكن واثقةً من إنه حقيقيّ. ربما شعر أنه مدينٌ لي فقط بدافع الشفقة، في أعقاب كلّ ما حدث. لمستُ الأزرار الموجودة على جانب القفازات. "لا، ليس صحيحًا." تقوّس حاجبه ولم يقُل شيئًا. حوّلتُ انتباهي من جديد إلى النافذة، والعالم الصارخ في الخارج، وتمنّيتُ أن أضيعَ في العدَم لفترةٍ أطول.



تقع أكاديميّتنا الجديدة في قلعةٍ، أعلى سلسلة جبال الكاربات المُتجمّدة. كانت بعيدةً عن المنزل والتمدّن، في حال كون أيّ من زملائي الجُدد سيّئًا. من المؤكد أن يُعتبَر جنسي نقطة ضعف بين أقراني الذكور... وماذا لو تخلّى توماس عن صداقتنا بمجرّد وصولنا؟ ربّما سيكتشف مدى غرابة أن تقوم امرأةٌ شابّة بِشقّ الموتى وانتزاع أعضائهم كما لو كانوا خفًّا جديدًا تُجرّبه. لم يهمّني الأمر عندما كنّا نتدرّب في مختبر العمّ، لكن ما يعتقدهُ الطلاب في هذه الأكاديميّة المرموقة قد لا يكون تقدُّميًّا.

التعامل مع الجثث بالكاد يُناسب الرجال، ناهيكَ عن فتاةٍ من عائلة نبيلة. إذا تركَني توماس بلا أصدقاء في المدرسة، فسوف أغوص في هاوية عميقة يُمكن ألّا أعود منها أبدًا. كرهَت فتاة المجتمع اللائقة في داخلي الاعتراف بذلك، لكنّ مُغازلاته أبقَتني طافيةً في بحر من المشاعر المُتضاربة. كان الشغف والإعجاب نارًا، نارًا حيّة تضطرم بقوّة وتتنفّس. أمّا الحزن فهو وعاء من الرمال المُتحرّكة، كلّما كافحَه المرء زادَ عمقه. أنا أفضّل إشعال النار على أن أُدفَن حيّة، رغم أنّ مجرّد التفكير في كوني بوضعٍ مُحرِج مع توماس يكفي لجعل وجهي دافئًا.

"أودري روز." بدأ توماس الكلام وهو يعبث بأكمام معطفه، ثم رفعَ قبّعته قبل أن يُمرّر يده عبر شعره الداكن، وهو عمل غريبٌ حقًّا من صديقي المتغطرس عادةً. تحرّكَت السيدة هارفي، لكنها لم تستيقظ.

جلستُ باستقامةٍ أكثر، وأجبرتُ مشدّي على البروز كما لو كان درعًا. نادرًا ما ناداني توماس باسمي الأول ما لم يكُن هناك شيءٌ فظيع على وشك الحدوث. خلال تشريح جثّة قبل بضعة أشهر، خسرتُ معه معركة دهاء واضطررتُ إلى منحه الإذن باستخدام اسم عائلتي. امتيازٌ سمحَ هو لي به أيضًا، وندمتُ عليه أحيانًا عندما كان يناديني "وادزورث" في الأماكن العامة. "نعم، ماذا؟"

شاهدتُه يأخذ أنفاسًا عميقة قليلة، وتركيزي يتحوّل إلى بدلته المصنوعة بدقّة. لقد ارتدى ملابس أنيقة للسفر. صُمّمَت سترته السوداء لتُلائم بُنيَته بطريقةٍ تجعل المرء يقف ليُعجَب بها وبالشاب الذي ملأها. مددتُ يدي إلى أزراري، ثم أمسكتُ نفسي. قال وهو يتحرّك في مقعده: "هناك شيء أنوي إخباركِ به. أعتقد... إنه من المفروض البوح بهذا قبل وصولنا."

اصطدمَت رُكبتُه باللوح الخشبي مرّةً أخرى وتردّد. ربّما أدرك بالفعل أن ارتباطه بي سيُشكّل مُعضلةً له في المدرسة. أعددتُ نفسي لذلك، لقصّ الحبل الذي يوصلني إلى عقلي. لن أطلب منه البقاء أو أن يظلّ صديقي. لا يهمّ حتى لو قتلَني ذلك. ركّزتُ على أنفاسي، أعدُّ الثواني بينها. ادّعت جدّتي أن العناد يجب أن يُنقَش على شواهد قبور جميع آل وادزورث، ولم أختلف معها. رفعتُ ذقني. جاءت قعقعة عجلات



القطار الآن مع كل نبضةٍ مُضخَّمة لقلبي، ممّا ضخّ الأدرينالين في عروقي. بلعتُ ريقي عدّة مرّات. إذا لم يتكلّم قريبًا، خشيتُ أن أتقيّأ عليه وعلى بدلته الجميلة.

"وادزورث. أنا متأكّدٌ من أنّكِ... ربّما يجب أن..." هزّ رأسه ثمّ ضحك. "لقد امتلكتِني حقًا. سأقوم بنظم قصائد العشق العُذريّ قريبًا." ترك الشرود ملامحه فجأة كمَن أنقذَ نفسه للتوّ من السقوط في هاويةٍ مُميتة. تنحنح، وأصبح صوته أنعم بكثير مما كان عليه قبل لحظة. "هذا بالكاد هو الوقت المناسب، لأنّ أخباري هي بالأحرى... حسنًا، قد تكون بمثابة مُفاجأةٍ بسيطة."

عقدتُ حاجبيّ. لم تكن لديّ فكرة عمّا سيقوله. إمّا أن يُعلن أن صداقتنا أبديّة أو يُلغيها إلى الأبد. وجدتُ نفسي أتمسّك بحافّة مقعدي، وراحتا يديّ تُبلّلان قفّازاتي الساتن.

جلسَ إلى الأمام، وهو يُقوّي نفسه. "والدتي..."

اصطدمَ شيءٌ كبير بباب المقصورة، وكادت قوة الاصطدام أن تكسر الخشب. على الأقل بدا الأمر على هذا النحو، فقد تمّ إغلاق بابنا الثقيلة لإبعاد الضوضاء الصادرة عن عربة الطعام القريبة منّا. كانت السيّدة هارفي المُبارَكة لا تزال نائمة، ولم أجرؤ على التنفس في انتظار المزيد من الأصوات. عندما لم تصدر أيّة ضوضاء، تقدّمتُ ببطء، ناسيةً تمامًا

اعتراف توماس غير المُعلَن، وقلبي ينبض بضِعف سرعته المعتادة. تخيّلتُ جثثًا تنهض من بين الأموات، وتقرع بابنا على أمل شرب دمائنا، و... لا. أجبرت عقلي على التفكير بوضوح. لم يكن مصّاصو الدماء حقيقيّين. ربّما هو مجرّد رجل انغمسَ في الكثير من المشروب وتعثّرَ في الباب. وربّما سقطَت عربةُ حلوى أو شاي من إحدى النادلات. افترضتُ إنه من الممكن أن تكون حتى امرأةً شابّة فقدت توازنها مع حركة القطار. زفرتُ وجلست. كنتُ بحاجة إلى الكفّ عن القلق بشأن القتلة الذين يُطاردون الليل. أصبحتُ مهووسةً بتحويل كلّ ظلّ إلى شيطانٍ مُتعطّش للدماء، عندما لم يكن الأمر أكثر من غياب الضوء... رغم كوني ابنة والدي.

سمعتُ صوت جلبةٍ أخرى خارج غرفتنا الصغيرة، تلتها صرخةٌ مكتومة، ثمّ لا شيء. وقفَ الشعر مُنتصبًا على مؤخرة رقبتي مُبتعدًا عن أمان جلدي، بينما زادَ شخير السيّدة هارفي من ثُقل الأجواء المُخيفة.

"ماذا بحقّ الملكة؟" همست، لاعنةً نفسي لأنني لم أحزم مشارطي في صندوق أستطيع الوصول إليه بسهولة. رفعَ توماس إصبعه إلى فمه، ثم أشار إلى الباب، مُوقِفًا أيّة حركات أخرى. جلسنا هناك بينما انقضَت ثوانٍ في صمتٍ مؤلم. مرّت كلّ تكتكةٍ من الساعة كأنّها شهرٌ من المعاناة، بالكاد استطعتُ تحمّل واحدةً أخرى منها.

كان قلبي مستعدًا للخروج من قفصه. الصمتُ مخيفٌ أكثر من أيّ شيء آخر، لأنه يمدُّ الثواني إلى دقائق. جلسنا هناك، نُركّز على الباب وننتظر. أغمضتُ عينيّ ودعوتُ ألّا أعاني من أهوالٍ جديدة.

مزّقَت الأجواء صرخةٌ اقشعرّت لها عظامي حتى النخاع. أمسكَ بي توماس عبر المقصورة وتحرّكَت السيّدة هارفي. أيقنتُ أن هذا ليس من نسج خيالي. كان هناك شيء مُظلمٌ وحقيقيٌّ للغاية معنا على متن هذا القطار.

3

الوحوش والدانتيل



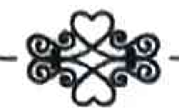
قطار الشرق السريع
مملكة رومانيا

1 ديسمبر 1888

قفزتُ على قدميّ وأنا أتفحّص المنطقة خارج القطار، وفعل توماس الشيء ذاته. كان ضوء الشمس يغمر العالم النحاسيّ بظلالٍ شريرة من الرماديّ والأخضر والأسود، مع ارتفاع الشمس عبر الأفق.

قال توماس: "ابقَي هنا مع السيدة هارفي." جذبَ ذلك انتباهي إليه. إذا اعتقد أنني سأجلس ببساطة في أثناء قيامه هو بالتحقيق، فلا بدّ إنه أكثر جنونًا مما كنتُ عليه.

"منذ متى تظنّني غير قادرة؟" مشيتُ أمامه، وسحبتُ باب المقصورة بكلّ قوّتي، لكنّ اللعينة لم تتزحزح. خلعتُ حذاء السفر واستعددت، عازمةً على خلعها من مفصلاتها إن اقتضى الأمر. لن أبقى



محصورةً في هذا القفص الجميل أكثر من دقيقة أخرى، بغضّ النظر عمّا انتظرَنا هُناك خارجه.

حاولتُ مرّةً أخرى، لكنّ الباب رفض أن يفتح. كان مثل كل شيء في الحياة، كلّما يكافح المرء ضده يزدادُ قوّة. فجأةً شعرتُ أن الهواء ثقيلٌ جدًا وصعب التنفّس. سحبتُ بقوّة أكبر، وأصابعي الناعمة تنزلق فوق الطلاء الذهبيّ الأكثر نعومة. ارتدّ النفَس في صدري، وعلقَ في قطع مشدّي الصلبة. تعاظمَت فيَّ رغبةٌ جامحة في تمزيق ملابسي، ولتذهب عواقب المجتمع المُهذّب إلى الجحيم. كنتُ بحاجةٍ إلى الخلاص، وعلى الفور. وصل توماس إلى جانبي في لحظة، وقال محاولاً فتح الباب، وقفّازاته الجلديّة تمنحهُ مزيدًا من التحكّم في الطلاء الأملس: "أنا لا... أظنّكِ... عاجزة. لمرّةٍ واحدة، أودّ أن أكون البطل، أو على الأقل التظاهر بذلك. أنتِ... تنقذينني... دائمًا... سحبةٌ أخرى عند ثلاثة، حسنًا؟ واحد، اثنان، ثلاثة." أخيرًا فتحناها معًا، ودفعتُ بنفسي إلى الردهة، دون اكتراث لمظهري، بينما كان جمعٌ من الركاب يُحدّقون، وهُم يتراجعون عني ببطء. لا بدّ أنني بدوتُ أسوأ مما كنتُ أتخيل، لكن لا يمكنني القلق بشأن ذلك الآن. كان التنفّس أكثر أهمية، وأملتُ بعدم وجود أحد من مجتمع لندن في هذه العربة ليتعرّف عليّ. انحنيتُ وتمنّيتُ أنّ ثوبي بلا كورسيه، بسبب عسر أنفاسي. تناهَت إلى سمعي همساتٌ

باللغة الرومانية: "المُخَوزِق". التقطتُ نفسًا سريعًا آخر ثم وقفتُ باعتدال، قبل أن أنكمش فور رؤيتي للشيء الذي أذهل الركاب حتى خلت وجوههم من ألوانها. هناك، بين الممرّ الضيّق وبابنا، ألقِيَ جسدٌ على الأرض. كنتُ سأعتقد أن الرجل مخمور، لولا الدم المتسرّب من جرح كبير في صدره، ملوّثًا البساط الفارسي. كان الوتد البارز من قلبه علامةً صارخة على القتل.

"بحقّ القدّيسين،" قالها أحدهم مُبتعدًا. "إنه المُخوزِق. القصّة حقيقية!"

"أمير والاشيا."

"أمير الظلام."

شعرتُ بانقباض حول قلبي... أمير والاشيا. تدحرجَ العنوان في ذهني حتى وصل إلى دروس التاريخ وارتبط بالمنطقة التي يقطنُها الخوف. فلاد تيبش، فلاد المُخوزِق. أطلقَ عليه البعض اسم دراكولا، ابن التنّين. العديد من الأسماء لأمير العصور الوسطى، الذي ذبح رجالًا ونساءً وأطفالًا أكثر مما استطعتُ تصوّره. طريقته في القتل هي السبب في حصوله على لقب تيبش، المُخوزِق.

خارج مملكة رومانيا، تردّدَت شائعات عن أنّ عائلته مخلوقاتٌ شيطانيّة لا تموت ومُتعطّشة للدماء. لكن حسب القليل مما علِمت، فهو



في نظر شعب رومانيا شخصٌ مختلف تمامًا. كان فلاد بطلاً شعبيًا حارب من أجل مواطنيه، مُستخدمًا كلّ وسيلةٍ ضروريّة لهزيمة أعدائه. الشيء الذي حدثَ أيضًا في بلدانٍ أخرى وقام به ملوكها وملكاتها المحبوبون. الوحوش توجد فقط في عيون مَن يؤمن بوجودها، ولم يرغب أحد في اكتشاف أنّ بطلهُ هو الشرّير الحقيقيّ في القصة.

"إنه الأمير الخالد!"

"يعيش فلاد تيبش."

هل عاد الأمير الخالد؟ مرّ عنوان الصحيفة في ذهني. هذا لا يُمكن أن يحدُث مرّةً ثانية. لم أكن مستعدّة للوقوف فوق جثّة ضحيّة قتلٍ أخرى بعد ذلك الوقت القصير من انتهاء قضية السفّاح. فحص الجثث في المختبر أمرٌ مُغاير، مُعقَّم، وأقلّ عاطفيّة. رؤية الجريمة في مكان حدوثها تجعلها إنسانيّةً للغاية، حقيقيّةً جدًا. ذات يوم كنتُ أتوق إليها، لكن الآن هذا شيءٌ أتمنّى نسيانه.

"هذا كابوس. أخبِرني أنّ هذا حُلمٌ مروّع كريسويل".

للحظةٍ بدا توماس تائقًا لضمّي بين ذراعيه وتهدئة كلّ مخاوفي، ثمّ بانَ عليه العزم الشديد، مثل عاصفة ثلجيّة تهبّ بين الجبال.

"لقد حدّقتِ في الوجه القبيح للخوف وجعلتِه يرتجف. ستنجحين في هذا يا وادزورث، نحن سننجح معًا في هذا. هذه حقيقة ملموسة أكثر

من أيّ حلم أو كابوس. لقد وعدتُ أنني لن أكذب عليكِ أبدًا، وأنوي الوفاء بكلمتي".

لم أستطع رفع عينيّ من بقعة الدم النامية.

"العالمُ شرّير."

قام توماس برفع خصلة شعر من وجهي بنظراتٍ مُتفكّرة، دون اهتمام بالركّاب اليقظين من حولنا، وهو يقول: "العالم ليس لطيفًا ولا قاسيًا. إنه موجود ببساطة، ولدينا القدرة على رؤيته كيفما نشاء."

"هل يوجد جرّاحٌ هنا؟" صرخَت امرأةٌ ذات شعر داكن وعُمر مقارب لعمري باللغة الرومانية. كان ذلك كافيًا لانتشالي من اليأس. "هذا الرجل يحتاج إلى مساعدة! ليطلب أحدكم المُساعدة!"

لم أقوَ على إخبارها أنّ الرجل قد تعدّى مرحلة العون .أمسك رجلٌ ذو شعر مُجعّد بجانب رأسه وهزه، كأنه يستطيع محو الجثة بإنكاره للموت. "هذا... هذا... يجب أن يكون عمل أحد السّحرة."

مدّت السيّدة هارفي رأسها في الممرّ وعيناها مُتّسعتان خلف نظاراتها. "آه!" صرخَت، قبل أن يصحبها توماس إلى مقعد في مقصورتي، هامسًا لها بكلماتٍ خفيضة. لو لم يُصِبني الذهول ربّما صرختُ بنفسي، لكن لسوء الحظ لم تكن هذه أوّل مرّة ألتقي فيها رجلاً قُتِل منذ دقائق فقط. حاولتُ ألّا أفكّر في الجثة التي وجدناها في زقاق لندن والشعور المُستعِر



بالذنب الذي لا يزال ينهش داخلي. لقد ماتَ بسبب فضولي البائس، كنتُ وحشًا شنيعًا ملفوفًا بدانتيل رقيق. مع ذلك... لم يسَعني إلا أن أشعر بطنينٍ تحت جلدي وأنا أحدّق في ذلك الجسد، والوتد القاسي. لقد منحَني العلم هدفًا، شيئًا أفقدُ نفسي فيه بدلاً من أفكاري المجنونة.

أخذتُ بعض الأنفاس، ووجّهتُ نفسي نحو الرّعب الماثل أمامي. ليس الآن وقت إعاقة العواطف لعقلي، رغم أن جزءًا مني رغبَ في البكاء على القتيل ومَن سيفتقدهُ الليلة. تساءلتُ مَن كان يسافر معه... أو إلى مَن سافر. أوقفتُ أفكاري هناك. ركّزي، أمرتُ نفسي. كنتُ أعلم أنّ هذا ليس من صُنع كائنٍ خارق للطبيعة، فقد ماتَ فلاد دراكولا قبل مئات السنين.

تمتمَ الراكب ذوِ الشعر الأشعث شيئًا ما عن غرفة المحرّك، قبل أن يركض في اتجاهها، ربما لجعل المهندس يُوقف القطار. شاهدتهُ يخترق حشود الناس الذين عطّل حركتهم الرعب.

"لقد أغميَ على السيّدة هارفي." قال توماس وهو يخرج من المقصورة، ثم ابتسمَ مُطمئنًا. "لديّ نشادر، لكن أعتقد أنه من الأفضل تركها حتى..."

شاهدتُ حلقه يغصّ بعاطفةٍ قامَ بقمعها، فَغامرتُ بضمّ يده ذات القفّاز بسرعة قبل أن أتركها، مُستغلّةً انشغال الناس بالجثة بدلاً من

أفعالي الفاضحة. لا حاجة لقول كلمات. بغضّ النظر عن مقدار الموت والدمار الذي يواجهه المرء، فالأمر ليس سهلاً أبدًا. لكنه محقّ. سوف نتجاوز هذا، وقد فعلناها عدّة مرّات من قبل.

تجاهلتُ الفوضى التي اندلعَت من حولي، وقوّيتُ نفسي ضدّ الصورة المقيتة بفصل عقلي عن مشاعري. أصبحَت الدروس حول حضور مسرح الجريمة، التي غرسها فيّ عمّي، الآن ذاكرةً جسديّة - لم أحتج إلى التفكير، بل التصرّف ببساطة. هذه عيّنة بشرية بحاجة للدراسة، هذا كلّ شيء. أغلِقَت أبواب سفك الدماء والخسارة المريرة في الأرواح في نفس الوقت في ذهني، وتلاشى معها بقيّة العالم ومخاوفي وشعوري بالذنب. كان العلمُ مذبحًا أركعُ أمامه، ليُباركني بالعزاء.

"تذكّري،" نظر توماس إلى أعلى وأسفل الممر، محاولاً حجب الجسد عن أنظار الركاب "إنها مجرد معادلة تحتاج إلى حلّ يا وادزورث. لا شيء آخر."

أومأتُ برأسي، ثم أزلتُ قبّعتي العالية بعناية وجرفتُ تنّورتي الطويلة الكريميّة اللون ورائي، طاويةً أيّة مشاعر إضافية مع القماش الناعم. لامسَت أطراف أكمامي ذات الدانتيل الأسود والذهبي سترة المُتوفّى، التي تناقض تركيبها الدقيق بشكلٍ رهيب مع الوتد الخشن الناتئ من صدره. قاومتُ تشتُّت انتباهي بتناثر الدم عبر ياقته النشويّة، وقمتُ



بالتحقّق من نبضٍ كنتُ أعلم أنني لن أجده، وأنا أوجّه انتباهي نحو توماس، لألاحظ أن شفتيه الممتلئة عادةً قد انضغطت إلى خطٍّ رفيع.

"ما الأمر؟"

فتحَ توماس فمه، ثم أغلقهُ عندما أطلّت امرأةٌ من الحجرة المجاورة، بذقنٍ مائل بغطرسة. "أطالب بمعرفة معنى- آه. آه يا إلهي!"

حدّقَت في الرجل الممدّد على الأرض، وهي تلهث كما لو أنّ ثيابها منعَت فجأةً تدفّق الهواء إلى رئتيها. أمسك بها رجلٌ نبيل من الحجرة المجاورة قبل أن ترتطم بالأرض.

"أنتِ بخير سيّدتي؟" سأل بلكنةٍ أمريكية، وهو يضرب خدّها بلُطف. "سيّدتي؟"

انطلقَ في الأجواء صفيرُ سحابةٍ غاضبة من البخار مع صرير توقّف القطار. تأرجح جسدي في اتجاهٍ واحد، ثمّ في الاتجاه المعاكس، حينَ توقّفَت قوة الدفع العظيمة مع قعقعة ثريّا الممرّ بجنون في الأعلى. جعل صوتها نبضاتي أسرع على الرغم من سكون مُحيطنا المفاجئ.

ركعَ توماس بجانبي، لينظر إلى الراحل حديثًا وهو يُثبّتني بيده ذات القفّاز ويهمس: "كوني في حالة تأهّب وادزورث. مَن ارتكب هذا الفعل على الأرجح في هذا الممرّ معنا، ويُراقب كلّ تحرّكاتنا".

Sic obit, extenta qui sydera respicit arcu,
Securus fati quod iacet ante pedes. Alciatus.

Hinc simile est epigramma Græcum Antipatri Sidonij de Alcimene aucupe, qui cùm arcu & funda peteret aues in altum speculatus, ictus à Dipsade interijt, quem sic loquentem facit,

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

DE DRACONE.



ثعبان، ثعبان مُجنّح وتنين – 1600م



4

شيءٌ شرّير



قطار الشرق السريع
مملكة رومانيا

1 ديسمبر 1888

تلك الفكرة بالذات قد خطرَت في بالي أيضًا. كنّا على متن قطار متحرّك، وما لم يقفز أحدٌ من إحدى العربات وينطلق للركض عبر الغابة، فهو لا يزال هنا، ينتظر ويستمتع بالمشهد.

وقفتُ ونظرتُ حولي، ملاحظةً كلّ وجه لأفهرسهُ إلى حين الرجوع إليه في المستقبل. كان هناك مزيجٌ من الصغير والكبير والعادي والمُبهرج من الذكور والإناث. انصبّ انتباهي على شخصٍ واحد: صبيّ بمثل سنّنا، بشعرٍ أسود مثل شعري. كان يتحرّك ساحبًا طوق معطفه الصباحيّ، وعيناه تتنقّل بين الجثّة والأشخاص المحيطين به. لقد بدا على شفا نوبة إغماء. ربما كانت عصبيّته ناجمةً عن الشعور بالذنب أو الخوف.

توقّفَ عن الدوران لفترةٍ كافية ليلتقي بنظراتي، وعيناه اللامعتان تحدّقان في عينيّ. كانَ هنالك شيءٌ فيه جعلَ نبضي يتسارع مرّةً أخرى. ربما كان ذا معرفةٍ شخصيّة بالضحيّة عند قدميّ.

ارتطمَ قلبي بعظم القصّ في نفس الوقت الذي أطلق فيه مسؤول القطار صفيرًا عاليًا للعودة إلى مقصوراتنا. في الثواني التي احتجتُها لإغماض عينيّ واستعادة رباطة جأشي كان الصبيّ العصبيّ قد اختفى. حدّقتُ في المكان الذي وقف فيه قبل ذهابه، ثمّ تحرّك توماس وذراعه تُلامس ذراعي بخفّة. وقفنا فوقَ الجسد، صامتَين في خضمّ أفكارنا المضطربة خلال التقاط المشهد. نظرتُ إلى الضحية بالتواءٍ في معدتي.

قال توماس: "لقد ماتَ بالفعل في الوقت الذي فتحنا فيه بابنا. لا خِياطة يُمكن أن تكفي لإعادة قلبه كاملًا من جديد".

كنتُ أعرف أنّ ما قاله توماس صحيح، لكن كدتُ أقسِم أنّ عينَي الضحية قد رفرفت. أخذتُ نفسًا عميقًا لتنقية ذهني، ثمّ فكّرتُ في مقال الصحيفة مرة أخرى وقُلت: "القتل في براشوف كان أيضًا باستعمال خازوق، لذا أشكُّ بشدّة في أنّهما جريمتان منفصلتان. ربما كان قاتل براشوف يسافر إلى مدينة أخرى لكنه وجد هذه الفرصة مغريةً إلى حدٍّ لا يُقاوَم." مع ذلك لِمَ اختار هذا الشخص بالذات ليذبحه؟ هل كان هدفًا قبل صعود القطار؟ راقبَ توماس الجميع بنظره الثابت التحليليّ.



الآن بعد أن خفّت ضجة الممرّ، صار بإمكاني فحص القتيل بحثًا عن أدلّة. توسّلتُ إلى نفسي أن ترى الحقائق أمامها وألّا تجرفها خيالات عودة الجثث إلى الحياة. انطلاقًا من مظهره، لم يتعدَّ عمر الضحية عشرين عامًا. خسارةٌ فظيعة. كان يرتدي حذاءً مصقولًا وبدلةً أنيقة، وتمّ تمشيط شعره البُنّي الفاتح بعناية إلى جانب واحد وصُفّفَ بشكل مثاليّ باستخدام دهان الشعر.

بالقرب منه، حدّقَت عصا مشي برأس ثعبان مرصّع بالجواهر في الركّاب المتبقّين المُبحلقين في مالكها السابق. كانت العصا مثيرةً للانتباه ومألوفة. خفقَ قلبي بينما انصرفَ تركيزي إلى وجهه، قبل أن أترنّح على الحائط وأتنفّس بعمق. لَم أكن قد انتبهتُ خلال الفوضى الأوّلية، لكنّه نفس الرجل الذي أخطأتُ بشأنه قبل قليل... لا يُمكن أن يكون قد مضى أكثر من عشر أو عشرين دقيقة على ذلك!

لم أستوعب كيفيّة انتقاله من كونه حيًّا ومتوجهًا إلى عربة السيجار، إلى ميّتٍ خارج مقصورتي. خاصّةً أنّ مظهره يُشبه كثيرًا...

أغمضتُ عينيّ، لكن الصور العالقة هناك كانت أسوأ، لذا اخترتُ التحديق في الجرح والتركيز على الدم الذي كان يتجمّد ويبرد.

"وادزورث؟ ما الأمر؟"

توقّفتُ ووضعتُ يدي على معدتي. "الموت ليس سهلاً أبدًا، لكن هنالك شيء... أسوأ بكثير عندما يأخذُ شخصًا شابًا".

"الموت ليس الشيء الوحيد المُخيف. القتل أسوأ." فتّشَ توماس في وجهي، ثمّ نظرَ إلى الجثّة وقد لانت ملامحه "أودري روز..."

سرعان ما استدرتُ بعيدًا قبل أن يتمكن من مواساتي بكلماته.

"انظُر إلى ما يُمكنك استنتاجه كريسويل. أحتاج إلى لحظة".

شعرتُ به يحوم ورائي، متباطئًا بما يكفي لأعلم أنه كان ينتقي كلماته التالية بعناية شديدة مُحاولاً ألّا يتوتّر. "هل أنتِ بخير؟"

كلانا عرفَ أنّ الأمر لم يعد يتعلّق بالميّت الراقد عند قدميّ. بدا أنّني على وشك الانغماس في ظلام مشاعري العميق في أيّة لحظة. كنتُ بحاجةٍ إلى التحكم في المشاهد التي تُطاردني ليل نهار. استدرتُ لأواجهه، حريصةً على الحفاظ على ثبات صوتي وتعابيري. "بالطبع. فقط أقوم باستيعاب الموقف".

قال توماس بهدوء: "أودري روز، ليس عليك"...

قُلت: "أنا بخير يا توماس. أنا ببساطة بحاجة إلى بعض الهدوء."

زمّ شفتَيه لكنّه لبّى أمنيتي بعدم الإلحاح. انحنيتُ مرّةً أخرى لأدرس الجرح، متجاهلةً شبهه الغريب بأخي. كنتُ بحاجةٍ لاستعادة توازني، لإيجاد باب مشاعري وإغلاقه حتى انتهاء الفحص، ثمّ يُمكنني بعدها



حبس نفسي في حُجرات عقلي والبكاء. شهقَ أحدُهم عندما قُمتُ بفك أزرار جزء من قميص الضحية لفحص الوتد بشكل أفضل.

من الواضح أنّ اللباقة كانت أكثر أهميّةً من اكتشاف أيّة أدلة، لكنني لم أهتم لذلك.

هذا الشابّ يستحقّ أكثر. تجاهلتُ العالقين في الممرّ وتظاهرتُ أنّني لوحدي في مختبر العمّ، مُحاطةً بالأوعية المعطّرة بالفورمالديهايد المليئة بعيّنات الأنسجة. حتى في مُخيّلتي نظرَت إليَّ عيّنات الحيوانات بعيونها البيضاء الميّتة، حاكمةً على كلّ خطوة أقومُ بها.

ثنيتُ يديّ. ركّزي.

كان جرح صدر الضحية أكثر شناعةً عن قُرب. تشقّقت أجزاءٌ من خشب الوتد، لتُعطيه مظهر العِلّيق وسيقانه الشوكيّة، كما جفّ الدم واسودَّ تقريبًا حول الوتد. لاحظتُ أيضًا خطَّين باللون القرمزيّ الغامق يتسرّبان من فمه. ليسَ ذلك مُستغربًا، فمن الواضح أن مثل تلك الإصابة تسبّبَت في نزيفٍ داخليّ حادّ.

لو لم يتمّ اختراق قلبه ربّما كان سيختنق بدمهِ من الداخل، طريقةٌ مُروّعة للموت.

تطايرَت رائحةٌ نفّاذة لا علاقة لها بعبَق الدم المعدنيّ حول الضحية. انحنيتُ على الجسد، محاولةً تحديد موضع الرائحة الغريبة، بينما كان

توماس ينظر إلى باقي الركّاب المحيطين بنا. هدّأني علمي بقدرته على استخلاص الأدلّة من الأحياء بنفس الطريقة التي يُمكنني بها انتزاع المعلومات من الموتى.

برزَ شيءٌ ما من زوايا شفتيّ المتوفى لافتًا انتباهي، وأملتُ ألّا يكون ذلك من صُنع ذهني، حبًّا بإنكلترا! كدتُ أسقط على الضحيّة عندما اقتربتُ أكثر.

كان هنالك بالتأكيد شيءٌ ضخم أبيض مدفوعٌ في فمه، وبدا أنه ذو طبيعة عضويّة، ربما أشبه بالجذور. لو كانَ بإمكاني فقط الوصول إلى...

"سيّداتي وسادتي!" كان المسؤول قد كوّرَ يديه حول فمه وهو يصرخ من نهاية القاعة.

لَمّحَت لهجته إلى أنه فرنسيّ، وليس ذلك غريبًا لأننا غادرنا من باريس. "رجاءً عودوا إلى مقصوراتكم. يحتاج أفراد الحرس الملكيّ إلى إخلاء المنطقة من... التلوّث".

نظرَ بعصبيّة إلى الرجل ذي البدلة بجانبه، والذي حملقَ بدوره في حشد الواقفين حتى تسلّلوا عائدين إلى أماكنهم الخاصّة، وغرقَت ظلالهم في الظلام.

بدا الحارس في حوالي الخامسة والعشرين من عمره. كان شعره أكثر سوادًا من ليلةٍ خاليةٍ من النجوم، وقد تمّ ترطيبه حتى التصقَ على فروة



رأسه. طغَت على ملامحه زوايا وخطوط حادّة قاطعة، وبالرغم من أنه لم يُغيّر أبدًا تعبير وجهه اللطيف إلّا أنّ التوتر كان ينطوي بداخله بما يكفي لشدّ قوس بغية إطلاق سهمٍ قاتل. لاحظتُ عضلات صلبة تحت ملابسه، وندبات قديمة على يديه - اللتين كانتا بدون قفّاز - وهو يرفعهما ليُشير إلينا بالمغادرة. لقد كان سلاحًا شحذته مملكة رومانيا، جاهزًا لمواجهة أيّ تهديد محتمل.

انحنى توماس قريباً مني لدرجة أن أنفاسه دغدغت بشرة رقبتي: "رجلٌ قليل الكلام، كما أرى. ربما يكون حجم... سلاحه هو ما يجعله مُخيفًا هكذا."

"توماس!" همستُ باستنكار، مصدومةً من عدم لباقته.

حينَها أشار توماس إلى السيف الضخم المتدلّي جانبًا من ورك الشاب، وبانت علامات المتعة على ملامحه. كلامه صحيحٌ إذن. تورّدَت وجنتاي بينما تمتمَ توماس: "وأنتِ تقولين أنّ عقلي أنا في الحضيض. يا لها من فضيحة يا وادزورث! فيمَ كنتِ تفكّرين؟"

ألقى الحارس نظرةً قاسية على توماس، واتسعت عيناه للحظة قبل أن يعيد ضبط فكّه.

نظرتُ إليهما وهُما يفحصان حجم بعضهما بعضًا، كزوجٍ من الذئاب المُسيطِرة يدوران بحثًا عن الهيمنة في جماعةٍ جديدة. أخيرًا أمالَ الحارس

رأسه قليلاً. كان صوته عميقًا وخافتًا مثل محرّكٍ يعمل بالبخار. "رجاءً عُد إلى الغُرفة (كلمة رومانيّة)."

ثبتَ توماس أمامه .كانت الكلمة الأخيرة مجهولة المعنى لي لأنني لم أبدأ بدراسة اللغة الرومانيّة إلّا مؤخرًا، لذا لم أعرف بماذا دعاه الحارس. ربما كان شيئًا بسيطًا مثل "سيّدي" وربّما "أيّها الأحمق المتكبّر". مهما كانت الإهانة، فإنّ صديقي لم يظلّ متفاجئًا لفترةٍ طويلة، إذ عقد ذراعيه بينما تقدّم الحارس إلى الأمام. "أعتقد أننا سنبقى ونفحص الجثة. نحن ماهران في التطفّل على أسرار الموتى. هل ترغب في اختبار ذلك؟"

انجرفَ نظرُ الحارس عليَّ بتكاسل. مما لا شكّ فيه أنّ امرأةً شابة ترتدي فستانًا جميلًا ستكون عكس ما هو مفيد في مثل ذلك الموقف، على الأقل فيما يتعلق بالعلم أو هواية التحقيق. "ليس من الضروري ذلك. يُمكنكما المغادرة".

استقامَ توماس إلى كامل طوله المُثير للإعجاب وحدّق إلى أسفل في الشابّ، إذ لم يفُته الغرض من نظرات الحارس. لم يتفوه بكلمةٍ جيّدة مطلقًا في السابق وهو يقف تلك الوقفة، فعبرتُ حدود اللباقة وأمسكتُ بيده. لوى الحارس شفتيه، لكنّني لم أكترث.

لم نكن في لندن، حيث يُحيطنا أناسٌ يُمكنهم إخراجنا من المتاعب إذا قام توماس باستفزاز الشخص الخطأ باستعمال سحره المعتاد. لم يكن



المبيت في زنزانة رومانيّة متعفنّة في طليعة خططي لهذه الحياة. لقد رأيتُ الداخل الكئيب من بيدلام - مصحّة فظيعة في لندن اقترنَ اسمها بالفوضى - ويُمكنني أن أتخيّل جيّدًا ما قد نواجهه هنا. كنتُ أرغب في دراسة الجثث، وليس أنواع مختلفة من الفئران في حُجرة منسيّة تحت الأرض، أو العناكب! انزلقَت موجةُ خوف أسفل عمودي الفقريّ في إثر تلك الفكرة. أفضّلُ مواجهة ما يُطارد ذهني على أن أكون محاصرةً مع عناكب في مكانٍ صغير ومُظلم.

"دعنا نذهب يا كريسويل."

حدّقَ الشابّان في بعضهما لثانيةٍ أخرى، وتجادلا بصمتٍ في تلك الوقفة المتشنّجة . وددتُ أن أقلبَ عينيّ على سخافتهما. لم أفهم أبدًا حاجة الرجل لاستملاك قطع صغيرة من الأرض وإنشاء قلاع للسيطرة عليها، لأنّ الوقوف بذلك الوضع فوق كلّ بوصةٍ منها عمليّة مُرهِقة.

أخيرًا رضخ توماس وقال محدقًا في الحارس: "ممتاز. ما اسمُك؟"

ابتسم الحارس ابتسامةً قاسية وهو يقول: "دانيشتي."

"آه، دانيشتي. هذا يُفسّر الأمر، أليس كذلك؟"

دارَ توماس على عقبَيه واختفى داخل مقصورته، ليتركني في تساؤلاتي عن الجثة خارجَ بابي وعن الهالة الغريبة التي أحاطت بنا منذ دخولنا رومانيا.

مَن كان ذلك الحارس الشابّ المُهدِّد، ولماذا استفزّ اسمه توماس؟ أحاطَ دانيشتي اثنان من حرس الملكيّ، وبدا أنه كان في موقع مسؤولية، لأنه أطلق أوامر بالرومانيّة وأومأ نحو الجثة بحركاتٍ دقيقة.

اعتبرتُ ذلك كإشارة مغادرة لي، فأغلقتُ باب مقصورتي وتوقّفتُ داخلها فجأةً. كانت السيدة هارفي مُستلقية، وصدرها يرتفع وينخفض بإيقاعٍ ثابت يُشير إلى سباتٍ عميق. لكنّ ذلك لم يكن ما أجفلَني. لقد وُضعَت على مقعدي قطعةٌ مطويّة من الورق المجعّد. ربّما أتوهّم رؤية أشياء بين الحين والآخر، لكنني كنتُ واثقة من عدم وجود أيّة مخطوطة هناك قبل اكتشاف الجثة خارج بابي.

زحفَت أمواج من القشعريرات بحُرّيةٍ على بشرتي. نظرتُ في جوانب مقصورتي، لكن لم يكن هنالك أحدٌ سوى رفيقتي النائمة. رفضتُ الاستسلام لهيمنة الخوف، ومشيتُ إلى الورقة لأفتحها وأعدّلها. كان عليها رسمُ تنّين التفّ ذيله حول رقبته السميكة، في حين شكّلَ صليبٌ انحناء عموده الفقريّ، حتّى كدتُ أظنّه حراشف.

ربما رسمهُ توماس، لكنني كنتُ سألاحظ ذلك... أليس كذلك؟

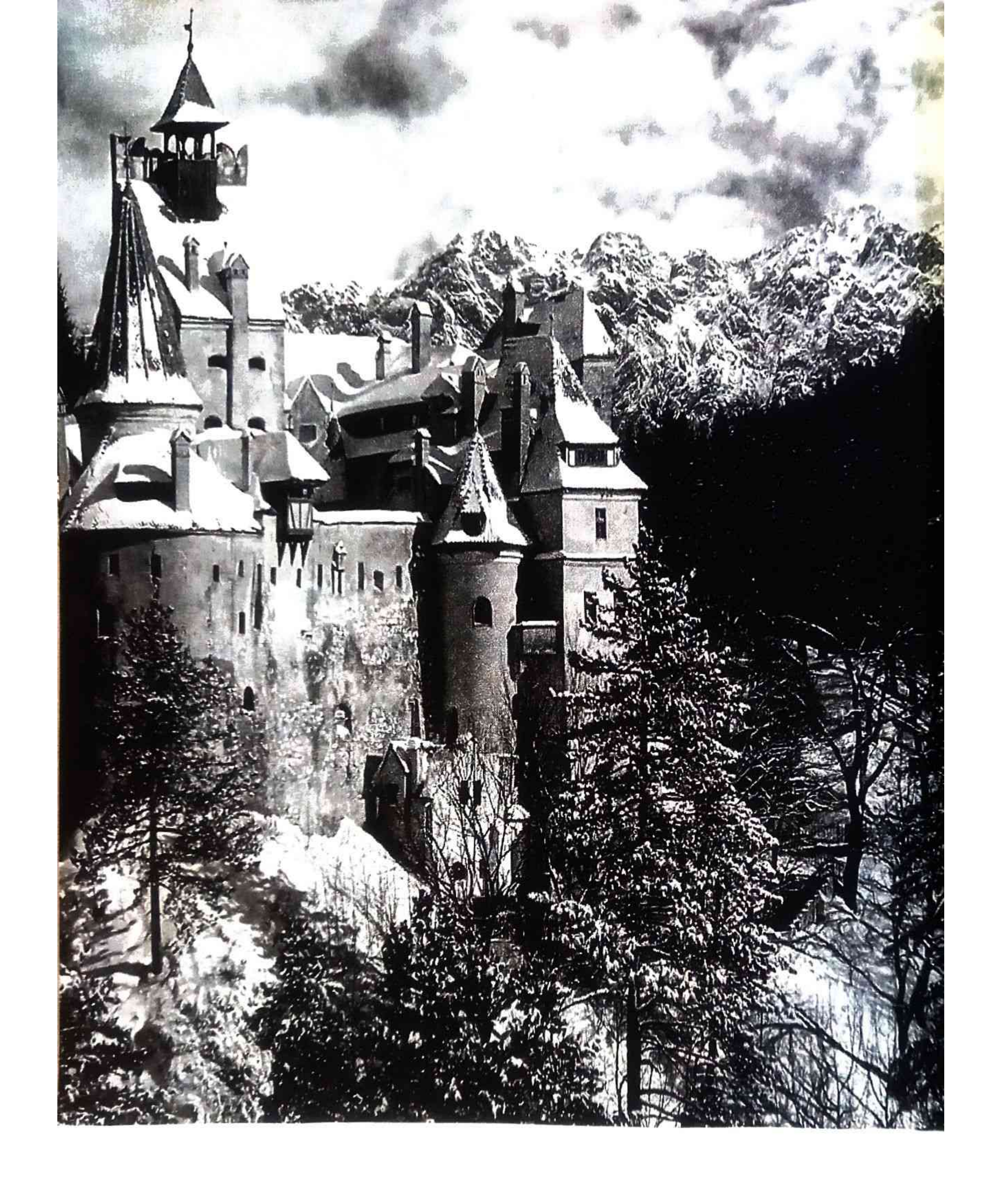
هويتُ على المقعد، محتارةً بكلّ شيء، وتمنّيتُ الرجوع إلى الوقت الذي كان فيه نقر توماس المتواصل هو كلّ ما يشغل بالي. بدا أنّني لم أستطع التأكّد من أيّ شيء. خارج المقصورة، سمعتُ صوت سحب



الجثّة عبر الممرّ. حاولتُ ألّا أفكّر في قيام الحرّاس بتدمير أيّة أدلّة قد تكون موجودة، حتّى تلاشَت أصوات انزلاق الحذاء فوق السجّادة بالكامل.

إذا كان مَن رسمَ صورة التنّين شخصٌ آخر غير توماس، **فكيفَ** تسلّلَ إلى مقصورتي واختفى دون أن نُلاحظه أنا وتوماس؟

كان ذلك لغزًا آخر ملأني بالرّعب.



قلعة بران، ترانسيلفانيا، رومانيا



5

دروس في الستريغوي[1]



أطراف براشوف
ترانسيلفانيا، رومانيا

1 ديسمبر 1888

كانت عربة الكلارنس[2] - التي يُطلق عليها غالبًا اسم "المُقرقِعة" بسبب ضوضائها - مريحةً بما يكفي خلال اندفاعها لساعاتٍ على التضاريس المتموّجة وتسلّقها للجبال شديدة الانحدار والتلال المؤدّية

1 - ستريغوي: كلمةٌ رومانية تُترجَم إلى "مصّاص دماء" في اللغة العربية، إلا إنني آثرتُ استعمالها بهذا الشكل لتعمّد الكاتبة استعمالها بصيغتها الرومانية الأصليّة بدلًا من الإنكليزية. (المُترجِم)

2 - عربة الكلارنس: أكثر عربات الخيول شيوعًا في القرن التاسع عشر، تكفي لنقل أربعة ركّاب.

إلى خارج بوخارست. نتيجةً للملل المُطلق، وجدتُ نفسي مفتونةً بشُرّاباتٍ ذهبيّة متمايلة كانت تُثبّت الستائر الأرجوانيّة الغامقة. لقد تمّت خياطة تنانين ذهبيّة في ذلك القماش بأجسادها المتعرّجة الأنيقة. تذمّرَت السيدة هارفي، التي ظلّت صاحيةً بأعجوبة على مدار نصف الساعة الماضية، بينما مررنا على حفرة كبيرة في الطريق، قبل أن تسحب بطانيّتها إلى أعلى من جديد.

ارتفعَ حاجباي حتّى مقدّمة شعري عندما أخرجَت قارورةً من عباءتها المزيّنة بالفرو لتشرب منها بلهفة. انسكبَ سائلٌ صافٍ عليها، مالئًا الحجرة الصغيرة برائحة حادّة لم تكن سوى لكحولٍ قويّ. احمرّ خدّاها باللون النابض بالحياة وهي تمسح السائل المُنسكب، ثمّ قدّمَت لي القارورة ذات النقوش. هززتُ رأسي وأنا أقاوم ارتعاش شفتيّ. لقد أحببتُ تلك المرأة كثيرًا.

قالت: "هذا دواءٌ للسفر، للمرض المتعلّق بالحركة. إنه نافعٌ لِضعاف البُنية، وللطقس البائس". زفرَ توماس، لكنّني لاحظتُ أنه تفقّدَ حجر قدمها[1] الذي غيّرتهُ حديثًا للتأكد من أنه لا يزال يبعث الحرارة. تساقطَ الثلج بشدّةٍ أكثر كلما ارتفعنا في الجبال، وكانت عربتنا شديدة البرودة.

---

1 – حجر القدم أو مدفأة القدم: صندوق صغير يضمّ فحمًا يبعث الدفء عبر ثقوب تحيط به. (المُترجِم)



"تستخدم السيّدة هارفي دواء السفر الخاصّ بها أيضًا قبل أن ترتاح ليلًا في غرفتها. في بعض الليالي، بعد مجيئي من مختبر الدكتور وادزورث، أجدُ بعض البسكويت الطازج في الردهة مع نسيانها لكيفيّة صُنعه."

قالت بلُطف: "آه، اصمت. لقد وُصِفَ لي هذا الدواء للرحلة. لا تساعد في نشر أنصاف الحقائق، فهذا غير لائق. أنا أتذكّر دائمًا الخُبز الخاصّ بي ولا أشرب إلا القليل بعده. وأنا أصنع ذلك البسكويت لأنّ شخصًا ما يحبّ الحلويّات. لا تدعيه يُخبركِ بخلاف ذلك، آنسة وادزورث".

ضحكتُ بينما أخذَت العجوز الودودة رشفةً أخرى من "دواء السفر" وعادَت إلى الوراء تحت أغطية الصوف السميكة، ليبدأ جفناها بالتدلّي. فسّرَ ذلك قدرتها المذهلة على النوم خلال معظم هذه الرحلة. كانت ستتعايش مع عمّتي أميليا جيدًا، فالعمّة مغرمة إلى حدٍّ ما باحتساء المشروبات الروحيّة قبل النوم.

قامَ توماس بمدّ ساقيه عبر الطريق متعدّيًا على مقعدي، رغمَ أنه بدا غير مُنتبهٍ لذلك. لقد كان هادئًا بشكل غير معهود معظم الرحلة. لم يرتَح لأجواء السفر أبدًا، ولم يُقدّم هذا الجزء من رحلتنا استثناءً لتلك الحقيقة. ربما احتجتُ لمنحه بعضًا من دواء السيّدة هارفي، لتوفير القليل من الطمأنينة لكلينا قبل الوصول إلى الأكاديمية.



لقد درستُه خلال انشغاله، ووجدتُ في عينيه لمعانًا بعيدًا. لقد كانَ معي هنا، لكنّ عقله ليس في المكان .كنتُ أعاني شخصيًا من صعوبة في عدم التفكير في ضحيّة القطار، أو في الرسم الغريب للتنّين. أردتُ التحدث مع توماس حول هذا الموضوع لكنّني لم أرغب في فعل ذلك أمام مُرافقتنا.

آخر شيء احتاجته السيّدة هارفي المسكينة هو التعرّض للمزيد من المواقف المخيفة. عندما توقّفنا لإراحة الخيول وتناول وجبة غداء سريعة منذ فترةٍ وجيزة، بالكاد تمكّنَت من أكل شيء، وكانت تجفل عند كلّ ضجّة صادرة من مطبخ النزل المزدحم.

حدّقَ توماس في الغابة والثلج المتساقط في الخارج. كنتُ أرغب في التحديق في الأشجار الضخمة لكنّني خفتُ من الخيالات التي قد يستحضرها ذهني المضطرب. حيواناتٌ تعدو عبر الشجيرات، رؤوسٌ مقطوعة مُعلّقة على الحِراب، أو غيرها من الأوهام البشعة.

"هل تشعُر بتوعُّك؟"

لفتَ انتباهه إليّ. "هل هذه طريقتُكِ في القول أنني لا أبدو في أفضل حالة؟"

نزلَت نظراتي إلى معطفه القصير دونَ قصدٍ منّي. كان لونه القاتم، مع لون صدريّته المُطابق له، يُناقضان معالم توماس الباردة بشكلٍ جيّد،



وشعرتُ بأنه مُدركٌ لذلك، كما أكّدَت الطريقة التي تعلّقَت بها نظراته على شفتيّ تلك الفكرة.

"لا تبدو على طبيعتِك، هذا كلّ شيء." لم أكلّف نفسي عناء الإشارة إلى أننا كنّا نتجمّد في عربتنا المُستأجرة، وأنّ عليهِ ارتداء معطفه بدلاً من استخدامه كبطانيّة، ما لم يكن مريضًا بالحمّى. أهملتُ تلك الملاحظة وهززتُ كتفيّ لأشرع في تجاهُله. تقدّمَ إلى الأمام، وهو يُبعد تركيزه عن السيّدة هارفي.

"ألم تُلاحظي؟" بدأ ينقر بأصابعه على فخذه. في وسعي أن أُقسِم أنه كان ينظمُ ملحمةً باستخدام شيفرة مورس[1] ولم أقاطعه. "لم ألمس سيجارةً منذ أيام. أجد أن الطاقة العصبيّة الزائدة... مصدر إزعاج".

"لِمَ لا تُحاول النوم، إذن؟"

"يُمكنني التفكير في بعض الأمور الأكثر إثارةً للاهتمام التي قد نقوم بها لتمضية الوقت بخلاف النوم يا وادزورث. لا تزال براشوف على بُعد ساعات".

تنهّدتُ بشدّة. "أُقسم، إذا جئتَ بشيءٍ أقلّ تكرارًا ممّا تقول في كل مرّة، فسوف أقبّلُكَ على نشاطك الفكريّ لوحده."

1-شيفرة مورس: شيفرة حروف تعتمد على ذبذبات قصيرة وطويلة لتمثيل الحروف. (المُترجِم)



"كنتُ أتحدّث عن شيء آخر تمامًا. شيء من الأساطير والخرافات وغيرها من المواضيع الجديرة بالاهتمام والتي قد تُساعد في دراستكِ للرومانيّة. أنتِ مَن افترضَ أنني أتحدّث عن التقبيل." اعتدلَ جالسًا بابتسامة رضى واستأنف تأمّلهُ في الغابة التي مررنا بجانبها ببطء. "هذا يجعل المرء يتساءل كم تفكّرين في ذلك الأمر".

"لقد اكتشفتَ سرّي، أنا أفكّرُ فيه باستمرار." امتنعتُ عن الابتسام، مستمتعةً بالارتباك الذي بانَ على ملامحه وهو يختبر صدق قولي بصمت. "من المفترض أنكَ كنتَ تقول شيئًا جديرًا بالملاحظة." رمشَ في وجهي كما لو كنتُ أتحدث بلغةٍ لا يستطيع فهمها. "من الصعب تصديق ذلك، أعرف."

"أنا، لِكوني من خيرة النبلاء، كنتُ سأخبرُكِ عن الستريغوي .لكنّني أستمتع أكثر بكشف أسرارك. دعينا نسمع المزيد عن أفكارك".

سمحَ لنفسه بإجراء مسح بصريّ كامل لي، وبدا أنه التقط عشرات التفاصيل، قبل أن يبتسم ببطء.

"بالنظر إلى الطريقة التي اعتدلتِ بها مع شهيقكِ الخفيف، أودّ أن أقول أنّكِ على الأقل تفكّرين في تقبيلي هذه اللحظة. شقيّة، شقيّة يا وادزورث. ماذا ستقول عمّتكِ المُتديّنة؟" أبقيتُ تركيزي على وجهه، متجنّبةً الرغبة في إلقاء نظرة على فمه البارز" .أخبِرني بالمزيد عن



ستريغاي. ماذا يكونون؟" ردّ توماس بلهجتِهِ الرومانية المُتقَنة: "ستريغوي، هم أمواتٌ أحياء يتّخذون هيئة مَن تثقين بهم، أولئك الذين تسعدين جدًا لدعوتهم إلى منزلك، ثمّ يُهاجمون. عادةً ما يكون أحد الأقارب المتوفّين. من الصعب علينا التخلّي عمّن نحبّ..." أضاف ذلك بهدوء، كما لو كان يعرف عُمق الجرح الذي يُمكن أن ينتج من هذه الكلمات.

حاولتُ بلا جدوى ألّا أتذكّر كيف ارتعدَت أطراف أمّي عندما انطلقت الكهرباء عبر جسدها. هل كنتُ سأرحّب بعودتها من قضاء الموت بغضّ النظر عن مدى خوفي؟ أزعجَني الجواب. لم أثق بوجود حدٍّ لن يتخطّاه المرء عندما يتعلّق الأمر بأولئك الأحباب، إذ تنهارُ الأخلاق عند مواجهة وجع القلب .ستظلّ بعض الصدوع مستحيلة الإصلاح في داخلنا إلى الأبد.

قُلت: "يجب أن يكون هنالك تفسيرٌ لذلك. أشكُّ بشدة في نهوض فلاد دراكولا من القبر، والأموات الأحياء ببساطة حكاياتٌ قوطيّة تُروى للترهيب والتسلية".

حوّلَ توماس نظرهُ إليّ وثبّتَه. علم كلانا أنه في بعض الأحيان تصطدم الحكايات مع الواقع بآثارٍ مدمّرة. "أوافقُكِ الرأي، على عكس بعض القرويّين، لسوء الحظّ. عندما يتمّ رصد ستريغوي، تسافر الأسرة

بأكملها - أو أيّ مُصاب - إلى قبر الجاني، ليحفره ويُمزّق قلبه المتعفّن ثمّ يحرقهُ على الفور." وأضافَ منحنيًا إلى الأمام: "آه، كدتُ أنسى. بمجرّد أن يحرقوا 'الوحش' يقومون بشرب الرماد. إنها الطريقة الوحيدة للتأكد من أن الستريغوي لن يستطيع العودة أو العيش في مضيف آخر".

قُلت وأنا أدعكُ أنفي: "يبدو الأمر مبالغًا فيه بعض الشيء."

انتشرت ابتسامة ببطء على وجه توماس. "الرومانيّون يقومون بكلّ أفعالهم من صميم قلوبهم يا وادزورث، سواءٌ كان ذلك الذهاب إلى الحرب، أو النضال من أجل الحبّ".

لمستُ صدق نبرته، وقبل أن أتمكّن من التعليق صفّرَ السائق للخيول وسحب لجامها ليُوقف العربة. اندفعتُ إلى الأمام، وخفق قلبي بينما اجتاحَت ذهني مشاهد عصابات متجوّلة من اللصوص والقتلة. "ماذا يحدث؟ لماذا توقّفنا؟"

"ربّما نسيتُ أن أقول،" توقّف توماس ليرتدي بهدوء المعطف الذي كان يستخدمه كبطانيّة إضافية قبل تعديل حجر القدم لي. "سننتقل إلى عربة لائقة أكثر."

"ماذا..." قاطعَ صهيل خيول ورنين أجراس سؤالي التالي. نظرَ توماس من النافذة معي، وخلقَت أنفاسنا دوّامات بيضاء على الزجاج، مسحَها بكمٍّ معطفه وراقبَ ردّة فعلي بابتسامةٍ مُترقّبة على وجهه.



"مفاجأة، أودري روز. أو على الأقل أتمنى أن تكون مفاجأةً سارّة. لم أكن متأكدًا..."

انزلقَت زلّاجة رائعة تجرُّها خيول لتتوقّف بجانبنا، بألوان الأحمر الهادئ والأصفر والأزرق الباهت، تيمنًا بالبيض الرومانيّ الملوّن. استنشقَ الهواء زوجٌ من الأحصنة الكبيرة ناصعة البياض، وانطلقَت أنفاسُها في هيئة سُحب صغيرة أمامها وهي واقفة في الثلج. ارتدَت الخيول تيجانًا من ريش النعام الأبيض، الذي انحنى قليلاً بفعل رداءة الطقس.

"أنت... فعلتَ هذا؟"

نظرَ توماس إلى العربة وهو يعضّ شفته. "كنتُ آمل أن تستمتعين بها."

رفعتُ حاجبي. أستمتع بها؟ لقد كان مشهدًا من قصّةٍ خياليّة... وسحرَتني بالكامل.

"بل أعشقُها".

فتحتُ الباب دون تأخير لأتمسّك بيد السائق الممدودة، وانزلقتُ قليلًا فوق العتبة المعدنيّة الملساء قبل أن أقوم بموازنة نفسي. لقد عصفَت الرياح بشراسة، لكنني بالكاد لاحظتُها، بينما عادَ السائق إلى العربة. تشبّثتُ بقبّعتي وحدّقتُ بدهشة في المنظر الرائع أمامي. ابتسمَ سائق

الزلّاجة مع ابتعادي عن جانب العربة المُقرقِعة، لأقف بالكامل في العاصفة. على الأقلّ اعتقدتُ أنه ابتسم. لم تكن هنالك طريقة للتأكّد من ذلك، حيث تمّت تغطية معظم وجهه الأحمر وجسمه لاتّقاء قساوة الطقس. كان يلوّح بينما شقّ توماس طريقه إلى جانبي، فاحصًا كلًّا من الزلّاجة والسائق بطريقته التحليليّة.

"تبدو وسيلة نقلٍ منطقيّة، خاصّةً وأنّ هذه العاصفة لا تبدو قريبة الانتهاء. سنقضي وقتًا ممتازًا، وكان التعبير على وجهكِ يستحقّ العناء." التفتُّ إليه، وعيناي تدمعان بامتنان، وشاهدتُ الذعر يسيطر عليه وأنا ابتسم بلا خجل. عادَ ليمدّ رأسه داخل العربة ويصفّق. "سيّدة هارفي، حان وقت الاستيقاظ. اسمحي لي أن أساعدَكِ في النزول".

في تلك اللحظة، شقَّ هواءٌ بارد طريقه عبر الغابة، مُتسبّبًا في صفير فروع الأشجار، فدفنتُ وجهي في بطانة فرو معطفي الشتويّ. كُنّا في عُمق الغابة، محصورين بين قمم الجبال المتنازعة. في مقابل الساعات القليلة المتبقّية من ضوء النهار كان الظلام يتصاعد من حولنا بشكلٍ مُتذبذب مثل صديقي.

ساعدَ توماس مُرافقتَنا على النزول من العربة، قبل أن تعبسَ في وجه الثلج المتساقط وهي تأخذ رشفةً من دوائها. لاحقَ توماس نظراتي وهي تنتقل من شجرة هادرة إلى أخرى. كان هناك شيءٌ غريب في تلك الغابة.



لقد بدَت على قيد الحياة، بأرواحٍ لا تضمُر الخير ولا الشرّ. مع ذلك، شعرتُ بوجود هالةٍ عتيقة، تتحدّث بهمسٍ عن الحروب وإراقة الدماء.

كُنّا متوغّلين في قلب موطن فلاد المُخوزِق، وبدا أنّ الأرض تُحذّرنا: احترموا هذه الأرض أو واجهوا العواقب. من المحتمل أنها كانت خدعةً بصريّة، لكنّ أوراق الأشجار القليلة المتبقّية بدت بلون الجروح الجافّة. تساءلتُ عمّا إذا كان النبات هُناك قد اعتادَ طعم الدمّ بعد فقدان الآلاف من الأرواح في ذلك المكان. صرخَ طائرٌ فوقنا، وسحبتُ نفسًا باردًا.

"تمهّلي يا وادزورث. ليسَ للغابةِ أنياب".

قلتُ بعذوبة: "شكرًا لك على التذكير يا كريسويل. ماذا كنتُ سأفعل من دونك؟"

التفتَ إليّ بتعبيرٍ لا يُمكن أن يكون أكثر جدّية. "كُنتِ ستفتقدينني بشدّة وتعرفين ذلك، تمامًا كما سأفتقدُك بطرقٍ لا أستطيع وصفها إن افترقنا يومًا."

قادَ توماس السيّدة هارفي من ذراعها نحو الأمام، بينما أشار لنا سائق الزلّاجة بالجلوس. وقفتُ هناك لِوهلةٍ ودقّات قلبي تتسارع. كان يُقدّم اعترافاته بشكل حقائق مُسلَّم بها، لتصدمني في كلّ مرّة.

أتحتُ لنفسي لحظةً لتهدئة قلبي، قمتُ فيها بمداعبة الخطم الناعم للحصان الأقرب إلينا، قبل أن أركب في الزلّاجة. لم تكن مغلقة بالكامل

مثل العربة، لكنني رأيتُ كميّةً كبيرة من أغطية الفراء في تلك المساحة الصغيرة. قد لا يكون لدينا سقفٌ مغطّى، لكنّنا لن نتجمّد مع كل فراء الحيوانات ذاك لنلتفّ به. ترنّحَت السيدة هارفي في داخل الزلّاجة واتّخذَت جانبًا منها، تاركةً بقيّة المقعد مُتاحًا لنا وهي تقوم بترتيب تدفئة الأقدام.

تقلّصَ جسدي حين أدركتُ مدى قُرب أماكن جلوسنا أنا وتوماس. أملتُ ألّا يكون المدير واقفًا في استقبالنا حين الوصول، إذ لن يكون من اللائق أن يراني بجانب توماس هكذا، حتى مع وجود مُرافِق. بدا أن نفس الفكرة خطرَت في باله الشرّير، حيث ابتسمَ توماس ابتسامةً شيطانيّة ورفعَ حافة البطانيّة الكبيرة ذات الفراء، وهو يُربّت على المقعد بجانبه. فغرتُ فمي.

"ماذا؟" سألَ مُتظاهرًا بالبراءة وأنا ألفّ نفسي بالفراء، قبل أن أحشو كميّةً إضافية منه بيننا بتركيزٍ عظيم على بناء حاجزٍ يفصُلنا. كما توقّعت، لقد غفَت السيّدة هارفي بالفعل. تساءلتُ عمّا إذا كان توماس قد أبرم نوعًا من الصفقة معها لتكون حاضرةً معنا جسديًا فقط. "أنا ببساطة أتصرّف كالرجال النبلاء يا وادزورث. لا داعٍ لرمقي بهذا النوع من النظرات."

"ظننتُك ستقوم بأفضل سلوكٍ ممكن من أجل والدي."



وضعَ يده على قلبه. "لقد جرحتِني. ألن يغضب والدك لو تركتُكِ تتجمّدين حتّى الموت؟ حرارةُ الأجساد علميًا هي أفضل طريقة لنيل الدفء. في الواقع، هنالك دراسات تُشير إلى أنّ خلع جميع الملابس وضغط الجلد على الجلد مباشرةً هو أضمن وسيلة لتفادي انخفاض حرارة الجسم. إذا وقعتِ ضحيّةً لذلك سأستخدم كلّ الأسلحة اللازمة لإنقاذك. هذا ما سيفعله أيّ رجلٍ نبيل، وفي رأيي يبدو ذلك التصرّف في منتهى الشجاعة."

شردَ ذهني الخائن إلى صورة توماس بلا ملابس، ورأيتُ ابتسامةً عريضة على وجهه، كما لو كان مُطّلعًا على أفكاري الفاضحة.

"ربّما أكتبُ إلى أبي لأعرف رأيه في هذه النظريّة."

زفرَ توماس وهو يرمي البطانيّة حول كتفيه، ليبدو كملكِ وحوش من إحدى قصائد هوميروس. انغمستُ في فروٍ كبير الحجم، لأتنفّسَ رائحة جلود الحيوانات المدبوغة، محاولةً عدم التقيّؤ. لم تكن هذه الرحلة الأكثر متعة، لكنّنا على الأقل سنصل إلى الأكاديمية قبل منتصف الليل. لقد تحمّلتُ روائح أسوأ خلال دراسة الجثث المتعفّنة مع عمّي، والقليل من الجلود الطبيعيّة مقدورٌ عليه لبضع ساعاتٍ قادمة.

رغم غرابة التفكير في ذلك، فقد اشتقتُ إلى رائحة التعفّن الطفيفة الممزوجة بالفورمالين في الصباح. لم أطِق الانتظار للوصول إلى المدرسة

والإحاطة بدراسة العلم مرّة أخرى. قد تُشفيني البيئة الجديدة ممّا كنتُ أعاني منه، على الأقل ذلك ما آملت. لن يُمكنني الاستمرار في ممارسة الطبّ الجنائي إذا كنتُ خائفةً من عودة الجثث إلى الحياة.

نظرتُ إلى جميع الفراء الرمادية، وجرَّ الإدراك شفتَيَّ إلى العبوس. "أليسَ غريبًا وجود الكثير من جلود الذئاب؟"

رفع توماس أحد كتفيه. "الرومانيّون لا يُحبّون الذئاب الكبيرة."

قبل أن أتمكن من جعله يُوضّح قوله، حمّلَ السائق آخر صناديق الأمتعة وصعد على متن الزلّاجة. قالَ شيئًا باللغة الرومانيّة، واستجاب توماس قبل أن يميل نحوي، وأنفاسه تجعل جلدي يقشعرّ مُترقّبًا. "المحطة التالية: قلعة بران، بجميع الأوغاد المرموقين الذين يدرسون هناك".

ذكّرتُه: "نحنُ أيضًا على وشك الدراسة هناك."

غاصَ في بطانيّته، ولم ينجح في إخفاء ابتسامته. "أعلم."

سألتُه: "كيف تُجيد الرومانيّة هكذا؟ لم أعلم أنكَ تُتقن شيئًا غير التهكّم".

قال توماس: "كانت والدتي رومانيّة، وقد أخبرَتنا بكلّ أنواع الحكايات الشعبيّة في طفولتنا. لقد تعلّمنا اللغة منذ الولادة".

عبست. "لماذا لم تذكر ذلك من قبل؟"



"أنا مليءٌ بالمفاجآت يا وادزورث." سحبَ توماس بطانيته فوق رأسه. "توقّعي حياةً طويلة من هذه الألغاز الجميلة، ممّا يُحافظ على ديمومة الغموض والمتعة."

بعدها انطلقنا، مُنزلقينَ فوق الثلج الذي تطايرت نُتَفه وراءنا. لسعَت الريح الجليديّة وجنتيّ، مُجبرةً دموعي على النزول في جداول متلألئة، لكنني لم أكفّ عن مُشاهدة الغابة وهي تمرّ بجانبنا عبر فتحات عيوني الضيّقة. بين حينٍ وآخر كنتُ واثقةً أنّ شيئًا ما داخل حدود الغابة كان يتعقّبنا، لكنّ الظلام اشتدّ لدرجةٍ يصعُب فيها التأكّد.

عندما سمعتُ زمجرةً خافتة لم أعرف ما إذا كانت من الرياح أم من قطيع ذئاب جائعة تُطارد وجبتَها الطازجة. لم يكن القاتل الحيّ بالقرب منّا وأشباح ضحايا فلاد دراكولا هُما الأمور الوحيدة التي تُثير الرّعب في هذا البلد.

مرّ الوقت في دقائق متجمّدة تحت سماءٍ تزداد ظُلمة. سافرنا عبر سفوح جبليّة شديدة الانحدار نزولاً إلى وديان أصغر. توقّفنا مرّة واحدة في براشوف، وبعد جدل كبير حول عدم لباقة الوصول إلى الأكاديمية دون مُرافِق، ساعدَ توماس السيّدة هارفي في تأمين غرفة في نِزل، وقُمنا بتوديعها. ثمّ صعدنا في الطريق من القرية نحو قمّة أعظم جبل رأيتُه في حياتي.

عندما وصلنا أخيرًا إلى قمّته، كان القمر قد ارتفعَ بالكامل، وفي نوره تمكّنتُ من تمييز الجدران الشاحبة للقلعة ذات الأبراج التي كانت ذات يوم موطن فلاد تيبش .لقد أحاطَتها غابةٌ سوداء مُعتمة، حصنٌ طبيعيّ لآخر من صُنع الإنسان. تساءلتُ عمّا إذا كانت هي مصدر الخشب الذي احتاجه فلاد لخوزقة ضحاياه.

اقتربتُ من توماس دون قلقٍ من الرفض، قاصدةً دفئه لعدّة أسباب. لم أفكّر في الأمر سابقًا، لكن براشوف قريبةٌ للغاية من مدرستنا، ومَن قتلَ تلك الضحيّة قد اختارَ مكانًا بالقرب من قلعة دراكولا.

كُنتُ آمل ألّا تكون هذه علامة على وقوع جرائم قتل أخرى أسوأ.

"يبدو أنّ أحدهم ترك النور مُضاءً لنا." أومأ توماس نحو زوج من الفوانيس المتوهّجة التي بدت لي كبوّابات عرين الشيطان.

"تبدو... مُريحة."

تعرّجنا على طول الطريق الضيّق الذي يقود من الغابة عبر مساحة العشب الصغيرة، حتّى توقّفنا أخيرًا خارج القلعة. امتدّت أصابع ضوء القمر فوق الحافّات المُستدقّة وانزلقَت على سطح العربة، لتصنع من ظلال الزلّاجة والخيول أشكالًا جهنميّة. كانت هذه القلعة مُخيفة، من قبل دخولي إليها حتّى. للحظةٍ تقتُ للاختباء تحت فراء الحيوانات، والعودة إلى المدينة الملوّنة المُحصّنة جيّدًا، التي تومض أنوارها مثل



اليراعات في الوادي تحتنا. ربّما لن تكون العودة إلى إنجلترا برفقة السيّدة هارفي شيئًا بائسًا. يُمكن أن أقابل ابنة عمّتي في البلاد، وقضاء الوقت معها في التحدّث وخياطة مستلزمات صناديق أعراسنا ليسَ أمرًا فظيعًا. كانت ليزا تجعل من أكثر المهامّ العادية مغامرةً رومانسيّة، وقد افتقدتُها كثيرًا. أصابَتني نوبةٌ من الحنين إلى الوطن، وكافحتُ لمنع نفسي من تعزيزها. هذا خطأ.

لم أكن مستعدة للانضمام إلى هذه الأكاديميّة المصمّمة أصلًا للذكور، والتي تغصّ بالجثث على الطاولات وميادين الجراحة. كلّها تُذكّرني بالقضية التي لم أستطع تجاوزها، القضية التي حطّمَت قلبي.

"سوف تُبهرينهم جميعًا يا وادزورث." ضغطَ توماس على يدي برفق قبل أن يتركها. "لا يسعُني الانتظار لرؤيتكِ وأنتِ تتفوّقين على الجميع، بضمنهم أنا. رغم ذلك كوني لطيفةً معي، تظاهَري بأنّني رائع".

أزحتُ أعصابي جانبًا وابتسمت. "مهمّة صعبة، لكنّني سأحاول أن أتهاون معك يا كريسويل."

خرجتُ من الزلّاجة بعزمٍ مُتجدّد، وشققتُ طريقي في صعود سُلّم حجريّ واسع، بينما كان توماس يدفع للسائق ويأمره بإحضار أمتعتنا. انتظرتُ وصوله إليّ، حاملةً تنورتي فوق الثلج المتجمّع .لم أرغب في تخطّي تلك العتبة الكئيبة لوحدي. كُنّا هنا، وسوف نُواجه شياطيني معًا.

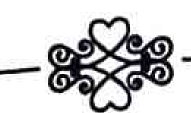
أحاطَ فانوسان بالباب الضخم من خشب البلّوط، وتدلَّت على منتصفه بالضبط مطرقةٌ عملاقة، بدَت كما لو أنّ ثعبانين على شكل حرف C قد اندمجا ليُشكّلا وجهًا واحدًا.

ابتسم توماس بلُطف عند رؤيتها" .لطيفة، أليس كذلك؟"

"إنها من أقبح الأشياء التي رأيتُها في حياتي."

عندما رفعتُ المطرقة المُريعة انفتحَ الباب، كاشفًا عن رجلٍ طويل نحيل بشعرٍ أشيب نزلَت أطرافه حول ياقته. كان عبوسه ثابتًا وعميقًا، وطقطقَت النار خلفه، مُنيرةً حوافّ وجهه الضيّق باللون الذهبيّ، بينما تلألأت بشرته الداكنة بلمعانٍ خفيف من تعرُّق لم يُكلّف نفسه عناء إزالته .لم أجرؤ على التفكير فيمَ كان الرجل يفعله.

قال بلهجةٍ رومانية ثقيلة: "الأبواب تُغلَق خلال دقيقتين." انقلبَت شفته العليا كما لو كان يعلم أنني قاومتُ رغبة داخليّة في التراجع. بإمكاني أن أقسِم أنّ قواطعهُ بدت حادّةً بما يكفي لاختراق الجلد. "أقترحُ عليكما الإسراع إلى الداخل وإغلاق الفم قبل أن يدخلهُ شيءٌ غير سارّ. لدينا بعض المشاكل مع الخفافيش هُنا."



6

ممتعٌ كجُثّةٍ مُتعفّنة



أكاديمية علوم الطبّ الجنائيّ
قلعة بران

1 ديسمبر 1888

أغلقتُ فمي بدافع الصدمة بعد ذلك الاستقبال الفظيع، وليس امتثالًا للنصيحة.

كانَ رجلًا فظًّا بشكلٍ رهيب، وقامَ بتفحّص توماس بابتسامةٍ شفقةٍ ساخرة على وجهه. أزحتُ انتباهي عنه، خوفًا من التحوّل إلى حجر إذا حدّقتُ فيه بشدّة. كنتُ واثقةً أنهُ من نسل الغورغونات[1] الأسطوريّ، وكان بالتأكيد ساحرًا مثل ميدوسا، التي أدركتُ أنها بالضبط ما ذكّرَتني به مطرقةُ الباب.

1-الغورغونات في الأساطير الإغريقية ثلاث أخوات شعرهن من الأفاعي ونظراتهن تمسخ الرائي حجرًا. (المُترجِم)

عبرنا باب الدخول وانتظرنا بهدوء، بينما سارَ الرجل إلى خادمةٍ ليُلقي عليها بعض التعليمات باللغة الرومانيّة. تمايَل صديقي في وقفتهِ لكنَّهُ ظلَّ صامتًا، وكانت تلك معجزةً مُباركة.

نظرتُ حولي، كنّا نقف في غرفة استقبال نصف دائرية، وامتدّت ممرّاتٌ مظلمة إلى اليمين واليسار منها.

أمامنا مباشرةً انقسمَ درجٌ تقليديّ إلى قسمين، يؤدّيان إلى الطابقَين العلويّ والسفليّ. مقابل السلالم قبعَت مدفأةٌ ضخمة، لكنّ الأجواء الدافئة لطقطقة الخشب المشتعل فيها لم تنجح في منع قشعريرة من السريان في بدني. بدَت القلعة كأنّها تزداد برودةً في وجودنا، وشعرتُ بتيّارٍ من هواء القُطب المنجمد يهبّ من دعامات السقوف. لقد خيّمَ الظلام في المناطق التي لم تصلها النار، ليزيدها ثقلًا ووطأةً ككابوسٍ لا يُمكن للمرء أن يصحو منه.

تساءلتُ أين احتفظوا بالجثث التي كنّا سندرُسها.

رفع الرجل رأسه والتقت نظراتنا، كأنه سمعَ أفكاري الداخليّة مرةً أخرى ورغبَ في السخرية مني. كنتُ آمل ألّا يظهر خوفي من بين شقوق قواي المُنهَكة، وابتلعتُ ريقي بصعوبة، قبل أن أطلق أنفاسي فورَ نظره بعيدًا.

همستُ: "لديّ شعورٌ في غاية الغرابة تجاهه."



حوّلَ توماس تركيزه إلى الرجل والخادمة، التي كانت تومئ برأسها لما يقوله لها. "هذه الغرفة ساحرةٌ بنفس القدر. حاملات المشاعل كلّها تنانين، انظري إلى تلك الأسنان وهي تنفث ألسنة اللهب. أراهن أنّ فلاد بنفسه قد أمرَ بصنعها". كانت المشاعل مضاءة ومتباعدة بالتساوي في جميع أنحاء غرفة الاستقبال، بينما أحاطَت خطوطٌ خشبيّة مُظلمة بالسقف والأبواب، لتُذكّرني بشكل اللثّة السوداء. لم يسَعني إلّا الشعور بأنّ هذه القلعة قد استمتعَت بالتهام دماءٍ جديدة بقدر استمتاع ساكنها السابق بسفكِها. لقد كان مكانًا كارثيًّا لأيّة مدرسة، ناهيكَ عن مدرسةٍ لدراسة الأموات. تداخلَت رائحة الليمون والمُطهّر مع روائح الحجارة الرّطبة والبارافين، وهي مواد تنظيف لغرضَين مختلفَين إلى حدٍّ كبير. لاحظتُ أيضًا أنّ أرضيّة غرفة الاستقبال كانت مبتلّة، وافترضتُ أنّ السبب طلّابٌ آخرين وصلوا قبلنا في أثناء العاصفة.

رفرفَت أجنحةٌ من السقوف الكهفيّة، لافتةً انتباهي إلى الأعلى. تم وضع نافذة مقوّسة في موضعٍ مرتفع على الحائط، ويُمكن ملاحظة خيوط العنكبوت عليها من هُنا. لم ألاحظ أيّة خفافيش لكنّي تخيّلتُ عيونًا حمراء تحدّق في وجهي. كنتُ أتمنى تجنّب رؤية تلك المخلوقات خلال فترة وجودي هنا، إذ لطالما أخافَتني أجنحتها الجلديّة وأسنانها الحادّة.

انحنَت الخادمة باحترام ثمّ انطلقَت في الممرّ على أقصى اليسار.

"لم نتوقّع قدوم زوجة. يُمكنكما السكن في الطابق الثاني إلى اليسار".

صرفَني الرجل بإشارةٍ من معصمه. في البداية ظننتُه عجوزًا بسبب شعره، لكن الآن أمكنَني رؤية أنّ وجهه كان خاليًا من التجاعيد وأكثر شبابًا. من المحتمل أن يكون في عُمر والدي، لا يتعدّى الأربعين عامًا.

"يسكن طلّاب الطبّ الجنائيّ في الجناح الشرقيّ، أو بالأحرى، الطلاب المتنافسين للحصول على مقعدٍ في برنامج الطبّ الجنائيّ لدينا. تعالَ معي" - وأشارَ إلى توماس - "أنا متّجهٌ إلى هناك بنفسي، سأريكُم غرفكم. لا يُمكنكَ زيارة زوجتك إلّا بعد انتهاء الدروس".

التمعَت عينا توماس بذلك اللمعان البغيض، لكنّ تلك لم تكن معركته. خطوتُ خطوةً صغيرة أمامه وتنحنحت. "في الواقع، كلانا ملتحقٌ في برنامج الطبّ الجنائيّ، ولستُ زوجته يا سيّدي."

توقّفَ الرجل البغيض فجأةً، ودارَ ببطء على عقبَيه، لينبعث صوتٌ حادّ من نعل حذائه. ضاقَت عيناه كأنه لم يسمعني بشكلٍ صحيح.

"عُذرًا؟"

"اسمي الآنسة أودري روز وادزورث. أعتقدُ أنّ الأكاديميّة تلقّت خطاب توصية من عمّي الدكتور جوناثان وادزورث من لندن. كنتُ أتدرّب لديه لبعض الوقت. لقد حضرَ كلٌّ من السيد كريسويل وأنا



خلال جرائم قتل السفّاح، وقُمنا بمساعدة عمّي وسكوتلانديارد في تحقيقات الطبّ الجنائيّ. أنا واثقة من أنّ المدير قد تلقّى الرسالة، لأنه أجاب عليها."

"هل حصلَ هذا."

لم يقُل ذلك بصيغة سؤال، لكنّني تظاهرتُ بعدم الانتباه وأجبت: "بلى".

شاهدتُ الفراغ يُغادر وجه الرجل، وقفزَ وريدٌ في رقبته كأنه يعتزم خنقي. لم تكن هذه أوّل مرّةٍ تدرسُ فيها امرأةٌ الطبّ أو التشريح، إلّا أنّه من الواضح لم يكن من النوع التقدّمي الذي يستمتع بغزو نادي الأولاد هذا من قبل فتيات يرتدينَ الدانتيل. فتياتٌ لم يعرفنَ أنّ مكانهنّ الصحيح هو المنزل، وليس في معملٍ طبّي. أثارَ ذلك أعصابه، لافتراضه أنني كنتُ هناك فقط لأنّ توماس جلبَني معه. أملتُ ألّا يكون مدرّسًا، إذ ستكون الدراسة تحت إشرافه نوعًا مُريعًا من التعذيب الذي أودّ تجنّبه.

رفعتُ ذقني للأعلى رافضةً تفادي عينيه المُحدّقتَين. لن يُخيفني، ليس بعد ما مررتُ به مع جاك السفّاح في الخريف الماضي. أخيرًا رفعَ حاجبهُ في تقدير، وتولّدَ لديّ انطباع بأنّ قلّةً من الناس - رجالًا أم نساءً - قد وقفوا في وجهه هكذا.

"آه، حسنًا إذَن. لم أظنّ أنّكِ ستحضُرين. مرحبًا بكِ في الأكاديميّة آنسة وادزورث." حاول الابتسام، لكنّه بدا كمَن ابتلعَ خفاشًا.

"لقد ذكرتَ شيئًا عن التنافس على مقعد في البرنامج؟" سألتُه متجاهلةً تعبيره الناقم. "كان لدينا انطباعٌ بأننا قد تمّ قبولنا."

"آه. حسنًا، يا لسوء حظّكم." قال وهو يرفع ذقنه بغطرسة. "لدينا مئات الطلاب الذين يتمنّون الدراسة هنا، ولا يحصل الجميع على القبول. في كلّ موسم نستضيف كورس تقييم لتحديد مَن سيصبح طالبًا لدينا بالفعل".

تراجعَ توماس قائلًا: "أماكننا غير مضمونة؟"

"كلا، على الإطلاق." ابتسمَ الرجل ملء فمه، وكان منظره فظيعًا حقًا. "لديكم أربعة أسابيع لإثبات أنفسكم. في نهاية تلك الفترة التجريبيّة نقرّرُ مَن الذي يحصل على منحة الدراسة الكاملة."

تقلّصَت معدتي. "إذا نجحَ جميع الطلاب في كورس التقييم، فهل يتمّ قبول الجميع؟"

"هنالك تسعةٌ منكم في هذه الجولة، واثنان فقط سوف ينجحان. الآن، يُمكنكِ أن تتبعيني آنسة وادزورث. مسكنُكِ في الطابق الثالث في برج الجناح الشرقيّ، لوحدِك. حسنًا، ليس تمامًا، فنحنُ نحتفظ بالجثث الفائضة في ذلك الطابق. ينبغي ألّا يُزعجك ذلك... كثيرًا".



على الرغم من ظروفنا الجديدة، لكنّني تمكّنتُ من رسم ابتسامة صغيرة على شفتيّ.

كان الأموات كتبًا استمتعتُ أنا وعمّي بقراءتها. لم أخشَ قضاء الوقت بمفردي مع الجثث، واستقراءها بحثًا عن أدلّة. حسنًا... ليس حتّى وقتٍ قريب. تلاشَت ابتسامتي، لكنّني أبقيتُ ارتعاشي مخفيًّا. أملتُ أن أتحكّم في مشاعري، لأن كوني قريبةً جدًا من الجثث قد يُشفيني حقًّا.

"ستكون الجثث أكثر متعةً من البعض." قامَ توماس بإيماءةٍ وقحة خلف ظهر الرجل، وكدتُ أختنق بضحكةٍ مُفاجِئة وهو يدور حوله صارخًا:

"ماذا كان ذلك يا سيّد كريسويل؟"

"إذا كنتَ مُصرًّا على المعرفة، قُلتُ أنّكَ -"

هززتُ رأسي قليلاً، على أمل الإشارة لتوماس بحاجته إلى التوقّف عن الكلام. آخر شيء احتجنا إليه هو أن نصنع عدوًّا أكبر من هذا الرجل. "أعتذر يا سيّدي. أنا طلبت"—

"نادياني بالمُدير مولدفانو، أو سوف تتمّ إعادتكما إلى أيّ مستنقعٍ نبيل جئتُما منه. أشكُّ في أنّ أيًّا منكما سوف يجتاز هذا الكورس التدريبيّ. لدينا طلّاب درسوا لشهور ولا زالوا مرفوضين. أخبراني، إن كنتُما بتلك

المهارة في عملكما فأينَ جاك السفّاح؟ لِمَ لا تُطاردانه في لندن؟ هل أنتما خائفان منه، أم إنّكما تهربان ببساطة عندما تصعُب الأمور؟"

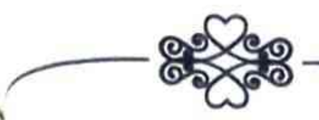
انتظرَ المدير لحظة، وشككتُ في أنه يتوقّع حقًا إجابةً من أيٍّ منّا. هزّ رأسه، وبدت ملامحه مشدودة أكثر من ذي قبل.

"عمُّكِ رجلٌ حكيم، وأستبعدُ للغاية أنّهُ لم يحلّ تلك الجريمة. هل استسلمَ الدكتور جوناثان وادزورث؟"

مزّقَت شظيّةٌ من الذعر أحشائي، مُحترقةً كلّ عضوٍ وهي تُحاولُ الفرار، بينما التقَت عيناي بنظرات توماس المُرتعِبة. لم نُخبر العمّ مطلقًا عن هويّة السفّاح الحقيقيّة، لكنّي أعلم أنّهُ أبلى بلاءً حسنًا بما يكفي في القضيّة.

شدَّ توماس قبضتَيه على جانبيه لكنّه أبقى فمه ذا المشاكل مغلقًا. لقد أدركَ أنّني سأُعاقَب إمّا بسببه وإمّا لعصياني، وربّما كان تصرّفهُ سينال إعجابي في ظلّ ظروفٍ مختلفة. كانت هذه أوّل مرّة أراهُ فيها وهو يكبحُ جماح نفسه.

"لم أظنّ أنّ لديكما إجابة. الآن، اتبعاني. متاعكُما ينتظر في الغرف. لقد فاتَ موعد وجبة العشاء، وستكونان في الوقت المحدّد لتناول الإفطار، فور شروق الشمس، أو ستفوتكما أيضًا". بدأ المدير مولدفانو بالسير نحو الممرّ الواسع للجناح الشرقيّ، ثم توقّفَ ليقول دون أن



يستدير: "مرحبًا بكُما في الأكاديميّة الوطنيّة لعلوم الطبّ الجنائيّ، للوقت الراهن".

وقفتُ بلا حراك لبضعِ ثوانٍ وقلبي يخفق بشدّة. من غير المعقول أنّ هذا الرجل البغيض مديرنا. تردّدَ صدى خطواته في الحُجرة الكهفيّة، كأجراس القيامة وهي تدقّ معلنةً ساعة الفزع. انزلقَ نظر توماس إليّ وهو يشهق بعُمق. ستكون هذه الأسابيع الأربعة طويلةً ومُرهِقةً للغاية.

بعد أن تركتُ توماس في طابقه، صعدتُ السُلّم المفتوح في نهاية ممرٍّ طويل واسع الذي أشارَ إليه المدير. كانت الدرجات مصنوعةً من الخشب الداكن والجدران بيضاء كئيبة، تفتقر إلى أيٍّ من المفروشات القرمزية التي مررنا بها في الممرّات السفليّة. امتدّت الظلال على نطاقٍ واسع بين المشاعل المُتباعِدة، وكانت تنبض مع تحرّكاتي. ذكّرَني ذلك بالسير في ممرّات بيدلام المُقفِرة.

تجاهلتُ رعشة الخوف في صدري، مُستذكرةً ساكني ذلك المصحّ والطريقة المنتظمة التي طافَ بها بعضُهم خلف قضبانٍ صدئة. كان ذلك المبنى أشبه بكائنٍ حيّ، كما هو حال هذه القلعة. كائنٌ يملكُ الوعي لكنّه يفتقر إلى الإحساس بالصواب والخطأ. تساءلتُ عمّا إذا كنتُ فقط بحاجةٍ إلى حمّام دافئ وقسطٍ جيّد من النوم.

الحجارة والخشب لا يُمكن أن تتساوى مع العظام واللّحم.

قالَ مولدفانو أنّ مسكني في الباب الأول على اليمين، قبل أن ينسحب إلى مكانٍ لا يعلمهُ إلّا الربّ. ربما ذهبَ ليتعلّق وينام بالمقلوب[1] على دعامات السقوف مع باقي أبناء جلدته. تمتمتُ ببعض تلك الكلمات قبل قليل، ليستدير هو وينظر إليّ شزرًا. كانت الأمور في طريقها إلى بدايةٍ مُدمِّرة.

وصلتُ إلى المساحة الصغيرة، التي احتوَت على باب غرفتي وبابٍ آخر على بُعد بضعة أقدام، قبل أن يستمرّ السُلّم في الصعود. لم يتمّ إشعال أيّة مشاعل في نهاية الرواق، وكان الظلام طاغيًا. وقفتُ هناك متجمّدة، مقتنعةً بأنّ الظلال راقبَتني باهتمام مثلما حملقتُ فيها.

كانت أنفاسي تخرج في نفحاتٍ بيضاء سريعة. افترضتُ أنّ البرودة تعود إلى ارتفاع القلعة بين الجبال، وإلى كميّة الجثث المحفوظة فيها .ربّما كانت تلك الأخيرة هي ما لوّحَ لي في الظلام. أغمضتُ عينيّ لفترةٍ وجيزة، وهاجمَت حواسّي صور جثث نصف مُتحلّلة تنهض من طاولات التشريح. بغضّ النظر عن جنسي، إذا شعرَ أيٌّ من زملائي في الصفّ بأنني أخشى الجثث، فسوف يطردونني ضحكًا من الأكاديميّة.

كففتُ عن القلق بشأن ذلك، ودفعتُ الباب لأفتحهُ وينجرف نظري عبر المكان .بدَت الغرفة لأوّل وهلةٍ كغرفة جلوسٍ أو صالون.

---

1 – تقصد أنه من الخفافيش وليس من البشر. (المُترجِم)



كما هو حال بقيّة القلعة، كانت الجدران بيضاء مُحدّدة بخشبٍ بُنّي غامق قريب من السواد. أدهشَني الظلام الذي شعرتُ به حتّى بوجود الجدران الشاحبة واللّهب المُتصاعد في المدفأة.

احتلّت رفوف الكتب أصغر حائط، وعلى اليسار مدخل غرفة النوم المُفترَضة. عبرتُ غرفة الجلوس - المُجهّزة بأريكةٍ من الديباج المُطرّز - بسُرعة، وانتقلتُ لتفقّد غرفة نومي. كانت مريحةً ومُصمّمة لطالب علمٍ مُجتهد، فيها مكتبٌ صغير مع كرسي مطابق له، وخزانة مُصغّرة، مع سرير مفرد ومنضدة وصندوق - كلّها مصنوعة من خشب البلوط الغامق، الذي ربّما تمّ جمعُه من الغابة المُحيطة.

اقتحمَت أفكاري صورة أجساد يجري طعنُها بأوتادٍ سوداء، قبل أن أتمكّن من طردها. أملتُ ألّا تكون أيٌّ من قطع الخشب تلك قد تمّ إعادة استخدامها في بناء القلعة، وتساءلتُ عمّا إذا كان الشخص الذي طعنَ ذلك الرجل في المدينة قد أخذ أغصانًا من هذه الغابة أيضًا.

دفعتُ أفكاري بعيدًا عن ضحيّة القطار والضحيّة الأخرى من الصحيفة. لم يكن في وسعي القيام بأيّ شيء للمساعدة، مهما تقتُ إلى ذلك.

بعد إلقاء نظرة خاطفة على الباب الثاني - وهي للحمّام الذي قال المدير مولدفانو أنه متّصلٌ بغرفتي بالطبع - عادَ انتباهي مرّةً أخرى إلى

غرفة الجلوس. لمحتُ نافذةً صغيرة فوق العوارض الخشبيّة المكشوفة، مُطلّةً على فضاء الكاربات الشاسع. من هنا بدَت الجبال كلّها بيضاء ومتعرّجة، أشبه بالأسنان المكسورة. رغبَ جزءٌ مني في الزحف إلى أعلى النافذة والنظر إلى عالم الشتاء الذي يقع وراءها، مُتجاهلةً اضطراباتي الذهنيّة.

لم أطِق الانتظار لطلب الماء الدافئ لحوض الغسيل وشطف أوساخ السفر منّي. لكن في البداية كنتُ بحاجةٍ إلى إيجاد طريقة للتحدّث مع توماس. لم تسنح لي الفرصة لأُريه رسم التنين الذي وجدتُه حتى الآن، وسيُصيبني الجنون إذا لم أُناقِشهُ قريبًا، ناهيكَ عن فضولي الشديد بشأن ردّ فعله الغريب على اسم "دانيشتي" الذي أردتُ الاستفسار عنه.

لمستُ المخطوطة في جيبي، مؤكّدةً لنفسي أنها حقيقيّةٌ بالفعل وليسَت من نسج خيالي. لقد أرعبَني أنّها قد تكون على صلةٍ بجريمة القتل في القطار. لم أجرؤ على التفكير في الرسالة التي كان من المفترض إيصالها عبر تركها في مقصورتي، أو مَن قام بالتسلّل إلى هُناك دون علمي.

وقفتُ أمام المدفأة، وسمحتُ لدفئها أن يلتفّ حول عظامي بينما كنتُ أفكّر في خطّة. بدخولنا القلعة، لم يذكُر مولدفانو وجود حظر تجوّل مفروض علينا، ولا شيء يمنعني من التجوّل في الممرّات. ستكون فضيحةً مُدوّية إذا تمّ اكتشافي، لكن يُمكنني التسلّل إلى غرف توماس في



- انبعثَ صرير ألواح الأرضيّة من مكانٍ ما داخل مسكني، ليجعل قلبي يقفز داخل صدري. باغتَتني صور القتلة الزاحفين عبر عربات القطار، وهُم يتركون أوراقًا غامضة عليها رسوم تنانين. إنّه هُنا. لقد تبعَنا إلى هذه القلعة والآن سوف يُحوزقني أنا أيضًا. كنتُ حمقاء لعدم ثقتي في توماس خلال غفوة السيّدة هارفي. أمرتُ نفسي بالتنفّس. لقد احتجتُ إلى سلاح. هنالك شمعدانٌ ضخم في نهاية الغرفة، لكن من الصعب أخذه دون أن يراني الشخص المختبئ في غرفة النوم أو الحمّام.

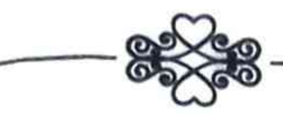
بدلاً من الاقتراب من تلك الغرف دون سلاح، التقطتُ كتابًا كبيرًا من الرفوف، وتحضّرتُ لضربه على رأس غريمي: ضربه أو مفاجأته أفضل ما يُمكنني فعله. انصبّ تركيزي على أنحاء غرفة الجلوس. كانت فارغة، خاليةً تمامًا من أيّ شيء حيّ، وأظهرَ لي مسحٌ سريع لحجرة النوم نفس النتيجة. لم أتفقّد الحمّام؛ لأنه أصغر من أن يأوي أيّ تهديدٍ حقيقيّ. ربّما كان ذلك الصرير أحد الأصوات الطبيعيّة في القلعة. تنهّدتُ وأعدتُ الكتاب إلى رفّه. سيكون هذا الشتاء مروّعًا بحقّ.

شعرتُ بالامتنان لوجود المدفأة. لقد أراحَت أعصابي، وحتّى في ذلك الفضاء الضيّق جعلَتني الحرارة أشعر كما لو كنتُ على سطح جزيرةٍ في منطقةٍ استوائية، عوضًا عن برجٍ منفرد في قلعةٍ جليديّة سمعتُ فيها أشياء لم تُخِفني بقدر خيالي.

قُمتُ بفرك منتصف جبيني بخفّة. راودَتني ذكريات اللحظات الأخيرة لجاك السفّاح في ذلك المختبر الشيطانيّ عندما أدارَ المفتاح... ثمّ أوقفتُ نفسي هناك. كان على الحزن أن يُحرّرني من قبضته العنيدة. لم أستطع الاستمرار في فعل هذا بنفسي ليلةً بعد ليلة. جاك السفّاح لن يعود أبدًا. لقد انتهَت تجاربه... تمامًا مثل حياته. نفس الشيء ينطبق على هذه القلعة. لم يعُد دراكولا حيًّا.

"كلّ شيء صعبٌ للغاية." أكّدتُ لنفسي وأنا أرتمي على الأريكة. ظننتُ أنّني وحيدة، حتى سمعتُ ضحكة أحدهم من خلف باب مغلق. احمرَّت وجنتاي وأمسكتُ الشمعدان الكبير لأندفع إلى الحمّام الذي كان بالكاد مُضاءً. "مرحبًا؟ مَن هناك؟ أطلبُ منكَ أن تُظهر نفسَك فورًا".

بعبارةِ اعتذارٍ رومانيّة، خرجَت خادمة شابّة فجأةً من مكانها بالقرب من حوض الاستحمام، وكرّرَت الاعتذار عندما انغمسَت خرقة التنظيف في الدلو. حدّقَت عيناها الرماديّة في وجهي. كانت ترتدي بلوزة خدم بيضاء اللون، مدسوسة في تنّورة مُرقّعة مع مئزرٍ مُطرّز. "لم أقصد التطفّل. اسمي إيليانا." كانت لهجتها ناعمة وجذابة، كنسمة صيف تهمسُ في ليلةٍ شتويّةٍ موحشة. التفَّ شعرها الأسود المضفور تحت غطاء رأسها، وتلطّخَ مئزرها بالرماد، على الأرجح من المدفأة المشتعلة التي أوقدَتها قبل دخولي إلى الغرفة. أطلقتُ نفَسي المكتوم.



"من فضلكِ لا تُكلّفي نفسكِ عناء مُناداتي 'آنسة'. أودري روز أو فقط أودري يكفيان جدًّا." ألقيتُ نظرةً خاطفة على الحمّام الذي تمّ تنظيفه للتوّ .انعكسَت ألسنة اللهب على كلّ سطحٍ مُظلم، لتُذكّرني بالدماء المسفوكة وهي تلتقط ضوء القمر ...دماء ضحايا جريمة جاك السفّاح المزدوجة. دفعتُ الصورة بعيدًا عن رأسي. كانت القلعة تُعيث فسادًا في ذاكرتي المُحطَّمة أصلًا. "هل تمّ تعيينُك لهذا البرج؟"

ازدهر لون بشرتها بوضوح وهي تومئ برأسها رغم طبقات الرماد والأوساخ عليها. "نعم، حضرة... أودري روز."قلتُ بدهشة: "لهجتُك الإنجليزية ممتازة. آمل أن تتحسّن لغتي الرومانيّة خلال وجودي هنا. أينَ تعلّمتِ اللغة؟"

أغلقتُ فمي بعد ذلك السؤال، إذ كان تعليقي فظًّا. ابتسمَت إيليانا ببساطة. "لقد نقلَتها عائلةُ أمّي إلى كلّ الأطفال."

كان شيئًا غريبًا بالنسبة لعائلةٍ فقيرة من قرية براشوف، لكنّني سكتّ. لم أرغب في إهانة صديقةٍ مُحتمَلة أكثرَ من ذلك. وجدتُ نفسي أعبث بالأزرار الموجودة على جانب قفّازي وتوقّفت. رفعَت إيليانا دلوًا على وركها الواسع وأومأت نحو الباب. "إذا لم أُكمِل إشعال النيران في غُرف الأولاد، فسأقعُ في مشاكل عصيبة، آن... أودري روز."قلتُ وأنا أفرك يديّ: "بالطبع." لم أدرك سابقًا كم كنتُ وحيدةً بدون ليزا، وكم

رغبتُ في صديقة. "شكرًا على التنظيف. إذا تركتِ بعض المعدّات فيُمكنني مساعدتك."

"أوه لا. لن يوافق المدير مولدفانو. عليَّ الاعتناء بالغرف عندما تكون شاغرة، ولم أتوقع قدومك قبل بضع دقائق أخرى." لا بدّ أنّ خيبة الأمل قد بانت على وجهي، لأنّ تعبيرها رقّ. "إذا كنتِ ترغبين، يُمكنني إحضار الإفطار إلى غرفتك. أنا أفعل ذلك من أجل الفتاة الأخرى هنا".

"هل هُناك فتاةٌ أخرى ستقضي الشتاء هنا؟"

أومأت إيليانا برأسها ببطء، وابتسامتها تتّسع بالتزامن مع ابتسامتي.

"بلى، إنها تابعةٌ للمدير. هل تريدين مقابلتها؟"

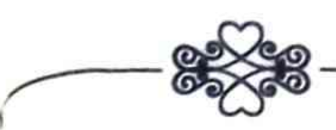
قُلت: "هذا يبدو رائعًا. أودُّ ذلك كثيرًا."

"هل تحتاجين إلى مُساعدة في تغيير الملابس؟"

أومأتُ برأسي، وبدأت إيليانا تعمل على مشدّي. شكرتُها فور انتهائها من الأمر ووقوفي في قميصي. "سأتولّى الباقي."

دفعَت إيليانا الباب بوركها لتفتحه، قبل أن تتمنى لي ليلةً سعيدة باللغة الرومانيّة.

ألقيتُ نظرةً خاطفة على الحمّام، وأدركتُ أنها قد ملأت الحوض بالماء الساخن. تصاعدَ البخار في شكل أصابع تدعوني إليه، وعضضتُ شفتي، وأنا أفكّر في الحمّام الدافئ. افترضتُ أنه سيكون من غير اللائق



للغاية الذهاب إلى غرفة توماس في وقت متأخّر من الليل، ولم أرغب في تحطيم صورتي في أعين المجتمع بسبب قلّة صبري. سيبقى رسم التنّين موجودًا في صباح الغد...

انزلقتُ من ملابسي الداخليّة، وشعرتُ بدفء الماء والصداقة معًا يغمرُ عظامي المُتعَبة. ربّما لن تكون الأسابيع القليلة المُقبلة مروّعةً لتلك الدرجة.

7
خُرافات



غرف البرج
قلعة بران

2 ديسمبر 1888

ارتفعَ الضباب من جذوع الأشجار حول القلعة، واستقرّ فوق الجبال مثل ضباب أزقّة لندن، بينما كنتُ جالسةً على الأريكة، مُحاولةً عدم التململ.

قالت إيليانا أنها ستعود لجلب الإفطار، لكنّ شروق الشمس اقترب ولم أرَها بعد. تصوّرتُ أنّها قد احتُجزَت في جزءٍ آخر من القلعة، وقفزَت قدمي في مكانها. كان المدير مولدفانو سيحبسني خارج قاعة الطعام إذا وصلتُ متأخرة. تذمّرَت معدتي رافضةً بينما كنتُ أنتظر. قرّرتُ أن أمنحها دقيقتين إضافيتين قبل الخروج إلى قاعة الطعام. أحتاجُ إلى تقوية



جسدي إذا رغبتُ في عيش الأسابيع القليلة القادمة، مع الحفاظ على ذكائي.

دخلتُ إلى غرفة نومي وعبثتُ بالحاجيات الشخصيّة القليلة التي أحضرتُها معي؛ على وجه الخصوص صورة لأبي وأمّي التُقطَت منذُ زمنٍ بعيد. وضعتُها على منضدتي، وقلَّ شعوري بالوحدة في هذا المكان الغريب.

أتَت طرقةٌ على بابي بينما بدأت الشمس تطلي الجبال باللون الذهبيّ خارج نافذة غرفة برجي. شكرتُ السماوات، وانتقلتُ بسرعة إلى الغرفة الأخرى ويدي على تنّورتي الشتويّة الخضراء. صمتت أصوات هامسة في اللحظة التي فتحتُ فيها الباب.

حملَت إيليانا صينيّةً مغطّاة وابتسمَت للشابّة بجانبها. "هذه الآنسة أنستازيا. هي..."

"تابعة المدير مولدفانو، أو، كما أحبّ تسميته، الرجل الأكثر قسوة في تاريخ رومانيا." لوّحَت بيدها داخلةً غرفتي. كانت لهجتها مختلفة قليلاً عن لهجة إيليانا لكنّها احتفظَت بأساسٍ مُماثل. "بصراحة، إنه ليس بذلك السوء. إنه ببساطة... كيف تقولونها..."

"صعب المراس؟" ساعدتُها، فضحكَت أنستازيا لكنّها لم تُعلّق.

ابتسمَت إيليانا. "سأضعُ هذا هُنا."

تبعتُها إلى الأريكة الصغيرة والطاولة بينما راحَت أنستازيا تتفقّد أرفُفي. كانت بسيطة الملامح لكنّها جميلة، بشعرها ذي اللون القمحيّ وعينيها الزرقاوين الزاهيتَين .كانت بارعةً في استخدام ميزاتِها لصالحِها، خاصّةً عندما أشرقَت على وجهها ابتسامةٌ مُعدِية.

"هل تبحثين عن شيءٍ مُعيّن؟" سألتُها مُلاحظةً الطريقة المنهجيّة التي ركّزَت فيها على عناوين الكتب.

"أنا سعيدةٌ للغاية لأنّكِ هُنا. الأولاد... عديمو الكياسة." هزّت كتفها، مُلاحظةً الارتباك الذي ظهرَ على وجهي. "معظمهم غير لطيفين أو مهذّبين بما يكفي. ربما يعانون من نقص الأوكسجين، أو نقص الإناث. الإخوة الإيطاليّون أكبر خيبات أملي، إذ تبقى أنوفهم عالقة في كتبهم في جميع الأوقات، ولا يخطفون نظرةً واحدة في اتجاهي! حتّى عندما أتباهى بأقوى مفاتني."

التقطَت كتابًا من الرف وفتحَتهُ، لتضغطهُ على وجهها ضاحكةً وهي تتجوّل بطريقةٍ مُبالَغ فيها. نظرَت إيليانا إلى الأرض بابتسامةٍ واسعة.

قالت وهي تضع الكتاب جانبًا: "كنتُ أتمنّى إيجاد رواية قوطيّة لقضاء الوقت الذي تكونون فيه في فصولكم الدراسيّة. بالطبع لن يحتفظ العمّ مولدفانو بمثل هذه المتعة هنا. هل أحضرتِ معكِ أيّة رواياتٍ قوطيّة بالصدفة؟"



هززتُ رأسي بالنّفي. "هل ستأخذين دروسًا أيضًا؟"

"بالطبع لا. العمّ يعتقد أنها غير لائقة لفتاةٍ مثلي." قلبَت أنستازيا عينيها وارتمَت على الأريكة وهي تتنهّد. "لكنّني لا أهتمّ. سأحضر بعض الفصول الدراسية، حتى لو كان ذلك فقط لإغضابه. لا يُمكنه الحضور في كلّ مكان على الدوام."

"هل وصل جميع الطلاب؟"

"أعتقد أنّ كل أبناء العوائل المهمّة قد وصلوا. إنها مجموعةٌ صغيرة هذه المرّة. يُقال أن العمّ... يبتغي الدّماء، كما يقولون."

سألتُها: "لماذا يظنّونه كذلك؟" رفعَت إيليانا غطاء الصينيّة، كاشفةً عن المعجّنات وفطائر اللحم، التي التصقَ عليها انتباهها. تناولتُ بأدب قُضمةً من قطعة خبز سائغة مليئة باللّحم ثمّ حاولتُ ألّا ألتهمها بالكامل. كانت لذيذةً بحقّ.

"سمعتُه عبر القيل والقال في هذه القلعة والملل يكاد يقتُلني. حتّى الآن كلّ مَن يشارك في هذه الدورة إمّا من النبلاء وإمّا المُزارعين الذين يُشاع عن صلاتهم بالنُّبل، اللّقطاء. لا أحد يعرف ما الهدف من الطبقة الملكيّة، هذا إن كانت موجودةً بالفعل. ولا تسأليني عن الإخوة الإيطاليين. لم يتحدّثوا إلى شخص سوى بعضهم البعض، وليست لديّ فكرة عن تاريخهم."

وضعَت أنستازيا بعض الخبز في فمها وتأوّهت بلذّة، قبل أن تستطرد: "رغمَ أنّ البعض يظنّه جزءًا من اختباركم، إلّا أنّ عمّي يستمتع بالألعاب والمكائد. إيجاد العوامل المشتركة، النافعة عند تعقُّب القتلة، هو مهارة يعتقد أنّ جميع طلاب الطبّ الجنائيّ يجب أن يمتلكوها." رمقَتني بنظرةٍ ثاقبة. "من الواضح أنّكِ من عائلةٍ نبيلة. ما اسم عائلتك؟"

"وادزورث. والدي -"

"لا روابط مع رومانيا؟"

طرفتُ بعينيّ. "كلّا، حسب علمي. كانت والدتي جزئيًا من أصولٍ هنديّة، وأبي إنجليزيّ."

"هذا مثيرٌ للاهتمام. ربّما لا ينحدر الجميع من هذه المنطقة." عضّت أنستازيا قطعةَ خبزٍ أخرى. "سمعتُ أنّكِ وصلتِ في منتصف الليل مع شابّ. هل أنتِ مخطوبة؟" كدتُ أن أختنق بلُقمتي التالية من الإفطار.

"نحن أصدقاء... وشُركاء عمل."

ابتسمَت أنستازيا. "سمعتُ أنّهُ وسيمٌ للغاية. ربّما سأتزوّج منه إذا كنتُما مجرّد شركاء عمل." لستُ واثقةً ممّا رأتهُ على وجهي، لكنّها أضافَت بسُرعة: "أنا أمزح. قلبي يُريد شخصًا آخر، رغمَ أنّهُ يتظاهر بأنّني غير موجودة. كيف كانت رحلتكِ إلى هنا؟"



مرّت في ذهني صورة الجثّة المُخوزَقة، وتركتُ فطيرة اللحم من يدي بعد أن تلاشى جوعي. "في الواقع، مُرعِبة." قدّمتُ سردًا سريريًا لحالة الرجل في القطار والإصابات التي تعرّضَ لها، وأصبحَ وجه إيليانا البرونزيّ شاحبًا مثل شبح. "لم تسنح لي الفرصة لرؤية ما تمّ دفعُه في فمه بالضبط. مع ذلك، كان عضويّ التركيب أبيض اللون، ذا رائحة نفّاذة... بدَت مألوفةً لي."

همسَت أنستازيا بعينين واسعتين: "ثوم."

"ماذا؟"

"نعم، ثوم. لقد قرأتُ أنه يوضَع في أفواه مَن يُعتقَد أنّهم... الإنجليز يسمّونهم مصّاصي الدماء."

"هذا الكلام من روايةٍ قوطيّة." زفرَت إيليانا. "يتمّ التخلّص من الستريغوي هُنا بشكلٍ مُختلف."

تذكّرتُ تلك المادة العضويّة، من المؤكد أنّها تُناسب وصف الثوم، وقد فسّرَ ذلك رائحتها. قُلت بحذر: "قال صديقي أنّ الستريغوي يُحرَقون، ويقوم كلّ المتضرّرين بشرب الرماد."

"يا للبشاعة." جلست أنستازيا منحنيةً إلى الأمام، راغبةً في المزيد من المعلومات. ذكّرَتني بابنة عمّتي، باستثناء أنّ ليزا كانت مهووسةً بالخطر المخلوط بالرومانسيّة، بينما بدَت أنستازيا متحمّسةً فقط لجانب الخطر.

"هل ما زال المزارعون يفعلون مثل هذه الأشياء هنا؟ في المجرّ، بعض القرويّين عالقون في الزمن القديم، ويؤمنون بالخرافات للغاية."

"هل أنتِ مجريّة؟" سألتُ فأومأت أنستازيا برأسها. "لكنّكِ تتكلّمين الرومانيّة أيضًا؟"

"بالطبع. لقد تعلّمناها مع لغتنا الخاصّة، كما أتحدّث الإيطاليّة جيّدًا. لا يعني ذلك أنّني أستخدمُها للحديث مع زملائك." حوّلَت تركيزها إلى إيليانا، وشاهدتُ الطريقة التي قامَت بها الخادمة بطوي منديلها في حُجرها، وهي تبذل قصارى جهدها لتفادي نظرات أنستازيا المقصودة. "كيف يتعرّف القرويّون على الستريغوي في المدينة؟ هل الأمر متعلّق بجماعةٍ سرّية، مثل أصحاب التنّين؟"

عادَ انتباهي إلى أنستازيا، وكدتُ أُقسم أنّ الرسم كان يحفر حفرةً في جيب تنّورتي. للحظةٍ شعرتُ بحاجةٍ لحماية الرسم وإخفائه عن الجميع إلى حين اكتشاف أصوله، لكنّ ذلك كان بلا معنى على الإطلاق. سحبتُ الورقة ووضعتُها على الطاولة. "لقد تركَ أحدُهم هذه في مقصورة القطار الخاصّة بي بعد جريمة القتل. هل تعرفان ما تعني، إن كان لها معنى أساسًا؟"

حدّقَت أنستازيا في الرسم، وواجهتُ صعوبةً في قراءة تعبير وجهها خلال اللحظة التي مرّت.



"هل سمعتِ عن جماعة التنّين؟" سألَتني فهززتُ رأسي. "حسنًا، إنّهم..."

"لقد تأخّرَ الوقت." قفزَت إيليانا على قدميها مُشيرةً إلى الساعة على الرفّ. "مولدفانو سيطردني إن لم أعُد إلى العمل." سُرعان ما جمعَت مناديل الإفطار خاصّتنا وأعادَت غلق غطاء الصينيّة بقعقعة جعلَت أسناني تصطكّ. "يجب عليكما الذهاب إلى الصالة. مولدفانو سيُراقب الأمر."

"هل تقصدين أنّ المدير لا يُغلق أبواب صالة الطعام بعد وقتٍ معيّن؟"

رمقَتني إيليانا بنظرة شفقة. "إنه يُوجّه التهديدات لكنّه لا يُنفّذها جميعًا."

دون أن تنطق بكلمةٍ أخرى، أسرعَت إيليانا خارجةً من الغرفة. هزّت أنستازيا رأسها ووقفَت.

"الريفيّون مؤمنون بالخرافات للغاية، ومجرّد ذِكر الأمور الخارقة للطبيعة يُقلِقهم. تعالَي،" - وعقدَت ذراعها بذراعي - "دعينا نُقدّمكِ إلى زملائكِ المحترمين."

"يبدو كما لو أنّ قطيعًا صغيرًا من الأفيال يتّجه نحو قاعة الطعام." قلتُ ذلك لأنستازيا بينما كنّا نتسكّع خارج أبوابها. امتزجَت أصوات

وقع الأقدام مع قعقعة الأواني، بينما علَت المُحادثات البعيدة عن الرّقابة فوق الضجيج.

"إنّهم بالتأكيد يتصرّفون مثل حفنةٍ حيوانات."

شقّ القلق طريقه الملتوي عبر أحشائي وأنا أنظرُ عبر أبواب البلّوط العظيمة. لقد جلسَ بعض الشباب على الطاولات، واصطفّ آخرون لجمع صواني الإفطار على طول الجدار الخلفيّ العريض، لكنّ توماس لم يكن بينهم. لم أفهم كيف يُمكن لعددٍ قليلٍ من الرجال إحداث ذلك القدر من الضجيج في مثل هذه المساحة الكبيرة. كانت قاعة الطعام كبيرة بما يكفي، مع سقوفٍ وجدران كاتدرائيّة ناصعة البياض مُزيّنة بالخشب الغامق الذي شكّلَ باقي الأجزاء الداخليّة للقلعة.

انتقلَ فكري إلى الحكايات الخياليّة والفولكلور. فهمتُ كيف تكون قلعةٌ مثل هذه مصدر إلهامٍ لكُتّابٍ مثل الأخوين غريم[1]. من المؤكّد أنّها مُظلمةٌ بما يكفي لخلق أجواءٍ مُروّعة. حاولتُ ألّا أفكّر في أبي وأمّي، وكيف قرأوا هذه القصص لي ولناثنيل قبل النوم. احتجتُ للكتابة إلى أبي قريبًا، وأمِلتُ أنّه في تحسُّن. كان تعافيه بطيئًا لكنّه مُطّرِد.

1 -الأخوان غريم: كاتبان ألمانيّان شهيران جمعا العديد من القصص الشعبية مثل سندريلا والأمير الضفدع وغيرها. (المُترجِم)



فجأةً انتُشِلتُ من خيالي لأرتدَّ على الحائط، وصُدِمتُ لأنّ أحدهم لم يصطدم بي فحسب، بل أعقبَ ذلك بضحكةٍ كما لو لم يكن الأمر مُهينًا لشابّة.

تنهّدَت أنستازيا. "آنسة وادزورث، اسمحي لي بتقديمكِ إلى البروفيسور رادو. سيقوم بتدريسكِ الفولكلور المحليّ ضمن كورس التقييم."

"يا للهول، لم أنتبه لكِ." عبثَ البروفيسور رادو بمنديل قبل أن يُسقِط قطعة خبز من صينيّته دون قصد. انحنيتُ لالتقاطها في نفس الوقت معه، فاصطدم رأسانا. لم يرمش الرجل حتّى في إثر الضربة، لا بدّ أنّ قحفه مصنوعٌ من الغرانيت. قمتُ بتدليك التورّم الذي بدأ يتشكّل على رأسي بألم. "آسف، أعتذر يا آنسة وادزورث. آمل ألّا أكون قد سكبتُ عصيدتي على هذا الفستان الجميل."

ألقيتُ نظرةً خاطفة على نفسي، وشعرتُ بالارتياح لعدم وجود عصيدته على تنّورتي. رفعتُ الخبز من الأرض بيدي وأنا أتلمّس الكدمة تحت ناصية شعري بحذر بيدي الثانية .أملتُ أن تكون تلك الضربة قد زادَت من منطقيّة عقلي، فقد آلَمَتني بما يكفي لذلك.

قُلت: "من فضلك لا تقلق أستاذ. أخشى أنّ الشيء الوحيد الذي تضرّرَ هو خبزك، وربّما رأسُكَ أيضًا، بسببي."

همسَت أنستازيا: "لستُ واثقةً من أنّه كان على ما يُرام من الأساس."

"آه... ماذا كان ذلك؟" سأل رادو وهو ينقل تركيزه من الخبز إلى أنستازيا.

أجابَت كاذبةً: "قلتُ أنّني واثقة من أنه لا يزال لذيذًا."

قامَ بانتزاع قطعة الخبز المُتّسخة من أصابعي، كمَن يلتقط حبّة عنب من الكرمة، قبل أن يقضمها. أملتُ ألّا تكون شفتاي قد تجعّدَتا مثل شفتَي أنستازيا؛ إذ لم أرغب في كشف التقزّز الذي غمرَني أمامه.

"إنّها مُشبّعةٌ بالجبن." خرجَت الكلمات الرومانيّة من أطراف فمه الممتلئ بالخبز، وارتفعَت حواجبه الكثيفة بمُتعة. "عجينةٌ مقليّة مع جبنة فيتا. يجب أن تُجرّبيها، تفضّلي."

قبل أن أتمكّن من الرفض بأدب، دفعَ قطعةً من الخُبز في يدي، ثم عصرَها وهو يضغط على أصابعي بحماس. بذلتُ قصارى جهدي للابتسام، رغم شعوري ببعض الشّحم وهو يتسرّب إلى قفّازاتي. "شكرًا لك بروفيسور. نستميحُكَ عذرًا، علينا لقاء باقي الطلّاب."

دفعَ البروفيسور رادو نظّاراته إلى أعلى أنفه، تاركًا بقعةً شحميّة على إحدى عدساتها، وهو ينظرُ إلينا عن كثبٍ باستنكار. "ألم يُخبركم المدير؟ الجميع في انصراف الآن. سيزور بعضهم براشوف، وقد ترغبان في



الانضمام إليهم. لا أحد يريد المشي لوحده في الجبال الآن، أليس كذلك؟ الغابة مليئةٌ بالمخلوقات التي تخطف الأطفال من الطريق لتنهش اللحم من عظامهم." قامَ بلعق الشحوم من أصابعه في استعراض لآداب العصور الوسطى. "أعني الذئاب في الغالب، من بين بعض الكائنات الأخرى."

"الذئاب تأكل الطلاب؟" سألت أنستازيا بنبرةٍ إنكار قطعيّ. "ولم يخطر للعمّ أن يُحذّرني على الإطلاق!"

قال: "آه، مستذئبون! ستكون تلك أوّل خرافة نُناقشها في الفصل. توجد الكثير من شائعات الفلكلور والأساطير الجميلة، الجاهزة للجدال والدحض."

خفّضَ ذِكر الذئاب التي تخطف الأطفال حرارة دمي بضع درجات. ربما رأيتُ بعض علاماتهم على متن القطار وكذلك في الغابة القريبة. "ماذا تقصد..."

"المستذئبون هم أرواح القتَلة الذين يعودون من الموت كذئابٍ عملاقة. إلّا أنّ البعض يعتقدون أنّهم فعلاً ذئاب ويصبحون ستريغوي عند قتلهم. أتمنّى أن تستمتعا بالدرس. الآن، تذكّرا، التزما بالمسار ولا تدخلا الغابة، بغضّ النظر عمّا تريان. هنالك الكثير والكثير من المخاطر الجليلة!"

ترنّحَ مُنصرفًا وهو يُدندن لنفسه بنغمةٍ بهيجة. للحظةٍ وجيزة تساءلتُ عن ذلك الإحساس، حينَ تضيعُ تمامًا بين أحلام اليقظة والخيال، ثمّ تذكّرتُ الرؤى الخياليّة التي نسجَها عقلي خلال الأسابيع القليلة الماضية ووبّختُ نفسي. "لماذا يُدرِّسون الفلكلور والأساطير في دورةٍ مُدّتها أربعة أسابيع فقط؟"

"أفترضُ أنّ كلّ هذا جزءٌ من الغموض الذي ستكشفينه." هزّت أنستازيا كتفها. "رغمَ أنّ العمّ يؤمن بأنّ العلم يُفسّر معظم الأساطير."

كنتُ أؤيّد تلك العبارة بشدّة، بغضّ النظر عن مدى كُرهي للانسجام مع أقوال مولدفانو. شاهدتُ ذلك الأستاذ يُسقِط إفطاره مرّةً أخرى، وقلت: "لا أصدّق أنّه تناول قطعة الخبز تلك. أنا متأكّدة من أنّ حشرةً ميتة قد علِقَت بها."

قالت أنستازيا: "لا يبدو أنّه يُمانِع ذلك. ربما يستمتع بذلك البروتين الإضافيّ."

تقلّصَ فكّي حين اصطدم الأستاذ بطالبٍ آخر - شابّ ضخم بشعرٍ أشقر غامق وفكٍّ مُربّع لدرجةٍ ضاعَت فيها الوسامة. تمتمَ العملاق بضع كلماتٍ بالرومانيّة قبل أن يشقّ طريقه إلى قاعة الطعام، طارحًا طالبًا أصغر منه جانبًا دون اعتذار. كان غاشمًا مقيتًا، وفهمتُ برومانيّتي المتواضعة أنّهُ طلبَ من العجوز أن ينتبه.



قالت أنستازيا عندما اختفى الصبي الأشقر في قاعة الطعام: "هذا نموذجٌ ساحر من طبقة النبلاء الرومانيّة. أصدقاؤه أفضل منه قليلاً."

قلتُ بجفاف: "لا أطيق الانتظار لمقابلتهم." رميتُ قطعة الخبز الملوّثة بالشحم في صندوق قمامة، وحاولتُ مسح البقعة على قفّازي. سأحتاج إلى إحضار زوج آخر قبل أن أغادر. "لماذا يسافر الطلاب إلى القرية برأيك؟"

"لا أعرف، ولا يهمّني." رفعَت أنستازيا أنفها على طريقة الملوك. "لن أخرج في هذا الطقس الثلجيّ، وأشكُّ في أن الآخرين سيُغامرون بترك غرفهم أيضًا. آه! كنت أريدُ سؤال رادو عمّا إذا كان بإمكاني حضور دروسه." عضّت شفتها. "هل تُمانِعين إذا قابلتُكِ بعد فترة؟ هل ستبقينَ هنا؟"

"إذا لم يُرغمونا على المغادرة فَلا أجد سببًا لذلك. أفضِّل استكشاف القلعة... رأيتُ حُجرة تحنيط أودّ فحصها".

"عظيم!" هتفَت أنستازيا بالرومانيّة وقبّلَت خدّي. "سأراكِ قريبًا إذن."

تردّدَ صدى ضحكتها الصاخبة داخل الغرفة بينما وقفتُ أشاهدها وهي تُسرع خلف أستاذنا. رغمَ رغبتي الشديدة في عدم القيام بذلك بمُفردي، فقد حانَ الوقت لمواجهة مخاوفي وتقديم نفسي لزملائي في

الفصل تدريجيًا. في الوقت الحالي، سوف أُظهر وجهي وأتريّث في الموضوع بعدها .علاوةً على ذلك لم يكن الوضع كما لو إنني لا أعرف أحدًا، إذ من المؤكد أنّ توماس سيظهر قريبًا.

مشيتُ داخل قاعة الطعام برأسٍ مرفوع. اجتمعَ الطلاب الفضوليّون حول خمسة صفوف من الطاولات الطويلة، وسادَ الهدوء وأنا أشقّ طريقي إلى الطرف الآخر من الغرفة. ضمَّت إحدى الطاولات ثلاثة شبّان، أحدهم كان الصبيّ الفظّ الضخم.

على طاولةٍ أخرى جلسَ ولدان بشعرٍ بُنّي لم يتكلّفا عناء رفع نظرهما من الكتب، وافترضتُ أنّهما الإيطاليّان. كانت بشرتُهما بلون البرونز الغنيّ، كأنّهما قادمان من مكانٍ قريب من المُحيط. أحدُهما الطالب الضئيل الذي اصطدمَ به الغاشم دون اعتذار.

جلسَ شابٌّ نحيل ذو بشرة صفراء بُنّية داكنة مقابل صبيّ يرتدي نظارات طبّية وخصلات شعره السميكة بلون الزنجبيل. كانا يتناولان الطعام لكنّهما رفعا أعينهما للنظر ببلاهة إلى قدومي.

سخنَت وجنتاي مع ارتفاع صوت احتكاك طبقات تنّورتي ببعضها على همساتهم المتفرّقة. على الأقل لديّ توماس، ولو احتجنا إلى القتال على مقاعد الأكاديمية فيُمكننا القتال معًا. كان التعاطف مع أنستازيا أيضًا أمرًا تطلّعتُ إليه.



ضحكَ أحد الصبية من طاولة الضخم بصوتٍ عال، ثمّ صفرَ نحوي كما لو كان يُنادي كلبًا. توقّفتُ عن المشي ووجّهتُ له نظرةً بالغة الحدّة، قطعَت ابتسامته على الفور.

"شيءٌ مُمتِع؟" سألتُه وراقبتُ الصمت الذي نزلَ عليهم كَجنودٍ تمّ استدعاؤهم للحرب. عندما لم يردّ، قلتُها مرّةً أخرى بأفضل ما لديّ من الرومانيّة، وعلا صوتي فجأةً وسط الهدوء.

ارتعشَت شفتا الشابّ قيد أنملة خلال نظري له. كان شعرهُ أغمق من شعر توماس، وعيناه البُنّيتان أكثر غمقًا أيضًا. بانَت بشرته الزيتونيّة جذّابة بالطريقة التي يتّصفُ بها البطل المُظلِم. بدا قاسيًا، رغمَ أنّني افترضتُ أنه يحمل لقبًا من نوعٍ ما، بناءً على ما ذكرَتهُ أنستازيا. ضحكَ الضخم بجانب الصبيّ ذو الشعر الداكن والتوَت شفّتهُ العليا. شعرتُ أنّ ذلك كان تعبيره الطبيعيّ بالوراثة، وليس تعبيرًا مسيئًا إليّ. كم ذلك مؤسفٌ لوالديه. انتظرتُ أن يُبعد ذو الشعر الداكن نظره عن نظري، لكنه ثبّتَ عينيه بعناد. لم يهمّني إن كان ذلك في تحدٍّ لمدى سهولة انكساري أو لغرض الغزل. لن أتحمّل التعرّض للتحرّش بسبب جنسي. كنّا جميعًا هنا لنتعلّم، والمشكلة فيه هو وليسَت فيّ. ربّما حان الوقت للآباء لتعليم أبنائهم كيفيّة التصرّف مع الفتيات. لم يُولَدوا بأفضليّة، بغضّ النظر عن تفضيل المجتمع الزائف لهم. نحنُ جميعًا مُتساوون.



"حسنًا؟"

"أنا أقرّر، آنستي." جرَّ نظراته ببطء على كلّ بوصةٍ من جسدي، فاحصًا عن كثب، ثمّ سعلَ في يده، بلا شك ليهمس بشيءٍ غير لائق إلى زميله الضخم الذي انفجرَ ضاحكًا.

جلس شاب أكثر نحافةً وشحوبًا على جانبه الآخر، ناقلًا عينيه من ذي الشعر الداكن إليّ ثم إلى يديه، وفمه يتحوّل نحو العبوس. كانَ هنالك شيء في بُنيتهم العظميّة جعلَني أعتقد أنّهم على قرابة ببعضهم البعض، مع ذلك كانَ تعبيره مختلفًا عنهم تمامًا. انتقلَ انتباهه في الأنحاء كذبابةٍ تحطّ على أماكن مختلفة قبل أن تطير بعيدًا عن متناول اليد. بدا لي مألوفًا جدًا...

شهقتُ لحظة تمييزي له.

"أنتَ... أنا أعرفُك." لقد كان على متن القطار بصحبتنا أنا وتوماس، ذلك الراكب العصبيّ الذي أردتُ سؤاله. تحرّكَ في مقعده مُحدّقًا في خشب الطاولة مُتجاهلًا إيّاي. بدا جلده يزداد غُمقًا كلّما نظرتُ إليه أكثر.

لقد نسيتُ أمر الصبيّ المزعج ذي الشعر الداكن، وكادَت تفوتني شرارة عينيه وأنا أجمعُ تنّورتي وأتّجه إلى طاولتي الخاصّة.



8

شرّير بوجهِ بطل



قاعة الطعام
قلعة بران

2 ديسمبر 1888

"أنتِ تُتقِنين مشاهد الدخول يا وادزورث. نصف الشباب على تلك الطاولة يُريدون الزواج منكِ الآن. سأضطرّ إلى مُضاعفة جهود تطوير مهاراتي في المبارزة للدفاع عن شرفِك".

حرّرتُ نفَسًا بينما طوى توماس جسده في المقعد قُبالتي، وصحنهُ مُتخَمٌ بالمعجّنات المالحة من مختلف المناطق، بهدف إرضاء أذواق الطلاب من جميع أنحاء أوروبا، بالإضافة إلى الحلويّات. كانت السيّدة هارفي محقّةً بشأن ولعه بها. لقد شتّتني الصبيّ الذي كنتُ متأكدةً من أنه رافقَنا على متن القطار، ولم ألاحظ وجود توماس قُرب البوفيه.

"لا أظنّ أنّ ذلك صحيح. لقد خلقتُ أعداء لنفسي، هذا ما فعلتُه".
سرقتُ إحدى الكعكات من صحنه بعد أن دهنَها بالقشطة الخاثرة.
"على أيّة حال، لا أحبّ أيًّا من الشباب على تلك الطاولة يا كريسويل.
لا داعٍ لشحذ مشرطكَ الجراحيّ حتّى الآن".

"احذري، فَقد أقررتِ بنفس هذه المشاعر الساحرة تجاهي سابقًا.
تُصيبني الغيرة بسهولة نوعًا ما. أرغبُ في مُنافِس، وليسَ في هدم هذه
الأكاديميّة أو إحراقها بالكامل. على الرغم من أنّ ذلك قد يُحسّن مزاج
مولدفانو. أتَعدِين بأن تزوريني في غرفتي؟" ابتسمتُ وتفحّصتُ
صديقي. "أنتَ تعلم أنّه لا يُمكن لأحدٍ أن يُزعجني بقدركَ يا
كريسويل. آملُ أن يفكّروا مليًّا قبل أن يسخروا منّي مرةً أخرى".

"أنا متأكدٌ من أنّها لن تكون آخر مرة تتعرّضين فيها للمُضايقة."
ابتسم توماس بينما كان يُغطّي كعكةً أخرى بالقشطة. "يستمتعُ الرجال
بالصيد، وقد برهنتِ الآن على أنّكِ صعبة المنال، ممّا يجعلكِ تحدّيًا مُثيرًا
للاهتمام. لماذا تظنّين أنّ كل تلك الرؤوس مُعلَّقة على الجدران؟ إنّ
عرض مكافآت إنجازاتنا يشبه القول 'أنا ذكرٌ قويّ'. انظروا إلى رأس
الأيل في المكتب. لم أقُم بمطاردته فحسب، بل نصبتُ له فخًّا وجذبتُه إلى
مخبئي. لنشرب بعض البراندي، ثمّ نضرُب على صدورنا ونُطلق النار
على شيءٍ ما.'"



"أتعني أنّكَ تُريد أن توقعَني في فخّ ثم تُعلّق رأسي المقطوع فوق الموقد؟ هذا رومانسيٌّ للغاية. أخبِرني بالمزيد."

"أحم." تنحنحَ شخصٌ ما ليُقاطعنا. "هل تُمانعان إن جلستُ هنا، لطفًا؟"

حتّى وهو جالس، تمكّنَ توماس بطريقةٍ ما من التحديق لأسفل في الصبيّ ذي الشعر الداكن الذي سخرَ منّي بوقاحة في وقتٍ سابق، وكان الآن يقف بجانب طاولتنا. لاحظتُ اختفاء كلّ علامات المرح من وجه توماس.

"إذا وعدتَ بأن تكون لطيفًا." دفعَ توماس كرسيّه ببطء إلى الخلف، وأطرافه الخشبيّة تحتكُّ بالأرض احتجاجًا. لم يتحرّك بما يكفي للسماح للشابّ بالجلوس بيننا. تذكّرتُ طول قامته وأطرافه، وكيف يُمكنه استخدام ذلك كسلاحٍ آخر في ترسانته. "أكرهُ أن أرى الآنسة وادزورث وهي تقوم بإحراجك، مرّةً أخرى."

تصاعدَ منه التوتّر في موجاتٍ ثقيلة بالغة الظلمة والاضطراب حتّى كادَت أن تجرفني معها. لم أرَ مثل هذه المشاعر القويّة من توماس قبلًا، واعتقدتُ أنه قد يكون هنالك شيءٌ آخر إلى جانب انزعاجه لأجلي. ربما تصادفَ الشابّان سابقًا ولم تجرِ الأمور بينهما بإيجابيّة. لم يتطلّب الأمر مني الكثير لاستنتاج أنّ هذا لن ينتهي بشكل جيّد. آخر شيء احتجنا إليه هو

طرد توماس بسبب - الشيء الذي أوشكَ على الإقدام عليه. بدَت عليه كل علامات الشرّير بوجه البطل.

"كيف يُمكننا مساعدتكَ يا سيّد...؟" سمحتُ للسؤال بأن يتعلّق في الهواء.

كما لو أنّ الجحيم لم يتجلَّ من حوله، انحنى الشابّ نحوي بطريقةٍ حميميّة، وأعدتُ التفكير فيمَن كان مُعرّضًا لخطر الطرد من الأكاديمية: قد يكون توماس هو الشخص الذي يمنعني من توجيه صفعةٍ مُستحقّة لهذا الشخص.

"أعتذرُ عن سلوكي السابق آنستي،" قالَ بلهجةٍ ناعمة لطيفة. "كما أطلب المغفرة لرفاقي، أندريه" - مُشيرًا إلى الضخم الذي أومأ برأسه باقتضاب - "وفيلهلم، قريبي."

عادَ انتباهي إلى الشابّ المريض من القطار. كان لون فيلهلم أغمق من ذي قبل بذلك اللون الغريب. بدا كأنّ وجهه قد تلطّخَ بأوساخٍ حمراء. لم أشاهد طفحًا جلديًّا بهذا السوء من قبل، وبانت حبّات العرق بوضوح منتشرةً على جبينه.

قال توماس: "يبدو أنّ قريبكَ ليس على ما يرام. ربّما يجب أن تهتمّ به بدلًا ممّا تفعل".



شاهدنا فيلهلم وهو يضع عباءةً سوداء كبيرة حول كتفيه ويتّجه نحو الباب. لقد احتجتُ للتحدّث معه، ومعرفة ما يعرفه عن الضحيّة من القطار. تحرّكَ الصبيّ ذو الشعر الداكن ليُصبح أمامي ثانيةً ."آه، حسنًا... اسمحي لي بتقديم نفسي بشكلٍ صحيح."

ابتسمَ ابتسامةً خجولة، لكنّها تلاشَت نوعًا ما أمام ثبات تعبيري المُحايد. إذا ظنَّ أنّ تقديم مستوى عالٍ من سحره الجاذب سيُحبِّبه إليّ، فقد كان مُخطئًا تمامًا. جلسَ مشدود القامة، وخيّمَ عليه جوٌّ من السكون، كعباءةٍ مخمليّة تستقر في مكانها المقصود.

"اسمي نيكولاي أليكسندرو فلاديمير آلديا، أمير رومانيا."

زفرَ توماس، لكنّ الأمير الشابّ أبقى نظره ثابتًا على عينيّ. سحبتُ نفسًا عميقًا، وحرصتُ على إخفاء أيّة دهشة مُحتمَلة في ملامحي، مُفترضةً أنه أعلنَ لقبه على أمل مُشاهدة ردّ الفعل الذي حصل عليه من بعض الشباب والشابّات الآخرين. تأكّدَت شكوكي عندما انكمشَت ابتسامته حتّى اختفَت تمامًا كلّما طالت مدّة جمودي. لم أسمح لنفسي بأن أُعامَل بذلك السوء ثمّ تغمرني المشاعر بعد دقائق فقط .قد يشتري لقبهُ الكثير، لكنه لا يستطيع شراء إعجابي. صمتَت الغرفة بأكملها كخدمة الكنائس[1]

1 –خدمة الكنيسة: اجتماعٌ ديني يُعقَد بانتظام لأتباع الكنيسة لغرض الوعظ والتوجيه الديني. (المُترجِم)

بينما كانوا ينتظرون ردّي، أو انحنائي له. ربّما قمتُ بخرق جميع البروتوكولات برفضي الوقوف على الفور والانحناء تبجيلًا له. ابتسمتُ بلطف وأنا أميلُ نحوه.

"أودّ القول أنه كان من دواعي سروري مقابلتك يا صاحب السموّ، لكنّني تربّيتُ على عدم التفوه بالأكاذيب."

لتجنّب انعدام اللباقة تمامًا، صنعتُ ميلًا خفيفًا في رأسي وأنا أقف. كان التعبير على وجه الأمير نيكولاي استثنائيًا، كأنّني خلعتُ قفّازي وصفعتُه به أمام كلّ هؤلاء الشهود. كدتُ أشعر بالأسف تجاهه: ربّما كانت أوّل مرةٍ يتلقّى فيها إساءةً شخصيّة بهذه القسوة. ماذا سيفعل مع شخصٍ لا تؤثّر فيه كلّ كلماته الأميريّة؟

"سيّد كريسويل،" أومأتُ برأسي صوبَ صديقي "سألتقي بكَ في الخارج."

هزَّ الصبيّ ذو الضفائر الحمراء، الجالس في الجوار، رأسه وأنا أجمع تنّورتي. لم أستطع معرفة ما إذا كان قد أُعجِبَ أو اشمئزّ من جرأتي. غادرتُ الغرفة دون النظر إلى الوراء، ورافقَتني أصوات قعقعة الشوكات على الأطباق، ممزوجةً بضحكة توماس العميقة، إلى خارج القاعة، حيث سمحتُ لنفسي بقليل من الضحك. حتّى الإخوة الإيطاليّون قد رفعوا تركيزهم عن دراستهم، واتّسعت أعينهم مثل



أطباق بتري[1]. كانت لحظة رضايَ قصيرةً، إذ لاحظتُ أنّ المدير مولدفانو يقف قرب المدخل المفتوح، بِوريدٍ نابضٍ في جبهته. تحرّكَ بسرعةٍ نحوي، لأرى وحشًا مجنّحًا هائلًا يحومُ في الخلف، ومخالبه تخدش الحجارة. طرفتُ بعينيّ. لم يكن سوى ظلّه، الذي عظّمَهُ ضوء الشعلة.

"احترسي وأنتِ تصنعين أعداءكِ آنسة وادزورث. أكرهُ وقوع المزيد من المآسي لعائلتِك المُحطّمة بالفعل. كما فهمتُ، فإنّ نسَب ولقب وادزورث قد زالا تقريبًا من الوجود".

أدهشَني ذلك. لقد نشرَ والدي نعيًا غامضًا إلى حدٍّ ما بشأن وفاة أخي، لكنّ المدير بدا كمَن يشتبه في وجود تستُّر وتزييف. تفحّصَني عن كثب، وشفتاه مسحوبة في ابتسامةٍ ساخرة.

"أتساءل كم من القوّة ستبقى عند والدكِ إذا حدثَ أمرٌ فظيع لآخر طفلٍ لديه. تعاطي الأفيون عادةٌ غير حميدة، ومن الصعب الإقلاع عنها تمامًا. أنا واثقٌ من أنّكِ تدركين ذلك، لأنّكِ تبدين ذكيّةً إلى حدٍّ ما، بالنسبة لفتاة على الأقل. آملُ أن يكون كلامي واضحًا."

"كيف لكَ -"

"من واجبي الكشف عن كلّ معلومةٍ حول الطلاب المُحتمَلين، وأعني بذلك كلّ شيء. لا تُخطئي في الظنّ بأنّ أسرارك تبقى لك، فأنا

1- طبق بتري: وعاء عريض يستعمله علماء الأحياء لاستنبات الجراثيم. (المُترجِم)



أكشفُها من الموتى والأحياء معًا. أجدُ أنّ الحقيقة تستحقّ فعلًا ذلك العناء."

التفَّ الخوف والتوى في أمعائي. لقد كان يُهدّدني، وليس هناك ما يُمكنني فعله بالمقابل. حدّقَ فيّ لثانيةٍ أخرى، كما لو كان بإمكانه أن يمحو وجودي، ثمّ سارَ إلى قاعة الطعام حتّى وصلَ إلى الجانب البعيد منها.

أعلنَ المدير: "انتهى الإفطار الآن. يُمكنكم فعل ما يحلو لكم لبقيّة اليوم."

ركضتُ بسرعة إلى غرفتي لجلب معطفي الشتوي مع زوج جديد من القفّازات، مُتلهّفةً لترك هذه القلعة البائسة وسكّانها التعساء.



9

مدينة التاج



طريق الغابة
براشوف

2 ديسمبر 1888

"قد لا يكون الأمير العظيم من أشدّ المُعجبين بكِ يا وادزورث."

نكزَني توماس بكتفه، فاشلًا في إخفاء متعته بعدوّي الجديد. "حالمًا غادر مولدفانو، قامَ برمي صحن على الحائط وجرح أصابعه، ثمّ تناثر الدم على البيض. دراميٌّ جدًا."

"تبدو غيورًا بعض الشيء لأنّكَ لم تُفكّر في كسر الأواني قبله".

انزلقتُ على حجر رصيف جليديّ وثبّتني توماس، قبل أن يُفلت ذراعي ببطء وهو على مسافةٍ بالكاد تُعتَبر لائقة. لقد بانَت الإثارة في كلّ حركاته، وكادَ يسير قفزًا إلى براشوف، المعروفة أيضًا باسم مدينة التاج وفقًا لثرثرته التي لا تنتهي.

لقد شاهدتُ فيلهلم يخرج مسرعًا من القلعة، مُتخبّطًا هنا وهناك، واندفعتُ للتمسُّك بتوماس. رغبتُ في التحدّث مع الصبي وسؤاله عمّا رآه في القطار، رغم أنه بدا عازمًا على التهرّب منّي بأيّ ثمن، وزادَ ذلك من احتمالات كونه مذنبًا بشيء.

لم أكن متأكدة من مظهر جلد فيلهلم. بدا أنّ اللون الزيتوني قد استُبدلَ بالكامل ببُقعٍ داكنة، كأنّ الحمّى قد تسبّبت باحمرارٍ عميق. بدا أسوأ ممّا كان عليه في قاعة الطعام، وحاولتُ التفكير في أيّة عدوى معروفة من شأنها أن تُسبّب نوعين مختلفين من الطفح الجلديّ، لكنّني فشلتُ في تمييز واحدة. من المؤكد أنّها لم تكن حمّى قرمزيّة، تلكَ سأعرف أعراضها في أيّ مكان.

تخلَّفنا مسافةً كافية خلف فيلهلم لدرجة أنهُ لم يُلاحظنا، أو افترَض أنّنا نتّجه إلى القرية لأغراضٍ خاصّة. كنتُ أرغب في تعقّبه، ومعرفة إلى أين يتّجه أولاً، بعدها ربّما نحصل على بعض البصيرة. إذا هاجمناه بالأسئلة الآن فمن المحتمل أن يُغيّر مساره. أطلعتُ توماس على شكوكي، ووافقَني على إنه أفضل إجراءٍ نتّخذه.

أبقيتُ انتباهي على الأرض، على آثار الأقدام التي تركَها فيلهلم في الثلج المتساقط حديثًا والخطوات المنتظمة التي مشى بها. يبدو أنّ تخبّطهُ قد توقّف، على الرغم من وجود بقعةٍ حديثة من القيء بعيدًا عن



الطريق. لم أفحصها عن كثب وتحرّكتُ بأسرع ما يُمكن. ربّما كان فيلهلم في طريقه للقاءِ شخصٍ ما حول علاجٍ لمرضه، رغمَ أنّ سفره إلى القرية وعدم الاستفسار عن طبيبٍ في القلعة غريبًا.

دسستُ يدي في جيبي وكدتُ أنزلق مرّةً أخرى. لقد نسيتُ أمر الورقة مع كلّ تلك الضجّة في قاعة الطعام. ألقيتُ نظرةً سريعة للتأكّد من أنّنا - أنا وتوماس - كنّا لوحدنا على ذلك الطريق، باستثناء فيلهلم، الذي كان متقدِّمًا جدًا ليتمكّن من ملاحظتنا. توقّفتُ وبحثتُ في جيبي، لأدرك أنّ الورقة لم تعُد هناك.

"أخبريني أنّني لم أترك عادة التدخين غير اللائقة لكي تُمارسيها أنتِ."

"عُذرًا؟" ربّتُّ على جيوب تنّورتي وعلى الجيوب الداخلية لمعطفي الشتائيّ... لا شيء. خفقَ قلبي بقوّة. لو لم أعرُضها على أنستازيا وإيليانا هذا الصباح فقد تراودني فكرة أنّ ذلك الرسم من نسج خيالي. قلبتُ جيوبي وكانت فارغة.

"ما الذي تبحثين عنه يا وادزورث؟"

قُلت: "تنّيني،" مُحاولةً تذكُّر ما إذا كنتُ قد أعدتُه إلى جيبي قبل التوجّه إلى قاعة الطعام. "لا بدّ أنّني تركتهُ في غرفتي."

حدّقَ توماس في وجهي بأغرب تعبير. "أينَ وجدتِ هذا التنّين؟ أنا متأكدٌ من أن العلماء بجميع أنواعهم سيرغبون في التحدّث معكِ ورؤية العيّنة. وهو صغيرٌ بما يكفي لتضعيهِ في جيبكِ أيضًا. اكتشافٌ مهمّ."

قُلت وأنا أتنهّد بعُمق: "لقد كان رسمًا في مقصورة القطار خاصّتي، وجدتُها بعد أن حضر الحراس لأخذ الجثة."

"آه، فهمت." استدارَ فجأةً واستمرّ في طريقه نحو القرية، ليتركني فاغرة الفم في أعقابه. أمسكتُ تنّورتي، بحرصٍ على عدم كشف أيّة منطقةٍ فوق حذائي، وهرعتُ وراءه. "ماذا كان ذلك؟"

أومأ توماس برأسه نحو شُجيرات العُلّيق على حافة الطريق، وتابعتُ نظراته لأُلاحظ ما بدا كآثار أقدام جديدة لكلبٍ كبير في الثلج، بالقرب من حافّة الغابة. بدا أنها تتقفّى أثر قيء فيلهلم .أمِلتُ في تفادي الإصابة بما كان يُعاني منه، وتجنُّب أيّ حيوان يتبعه. شاهدتُ الصبيّ يتخبّط مرةً أخرى حتى كادَ يصعد التلّ. أردتُ أن أعدو خلفه وأقدّم له العون، فقد بدت حالته سيّئة للغاية.

سارَ توماس عبر الثلوج، وصبّ انتباهه على زميلنا في الصفّ وهو يقول: "لن نرغب في أن يتمّ إمساكُنا هنا بعد غروب الشمس .إنه الشتاء، والطعام نادرٌ في الغابة. من الأفضل عدم التهوّر والمُخاطرة بلقاء الذئاب."



في تلك المرّة تغلّبَ انزعاجي على قُدرتي في تخيُّل الغابة وهي تنبض بالحياة والوحوش. أسرعتُ الخطى نحو توماس وتركيزي عليه بالكامل. "هل ستتظاهر بأنّني لم أسأل عن ذلك التنّين؟"

توقّفَ عن المشي ورفعَ القبعة عن رأسه، لينفض بعض الثلج الذي سقط من الأغصان فوقنا، قبل أن يُعيدها مرّةً أخرى. "إن كان لا بدّ من أن تعرفي، فأنا مَن رسمَه."

"أوه." ارتخا كتفاي. يجب أن يُسعدني ذلك لعدم وجود شرّ خلف ذلك الرسم، وأن أرتاح لأنّ القاتل لم يتسلّل إلى مقصورتي ليترك دليلًا مستفزًّا. مع ذلك لم أستطع إخفاء خيبة أملي. "لماذا لم تُخبرني بذلك قبل الآن؟"

قال بحسرة: "لأنّني لم أقصد أن يصل إليك. بدا لي وقحًا القول: معذرةً، من فضلكِ لا تسألي عن التنّين. الموضوع حساسٌ جدًا في الوقت الراهن."

"لم أعلم أنّكَ ترسم بهذه المهارة."

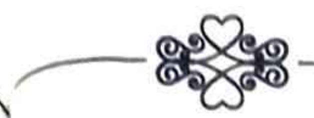
خلال قولي تذكّرتُ انحناء توماس على جثّة في مختبر عمّي، ليرسم صورًا واضحة الدقّة لكلّ تشريح، ويداه ملطّخة بالحبر والفحم الذي لم يُكلّف نفسه عناء تنظيفه.

"حسنًا، إنّها سمةٌ موروثة."

قُلت: "لقد كان... جميلًا. لماذا تنّين؟"

مدّ توماس فمه في خطٍّ كئيب. لم أتوقّع منه أن يُجيب، لكنّه أخذَ نفسًا عميقًا وأجاب بهدوء: "كانت لدى أمّي لوحةٌ له. أتذكّر أنّني بقيتُ أحدّق فيه بينما كانت تحتضر."

انطلق عبر الثلج دون أن ينطق بكلمةٍ أخرى، لقد اقتربنا كثيرًا من السياج العاطفي الذي بناهُ منذُ زمنٍ بعيد. لم يتحدّث أبدًا عن عائلته، وكنتُ أتوق لمعرفة المزيد من التفاصيل حول نشأته .استجمعتُ نفسي وهرعتُ وراءه، بعد أن لاحظتُ بصدمةٍ أنّ فيلهلم قد غابَ عن مدى رؤيتنا. تحرّكتُ بأسرع ما يُمكن، على الرغم من أنّ جزءًا منّي اقتنعَ أنّهُ لا شيء خارج عن المألوف في رحلة قطار فيلهلم. كان ذلك مجرّد خيالٍ آخر من خيالاتي المُختلَقة الملعونة. أصبحنا على مشارف براشوف، وقد سئمتُ للغاية من السير وسط الثلوج والجليد. أمسَت حاشية تنّورتي منقوعةً ومتصلّبةً مثل أصابع جثّة. كان من الأفضل ارتداء بنطلون أكثر ضيقًا مع زيّ ركوب الخيل المعتاد. في الواقع، كان البقاء داخل القلعة ودراسة حالات التشريح المعروضة وغرف التحنيط أذكى فكرة حتّى الآن. لم نُهدر وقتنا في ملاحقة صبيّ مريض فحسب، بل غمرنا البرد والرطوبة بفظاعة أيضًا. كنتُ على وشك لمس حبال قلق والدي بشأن التقاطي لإنفلونزا وهي تلتفّ حول حواسّي.



"آه. تلكَ هي." رأيتُ لمحاتٍ من المباني التي أشارَ إليها توماس بابتسامةٍ صادقة. لم تكن أكثر من ومضاتٍ ملوّنة عبر الخُضرة الدائميّة، لكنّ الإثارة حثّت قدميّ على الحركة بشكلٍ أسرع. بعدها، حين بدأنا بنزول تلّةٍ أخرى، اتّضحَت لي الجوهرة المُخبّأة بين الجبال الصخريّة.

مشَينا على طول الطريق المغطّى بالثلوج، بتركيزٍ ثابت على القرية الملوّنة. لقد انتصبَت المباني باكتظاظٍ كالسيّدات الجميلات في الانتظار، وتمّ صبغ واجهاتها الخارجية بالورديّ الفاتح ولون الزبدة وأخفّ درجةٍ من الأزرق. كانت هناكَ أيضًا مبانٍ أخرى، مبنيّة من الحجر الباهت مع سقوفٍ باللون البُنّي المُحمرّ.

كانت الكنيسة أعظم تلك المناظر، ببُرجها القوطيّ المُستدقّ المُشير إلى السماء. من بعيد تمكنّا من رؤية سقفها المكسوّ بالقرميد الأحمر، وهو يمتدّ فوق البناء الضخم من الحجر الفاتح بنوافذ زجاجيّة ملوّنة. تعلّقَت عيناي بها قبل أن أتابع سيري، ربّما لم تكن الرحلة مضيعةً للوقت في النهاية.

ابتسمَ توماس قائلًا: "الكنيسة السوداء. خلال الصيف، يجتمع الناس لسماع موسيقى الأرغن التي تنساب من الكاتدرائية. كما أنّ فيها أكثر من مئة سجّادة من بلاد الأناضول. إنّها مُذهِلة للغاية."

"أنتَ تعرف أغرب الحقائق."

"هل أعجبكِ هذا؟ لم أكلّف نفسي حتّى عناء الإشارة إلى أنّها قد تمّ تجديدها بعد حريقٍ هائل، أو أنّ جدرانها السوداء هي سبب تسميتها. لا أريدُ أن يُغمى عليكِ، لدينا مشتبهٌ فيه قيد الدراسة."

ابتسمتُ لكنّني بقيتُ صامتة، لم أرغب في مشاركة خوفي من حماقة تلك الرحلة. من المحتمل أنّ فيلهلم كان مجرّد راكب في القطار وهو مريضٌ بالفعل. فسّرَ المرض حركاته المتوتّرة - ربما كان أصلًا على وشك الإغماء، والتوتّر الناتج عن مشاهدة جريمة قتل قد فاقَ مدى تحمُّله.

مشَينا في صمتٍ حتّى وصلنا أخيرًا إلى القرية القديمة. لم تعد قدماي خدرَتين، لكنّني شعرتُ كأنّني أدوس على قطعٍ من الزجاج داخل جواربي. كانت ليزا ستُسحَر بمنظر الجليد وهو يغطّي أسطح المنازل، وبلمعانه في انعكاس أشعة الشمس. أودُّ أن أكتبَ لها رسالةً في وقتٍ لاحق الليلة.

تباطأتُ إلى حدّ التوقّف، وأنا أتفحّص الشوارع المرصوفة بالحصى بحثًا عن العباءة السوداء الخاصّة بفيلهلم. رأيتُ شيئًا يرفرف في الظلام ثم يختفي داخل متجرٍ لم أستطع قراءة لافتَته، فأشرتُ إلى توماس.

"أعتقدُ أنّه دخلَ هُناك."

"قودي الطريق يا وادزورث. أنا هُنا لقوّتي البدنيّة وجاذبيّتي".



دخلنا متجرًا لبيع المخطوطات والمجلّات وكلّ أنواع الأشياء التي يحتاجها المرء للكتابة أو الرسم. ليسَ مكانًا غريبًا لزيارة طالب، قد يكون فيلهلم بحاجةٍ ماسّة إلى لوازم الصفّ. سرتُ في ممرّاتٍ ضيّقة مليئة بالورق المطوي. شممتُ رائحة حبرٍ وورق عطرة ذكّرتني بالكتب القديمة التي ألصقُ أنفي بها. للصفحاتِ العتيقة رائحةٌ يجبُ تعبئتها وبيعها لأولئك الذين يعشقونها.

ابتسمتُ لصاحب المحل، وهو رجلٌ عجوز مُتجعّد البشرة ذو ابتسامةٍ سخيّة. "نحنُ نبحثُ عن زميلنا في الصفّ. أعتقدُ أنه حضرَ قبل لحظات؟" عقدَ العجوز حاجبيه واستجابَ بسرعةٍ باللغة الرومانيّة، بكلماتٍ أسرع من أن أفهمها. تقدّمَ توماس وتحدّثَ معه بنفس الطلاقة، وتبادلا بعض الجُمل قبل أن يستدير توماس إليّ ليُشير نحو الباب. لقد فهمتُ في النهاية خُلاصةَ الحديث، لكنّ توماس ترجمَهُ لي على أيّة حال.

"قالَ إنّ ابنه قد أحضرَ للتوّ طلبيّةً جديدة، ولم يزُرهُ شخصٌ آخر طيلة الصباح."

حدّقتُ من النافذة في صفٍّ من المتاجر. كان واضحًا من اللافتات والنوافذ ما تبيعهُ من سلع: معجّناتٌ وأقمشة وقبّعاتٌ وأحذية. من المُمكن أن يكون فيلهلم قد دخلَ أيًّا منها. "لنفترق للتحقّق من كلّ متجر."

ودّعنا صاحب المحل وخرجنا، ثمّ مشيتُ إلى المتجر التالي لأتوقّف عنده. خطفَ أنفاسي فستانٌ ملكيّ مُعلّقٌ بفخر وسط نافذة العرض. كانت له مُقدّمة صفراء باهتة مُرصّعة بالأحجار الكريمة، تتدرّج في الأسفل إلى درجاتٍ من لون الزبدة، حتّى تصل إلى الأبيض الثلجيّ عند الخصر. بدَت تنّورة الفستان كأنّ غيومًا من التول الأبيض والكريميّ والأصفر الفاتح قد تداخلَت مع بعضها في أروع مزيج على الإطلاق.

لقد صُنِعَت غرزهُ بيدٍ ماهرة، ولم يسعَني إلا الاقتراب لإلقاء نظرةٍ أدقّ. ضغطتُ وجهي تقريبًا على الزجاج السميك الذي يفصلني عن الثوب. كانت الأحجار الكريمة مُتناثرةً عبر صدره المُنخفض، لامعةً كالنجوم في ضوء النهار.

"يا لهُ من فنٍّ رائع! إنّها الجنّة... كحُلم يقظةٍ في هيأةِ ثوب، أو كإشراقة الشّمس."

كان خلّابًا لدرجة أنّني نسيتُ مهمّتنا للحظة. لم يردّ عليّ توماس أو يسخر من تشتّتي فاستدرتُ نحوه. كان يُراقبني بمتعةٍ عميقة، قبل أن ينفصل عن خياله الخاصّ، ليشدَّ قامته الطويلة ويحرّك إبهامه صوبَ واجهة المحلّ التالي.

"الجزء الأعلى من هذا الجمال من شأنه أن يتسبّب في ضجّةٍ بالتأكيد، مع عدد غير قليل من... أحلام اليقظة." ابتسمَ ابتسامةَ ذئبٍ بينما عقدتُ



ذراعيّ. "لا يعني ذلك أنّكِ عاجزةٌ عن مُجابهة وقتال جحافل السادة الخاطبين. أعتقدُ أنّ بإمكانكِ تدبّر الأمر. مع ذلك، فإنّ والدَك قد طلبَ أن أرافقَكِ في كلّ مكان وأُبقيكِ بعيدةً عن المشاكل."

"إذا كانَ هذا صحيحًا، فَلم يجب عليه طلب ذلك منك."

"آه، وماذا تطلبينَ منّي؟ هل يجب عليّ ترك رغبة والدك؟"

لمعَ بريق التحدّي المُفاجئ عبر ملامحه. لم أرهُ بتلك الجدّية منذ آخر مرّةٍ أمسكَ بي بين ذراعيه ليُطلقَ لشفتَيه حرّية التعبير عن أعمق رغباته دون كلام.

توقّفَ نفَسي للحظاتٍ حينما تذكّرتُ - بالتفصيل الحيّ - إحساس قُبلتنا الآثمة، وكم بدَت صائبةً لي.

"ماذا تُريدين منّي أودري روز؟ ما أمنياتك؟"

تراجعتُ خطوةً للوراء وقلبي ينبض بشدّة. أردتُ حقًا أن أخبرهُ بمدى خوفي من تخيّلاتي الأخيرة. أردتُ منه أن يُطمئنني بأنني سأُشفى مع الوقت، وأنّني سأستخدم نصلي مرّةً أخرى دون الخوف من قيام الموتى. تقتُ لأن يعدَني بأنه لن يحبسني في قفص في حال خطوبتنا. لكن كيف يُمكنني نُطق مثل هذه الأشياء وهو في لحظةِ ضُعف؟ كيف أعترف بأنّ الصدع في داخلي مستمرٌّ في النمو ولم أعرف ما إذا كان سيشفى حقًا أم لا؟ وأنّ الأمر قد ينتهي بتدميره مع تدمير نفسي؟

"الآن؟" اقتربتُ أكثر وراقبتُ حنجرته تتقلّص وهو يومئ برأسه.

"أودّ معرفة ما رآه فيلهلم في القطار، إن كان قد رأى شيئًا. أريدُ أن أعرف لماذا قُتِل شخصان - بِوتدٍ في القلب - كما لو كانا ستريغوي. وأريدُ العثور على أدلّة قبل أن نجد قضيّة سفّاحٍ أخرى بين أيدينا."

زفرَ توماس بصوتٍ عالٍ بشكلٍ مقصود. رغبَ جزءٌ مني في إخباره أنّني أحببتُه، وأنني راغبةٌ في كلّ ما أراهُ واضحًا في عينيه. ربما كنتُ أسوأ نوع من الحمقى. أبقيتُ فمي مغلقًا، أن يتألّم مؤقتًا أفضل من أن يتحطّم إلى الأبد بسبب مشاعري المتذبذبة.

قدّمَ لي ذراعه: "لنذهب للصيد إذن."

تردّدت، وخالَ لي للحظةٍ أنّني رأيتُ ظلًا يتّجه نحونا من خلف المبنى. اشتدّت دقّات قلبي وانتظرتُ ظهور صاحب الظلّ للعيان. تبعَ توماس نظري بتجعّدٍ في جبينه، قبل أن يعود لينظر إليّ.

"أعتقدُ أنّه من الأفضل لو افترقنا لإيجاد فيلهلم يا كريسويل."

"كما ترغب السيّدة."

حدّقَ توماس في وجهي لبُرهة، ثمّ طبعَ قُبلةً بريئة على خدّي قبل أن أنتبه لما فعل. تراجعَ ببطء بنظرةٍ لعوب في عينيه، بينما كنتُ أتلفّت بحثًا عن أيّ شهود على ذلك الفعل الفاضح. لقد اختفى الظلّ الذي رأيتُه يتحرّك باتجاهنا.



بعد أن تخلّصتُ من شعور كوني مُراقَبة من كائنٍ لم أستطِع رؤيته، اعترفتُ لنفسي بأنّ خيالي قد سيطرَ عليَّ مرّةً أخرى، قبل أن أدخل إلى متجر الملابس. انسابَت شرائط الأقمشة ذات الألوان الغنيّة من لفائفها كأنّها دمٌ حريريّ القوام ينسكب من صاحبه. مررتُ يدي على الساتن والنسيج الدقيق في طريقي نحو مكتب العمل في نهاية المحلّ.

رحّبَت بي امرأةٌ قصيرةٌ بدينة بالرومانيّة، فَحدّثتُها بخليطٍ من الانكليزية والرومانيّة.

"مرحبًا. هل جاء أحدٌ هنا؟ شابّ، مريضٌ جدًا..."

لم تتغير الابتسامة على وجه المرأة ذات الشعر الرماديّ، وأنا آمل أن تكون قد فهمَت كلماتي الرومانيّة. تحرّكَت نظراتُها عليَّ بسُرعة، كما لو كانت تتأكد من وجود ثعابين تحت أكمامي أو غيرها من الحيل الرديئة التي يجب الحذر منها.

"لا شباب هُنا اليوم."

لفتَ انتباهي رسمٌ لفتاةٍ شابّة على الحائط خلفها، مع مجموعةٍ من المُلاحظات المكتوبة بالرومانيّة حوله. سرَت قشعريرةٌ في بدني. ذكّرَني شعر الفتاة الأشقر بأنستازيا. "ماذا تقول الكتابات؟"

أزاحَت صاحبة المتجر بضعة شرائط من القماش لتكشف التقويم الموضوع على طاولتها، مُشيرةً بمقصّها إلى يوم الجمعة الماضي. "إنّها

مفقودة منذُ ثلاثِ ليالٍ. شوهدت تمشي بالقرب من الغابة، ثمّ فجأةً اختفَت .مُستذئِب."

"ذلك فظيع." سكتت أنفاسي للحظة. لقد آمنَت هذه المرأة بوجود ذئب خارق يجوب المنطقة بحثًا عن ضحايا. مع ذلك، فقد كانت فكرة الضياع في تلك الغابات الرهيبة هي ما أوهنَ أطرافي. تمنّيتُ أن تكون الفتاة في مكانٍ آمن.

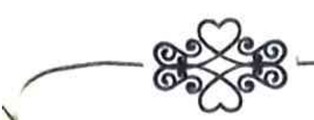
إذا استمرّ تساقط الثلج والجليد طيلة تلك الليلة فَمن المستحيل النجاة هُناك. اخترتُ جوارب جديدة، وبعد أن دفعتُ لصاحبة المتجر، استبدلتُ بها جواربي الرطبة. كانت سميكة ودافئة، وجعلتني أشعر كأنّ قدميّ مُحاطتان بسُحبٍ ناعمة.

"شكرًا. آملُ أن يتمّ إيجاد الفتاة قريبًا".

لفتَت انتباهي ضجّةٌ في الخارج، وشاهدتُ رجالًا ونساء يركضون في الشارع المرصوف بأعينٍ مُتّسعة لا تطرُف. قامت صاحبة المتجر بسحب أنبوب حديديّ من خلف المنضدة، وزمَّت شفتيها بحزم.

"تراجعي يا فتاة. هذا ليس جيّدًا."

ألصقَ الخوف نفسهُ في عروقي، لكنّني دفعتُه بعيدًا. لن أستسلم لمثل هذه المشاعر هنا. أنا في مكانٍ جديد ولن أقع فريسةً للعادات القديمة. مهما كان مدى سوء ذلك الشيء، فَليسَ هُناك ما يُخيف عدا أفكارنا. كنتُ



مقتنعةً تمامًا أنّ لا أحد يُطارد الناس في هذه الشوارع، خاصّةً خلال ساعات النهار.

"سأكون على ما يُرام."

بلا تردّد، فتحتُ الباب وجمعتُ تنّورتي قبل أن أركض نحو الجمع الصغير من الناس قُرب زقاقٍ في نهاية منطقة التسوّق.

غزَت القشعريرة صدوع درعي العاطفيّ، وانزلقَت أصابعها الجليديّة على بشرتي، فاستسلمتُ لها وارتجفتُ في ضوء الصباح المُتلاشي. كانت عاصفةٌ أخرى تقترب، ودارَت قطعٌ من الجليد والثلج تحت سحابةٍ رماديّة غاضبة، في نذيرٍ لأمورٍ أسوأ في الطريق. أمورٌ سيّئة للغاية.

10

الأكثر غرابة



شوارع القرية
براشوف

2 ديسمبر 1888

انخفضتُ بما يكفي لإلقاء نظرة من بين الناس وهم يتحرّكون حول المشهد. أوّلُ ما لمحتُه كان قدمًا لشخصٍ يرقد على الأرض المُغطاة بالثلوج. عرفتُ من شكل الحذاء أنّ مَن حدّقَ به القرويّون كان ذكرًا، وعادَ الذعر إليّ بينما كنتُ أتفحّص الحشد. لقد بحثتُ عن شابٍّ طويل القامة، ذي حواجب مستقيمة ومَيل في جانب فمه. لم أرَ أثرًا لتوماس، رغم وجوده الدائم بقُرب المشاكل. تجمّعَ شيءٌ بارد وثقيل في داخلي.

"لا."

اندفعتُ إلى الأمام كدُميةٍ تُحرّكها خيوط. إذا حدثَ مكروهٌ لتوماس... لم أستطع إنهاء الفكرة، فَقد تعاظمَ الخوف في عقلي.

يخشَون الاقتراب منه. التوَت عضلات بطني. لقد كان صغير السنّ للغاية، ووجبَ عليّ الوثوق في غرائزي سابقًا عندما اتّضحَت لي مُعاناته.

اقتربتُ أكثر، ولاحظتُ مجموعةً من آثار الأقدام على مسافةٍ قليلة منه تتّجه إلى نهاية الزقاق. ضاقَت عيناي مُتسائلةً إن كان هذا هو الطريق الذي سلكهُ القاتل. تضاءلَ أمامي احتمال موت فيلهلم لأسبابٍ طبيعية، لأنّ الشباب لا يسقطون صرعى خلال المشي في القُرى. كان بالتأكيد مُصابًا بطفحٍ أحمر، لكنّني لم أعتقد أنّ مرضهُ قد يدفع به لموتٍ مفاجئ كهذا.

قمتُ بتقليب صفحات النظريّات والتكهّنات الطبّية في ذهني، وافترضتُ أنّ وجود أمّ دم[1] غير مُستبعَد تمامًا. قد يُفسّر ذلك انعدام الإصابات الخارجية والرغوة الطفيفة في الفم، لكنّه لا يكشف سرّ تغيُّر اللون.

يجب تبليغ مدير الأكاديميّة بأن أحد طلابه قد مات. لم يكن هُنالك مكانٌ أفضل لفحوصات الطبّ الجنائيّ من أكاديميّتنا القريبة، وهذا بصيص أمل إيجابيّ في وسط المأساة.

---

1 -أم دمّ: تمدّد مرَضيّ في الشرايين قد يؤدي إلى انفجارها وبالتالي الموت المفاجئ. (المُترجِم)



انحنيتُ باذلةً قصارى جهدي لكيلا ألمس فيلهلم وألوّث المشهد. استرجعتُ دروس عمّي. إذا كانت هُناك نوايا شريرة فمنَ المحتمل أنّ القاتل حاضرٌ ويُراقب. تفحّصتُ حشد الواقفين، لكن لم يتميّز أحدهم عن الباقين.

حدّقَ الرجال والنساء، من جميع الأعمار والأحجام، وتهامسوا بالاتّهامات بلغةٍ أجنبيّة، لكنّي استطعتُ رؤية انعدام الثقة في سيماهم. لقد ضاقَت عيونهم، وقاموا بتكرار رسم علامة الصليب ولمس الرموز المُقدّسة التي حملوها، كأنّهم يُطمئنون أنفسهم بوجود الربّ قريبًا منهم. تركتُ ذلك خارج المُعادلة، وحاولتُ تذكُّر أيّ مرضٍ مفاجئ آخر ربما يكون قد سلب حياة زميلي.

بدأتُ أشكّ في موته بسبب احتشاء القلب، ما لم يملك قلبًا ضعيفًا منذ الطفولة. احتمالٌ وارد. لقد عانت أمّي من تلك الحالة، وكنّا محظوظين لأنّنا لم نفقدها بعمرٍ أصغر. قال ناثنيل أنّ إرادتها الحديدية هي ما أبقاها على قيد الحياة لفترةٍ طويلة.

حدّقتُ في آثار الأقدام ثانيةً ومعدتي تغوص. ربّما كانت عرَضيّة، وإنّ فيلهلم قد استسلمَ ببساطة لما عانى منه. كانت جريمة القتل السابقة التي حدثَت في القرية وحشيّة: رجلٌ مخوزَقٌ في القلب، لم يُقتَل بطريقةٍ مجهولة تُشابه الأسباب الطبيعية للوفاة.

"هل سمعُكِ ضعيف آنسة وادزورث؟"

قفزتُ واقفةً على مسافةٍ عن الجثّة عند سماعي لصوت مولدفانو العميق. احتقنَت وجنتاي حينَ أدركتُ أنّه خاطبَني لبعض الوقت قبل أن يضخّ ذلك السمّ الإضافيّ في نبرته. لقد وصلَ المُدير إلى مكان الحادث بسُرعة. كان حضوره بالكامل مُهيبًا، وخيّمَ عليَّ وعلى الجسد تحت أقدامي. دفعَتني غريزتي إلى التراجع، ونظرتُ حولي باحثةً عن توماس.

"كلا، حضرة المدير. كنتُ أفكّر."

"من الواضح عدم براعتكِ في ذلك يا آنسة وادزورث." شطرَتني نظرة المُدير مولدفانو إلى نصفين. "ابتعدي ودعيني أقوم بالعمل الفعليّ." لم يسبق أن اجتاحتني مثل تلك الرغبة العارمة في الهجوم اللفظيّ على أحدٍ من قبل. لقد وصلَني ما لَمّحَ إليه بشكلٍ صارخ: أنّ الرجال يُمكنهم تدبّر ذلك الأمر بشكلٍ أفضل. قامَت امرأةٌ قريبة من الجثّة بمسح الدموع من وجه طفلها، وهي تصرُخ بعبارةٍ دفعَت الواقفين نحو موجةٍ أخرى من الجدال. أصدرَ مولدفانو أوامره بالرومانيّة بأن يتراجع الجميع، مانعًا هيجانهم من التفاقُم.

"ابتعدي عن طريقي قبل أن أموت متجمّدًا." صرّ على أسنانه وتحدّثَ الإنكليزية ببطء، كما لو كنتُ بطيئة الفهم. "هذه ليست زيارةً إلى الخيّاطة، رغمَ أنّكِ قد تنتمين حقًا إلى ذلك المكان."



اشتعلَت حرارة خديّ من جديد .خطوتُ خطوةً صغيرة إلى الجانب لكنّني رفضت التراجع إلى الحلقة الخارجية للواقفين. لم يهمّني إذا طردَني من الكورس بسبب عصياني، لن أسمح بأن يُعاملني بِدونيّة فقط لأنّني خُلِقتُ بقُدرةٍ على الحَمل. صحتُ في نفسي داخليًا لتركي الموضوع يمرّ بسلام، لكنّني لم أستطع إطاعة ذلك الأمر البسيط، واللعنةُ على العواقب.

شددتُ قامتي. "أنا أنتمي إلى حيثُ يكون المشرط في يديّ يا سيّدي. ليسَ لكَ الحقّ في –"

من زاوية عيني، رأيتُ أنّ إصبع الضحيّة يرتعش. تجمّدَ دمي في عروقي، وكذلك الكلمات القاسية التي أردتُ قولها للمدير. مرّت في ذهني أفكارٌ عن آلاتٍ كهربائية مُميتة، وقلوبٍ تعمل بالبخار، وأعضاء بشريّة مسروقة. كلّ شيءٍ حولي توقّفَ في سكونٍ يصمُّ الآذان – أصوات الناس المنخفضة، تهكّم مولدفانو، النشيج والصلوات الهامسة، صوت ضربات الصقيع على الحجارة، كلّ ذلك اختفى - بينما كانت ذاكرتي تُعذّبني بمنظر جثّة أمّي الهامدة وهي تُكافح من أجل العودة من الموت.

ما زال بإمكاني رؤية اختلاجات ذراعيها وجذعها على تلك الطاولة، ولا تزال رائحة اللحم والشعر المحروق الكريهة تفوح في أرجاء المختبر، حادّةً ومُقزّزة. تلك اللحظة من الشعور المُريع بالرّهبة

والأمل وأنا أجسّ نبضًا تلاشى منذ زمنٍ طويل. اندفعَ مصراع أحد الشبابيك في هبّةٍ من الريح، ليضرب نفسه في الحائط المجاور لنافذةٍ مُظلمة تواجه الزقاق. رفرفَت الستائر إلى الداخل، وكنتُ على يقين من أنّني رأيتُ شبحًا بعباءة يختفي داخل ثناياها المُعتمة. تعثّرتُ إلى الوراء، مُتجاهلةً همسات القرويين المُسيئة التي اخترقت درعي العاطفي المُنهار، ورحتُ أجري.

كان الأمر نفسه تقريبًا في كلّ مرةٍ أفحصُ فيها جثّة. لقد احتجتُ إلى التنفّس، وإلى التخلّص من تلك المَشاهد، وإلّا سأصبح تلك الفاشلة التي يظنّني إيّاها المُدير مولدفانو. ركضتُ حول الزاوية وتوقّفتُ لاهثةً وأنا أحدّق في جدارٍ من الطوب. لم أكن متديّنةً، لكنّني دعوتُ الربّ ألّا يصيبني الغثيان هُناك، على مقربةٍ من مدير الأكاديميّة الفظيع.

شقّت دمعةٌ مسارها من تحت جفني. إذا لم أستطع إيجاد طريقةٍ لإطفاء خيالاتي، فَلن أتمكّن من اجتياز الكورس ونيل القبول في الأكاديميّة. لمحتُ ظلالًا كثيفة كالقطران خلفي، وعرفتُ لَمن كانت قبل أن يتكلّم. رفعتُ يدي لأوقفه. "إذا قلتَ شيئًا واحدًا عمّا حدث هُناك فَلن أتحدّث معكَ ثانيةً يا كريسويل. لا تستفزّني."

"معرفةُ أنّني لستُ الرجل الوحيد الذي تقولينَ له هذه الكلمات المُحبّبة أمرٌ مُريح يا آنسة وادزورث، وإن لم يكُن صادِمًا لي."



التفتُّ مُندهِشةً لأجد نفسي أمام الأمير نيكولاي. ارتعشَت عضلةٌ في فكّه كمَن يكبتُ في نفسه كلامًا أكثر فظاظة. كان تعبير وجهه بالغ الحدّة، خنجرًا يقطع كلّ جزءٍ يراه من وجهي.

"لقد سمعتُ شائعاتٍ عن علاقتكِ بجرائم السفّاح. لم أتأثر بذلك بَعد، لكنّني سأراقبُك." دارَ حولي ببطء. "رأيتُكِ تُلاحقين قريبي؛ لا يُمكنكِ إنكار ذلك. ثمّ رأيتكِ تُحدّقين في جثّته كما لو كانت وجبةً فاخرة. ربّما أعطيتِه شيئًا قاتلًا. لقد أخبرَني أنّكِ كُنتِ معه على متن القطار المُسافر إلى بوخارست. تلك صُدفة، أليس كذلك؟"

ذُهِلت. من غير المعقول ظَنّهُ أنّني سأتخلّى عن دراسة الموت لارتكابه. "أنا -"

"أنتِ ملعونة!" قالها مُزمجرًا، وقاطعَت دمعةٌ أفكاري بينما أشاحَ الأمير بعينيه غاضبًا قبل أن يبتعد.

أغلقتُ فمي. مهما قالَ الآن من اتهاماتٍ غاضبة فهو حديثٌ على لسانٍ مفجوعٍ بفَقد، يتخبّط باحثًا عن معنى وسط جزءٍ من الحياة خارج سيطرتنا. كنتُ أعرف ذلك الشعور جيّدًا. حاولتُ الوصول إليه، ثمّ أسقطتُ يدي ذات القفّاز. كان ذلك ألمًا لا أرغب في مشاركته مع أيّ شخص، ولا حتّى مع عدوٍّ واضح الموقف.

"أنا... أنا آسفة لفَقدِك. أعلمُ أنّ الكلمات لا تنفع، لكنّني حقًا آسفة."

رفع الأمير نيكولاي عينيه إلى وجهي وشدّ قبضتَيه. "لستِ آسفةً كما ستكونين قريبًا."

خرجَ من الزقاق تاركني أرتجف لوحدي. لو لم أكن ملعونةً أصلًا لشعرتُ بنزول شؤمٍ أكيدٍ عليّ عقبَ تلك الجملة. أخذَت الثلوج تتساقط بشكلٍ أكثف، كأنّ العالم بدأ الحِداد على موتي الحتميّ.

ظهرَ توماس حول الزاوية في نفس اللحظة التي خرجَ فيها الأمير من الزقاق، ليصطدم كتفه بكتف صديقي. تجاهل توماس الموقف وتقدّمَ نحوي، وانقلبَت زوايا فمه بعد رؤيتِه تعابير وجهي.

"هل أنتِ بخير يا وادزورث؟ كنتُ في جدالٍ مُثير للاهتمام مع... الخبّاز، ثمّ أتيتُ بالسرعة المُمكنة."

انطلقَت أنفاسي في دفعاتٍ ضبابيّة أمامي. لم أرغب في معرفة سبب جداله مع خبّاز، أو حتّى مدى صدق ذلك، بناءً على تردّده الطفيف. رغمَ صعوبة الاحتفاظ بمشاعر القلق بوجود تلك الصورة الهزليّة في ذهني. "يعتقدُ الأمير نيكولاي أنني مسؤولةٌ عن موت فيلهلم. يبدو أنه رآنا نتبعه، ولم أبدُ مرعوبةً بما فيه الكفاية عند رؤيتي لجثّة قريبه."صمتَ توماس على غير عادته للحظة وهو يتفحّص وجهي بعناية، وقاومتُ



رغبة التململ تحت نظراته. "وماذا شعرتِ عند رؤيتكِ للجثّة؟" تسرّبَ الثلج إلى داخل معطفي ليبعث فيّ ارتعاشًا لا إراديًا. بدأ توماس بخلع معطفه الصوفيّ لتقديمهِ لي لكنّني هززتُ رأسي، دون اكتراثٍ لنبرةِ سؤاله. لم توجد طريقة أواجهُ فيها هذه الأكاديميّة وبؤسها إذا علمتُ أنّ توماس يشكُّ بي أيضًا.

"شعرتُ بشعور أيّ طالب طبٍّ جنائيّ. ما الذي تسأل عنه حقًا يا كريسويل؟ هل تظنّني عاجزة، مثلما يعتقد مديرنا؟"

"كلا مُطلقًا." أشارَ إلى نهاية الزقاق، حيث كان جمع الواقفين يزداد في تلك اللحظة. "مع ذلك، فإنّ الحُزن أو التأثّر بشيءٍ ما لا يجعلُكِ ضعيفةً يا وادزورث. في بعض الأحيان، تكمن القوّة في معرفة وقت الالتفات إلى النفس قليلاً".

"هل هذا ما يجب أن أفعله؟" سألتُه بهدوءٍ شديد.

"في الحقيقة؟ نعم." شدّ توماس قامته. "أعتقدُ أنّ شفاءكِ يتطلّب الاعتراف بحقيقة أنّه لم تمرّ سوى بضعة أسابيع على مأساتِك. أنتِ بحاجة إلى وقتٍ للحُزن. أظنّ أنه يجب علينا العودة إلى لندن، ويُمكننا التقديم إلى الأكاديميّة ثانيةً في الربيع."

وقفتُ هناك وعقلي يختضّ. لم أصدّق أنّ توماس كان حقًا يُحدّثني عن مصلحتي وفقَ ما يراه هو. استطردَ قبل أن أتمكّن من صياغة ردّ.

"لا سببَ لِوجودنا هنا الآن يا وادزورث. عمّكِ معلّمٌ ماهر، وسوف نواصل التعلّم تحت إشرافه حتّى تتحسّنين." أخذَ نفسًا عميقا كأنّه يستجمع شجاعته. "سأكتبُ إلى والدكِ على الفور لأُبلغه بتغيير خُططنا. هذا هو الأفضل."

انبثقَت قضبانٌ خياليّة من حولي لتحبسني داخلها. كان ذلك بالتحديد سبب خوفي من الخطوبة. شعرتُ باستقلاليّتي تنزلق من يديّ في كلّ مرةٍ قدّمَ فيها توماس المشورة بشأن ما يجب أن أفعله. هذا ما حدَث: تضاؤل الحقوق والرغبات الأساسيّة تدريجيًا بسبب أفكار شخصٍ آخر عن كيفيّة التصرّف.

لن أعرف أبدًا ما الأفضل لنفسي مع شخصٍ يُقدّم النّصح غير المرغوب فيه في كلّ خطوة. ارتكاب الأخطاء تجاربُ تعليميّة وليسَت نهاية العالم. ما المشكلة إن كنتُ أرتكب إحداها الآن، لدفع نفسي إلى الأمام بدلاً من مواجهة أشباح الماضي؟ كان الخيارُ خياري لوحدي. ظننتُ أنّ توماس يعرفني جيّدًا، وفي وقتٍ سابق كانَ كذلك بالفعل، لكنّه بطريقةٍ ما لم يعُد يُفكّر بعقله. في محطةٍ ما على الطريق نما للسيّد توماس كريسويل قلبٌ بشريٌّ رقيق، بعد أن كان "آلةً عديمة الشعور" كما أطلقوا عليه .لم أستطع تحمُّل اتّخاذه دور الرجل السائد في المجتمع، ليُعاملني ككائنٍ يجب حمايتُه وتدليله. كنتُ أحترمُه ومُعجبةً به وتوقّعتُ



منه الشيء ذاته في المقابل. علمتُ أنّني بحاجةٍ إلى استخدام القسوة لإرجاعه إلى نفسه، رغمَ أنّ ذلك لا يروق لي. القلوبُ شرسةٌ بشكلٍ جميل لكنّها هشّة، ولم أرغب في كسر قلب توماس.

قلتُ بصوتٍ ثابت واضح: "إذا كان هُناكَ شيءٌ واحد ستسمعه، سيّد كريسويل، فليكُن هذا. رجاءً لا تقَع في خطأ إخباري بما هو أفضل بالنسبة لي كأنّكَ صاحب السلطة الوحيد في الموضوع. إذا كنتَ ترغب في العودة إلى لندن، فأنتَ حرٌّ في القيام بذلك، لكنّني لن أرافقَك. آملُ أن يكون كلامي واضحًا."

لم أنتظر رده بل استدرتُ متوجّهةً إلى القلعة، تاركةً خلفي كلًّا من توماس وزميلنا المتوفّى، ونبضي يزدادُ قوّة.

11

شيءٌ شرير



غرفة أنستازيا
قلعة بران

2 ديسمبر 1888

"قالت إيليانا أنّ الأمير نيكولاي لم يفعل شيئًا سوى تحطيم أثاث غرفته منذ أن أعادوا جثّة فيلهلم. سيقوم صفّكِ بتشريح الجثة غدًا، بعد أن يفحصه العمّ."

صرفت أنستازيا خادمتها على عجل ووقفَت أمام مرآتها، لتنزع الدبابيس من ضفائرها الذهبية وتُعيد ترتيبها في تصميمٍ معقّد أعلى رأسها. كانت غرفها أكبر بقليل من غُرفي، وتقعُ في الطابق الذي يعلو صفوفنا الدراسيّة. لقد حرصَ مولدفانو على تلبية جميع احتياجات قريبتِه، وأشارَ ذلك إلى أنه يمتلك قلبًا في النهاية. ثرثرَت صديقتي الجديدة عن القيل والقال في القلعة فيما يتعلّق بالأمير، لكنّ عقلي انجرفَ



بعيدًا ليُفكّر في المبنى نفسه. كانت الأكاديميّة شبه فارغة في عطلة عيد الميلاد - باستثناء مجموعتنا الطلّابية وموظّفي القلعة الأساسيّين - لكنّ الممرّات المؤدية إلى هذه الغرف امتلأت بزوايا وتجاويف تحتوي على منحوتاتٍ علميّة ودينيّة، كما عُلّقَت لوحاتٌ قماشيّة تُصور عمليّات الخوزقة وغيرها من المشاهد المُريعة بين الزوايا. أخبرَتني أنستازيا أنها أحداثٌ من عهد فلاد، انتصاراتٌ خُلّدَت داخل هذه القاعات.

قبعَ صدرٌ بشريّ مغطّى بالزجاج على إحدى القواعد، والرئتان على أخرى، بينما ظهرَ ثعبانٌ ملفوف حول صليب على قاعدةٍ ثالثة لم أجرؤ على فحصها عن كثب. ذكّرَني الممرّ بمختبر العمّ ومجموعة عيّناته، وبعثَت أقسامه قشعريرةً في جسدي، بيد أنّني فضّلتُ الضياع في خيالات القلعة المظلمة على خوض المحادثة الحاليّة حول نيكولاي.

قالت دون انزعاج من عدم تحدّثي: "السلوك العنيف مؤشرٌ على الاضطراب العاطفي، وفقًا لمجلة قرأتُها الصيف الماضي. قد يؤثر ذلك على مكان الأمير نيكولاي هنا. أشكُّ في أنه سيستعيد رباطة جأشه قبل انتهاء كورس التقييم الخاصّ بكم. ذلك سيّءٌ له، لكنّهُ ليسَ كذلك لبقيّتكم."

النميمة عن الأمير خلال حداده على فقدان قريبه جعلَ معدتي تلتوي بالذنب. لقد رغبتُ في الحصول على مقعدٍ دائم في الأكاديمية دون

الاعتماد على ضُعف المنافسة أو غيابها بسبب وفاةٍ مُفاجئة. افترضتُ أيضًا أنني شعرتُ بالسوء بسبب الطريقة التي كلّمتُ بها توماس قبل أن أتركه في الزقاق. مرّت جثة فيلهلم الهامدة في ذهني، لم أكفّ عن القلق بشأن ردة فعلي تجاهه. في كلّ مرةٍ أقتربُ فيها من جثّة، كنتُ أرى ذكرياتٍ وددتُ نسيانها.

إذا لم أتعامل مع هذه المخاوف بسرعة فلنْ أنجح في الأكاديمية، وتلك حقيقةٌ ستُرضي المدير مولدفانو. تحرّكتُ على الأريكة الكبيرة وأنا أمرّر يديّ ذات القفّاز على أذرعها الخشبيّة.

"لماذا يسمح عمّك للشابّات بدخول الأكاديميّة إذا كان يحتقر وجودهنّ؟"

"في الواقع هو ليس من أقاربي." مدّت أنستازيا يدها نحو مجلّتها. "رغمَ أنه كان سيصبح كذلك لو لم تُقتَل عمّتي."

"آسفة لسماع ذلك،" قلتُ بلا رغبةٍ في التطفّل والاستفسار عن التفاصيل التي قد تكون مؤلمة. "إنّ فقدان أحد أفراد الأسرة من أفظع الأمور التي يُمكن لأيّ شخص تحمُّلها."

"شكرًا لك." ظهرَت عليها ابتسامةٌ حزينة. "عمّتي لم ترغب في أن تكون محطّ عناية، مُحتجَزةً وتفعل ما يُمليه عليها زوجها. لقد احترمها مولدفانو، ولم يدفعها أبدًا للبقاء بجانبه."



أرجعَت أنستازيا خصلةً ذهبيّة من شعرها خلف أذنها، وامتننتُ لانقطاع المحادثة، لأنني صُدِمتُ لِلحظة. كان وضع مولدفانو مع خطيبته السابقة مُشابهًا جدًا لما ساءَني من توماس. لم أسامح المُدير على سلوكه البغيض، لكنّني صرتُ أكثر فهمًا له.

قالت أنستازيا: "لقد تغيّرَ بعد اكتشاف جثّتها. أعلمُ أنّ من الصعب تصديق ذلك، لكنّه باردٌ جدًا لأنهُ يعتقد أنّ ذلك قد يُنقذ حياة أحدهم يومًا ما. لهذا السبب أيضًا لا يسمحُ لي بأن أصبح طالبةً هنا، على الرغم من سماحه لي بالتسلّل إلى بعض الفصول الدراسية أحيانًا."

فتحَت أنستازيا مجلّتها، ولم أضغط للحصول على مزيد من المعلومات بشأن مقتل عمّتها. نظرتُ حولي باحثةً عن مصدر إلهاء، ولاحظتُ وجود كتاب باللغة اللاتينيّة مفتوحًا على الطاولة أمامي. كنّا بحاجة إلى إتقان اللاتينيّة من أجل اجتياز الكورس، شيءٌ آخر كنتُ بحاجة للعمل على تطويره، رغم امتلاكي معرفة مُسبَقة لا بأس بها بفضل دروس عمّي. مرّت لحظاتُ صمتٍ ببطء، ولم أستطع الكفّ عن رؤية منظر الألم على وجه توماس.

جذبتُ دانتيل قفازاتي. "أتساءل ما سبب وفاة فيلهلم. كان لونُه في غاية الغرابة." قبضتُ على مخاوفي بقبضةٍ قوية. "لا أذكرُ أنّني رأيتُ جثّةً في مثل تلك الحالة من قبل."

"هذا مُريع." قامت أنستازيا بكشط أنفها. "لقد نسيتُ أنّكِ رأيتِ الجثّة قبل أن يُرغمكِ عمّي على العودة. لم أقرأ أبدًا عن أعراضٍ كهذه." بدأت تتحدّث بالرومانيّة بسرعةٍ لم أفهمها، قبل أن تزمّ شفتَيها. "أعتذر، نسيتُ أنّكِ لا تتحدّثين بطلاقةٍ بعد. هل تودّين زيارة المكتبة؟ ربما تجدين هناك شيئًا يُفسّر الحالات الطبيّة الغريبة."

"ربّما غدًا. أنا مُتعَبة." وقفتُ وأومأتُ برأسي نحو الباب. "أعتقدُ أنني سأغوص في حوض الاستحمام. يُمكننا الذهاب في الصباح."

"جميل! الغطس في الحوض فكرةٌ رائعة! قد أفعل نفس الشيء، أحبُّ الحمّام الدافئ."

"أراكِ على الإفطار؟"

"بالطبع." انقلبَ طرفا شفتيها لفترةٍ وجيزة قبل أن تبتسم بالكامل، ثمّ ارتمَت على الأريكة ككيسٍ من البطاطس وهي تلتقط الكتاب اللاتينيّ. "حاولي نيل قسط من الراحة، لقد كان يومًا مأساويًا. نأملُ أن يكون الغد أكثر إشراقًا."

عندما سرتُ عائدةً من غُرف أنستازيا كانت أغلب مشاعل الممرّ مُطفأة، واختلطَ هواء منتصف الليل بتيّاراتٍ ثلجيّة، ممّا جعلَني أرتعش خلال سيري في الممرّ الخالي والمُظلم. كمنَت أشكالٌ سوداء حول



المنحوتات، أكبر من الأشياء التي وقفَت خلفها. كنتُ أعلم أنّها مجرّد ظلال، لكن في الضوء الخافت بدَت كمخلوقاتٍ مُبهمة تُلاحقني، وتُراقبني.

تمسّكتُ بتنّورتي وتحرّكتُ بأسرع ما أمكنَني. شعرتُ حقًا كما لو كنتُ مُراقَبة، ولم يُهمّني التمييز مِن قبل مَن أو ماذا. شعرتُ بعينَين تتبعان تحرّكاتي، وعلمتُ أنّ هذا غير مُمكن، مع ذلك كنتُ أتعثّر مثل صغير الظبيّ بعد إدراكه أنّ حيوانًا مفترسًا غير مرئيّ يسعى خلفه. همستُ: "هذا ليسَ حقيقيًا. إنّهُ غير -"

سمعتُ صريرًا خفيفًا من ألواح الأرضيّة الخشبيّة خلفي رفعَ تدفّق الأدرينالين في عروقي. ألقيتُ نظرةً خاطفةً ونبضي يشتدّ، كان الممرّ خاليًا من كلّ شيء. لم يتحرّك ظلٌّ واحد، وبدَت القلعة كأنّها تحبس أنفاسها معي، مُستجيبةً لمزاجي. وقفتُ هناك جامدةً للحظاتٍ أخرى ولم يحصل شيء.

زفرت. كانَ مجرّد ممرّ، بلا مصّاصي دماء أو مُستذئبين. لم تُلاحقني قوّةٌ خبيثة إلى غرفتي، ما لم يؤخذ في الحسبان خيالي البائس. مشيتُ أسرع، وحثَّ حفيف تنّورتي قلبي على الهرولة برغم مُحاولة ذهني تهدئة مخاوفي. مررتُ بطابق الشباب مُواصلةً صعود السلّم إلى غُرف برجي، ولم أتوقف ثانيةً حتى أغلقتُ بابي من الداخل. ضغطتُ بظهري على

الخشب وأغمضتُ عينيّ، لكنّ صوتًا حادًا جعلهما تفتحان مرّةً أخرى. ركّزتُ على المدفأة، حيث الأغصان المتوهّجة باللون الأبيض والأحمر البرتقاليّ. لم يكن ذلك أكثر من طقطقة حطب في الموقد، صوتٌ عاديّ يجب أن يكون ممتعًا في أمسيةٍ باردة. تنهّدتُ وأنا أتجه نحو غرفة نومي. ربما إذا أويتُ إلى الفراش وتركتُ هذا اليوم فإنّ الأمور ستكون أفضل في الصباح، مثلما قالت أنستازيا.

عندما دخلتُ الغرفة أدركتُ وجود شيء جديد. كان سريري مرتبًا والخزانة وصندوق الأمتعة مغلقَين، لكن على منضدة الفراش وقفَ ظرفٌ مُسنَدًا على مصباحٍ زيتي، واسمي مكتوبٌ عليه بخطٍّ ميّزتُه بسهولة. كنتُ قد شاهدتُه وهو يخربش ملاحظات طبّية أثناء تشريح الجثث مع عمّي طوال الخريف الماضي. تسارعَ قلبي لسببٍ جديد بمجرّد قراءة الرسالة.

"قابليني في غرفتي عند منتصف الليل. المُخلص لك أبدًا، كريسويل."

سرَت حرارةٌ في داخلي وتجمّعَت في صدري. الذهاب إلى غُرف توماس في وقتٍ متأخر من الليل عملٌ طائش وسوفَ يُدمّرني بالتأكيد ويتسبّب أيضًا في طردي، ناهيكَ عن تحطّم سُمعتي. لن يودّ شابٌّ محترم أن أكون زوجته، بغضّ النظر عن مدى براءة زيارتنا. كان التسلل إلى



غرفته أخطر بكثير من أيّ شبحٍ خالد يسكن هذه القلعة، ومع ذلك فقد خشيتُه بدرجةٍ أقلّ. لقد رغبتُ في رؤية توماس، لأعتذر عن الطريقة التي بالغتُ فيها بردّة فعلي سابقًا. لم يستحق الشابّ فورةَ توتّري تلك.

ذرعتُ غرفة نومي، ضامّةً الرسالة إلى صدري. لم أتحمّل تخيّل تعامل أبي مع اسمي الملطّخ بالعار، ورغم ذلك فقد تجذّرَت فكرة في رأسي ولم تتزحزح. إذا كنتُ أخشى الزواج لتلك الدرجة فربّما لن يكون الإمساك بي نهايتي، بل ولادتي من جديد.

نظرتُ إلى نفسي في المرآة، وتلألأت عيناي الخضراوان بالأمل والإثارة. لقد مرّ وقتٌ طويل حقًا منذ آخر مرة رأيتُ فيها شرارة الإثارة تلك.

دون مزيد من التفكير، غادرتُ غرفتي ووجدتُ نفسي أطرقُ باب توماس بينما دقّت ساعة الفناء منتصف الليل. فُتِحَ الباب قبل أن أقوم بإنزال يدي، وأشار إليّ توماس بالدخول بينما صبّ انتباهه على الرواق خلفي، كأنّهُ يتوقّع وجود شخصٌ آخر هناك في ذلك الوقت المتأخر من الليل.

ربّما كان متوتّرًا مثلي. فحصتُ غرفته بخفّة. لقد رمى معطفه الطويل على واحد من ثلاثة كراسي جلديّة كبيرة الحجم، في حين بعثَ إناء الشاي البخار على طاولة موضوعة بين كرسيّين. على منضدةٍ جانبية

كانت هناك عدّة أطباق طعام مُغطّاة مع إبريق من النبيذ. يبدو أنّ توماس استعدّ لإطعام جيشٍ صغير. واجهتُه، مُحاولةً ألّا ألاحظ الزر الذي فكّه على رقبته أو البشرة التي كشفَ عنها.

"توماس... يجب أن أعتذر -"

رفع يده. "كل شيء على ما يرام، ليس لديكِ ما تعتذرين لأجله."

"أوه؟" سألتُه والارتياح يغمرني. "إذا لم تكن تبحث عن اعتذار فما الأمر المهمّ لدرجة استدعائي هنا بهذا الشكل الخطير؟ إذا لَمّحتَ إلى الرومانسيّات أقسمُ أنني سوف... لستُ متأكدة، لكنّه لن يكون سارًا لك."

"أنتِ بحاجة إلى تطوير تهديداتكِ قليلاً يا وادزورث. على الرغم من أنّ الطريقة التي احمرّ بها خدّاكِ وأنتِ تقولين 'رومانسيّات' مُسلّية بما فيه الكفاية." ابتسمَ ابتسامةً عريضة مقابل عُبوسي. "حسنًا. لقد طلبتُكِ هنا لأنني أردتُ مناقشة وفاة فيلهلم. ليس رومانسيًا جدًا، كما آمل."

تراجعت. "كنتُ أحاول التفكير في الأمراض ذات الأعراض المُشابهة لما ظهرَ عليه، لكنني لم أحرز أيّ تقدّم."

أومأ توماس برأسه. "لم أفحصه لوقتٍ طويل، لكنه بدا في غاية الشحوب. أراهن على أنّ ذلك ليس فقط بسبب مرضه، على الرغم من أنه ربما يكون ببساطة نتيجة برودة الطقس. لكنّ شفتَيه لم تتحوّلا بعد إلى



اللون الأزرق، أمرٌ غريبٌ حقًا." مددتُ رأسي. "هل تقترح أنّ للشرّ يدٌ في الأمر إذن؟"

ضحك بصوتٍ دفعَني إلى الوقوف باستقامة. "أنا... أنا في الواقع لا أعرف. لم أشعر بنفسي فعلاً منذ وصولنا." كان توماس يخطو على طول محيط الغرفة ويداه تنقران على جانبيه. تساءلتُ عمّا إذا كان هذا هو السبب الحقيقي خلف استعداده لمغادرة الأكاديمية بهذه السرعة. "أنا عاجزٌ عن الربط بين الأعراض والحقائق بسرعة. أنا... إنه شيءٌ مُحزِن. كيف يتحمّل الناس ذلك - العجز عن استنتاج البديهيّات؟"

قلَبتُ عينيّ. "بطريقةٍ ما تمكّنا من التعايش مع ذلك يا كريسويل."

"إنه أمرٌ مروّع."

أعدتُ دفّة الحديث نحو وفاة فيلهلم الغريبة. "هل تظنّ أنّه كان بإمكاننا مساعدته؟ ما زلتُ أفكّر في أنّنا لو لم نفقد أثره لكان بوسعنا تقديم العون."

توقّف توماس عن المشي وواجهَني. "أودري روز، يجب عليك ألّا -"

"مساء الخير توماس." جاء صوتٌ أنثويّ عذب من جهة المدخل. التفتنا لرؤية امرأة شابّة ذات شعر داكن تدخل إلى الغرفة. كان وجهها حادّ الزوايا ناعم الملامح، في تناقضٍ جميل المنظر. كلّ شيء فيها دلّ على

الغنى والرفاهية، من شعرها المصفّف بمنتهى العناية إلى الياقوتة الكبيرة في قلادتها. حتى الطريقة التي شدّت بها جذعها وأرجعَت كتفَيها إلى الوراء وقوّسَت رقبتها، كانت تضجُّ بثقة ملكةٍ ترفع أنفها الدقيق وتبتسم لرعاياها.

شاهدتُ وجه توماس يُضيء بطريقةٍ لم أشهدها من قبل. عدتُ إلى الوراء، وشعرتُ بصراع. كان من الواضح أنّهما مولعان ببعضهما البعض، وأثارَ ذلك شيئًا مُزعجًا بداخلي، شيءٌ لم أجرؤ على التفكير فيه كثيرًا.

وقفَ توماس هُناك كأنّهُ يُصوّر تفاصيل هذه اللحظة، ليُعيد النظر إليها مرارًا وتكرارًا خلال أشهر الشتاء الباردة، القليل من الدفء يتشبّث به عندما يُجمّد الثلج قلبه الأسود الصغير، قبل أن يهتف دون سابق إنذار: "داسيانا!"

اندفعَ توماس نحو الفتاة ليرفعها في حضنٍ مُتأرجح دون الالتفات إليّ، ويتركني خلفهُ طيّ النسيان.



12

لقاءات منتصف الليل



غرف توماس
قلعة بران

3 ديسمبر 1888

اضمحلّ قلبي داخل غيرَتي وأنا أُشاهد توماس والجميلة ذات الشعر الغامق يستغرقان في ثرثرةٍ هامسة. كان مسموحًا له مُرافقة مَن يُريد، إذ لم يتمّ تقديم وعود بيننا أو الاتفاق عليها. مع ذلك... أخذَت معدتي تلتوي عندما رأيتُه مع شخصٍ آخر. قد يكون حرًّا في فعل ما يُحبّ، لكنّ هذا لا يعني أنّني أرغبُ في مُشاهدة ذلك، خاصّةً عند منتصف الليل وفي غُرفته.

وقفتُ قُرب أريكة زرقاء غامقة مُحاولةً إجبار نفسي على الابتسام، لكنّني أدركتُ أنّ ابتسامتي بدَت هشّةً للغاية. لم يكن ذنب الفتاة أنّ توماس اهتمّ بها بذلك القدر، ورفضتُ أن أكرهَها بسبب ثقتي

المُتزعزعة بنفسي والتي اكتشفتُها حديثًا. بعدَ ما بدا كأنّهُ عامٌ من العذاب البطيء، انتزعَ توماس نفسه من يدي داسيانا، ثمّ خطا خطوتين نحوي وتوقّف، برأسٍ مائل إلى الجانب، بينما كان يفحصني.

تطلّبَ الأمر جهدًا كبيرًا مني لكيلا أعقد ذراعيّ على صدري وأحدّق فيه. كنتُ أراقبه وهو يرتشف كلّ تفاصيلي اللعينة، كلّ عاطفةٍ فُجائيّة فشلتُ في إخفائها من قراءته الطويلة لي.

"تعرفينَ أنّ هذا التعبير هو المُفضّل لديّ." ابتسمَ ابتسامةً عريضة، وتمنّيتُ أن تقع عليه مئةُ مُصيبة في تلك اللحظة. "لذيذٌ جدًا."

اقتربَ مني بخطواتٍ واثقة، وبصرهُ لا يتركني أبدًا. كان يُثبّتني على الأرض كَعيّنة فحصٍ في مختبرنا القديم. قبل أن أتمكّن من منعه قامَ برفع يدي إلى شفتيه وضغطَ عليها بقُبلةٍ طويلةٍ عفيفة. صعدَت حرارةٌ من قدميّ حتى قمّة رأسي، لكنني لم أسحب يدي منه.

"داسيانا،" قال وهو يبتسم من ردّة فعلي: "هذه هي الشابّة الساحرة التي كتبتُ لكِ عنها، محبوبتي أودري روز." أبقى يدي مطويةً في ذراعه وهو يومئ نحو الفتاة. "وهذه أختي يا وادزورث. أعتقدُ أنّكِ رأيتِ صورتها في شقتي بشارع بيكاديللي. لقد أخبرتُكِ أنّها جميلةٌ مثلي، إذا نظرتِ عن كثب سترينَ جينات كريسويل تلك التي لا تُقاوَم."



برقَت ذكرى رؤية الصورة أمامي، وغطّى العار لساني بمذاقه المرّ الكريه. يا لحماقَتي! إنّها أخته. رمقتُه بنظرةٍ بائسة وأنا أجرّ يدي أمام ضحكه. كان يستمتع بالموقف كثيرًا، وأيقنتُ أنّ الشرّير قد نسّقَ الأمر بذلك الشكل لاختبار ردّة فعلي. قُلت وأنا أجاهد للحفاظ على ثبات صوتي: "من الرائع أن ألتقي بِك. أرجو أن تغفري دهشتي فقد أبقى توماس زيارتكِ سرًّا. هل ستدرُسين هنا أيضًا؟"

"أوه، يا إلهي لا." ضحكَت داسيانا. "أنا أسافر عبر القارة مع أصدقاء في جولة كبرى[1]." ضغطَت على ذراع أخيها بحبّ. "لقد تنازلَ توماس وقام بإرسال رسالة ليطلب مني زيارته في حال وجودي في المنطقة، ولحُسن حظّه فقد كنتُ في بوخارست للتوّ."

قلت: "ستفرح ابنة عمّتي ليزا للغاية بمجرّد أن تعرف هذا. كانت تحاول إقناع عمّتي بإرسالها في جولة كبرى لسنوات. أقسم أنها قد تهرب مع السيرك إذا عنى ذلك زيارة بلدانٍ جديدة."

"بصراحَة، إنها من أفضل الطرق لاكتساب الثقافة." نظرَت إليّ داسيانا من أعلى إلى أسفل، بابتسامةٍ خبيثة تشبه ابتسامة شقيقها قبل أن

---

1 – جولة كبرى في قطار الشرق: رحلة سياحية على متن القطار تضم زيارة دول أوربية مختلفة والتوقف عندها. (المُترجِم)

تُشرق ملامحها. "سأكتبُ لعمّتكِ وأتوسّل نيابةً عن ابنتها. أودُّ الحصول على رفيقة سفر أخرى."

قُلت: "ذلك سيكون رائعًا. رغم أنّ العمّة أميليا يُمكن أن تكون... صعبة الإقناع."

"لحُسن الحظ لديّ تجاربٌ مع أشخاصٍ صعبين." نظرَت إلى شقيقها، الذي بذل قصارى جهده للتظاهر كما لو أنه لم يسمع.

صبَّ توماس لنفسه كوبًا من الشاي على الجانب الآخر من الغرفة، وشعرتُ بانتباهه لي بينما كانت داسيانا تُعانقني. ملأ دفئها الأجزاء المكسورة من نفسي بهذا الاتصال القصير. لم يحتضنّي أحدٌ حقًا منذُ زمنٍ طويل.

"إذن..." قالت وهي تلفُّ ذراعها عبر يدي. "كيف كان السفر مع أخي والسيّدة هارفي؟ هل شربَت من دواء السفر خاصّتها طوال الوقت؟"

قلتُ ضاحكةً: "بلى، وتوماس كان... توماس."

"إنه من نوع خاص." ابتسمَت بأُلفة. "بصراحة، يُسعدني أنه لم يُخيفكِ بـ'قوى الاستنتاج' الغامضة خاصّته. إنه حقًا في غاية الحلاوة حالما تجتازين قشرته المريرة."

"آه، حقًا؟ لم ألاحظ هذا الجانب الحلو الخياليّ."



قالت داسيانا بفخر: "بصرف النظر عن تلك الحواجز التي يُشيّدها وقت العمل، هو حقًا من أفضل الأشخاص في العالم. أنا مُنحازة بعض الشيء، لكوني أخته بطبيعة الحال."

ابتسمت. كنتُ أعلم أنه لا يزال يُراقب، وقد ازدادَ نعومةً منذ اللحظة التي عانقَتني فيها أخته، لكنّني الآن تظاهرتُ بعدم ملاحظته.

"ينتابني فضولٌ عمّا قالَ عنّي أيضًا؟" نظرتُ أخيرًا في اتجاهه، لكنه كان مشغولًا بالتحديق في فنجانه، كأنّ بإمكانه قراءة أوراق الشاي والتنبؤ بمستقبله.

"أوه، الكثير من الأمور."

"ماذا لدينا هنا؟" قاطعها توماس، رافعًا الغطاء عن أحد الأطباق.

"لقد طلبتُ أكلتكِ المُفضّلة يا داسي. مَن جائع؟"

قبل أن تتمكّن داسيانا من فضح المزيد من أسراره، سلّمها توماس كأسًا من النبيذ ورافقنا إلى طاولةٍ صغيرة.

أخذَت داسيانا رشفةً طويلة من كأسها، ونظراتها تتفحّصني تقريبًا بنفس طريقة توماس. شاهدتُها وهي تنظر إلى الخاتم الذي يشبه الكمثرى في إصبعي، وهو أحد أغلى مقتنياتي. قاومتُ الرغبة في إخفاء يديّ تحت الطاولة، خشية أن تشعر الفتاة بإهانة غير مقصودة. ثمّ انتقل تركيزها إلى الميدالية ذات شكل القلب على رقبتي، وهو أيقونةٌ أخرى

أرتديها معظم الوقت. لم أحبّذ الكلام عن والدتي الليلة ولا السماح لأفكاري بالتخبّط في تلك الأزقة المظلمة في ثنايا الذاكرة الغادرة.

قالت: "سامحيني، لكن هل هنالك علاقة بين ولعكِ بالطبّ الجنائيّ والفَقد الذي عانيتِ منهُ؟" أشارَت نحو الخاتم. "أفترضُ أنّ الماسة تعود لوالدتك، وتلك القلادة أيضًا؟"

"كيف -" رميتُ توماس بنظرة اتهام بينما أمسكَت يدي دون قصد بالقلب القريب من رقبتي.

"استرخي. إنها سمةٌ عائلية يا وادزورث." قال وهو يسكب الطعام في طبقٍ لي. "مع ذلك أشكُّ في أنّكِ ستُعجَبين كثيرًا بأختي. أنا أكثر منها ذكاءً، ووسامةً أيضًا، كما هو واضح."

رمقَت داسيانا شقيقها بنظرة غاضبة. "أعتذر أودري روز. لقد لاحظتُ ببساطة ذلك الخاتم وطرازه وافترضتُ أنّ والدتكِ قد توفّيَت. لم أقصد الإساءة."

قلتُ وأنا أُنزل يدي: "لاحظَ أخوك نفس الشيء منذ بضعة أشهر. لقدْ فاجأتِني. لم يذكُر أنّ لديكِ نفس... القدرة على قراءة الأشياء."

"سمةُ أشقاءٍ بغيضة حقًا." ابتسمَت داسيانا. "هل أخبركِ بشيءٍ عنها؟" هززتُ رأسي. "انتزاع المعلومات من الموتى أسهل من جعل توماس يتكلّم بانفتاح عن نفسه." "صحيحٌ فعلًا." دفعَت داسيانا



رأسها للخلف وضحكَت. "كانت لعبةً اعتدنا لعبها في الطفولة. في حفلات العشاء، كنّا ندرس البالغين من حولنا، ونخمّن أسرارهم ونكسب نقودًا مقابل الاحتفاظ بها اكتشفناه لأنفسنا. النبلاء يرفضون نشر شؤونهم الخاصّة. كانت والدتنا تُقيم أكثر الحفلات إثارةً." قامت بتدوير النبيذ في كأسها. "هل أخبركِ توماس من قبل -"

"أنّ شرب النبيذ على معدةٍ خاوية فكرةٌ سيّئة؟" قاطعَها بأملٍ واضح في إبعاد المحادثة عن ذِكر والدتهما.

بدا أنّ القدر من مُحبّي توماس عندما قاطعَتنا طرقات على الباب، قبل أن تدخل إيليانا وتحني رأسها. "غرفتُكِ جاهزة، آنستي."

ابتسمَت داسيانا بارتياح. "كان من الرائع مقابلتُكِ أخيرًا، أودري روز." همسَت إلى إيليانا بالرومانية وعادَت لتبتسم لي. "آه، قد تكون هناك مفاجأة تنتظرُكِ في غرفتك، هديّةٌ صغيرة منّي. استمتعي."

قال توماس بعفويّة: "ربّما ينبغي أن أرافق أودري روز إلى غرفتها. من الحكمة التأكّد من أنّ تلك المفاجأة لا تحتوي على أنياب، أو مخالب."

"محاولة جميلة يا أخي اللطيف." ربّتَت داسيانا على خده. "حاول دومًا الحفاظ على مظهر الرجل النبيل." تمنّيتُ لتوماس ليلةً سعيدة ثمّ صعدتُ السُلّم بمفردي إلى برجي. فور دخولي، غمرَتني رائحة العطر على الفور. دخلتُ حجرة الاستحمام وتوقّفت.

كانت بتلاتُ زهور حمراء غامقة لدرجة السواد تطفو فوق ماء مُعطّر، وتصاعدَ البخار منه في نفحاتٍ كبيرة. لقد ملأ أحدهم الحوض للتوّ ورشّ العطور المُسكِرة فيه. كانت هدية داسيانا بتلاتٍ مُعطّرة، وهي ترَفٌ مُبالَغ فيه لطالبةِ طبّ جنائيّ تعيشُ بين الجبال.

خلعتُ القفّازات وداعبتُ سطح الماء بلُطف، مستمتعةً بالتموّجات التي خلّفَتها أصابعي. صرخَ جسدي بالرغبة في الغطس داخل الحوض. كان ذلك اليوم شاقًّا، وجثّة فيلهلم مروّعةً... سيُزيل الحمّام كلّ ذلك، ويُطهّرني ويُريحني.

نظرتُ إلى ساعة الرفّ القريب، كانت قرابة الثانية عشرة والنصف. بإمكاني الاسترخاء في الماء لنصف ساعة ثم التوجّه للفراش قبل يتأخّر نومي كثيرًا. في الحال قمتُ بفكّ أزرار الجزء الأمامي من ثوبي وتركتُه يسقط أرضًا، شاكرةً قدرتي على القيام بذلك دون مساعدة. لقد اخترنا، أنا وخادمتي من المنزل، فساتين بسيطة يُمكنني ارتدائها وخلعها بمفردي؛ إذ لم أظنّ أنّ الأكاديميّة ستُوفّر لي خادمةً شخصيّة.

خطوتُ خارجةً من طبقات ثيابي الساتن إلى الماء الساخن، وغمرَني السائل مثل الحمم البركانيّة وأنا أرفعُ شعري وأثبّتُه لأغوص حتى أكتافي. كان الماء دافئًا للغاية على بشرتي وممتازًا لعضلاتي المتألّمة، وتأوّهتُ من فرط الارتياح.



بعد بضعةِ أنفاسٍ مُسترخِية انجرفَ ذهني في مطلق حرّيته، وللحظةٍ فاضحة تخيّلتُ توماس في حوض الاستحمام الخاصّ به، وتساءلتُ كيف تبدو أكتافه المكشوفة وهي تلتقي بالبخار. هل سيُقدّم لي ابتسامةً مغرورة كما في الأماكن العامة، أم ستظهر على فمهِ الجذّاب لمحةُ الضُّعف النادرة تلك، قبل أن يُطبقه على فمي؟

خفقَ قلبي ورششتُ الماء المُعطّر على وجهي. كان الوغد يُسيطر على حواسّي حتى في غيابه. صلّيتُ لكي يعجز عن استنتاج أحلام يقظتي المُخجلة هذه عند الصباح.

دفعتُ هذه الأفكار من ذهني، لتحلّ مكانها أفكارٌ أكثر ظلامًا. في كلّ مرة أغمضُ فيها عينيّ كنتُ أرى جثث المومسات المقتولات من جرائم السفّاح، بأجسادهنّ الممزّقة بوحشيّة. كلّما أختلي بنفسي كنتُ أعود لزيارة مسارح الجرائم، باحثةً عن أيّ شيء كان بإمكاني القيام به بشكلٍ مُختلف، أو دليلٍ قد أغفلتُه من شأنه إيقاف سلسلة القتل بشكلٍ أسرع. أعلمُ أنّ الندم لن يُعيد الموتى، لكنّني لم أستطع منع نفسي من إعادة تقييم أفعالي مرارًا وتكرارًا.

"ماذا لو" أكثر كلمتين مأساويّةً في الوجود عند ربطهما معًا. ماذا لو رأيتُ العلامات مبكرًا. ربّما قمتُ...

وول-تشين. وول-تشين.

قفزتُ من الحمّام والماء يُقطّر بصخبٍ من جسدي العاري على الحوض. بدا أنّ لكلّ قطرةٍ صدى مسموع في الحجرة الصغيرة، واندفعَ الأدرينالين في بدني نحو القمّة. حبستُ أنفاسي واستمعتُ بحذر، في انتظار قدوم ذلك الصوت الذي أعرفُه مرةً أخرى. تكسّرَت بعض الأغصان داخل المدفأة وفرقعَت فَقفزت، حتّى كدتُ أنزلق على السطح الأملس لحوض الاستحمام. تنفّستُ ببطء، مُستمعةً للدمّ وهو يدقّ أذنيّ.

لا شيء. لم أسمع شيئًا.

لم يكن هنالك قلبٌ يعمل بالبخار، ولا مختبرٌ شيطانيّ، ولا آلاتٌ مغطّاة باللحم. إنه عقلي يستفزّني بالصور التي أتمنّى نسيانها وأنا أتأرجح بين النوم واليقظة. رفعتُ يدي المُرتجفة إلى رأسي، ولاحظتُ كيف سخنَ جلدي تحت لمستي. سرَت قشعريرةٌ في أطرافي. كنتُ آمل أنني لم أُصاب بذلك الشيء الذي دمّرَ فيلهلم.

نظرتُ حولي حتّى وجدتُ رداء نومي الأسود، مُعلّقًا على خطّاف الباب. ارتديتُ الحرير البارد مُقاومةً الارتعاش، وأنا أخرج من غرفة الاستحمام. كنتُ ممتنةً لأنّني لم أبلّل شعري. ضممتُ يديّ إلى جسدي، راغبةً في تثبيت أعصابي. عندئذٍ سمعتُه، صوتٌ لم يأتِ من الأشباح التي تُطارد أفكاري شبه النائمة. لقد جاءَت همسات من الغرفة المجاورة،



كنتُ واثقةً من ذلك. الغرفة التي تمّ فيها تخزين الجثث! انتقلتُ بهدوء إلى غرفة النوم ووضعتُ أذني على جدارها. كان أحدهم يخوضُ قتالًا حاميًا إلى حدٍّ ما، وبدا جسديًا وليسَ لفظيًا، ممّا استطعتُ استنتاجه.

اصطدمَ شيءٌ ما بالحائط، فَتراجعتُ للخلف ونبضي يزأر. هل كانت جثّة؟

كان الفضولُ دائي الذي لم أجد له علاجًا بعد. قرّرتُ أنني لن أفهم شيئًا عبر البقاء في مكاني، فانتقلتُ إلى غرفة الجلوس لأرفع العصا المعدنيّة من المدفأة وأفتح بابي ببطء. بالكاد استطعتُ التفكير مع جوقة القلق التي تعزف في عروقي. لحُسن الحظ لم يصدر صريرٌ عالٍ عندما فتحتُ الباب أكثر؛ وإلّا كان قلبي سينفجر. انتظرتُ للحظة وأنا أصغي السمع، قبل أن أمدّ رأسي في الممرّ، مُمسكةً العصا بإحكام بيديّ الرّطبتَين.

دون مزيدٍ من التردّد تسلّلتُ إلى الممرّ، مُلتزمةً بالظلال، حتى توقّفتُ أمام بابٍ مُغلق جزئيًا. سمعتُ صوت حفيف، تلاهُ تأوهٌ ناعم. تخيّلتُ حدوث بعض الرّعب هناك، وبدا الأمر واقعًا مع اشتداد الأصوات المكتومة القادمة من الغرفة. شهقَ شخصٌ ثمّ خمَدَت الضوضاء، كشمعةٍ تُطفأ في وسط الليل.

صارَت أنفاسي تأتي في شهقاتٍ حادّة. هل تبعَنا القاتل من القطار إلى هنا؟ ربّما كان الحفيف صوت جريمة قتل جارية. أخبرَني المنطق بأن

أعود إلى الفراش وأنّ خيالي جُنّ مرةً أخرى، لكنني لم أستطع المغادرة دون أن أعرف على وجه اليقين.

تحرّكتُ نحو الضوضاء ممسكةً بسلاحي ونبضي يدقّ في عروقي. وصلتُ إلى باب المشرحة المُوارب، وتحرّكتُ لأُلقي نظرةً إلى الداخل. توقّفَت أنفاسي لكنني رفضتُ الاستسلام. استعددتُ لمشهدٍ مروّع وأنا أمدّ رقبتي عبر إطار الباب. مرّت لقطاتٌ في ذهني من مرّةٍ سابقة تسلّلتُ فيها إلى مكانٍ لم يجب أن أدخله. توقّفتُ مؤقتًا لألتقط نفَسًا آخر. لم تكن هذه قضية السفّاح، ولم أكن على وشك اكتشاف مختبره الخبيث.

يبدو أنّني لن أتعلّم الدرس أبدًا وأجري طلبًا للعون قبل الغوص في المياه المُضطربة. جمّدتُ أعصابي وفتحتُ الباب أكثر قليلاً، وأنا أستعدُّ للصراخ بأعلى صوت والضرب بالعصا ثمّ الهرب.

أعددتُ نفسي لأسوأ احتمال وأنا ألقي نظرةً خاطفة في الداخل. لقد تشابكَ شخصان معًا في زاويةٍ مُظلمة، وأيديهما تتحرّكان فوق بعضهما البعض في كلّ مكان كما لو كانا... شهقت.

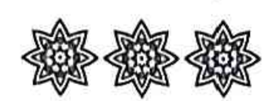
"أنا آسفةٌ جدًا." رمشَت عيناي، غير مستعدّة على الإطلاق لاستيعاب المشهد. "ظننت -"

ضغطَت داسيانا فمها القرمزيّ بيدِها الطليقة، وتورّدَ وجهها وهي تُحرّر التنّورة العالقة في قبضة يدها الأخرى. "أنا... أستطيع الشرح."



13

جرمٌ مشهود



مخزن الجثث، غرف البرج
قلعة بران

3 ديسمبر 1888

"أنا... أنا جدًا... لقد سمعتُ ضجّة وظننتُ... أنا آسفة بشدّة."
تلعثمتُ مُعتذرةً ونظراتي تتنقّل بين شعر داسيانا الأشعث والمرأة التي كانت تُقبّلها، ولا تزال الأيادي متشابكة والتنانير مُجعّدة.

رفعتُ نظري من ملابسهما دون أن أعرف إلى أين أنظر. كنتُ واثقة أنّ الفتاة الغامضة لم ترتدي شيئًا تحت قميصها. رمشَت تلك العيون ذات اللون الحجريّ في وجهي...

"إيليانا؟"

لا بدّ أنّ الصدمة قد شوّشَت عقلي لأنّني لم أميّزها على الفور.

"أنا... لم أقصد... التطفّل." غرستُ أسناني في شفتي السفلية بقوة لدرجة أنّ دمي كاد يسيل بينما كانت إيليانا تتراجع. "لم أرَ... أيّ شيء."

فتحَت داسيانا فمها ثم أغلقته.

"أنا..." بحثتُ عن شيءٍ أقوله لكسر التوتّر الملتفّ حول كل واحدةٍ منا والذي خنق الكلمات، لكنني لم أعرف كيف أبدأ. بدا أن كل محاولة للاعتذار تُزيد من توتّر إيليانا، وخشيتُ أنّها قد تهرب من الغرفة بلا رجعة بعد اعتذارٍ آخر مني.

شدّت داسيانا قامتها فجأة ورفعَت ذقنها، كأنّها قد تخطّت دهشتَها هي في ذلك الموقف. "أنا لن أعتذر، إذا كان هذا ما تُريدين. هل لديكِ اعتراضٌ على علاقتنا؟"

"آه بالطبع لا." رمشتُ مُرتعبةً من كلامها. "لن أعترض أبدًا."

نظرتُ إلى الجثّتَين الموضوعتَين على مناضد قريبة، وقد غطّتهُما أكفانٌ بيضاء. كان مكانًا شاذًا لسرقة القُبلات، لكنّه بعيدٌ عن مدارك سكّان القلعة الفضوليّين، ومن المُمكن أن يكونَ مثاليًا لو لم أحضر. سخنَ وجهي. جمّدَني التردّد في كيفية الخروج من المشرحة. حدّقَت كلتا الفتاتين في وجهي ثم في بعضهما البعض، وتمنّيتُ أن تتحوّل الأرض إلى فمٍ ضخم يبتلعني بالكامل. لعنتُ عدم وجود السّحر عندما يحتاجُ المرء إلى هروبٍ سريع. اشتعلَ جسدي كلّه بالإحراج بعد أن تمّ كشفي أتجسّس.



"أنا... أتمنى أن أراكُما غدًا." قُلت كأكثر شخصٍ مُحرَج على قيد الحياة. "طابَت ليلتكما."

دون انتظار توبيخ، اقتحمتُ الرواق وركضتُ إلى غرفتي، لأغلق الباب وأسند ظهري عليه مغطيةً وجهي بيديّ. إذا لم تقطع داسيانا أو إيليانا صلتهما بي الآن فسيكون ذلك مُعجزةً كونيّة. أنا حمقاء، وقد غرقتُ في الحُمق فَجذبَني إغراء الفضول! لم يكن هنالك دخيلٌ هنا يقتل زملائي. كان جاك السفّاح ميتًا، ولم يهتمّ القاتل من القطار باصطياد طلّاب الأكاديميّة. لقد حانَ الوقت بالنسبة لي لقبول ذلك والمضيّ قدُمًا في حياتي.

عضضتُ شفتي السفلى وأنا أحاولُ وضع نفسي في مكانهما. حينَ تُكتشَف المرأة العزباء وهي بصُحبة رجل لوحدهما فإنّ الفضيحة ستُحطّم سُمعَتها، أمّا عند كشف علاقة عاطفيّة بين شابّتَين فإنّ المجتمع المتوحّش سوف يُدمّرهُما ويسعُد بتمزيقهُما إربًا.

خطوتُ على السجادة الصغيرة في غرفتي، حائرةً بين العودة للاعتذار وحبس نفسي بعيدًا عنهما حتى أهلك من العار. أخيرًا قرّرتُ أن أتجه إلى السرير. لم أرغب في مُقاطعتهما مرّةً أخرى، إذا كانتا قد أكملتا ما بدأتاه. مرّت موجةٌ جديدة من السخونة عبر بشرتي عندما فكّرتُ في قُبلتهما. كانت عاطفيةً جدًا، وبدا أنّهما ضاعتا في نفوس بعضهما البعض.

لم يسعني إلا التفكير في كوني بوضعٍ مُماثل مع توماس. كانت قُبلتنا في الزقاق لطيفةً للغاية، لكنّ الخطر دفعَنا إليها. ما شعوري عندما يكون شعري معقودًا بلطف في قبضته، وظهري مضغوطًا على الحائط، وهو يلتفّ حولي كما يلتفّ الكروم حول الطابوق؟

لا أعرف لحد الآن إن كنتُ سأتزوج يومًا ما، لكن بعض المشاعر باتَت أكثر وضوحًا. تاقَ جزءٌ مني إلى تمرير أصابعي دون قفّازات عبر وجهه، ولمس كلّ مُنحنٍ في عظامه بحميميّة. رغبتُ في الشعور بدفئه بعد إسقاط معطفه على الأرض. أردتُ معرفة كيف كان شعور ملمس جسده بعد أن أغمر صداقتنا في الكحول وأضرم فيها النيران... وذلك أبعد ما يكون عن اللياقة.

طردتُ تلك الصورة من ذهني ورفعتُ الأغطية.

من المؤكّد أن العمّة أميليا ستُجبرني على حضور قدّاس الكنيسة في زيارتها القادمة، وهي تُتمتم بصلواتٍ لا تنتهي من أجل أخلاقي المُتداعية. بقدر كُرهي للهزيمة أمام الفضول، لكنّ ابتسامةً انتشرَت ببطء على وجهي في الظلام. كانت الليلة الأولى منذ أسابيع أنامُ فيها بأفكارٍ لا تدور حول الآلات الكهربائية الفاشلة، والعاهرات الميّتات، والأجساد منزوعة الأحشاء.



نمتُ تلك الليلة على صورة عيون ذهبيّة وفمٍ جامح، وكل الطرق الرائعة التي قد أستكشف فيها تلك الشفاه يومًا ما في غُرفٍ مُظلمةٍ فارغة، بشغفٍ مُتبادَل مُلتهب أكثر إشراقًا من كل نجوم السماء.

لِيسحبني القدّيسون إلى الجحيم.

14

اجتماعٌ إلزاميّ



غرف البرج

قلعة بران

3 ديسمبر 1888

استيقظتُ قبل شروق الشمس، وكنتُ أخطو أمام المدفأة في غرفتي. توافقَت تنّورتي المخمليّة ذات اللون الأزرق الغامق مع مزاجي المُتدهور. لم أكن متأكدة من مجيء إيليانا على الإفطار، وجعلَتني فكرة فقدان إحدى معارفي الجدد أغيّر القفازات للمرة الثانية. مشيتُ في اتجاه ثم في الاتجاه المعاكس، وتأرجحَت تنّورتي بانزعاج.

لقد نمتُ الليلة الماضية وفي بالي ألف طريقةٍ للاعتذار عن تدخّلي عندما أراهُما من جديد، وهذا الصباح لم تبدُ أيٌّ منها صحيحة. غطّيتُ وجهي وتنفستُ بعمق. كانت ليزا ستعرف بالضبط ما ستفعله في مكاني، إذ لديها موهبةٌ في المواقف الاجتماعية، وفي الصداقة الجيّدة أيضًا.



أجبرتُ نفسي على الجلوس، مُحاولةً عدم الانتباه إلى الساعة في كلّ ثانية. سوف يبزغ الفجر قريبًا، ومعه نتيجة الحُكم على فضولي. ربما يُرغمني ذلك أخيرًا على التخلّص من تلك الصفة التعيسة.

جاءَت طرقةٌ واثقة على الباب بعد لحظاتٍ قليلة، وكاد قلبي يصرخ ردًا عليها وأنا أجري عبر الغرفة لأفتح الباب على مصراعيه.

تراجعتُ وأنا أتنهّد. "آه مرحبًا."

"ليس تمامًا ردّ الفعل الذي تمنّيتُه يا وادزورث." نظرَ توماس إلى سترته وبنطاله الداكنين، وكلاهما مُلائم من كل النواحي. كانت صدريّته المخططة أيضًا عصريّةً للغاية. "ربما كان يجب أن أختار البدلة الرمادية بدلًا من هذه؛ أبدو شهيًّا إلى حدٍّ ما فيها."

نظرتُ إلى الممر، على أمل أن تكون داسيانا خلفه، وهي تستعدّ لهجومٍ لفظيّ على فضولي. تنهّدتُ مرةً أخرى، لأنه فارغٌ إلّا من توماس. أخيرًا جذبتُ انتباهي إليه. "إلامَ أدين بشرف حضورك في هذا الصباح الباكر؟"

اقتحمَ غرفتي دون دعوةٍ وأومأ برأسه فيها. "مُريح. أفضل بكثير من الصورة الموجودة في رأسي عن غرف الأبراج والعذارى الجميلات اللواتي يحتجنَ إلى... حسنًا، لستِ بحاجةٍ إلى مُنقِذ، لكن يُمكنني القول أنّ بعض الترفيه ينفعُك."

جلس على الأريكة واضعًا إحدى رجليه الطويلة فوق الأخرى.

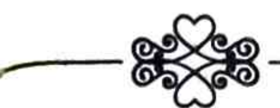
"أخبرَتني أختي بالمغامرة التي مررتُنّ بها جميعكنّ في الليلة الماضية." ابتسمَ ابتسامةً عريضة عندما احمرّ وجهي. "لا تقلقي، سوف تستيقظ في لحظات. لم أرغب في تفويت المرح هذا الصباح، وأرسلتُ في طلب قهوة تُركيّة."

"لم أشعُر قط بسوءٍ أكثر طوال حياتي. هل تكرهني هي؟"

ضحك توماس ضحكةً قصيرة. "على العكس تمامًا، إنها تعشقُك. قالت أنّكِ أظهرتِ كل درجات اللون القرمزيّ، مع تلعثمٍ رائع." اختفَت لهجته الخفيفة واستبدلها شيءٌ عنيف. كان هذا دورًا لم أره فيه سابقًا: الأخ الذي يحمي. "الأغلبيّة سينظرون إليهما كما لو كانتا مُخطئتَين في التصرّف بناءً على حبّهما. هذا خطأ بطبيعةِ الحال. المجتمع بأسره عديم الإحساس بشكل عجيب. إذا تطلّعَ المرء إلى الآخرين من أجل تكوين الآراء فَسوف يفقد القدرة على نقد نفسه. لن يتمّ إحراز تقدّم أبدًا إذا ظهرَ الجميع وفكّرَ وأحبَّ بنفس الطريقة."

"مَن أنت، وأين السيّد كريسويل المُحرَج اجتماعيًا؟" لم أكن أكثر فخرًا بصديقي وهو عازمٌ على لوم المجتمع بذلك الوضوح.

"أتحمّسُ نوعًا ما لمثل هذه الأمور،" قال توماس وقد عاد بعض المرح إلى صوته. "أفترضُ أنّني سئمتُ من قلّةٍ مُختارة تحكُم الجميع.



القواعد هي قيودٌ مفروضة من قبل بعض الرجال ذوي الامتيازات. أنا أستمتعُ باتخاذ قراراتي بنفسي، ويجب أن يتمتّع كل فرد بنفس هذا الحقّ. كما أنّ " - ابتسمَ ابتسامة شيطانيّة في وجهي - "هذا يُثير غضب والدي، عندما أتحدث بهذه الطريقة. هذا يهزُّ معتقداته الراسخة بطريقةٍ مُبهجة. لم يتقبّل بعد أنّ المستقبل سيُديره أولئك الذين يشبهوننا في الأفكار."

جاءَت طرقةٌ أخرى على الباب، وبطريقةٍ ما تمكّنتُ من فتحه دون إغماءٍ عصبيّ. نظرَت داسيانا إليّ بتردّد، ثم أومأت برأسها لشقيقها. "صباح الخير. كيف نامَ الجميع؟ هل حدثَ أيّ شيء مُثير؟"

أعطَتني ابتسامةً مرحة، وارتخت خيوط التوتر المشدودة في صدري.

قُلت على عَجل: "حقًا لا يُمكنني الاعتذار بما فيه الكفاية. لقد سمعتُ ضوضاء وظننتُ... لا أعرف، خشيتُ أنّ أحدهم كان... يتعرّض لهجوم."

انفجر توماس ضاحكًا، ورفعتُ حاجبي بينما أوشكَ على السقوط من مقعده. لم أشهد مثل هذه النوبة من المشاعر منه من قبل. قلبَت داسيانا عينيها، وبالكاد تمكّنَ توماس من استجماع نفسه بما يكفي للتحدّث. لو لم يكن ضحكه العفويّ جذّابًا لدفعتُه بإصبعي. لقد كان بالتأكيد أكثر ارتياحًا واسترخاءً هنا وأقلّ انطواءً ممّا في لندن، ولا أستطيع إنكار أنّ هذا الجانب منه قد جذبَني.

"أتمنى أنّ بوسعي التقاط النظرة على وجهكِ يا وادزورث. إنه في أوجّ درجات الأحمر المُحبّبة لي على الإطلاق." عندما ظننتُ أنه تمالكَ نفسه، عاد يضحك مرة أخرى. "يتعرّض لهجومٍ، حقًا. يبدو أنّه يجب عليكِ العمل أكثر على حركات الإغواء خاصّتكِ يا داسي."

"آه، اصمت توماس." استدارَت داسيانا إليّ. "إيليانا وأنا نعرف بعضنا منذ زمن. عندما علمَت هي بحضور توماس إلى الأكاديمية تقدّمَت بطلب للحصول على وظيفة. كانت طريقةً مُريحة لنا للقاء. أنا آسفةٌ لإخافتِك. لا بدّ أن الأمر كان فظيعًا، الاعتقاد بوجود أفعال شرّيرة في المشرحة، خاصّةً بعد جرائم السفّاح."

أضاءَ وجهَها تعبيرٌ جميل، واستغربتُ من ألم الحسد التي أثارَتهُ في داخلي. رغبتُ في أن تظهر على شخصٍ ما مثل نظرة الشوق المطلق هذه خلال تفكيرِهِ بي. أخذتُ نفسًا عميقًا واستجمعتُ نفسي. ليس شخصًا ما، بل توماس. لقد أردتُه، ولم أجرؤ على النظر باتجاهه خوفًا من افتضاح مشاعر الحاجة تلك. قالت داسيانا: "أظنّ أنّنا انجرفنا قليلاً في الليلة الماضية. لقد مرّ زمنٌ منذ أن قضينا أمسيةً كاملة بمُفردنا. أنا فقط... أعشقُها بكلّ الطرق الممكنة. هل سبقَ لكِ أن نظرتِ إلى شخصٍ وشعرتِ بشرارةٍ في قلبِك؟ إنّها تجعلني أرغب في إنجاز أمورٍ عظيمة. هذا هو جمال الحبّ، أليس كذلكَ؟ إنه يُخرج أفضل ما في داخلك."



فكّرتُ في ذلك الجزء الأخير للحظة. كنتُ أتفق تمامًا على روعتها هي وإيليانا، لكنّني شعرتُ أيضًا بمآثر رائعة يُمكن تحقيقها إذا اختار المرء البقاء دون ارتباط. لا ينبغي أن يؤدي القُرب من الشريك العاطفيّ إلى إعاقة النموّ الداخلي أو تسهيله.

تكلمتُ ببطء بلا رغبة في الاعتراض: "أتفقُ معكِ في روعة الحبّ، لكن هنالك سحرٌ معيّن في قناعة المرء بصُحبة نفسه. أعتقد أنّ العظمة تكمن في داخلنا، وفي يدينا كبتُها أو إطلاق العنان لها وفق ما نرغب."

التمعَت عينا داسيانا بالموافقة. "بالفعل."

قال توماس بتنهّدٍ مُصطنع: "يُمكننا التحدّث عن الحبّ إلى ما لا نهاية، لكن غراميّاتكِ الليليّة تجعلني أشعرُ بالغيرة."

قاطعَت طرقةٌ ثالثة توماس قبل أن يتمكّن من قول شيء غير لائق. نهضَ واقفًا، وغمرَت الجدّية تعبيره كأنّه أطفأ مشاعره في لحظة. على الرغم من وجود أخته في غرفتي إلا أنه لا يزال من المُستهجن جلوسي معه دون مُرافق.

ابتلعتُ خوفي وهتفت: "نعم؟"

"صباح الخير آنس... أودري،" قالت إيليانا وخدّاها يحمرّان قليلاً.

"أنا –"

"صباح الخير لك، إيليانا،" قال توماس من جانبي. "لم أعلم أنّكِ تعملين هنا حتى ظهرَت أختي، وكلّها شوقٌ وحماس. كان يجب أن أعرف أنها لم تأتي لتُباركني بشخصيّتها اللامعة."

ابتسمَت إيليانا ابتسامةً عريضة لدهشتي. "من الجيّد أن أراكَ أيضًا." تلاشَت ابتسامتها بسرعة. "كلاكما بحاجةٍ للذهاب إلى الطابق السفليّ على الفور. اجتماعٌ إلزاميّ. مولدفانو في مزاجٍ مُضطرب. يجب ألّا تتأخّرا."

قال توماس: "حسنًا، يجب أن يكون هذا مُثيرًا للاهتمام. كان لديّ انطباع بأنّ مزاجه مضطرب على الدوام."

ارتمَت داسيانا على الأريكة ورفعَت قدمَيها المغطاة بالحرير على المنضدة الواطئة. "يبدو جميلًا. أبلغا تحياتي له. إذا احتجتماني سأكون هنا، ممدّدة قرب النار."

قلَب توماس عينيه. "أنتِ أشبه بقطة المنزل. دائما تنامين في مساحاتٍ من أشعة الشمس أو تستلقين أمام الموقد." مالت شفتاه بمُكر فهززتُ رأسي قبل أن يفتح فمه ثانيةً. "الرجاء عدم التصرّف بمطلق الحُرّية على قطع الأثاث." قادني توماس مع إيليانا إلى الخارج قبل أن تتمكّن داسيانا من الردّ، وحاولتُ ألّا أضحك على الكلمات النابية التي صرخَت بها بالرومانيّة على الباب المغلق.



عند دخولنا أنا وتوماس إلى قاعة الطعام، كانت أنستازيا قد جلست بين نيكولاي والفظّ الكبير أندريه. رفعتُ حاجبيّ على اختيارها حضور الاجتماع مع عمّها؛ كانت حركةً جريئة. من الواضح أنها لن تُتيح لمولدفانو فرصةً لإبعادها عن مواضيع القلعة المهمّة. تخيّلتُ أن الجلوس في غُرفها كلّ يوم أمرٌ مُملّ بشكلٍ لا يُطاق.

كما كان الحال بالأمس، فقد امتلأت الطاولات بنفس الأزواج. أدركتُ أنني لا أعرف اسماء بقيّة الطلاب وقرّرتُ أن أقدّم نفسي بحلول ذلك المساء. جلسَ الشابّ ذو الشعر الأحمر مع الشابّ ذو البشرة الداكنة، بينما انحنى الإخوة الإيطاليون ليدرسوا. وقفتُ أنا وتوماس للحظاتٍ غير متأكّدين أين نجلس.

لم تتوانَ أنستازيا عن الإشارة لنا بحماس بأن نأتي ونجلس معهم، رغم النظرات الجانبية التي ألقاها أندريه عليها. رفعَ نيكولاي انتباهه عن صحنه، مُحدّقًا في اتجاهنا بفتور. تجاهلَهُ توماس وركّزَ عليّ. بدا الجلوس مع الأمير أبعد شيء عن مُراد توماس، لكنه تركَ القرار لي. كان عرض سلام منه بعد إصراره أمس على العودة إلى لندن، وقدّرتُ هذه اللفتة.

لم ترُق لي فكرة الصداقة مع نيكولاي، لكنّني لم أرغب في عداوته أيضًا. إذا كانت لدى أنستازيا الجرأة لدمج نفسها في المجموعة ضد

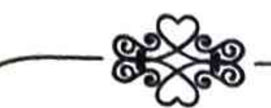
رغبات عمّها فيُمكنني أن أحذو حذوها. كان نيكولاي يعبث بفطيرة لحم، يُقطّعها ويُحرّك القطع في طبقِه دون أن يتناول قطعةً منها. رقّت مشاعري قليلًا. فقدان الأحبّة ليس أمرًا سهلاً وغالبًا ما يُبرز فينا صفاتٍ غير مُحبّبة. كنتُ أعرف جيّدًا أنّ الغضب جدارٌ لإخفاء الحُزن.

سرتُ مباشرةً إلى طاولتهم وجلست. "صباح الخير."

قالت أنستازيا "صباح الخير." وتردّدَ صدى صوتها المُبتهج في الغرفة. كان فستانها ذو اللون القرمزيّ الساطع، وهو حركةٌ جريئةٌ أخرى منها، مصنوعًا بِعناية لتحقيق أقصى تأثير عند المقابل. التفتَت إلى توماس، وهي تفحصهُ بخفّة. "لا بدّ أنّكَ رفيق السفر الوسيم."

جلس توماس على الكرسي بجانبي وقال بتعبير لطيف: "مع أودري روز، أحبّ اعتبار نفسي رفيق الحياة الوسيم."

سخنَ وجهي بسبب استخدامه لاسمي المجرّد، لكن لم يبدُ أنّ أحدًا قد لاحظَ ذلك. شخرَ أندريه، وسُرعان ما كتمَ السُخرية وهو ينظر إلى المقعد الفارغ بجوار نيكولاي. بينما كانت أنستازيا تتحدّث مع توماس بالرومانيّة، راقبتُ أندريه بهدوء مُتسائلةً عن مدى قربه من فيلهلم. لقد شوهت الحلقات السوداء وجهه، ما جعلَني أتخيّل أنّ قسوة الأخبار عليه كانت بنفس قساوتها مع الأمير. هذا ليسَ سهلاً عليهم، الجلوس هنا بدلاً من الحداد بشكل لائق.



كنتُ آمل أن يقوم المدير بإعلان خبر تأجيل دورتنا الدراسيّة. ربّما يقوم بإلغاء هذا الفصل الشتويّ ودعوتنا للعودة في الموسم المقبل، وغاصَ جزءٌ صغير مني عند تلك الفكرة. استمرّ نيكولاي بتقطيع معجّناته، وبصرهُ سارحٌ في مكانٍ بعيد في ذهنه.

أردتُ مدّ يدي وقول مواساة، ربما شيءٌ يُساعد في شفائي أنا أيضًا، لكن مولدفانو دخل قاعة الطعام وحلّ الصمت. حتّى أندريه تحرّكَ في مقعده، وبدَت حبّةٌ أو اثنتان من العرق على حاجبه العريض.

لم يُضيّع مولدفانو وقتًا في المُجاملات وبدأ يتحدّث بالرومانيّة، ببطءٍ كافٍ لي لأفهم معظم كلامه. لقد قرّرَ بدء الدروس على الفور، وسوف يتمّ تدريسُنا بالإنجليزية، نظرًا لأنها لغةٌ مشتركة بين جميع البلدان الحاضرة، لكن الدروس ستشمل أيضًا تعليم اللغة الرومانيّة لأولئك الذين لم يُتقنوها بعد.

تابع كلامه بالإنجليزية: "سيكون درسكم الأوّل مع البروفيسور رادو. تنفعكم المعرفة الأساسية في الفولكلور عند التحقيق في مسرح جريمة في القرى، حيث تطغى الخُرافات على المنطق والحقائق العلميّة." نظرَ إلى كلّ واحدٍ منا، وفاجأتني رؤية ازدرائه موجّهًا إلى المجموعة بأكملها، كما لو كنّا جميعًا نُضيّع وقته الثمين. "بعد وفاة زميلكم المؤسفة، قرّرتُ دعوة طالبٍ آخر مكانه. سوف يصل اليوم."

دقّت الساعة بصوتٍ عالٍ بما يكفي لإجبار المدير على السكوت.

سرقتُ نظرةً إلى نيكولاي، وكان فكّه مغلقًا بإحكام. لم أستطع استيعاب موقفه بعد استماعه للمُدير وهو يتعامل مع وفاة قريبهِ بتلك السهولة. بدا قيامه بدعوة طالب جديد في غاية القساوة والعجرفة، كما لو أنّ فيلهلم قد هربَ من الأكاديميّة ببساطة.

فورَ توقّف الأجراس التقت نظرات مولدفانو بنظراتنا. "أظنّ أن بعضكم قد يكون... مشتّتًا بعد أحداث الأمس، وأتفهّمُ ذلك. الفَقد ليس هيّنًا. سنُقيم وقفة تشريفيّة لفيلهلم عند غروب الشمس. سيُقدّم البروفيسور رادو مزيدًا من التفاصيل. بعد انتهاء درسه مباشرة يجب عليكم حضور أوّل مختبر تشريحٍ جنائيّ لكم هُنا، وسوف يتبعهُ درسُ علم التشريح بإشرافي. يُمكنكم الانصراف."

من دون كلمةٍ أخرى خرجَ المدير من الغرفة، قارعًا الأرض بحذائه ووقع خطواته يتلاشى في الممرّ.


فلاد تيبش - القرن السادس عشر

15

اللورد المُخوزِق



درس الفولكلور
قلعة بران

4 ديسمبر 1888

"الغابات المُحيطة بالقلعة مليئةٌ بالعِظام."

لم يُلاحظ البروفيسور رادو أن ذقون نصف الطلاب قد اتّكأت على صدورهم وهو يُقلّب صفحات كتابه الفلكلوريّ الضخم. كان يقرأ لنا كما لو كنّا أطفالًا بصُحبة مربيّات وليس طلاب طبّ ذوي تفكيرٍ جادّ. وقتَها تطلّبَ الأمر جهدًا كبيرًا لمنع نفسي من الضحك وهو يسرد لنا قصصًا خياليّة عن مخلوقاتٍ وأمراء خالدين. كلّ ما أردتُه هو الانتقال إلى مختبر الحصّة القادمة. كانت هناك جثة في انتظار مَن يكتشفها، وتلهّفتُ لاستخدام مشارطي الجديدة. لقد مرّ أسبوعان فقط على آخر تشريحٍ لي مع عمّي، ومع ذلك شعرتُ كأنّها عقدَين من الزمن.



لقد احتجتُ لمعرفة ما إذا كان بإمكاني تنحية الصعوبات التي واجهتُها جانبًا ودراسة الموتى كما اعتدت سابقًا، أو إذا كان نسياني وخوفي من الخيالات المتكرّرة سيبتليني إلى الأبد. لم أتلهّف لحضور درس مولدفانو بنفس القدر، على الرغم من براعتي في علم التشريح.

قامَ توماس بتحريك ساقيه الطويلتين تحت طاولة الكتابة، لافتًا انتباهي. كان ينقر على محبرته بطرف ريشته بقوّة حتى خشيتُ أن ينسكب الحبر على ورقته. تأرجحَت الزجاجة مرّةً فأمسكَها وعاد إلى النقر من جديد. بدا شارد الذهن منذُ ذهابهِ للتحدّث مع رادو قبل الدرس، تاركني مع أنستازيا في حيرةٍ من مُغادرته السريعة في أثناء خروجنا من قاعة الطعام.

"هل سمعَ أيٌّ منكم شائعاتٍ عن وجود فلاد تيبش في هذه الغابة؟" سألَ البروفيسور رادو تلاميذه شبه النائمين، فَزفرت. لقد أدهشَني إيمان أيّ شخص بذلك الكلام. نظرَت إليّ أنستازيا بابتسامة مؤازرة من المقعد المجاور لي، على الأقل لم أكن الوحيدة في الفصل التي تعتقد أنّ هذا هراء.

لوى توماس رقبته، ليجذب تركيزي إليه ثانيةً. بدا لي خاملًا بشكلٍ غير معهود. لقد شاركنا دروس عمّي في بداية سلسلة جرائم السفّاح، ولم يتمكّن أحدٌ من إبقائه هادئًا في ذلك الوقت. كان يرفع يده عاليًا ومرارًا لدرجة أنّني رغبتُ في غيابه عن الفصل، فتساءلتُ عمّا إذا شعرَ

بمرضٍ حاليًا. حاولتُ النظر إلى عينيه لكنّهُ تظاهرَ بعدم الانتباه، فَضغطتُ بريشتي على محبرتي وضاقت عيناي. كان اليوم الذي يفشل فيه توماس كريسويل في ملاحظة أيّ شيء، لا سيّما انتباهي، يومًا مُقلِقًا حقًا. تسرّبَ القلق إلى أفكاري.

"لم يسمع أحدُكم بهذه الشائعات؟" سارَ رادو بين صفوفنا بتعثّر، ورأسه يتأرجح من جانبٍ إلى آخر. "أجدُ من الصعب تصديق ذلك. هيّا، لا تخجلوا الآن. نحن هنا لنتعلّم!"

تثاءَب أندريه بوقاحة في الصفّ الأمامي، وانكمشَ الأستاذ أمام أعيننا. لو لم أشعر بالملل الشديد شخصيًا لتعاطفتُ مع الرجل العجوز. من المُحتّم صعوبة تدريس الخيال والأساطير لصفٍّ يهتمّ أكثر بالعلوم والحقائق.

"حسنًا إذن. سأخبرُكم بقصّةٍ يتجاوز خيالُها حدود التصديق."

تململ نيكولاي في مقعده، وعرفتُ أنه يُحاول إخفاء مراقبته لي لكنّه فشلَ في ذلك. لقد ماتَ فيلهلم ميتتَهُ المؤسفة تلك بسبب حالةٍ طبّية نادرة على الأرجح، ولم يُقتَل. بالتأكيد لم تعمل قوى غامضة على اغتياله نيابةً عني، وأملتُ ألّا يبثّ الأمير شائعات عن لعنتي المُفترَضة؛ فَلديَّ ما يكفي من الصعوبات للتغلّب عليها. "يؤمنُ القرويّون أنّ العظام التي يُعثَر عليها في الغابة خارج القلعة هي بقايا ضحايا فلاد. هنالك مَن



ادّعى أن قبره فارغ، وآخرون يقولون أنه مليءٌ بهياكل عظميّة لحيوانات. ترفضُ العائلة المالكة السماح لأي شخص باستخراج الجثة أو النعش للتأكّد. يدّعي البعض أنّ سبب ذلك لأنهم يعرفون بالضبط ما يوجد هُناك، أو بالأحرى ما لا يوجد هُناك. ثمّةَ مَن يعتقد أنّ فلاد قد قامَ من بين الأموات، وعطشُه للدم يتحدّى الموت نفسه، كما يدّعي آخرون أنه من المُحرَّم تدنيس مكان رقود رجلٍ مهمّ مثله."

تابعَ البروفيسور رادو الحديث عن أسطورة الأمير الخالد المزعوم. كيف عقدَ صفقةً مع الشيطان، وفي مقابل الحياة الأبدية احتاجَ إلى سرقة دماء الأحياء وشُربها طازجة. بدت القصة شبيهةً بالرواية القوطيّة لجون ويليام بوليدوري[1]، 'مصّاص الدماء'.

"كان يُعتقَد أنّ اللورد المُخوزِق يشربُ من أعناق ضحاياه وهُم أحياء، ومن المفترض أن يُثير هذا الرعب في نفوس أولئك الذين سعوا لغزو بلادنا. لكن التاريخ يقول أنّ طريقتهُ المُفضّلة كانت غمس الخبز في دماء أعدائه وتناوله بهذه الطريقة... الأكثر حضاريّة."

همستُ لتوماس: "آه، نعم. تناول الدم أكثرُ حضاريّةً عندما يغمسُ المرء خبزهُ فيه، كما لو كان حساءً شتويًا لذيذًا."

---

1 - جون بوليدوري: كاتب وطبيب إنكليزي من القرن التاسع عشر اشتهر بقصته القصيرة "مصاص الدماء". (المُترجِم)

تمتمَ توماس: "لذا لا يُمكن أن تكون تمهيدًا لأكل لحوم البشر. أولاً يشربُ المرء الدم، ثم ينتقل إلى شوي بعض الأعضاء، بعد ذلك يأتي دور مرقُ الدمّ."

همسَت أنستازيا: "هذا غير جائز علميًا."

سأل توماس: "ما هو غير الجائز؟ مرقُ الدمّ؟ كلا، إنه أحد مُفضّلاتي."

بدَت أنستازيا مذهولةً للحظات قبل أن تهزّ رأسها. "إن شرب الدمّ بالطريقة التي يشير إليها رادو ستؤدي إلى تراكم الحديد في الجسم. أتساءَل إذا كان قد استحمّ فيها بدلاً من ذلك. سيكون ذلك أكثر منطقيّة."

"ما نوع المجلات التي تقرئينها؟" قلتُ بهدوء وأنا أنظرُ بفضول إلى أنستازيا.

ابتسمَت. "أقضي الوقت مع العدد المحدود من الروايات في هذه القلعة."

قال توماس بهمسةٍ مسموعة: "أمرٌ مؤسف لفلاد العجوز، لا بدّ أنّ انتفاخهُ كانَ أسطوريًا."

أخفيتُ ابتسامتي خلف ريشتي بينما كاد الأستاذ المسكين يتعثّر في حذائه مرّةً أخرى، ثمّ أضاءَت عيناه كأنه استلم هديةً ثمينة من



السماوات. لسوء الحظّ أنّ توماس لم يُعلّق بلباقة على الموضوع، فَقد فاقت كميّة الخيال قدرة احتماله. في الواقع لقد استغربتُ من انتظاره كل ذلك الوقت للتعليق. على الأقل بدا نيكولاي مُستمتعًا قليلاً، وتعبيرهُ أفضل بكثير من ذلك الجمود الفظيع الذي طغا عليه منذُ وفاة قريبه.

"هل قالَ أحدٌ شيئًا؟" سأل رادو وحواجبه تتمايل كاليرقات نحو السماء.

وضعَ توماس يديه على دفتره، وهو يقرص شفتيه كأنّ بإمكانه حبس تعليقاته فيها. جلستُ باستقامة، وبدَت الأجواء أكثر إثارةً للاهتمام. كان توماس كينبوعٍ ساخن جاهز للانفجار.

"كنّا نتحدّث عن الانتفاخ."

شخرتُ بطريقةٍ فظّة، ثمّ سعلتُ لإخفاء الضحكة عندما التفتَ رادو نحوي، وعيناه تلمعان بترقّب. قُلت: "آسفةٌ جدًا سيّدي. كنّا نقول أنّ دراكولا ربّما استحمّ في الدمّ."

قال رادو: "أعتقدُ أنّكم تخلطون بين فلاد دراكولا والكونتيسة إليزابيث باثوري. يُطلق عليها أحيانًا اسم الكونتيسة دراكولا، ويُقال إنها استحمّت في دماء الخادمات اللاتي قتلَتهنّ، ما يقرب من سبعمئةٍ منهنّ إذا كانت الأقوال دقيقة. عملٌ فوضويٌّ جدًا جدًا! مع ذلك هو درسٌ جيّدٌ آخر."

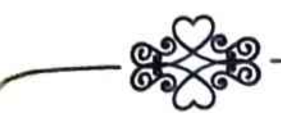
تحدّثَ الصبيّ ذو الشعر الأحمر بلكنةٍ أيرلنديّة: "سيّدي؟ هل تعتقد أنّ الروايات التاريخيّة عن شرب فلاد للدمّ قد اختلطَت مع الفولكلور؟"

توقّف البروفيسور رادو بجانب منضدة توماس، وعلا صدره بفخر وهو يُواجه نيكولاي: "همم؟ آه، لقد كدتُ أنسى! لدينا فردٌ حقيقي من عائلة تيبش بيننا، ربّما يُلقي بعض الضوء على هذه الأساطير. هل شربَ المُخوزِق سيئ السمعة الدمّ؟ أم أنّ هذه الأسطورة نشأت من خيال المُزارعين الذين كانوا بحاجةٍ إلى بطل مُرعِب أكثرَ من العُثمانيين الغزاة؟"

حدّقَ الأمير إلى الأمام مُباشرةً وفكّه مُغلق بإحكام. شككتُ في أنه يُريد كشف أسرار عائلة تيبش، خاصّةً بوجود شائعاتٍ عن استمتاع أسلافه بشرب الدماء. فحصتُه عن كثب، وقرّرتُ أنني لن أشعر بالصدمة إذا اكتشفتُ أنه شخصيًا يستمتع بالشيء ذاته.

قاطعَت أنستازيا الموقف وتركيزها ينصبُّ على نيكولاي: "ماذا عن جماعة التنّين؟ سمعتُ أنهم يُحاربون مثل هذه الخرافات. هل تعتقد أنّ فلاد كان حقًا ستريغوي؟"

قال رادو: "أوه، لا، لا، لا يا فتاة. لا أصدّق مثل هذه الشائعات. لم يكن فلاد مصاص دماء، بغضّ النظر عن مدى متعتي بالحكاية." ألحّت أنستازيا: "لكن من أين أتت هذه الشائعات في الأصل؟ لا بدّ أنها وُلِدَت



من حقيقةٍ ما." مضغَ رادو خدهُ من الداخل، وبدا أنه يفكر في كلماته التالية بعنايةٍ أكثر من ذي قبل. كان تعبيرًا جادًّا لم أرهُ فيه سابقًا، وقد أثار تحوّله الغامض اهتمامي. لم أظنّهُ قادرًا على النظام وعدم التخبّط.

"في قديم الزمان كان الناس بحاجةٍ إلى تفسيراتٍ للأفعال الظلاميّة وسفك الدماء في أوقات الحرب. لقد سارعوا إلى إلقاء اللوم في مشاكلهم على كلّ شيء عدا طمعهم. لذا جلسوا وخلقوا مصّاصي دماء: مخلوقاتٌ شرّيرة نشأت من الأعماق المُنحرفة لقلوبهم المُظلِمة، لتعكس شغفهم في إراقة الدماء. الوحوش ليسوا حقيقيّين إلّا بقدر القصص التي تمنحُهم الحياة، ولا يعيشون إلّا لفترة روايتنا تلك الحكايات."

سألَت أنستازيا: "وهل جماعة التنّين هُم مَن نشروا هذه الأساطير؟"

"كلا. لم أقصد التلميح إلى ذلك. لقد تشابكَ عقلي بالخرافات. مع ذلك، فإنّ جماعة التنين قصّةٌ لوقتٍ آخر." التفتَ إلينا في الفصل وبدا أنه عادَ إلى نفسه. "بالنسبة لأولئك الذين لا يعرفونهم، فقد كانوا مجتمعًا سريًا مكونًا من نبلاء مُختارين. لقد قاتلوا لدعم قيمٍ معيّنة في أوقات الحرب والغزو، وقد استخدمَ ملك المجرّ سيجسموند الصليبيّين كنموذج عندما أسّسَ المجموعة."

"ما علاقتُنا بهذا يا سيّدي؟" سأل نيكولاي بلهجةٍ عبّرَت عن استيائه.

"تعتقد جماعة التنّين أنّ هذه الأكاديميّة تُعلّم الشباب والشابّات - لم أنساكِ آنسة وادزورث - أن يكونوا زنادقة! لقد سمعتُ في مناسباتٍ عديدة من القرويّين أنّهُ لو كان فلاد على قيد الحياة اليوم فسوف يبغض هذه المدرسة وتعاليمها المُحرَّمة. كانت عائلته من قادة الصليبيّين، وهكذا انخرطوا في الجماعة. نعلمُ جميعًا كيف ينظر المجتمع إلى مهنة شقّ الأموات لدراستهم، مع إيمانهم بأنّ الجسد مُقدّس وكلّ ذلك، بُدعةٌ بالكامل."

ابتلعتُ ريقي بصعوبة. كان المجتمع قد انقلبَ مؤخرًا على عمّي أيضًا، واحتقرهُ لممارسته فحوصات ما بعد الوفاة. لم يفهموا الجثث التي فتحَها على طاولته، أو القرائن التي يُمكن أن يكشفها حول موتهم. لاحظَ رادو تعبيري المضطرب، واتّسعَت عيناه.

"آه! من فضلكِ لا تقلقي آنسة وادزورث. لقد أبلغَني السيّد كريسويل بالطبيعة الحسّاسة لقضيّة السفّاح وتأثيراتها المزعجة عليك. لا أرغب مُطلقًا في إيذاء حالتكِ النفسيّة الهشّة، كما حذّرَ السيّد كريسويل."

للحظةٍ طويلة دوّت ضجةٌ صارخة في رأسي. "حالتي الـ... ماذا؟"

أغمضَ توماس عينيه، كأنّ بمقدوره حجب ما كشفَ عنه رادو. كنتُ مُدركةً أنّ زملائي في الفصل يلتفّون الآن في مقاعدهم، ويُحدّقون كأنّ إحدى مسرحياتهم المُفضّلة تُعرَض والبطل على وشك السقوط.



تابع رادو: "آه، لا تخجلي من شيء آنسة وادزورث. الهستيريا حالةٌ شائعة عند الشابّات غير المتزوّجات. أنا واثقٌ من أنّكِ إذا امتنعتِ عن إرهاق نفسك عقليًا فسوفَ تستعيدين استقراركِ العاطفيّ في وقتٍ قريب."

ضحك بعض الأولاد بصوتٍ عال، دون أن يُكلّفوا أنفسهم عناء إخفاء متعتهم، أمّا في داخلي فقد اهتزّت صلتي بتوماس بغضب. كان هذا أسوأ كوابيسي، ولم يوجد شيء أمكنَني فعلُه لإخراج نفسي منه.

"أودري روز..."

بالكاد استطعتُ النظر إليه، وخفتُ كثيرًا من الانفجار في البكاء، لكنّني أردتُه أن يرى الفراغ الكبير الذي صنعهُ بداخلي. لقد خانَني. لقد أخبرَ أستاذنا بأنّني قد تأثّرتُ بقضيّة، وأنّ 'حالتي النفسيّة' قد تضررت. كان هذا سرّي الذي أحتفظُ به، ولا حقّ له في مُشاركته. من الواضح أن إخلاصه لي لا يعني شيئًا. لم أصدّق - بعد أن أخبرتُه بأن لا يتدخّل في اختياراتي - إنه ذهبَ دون علمي ليُشارِك معلوماتي الشخصيّة.

ضحكَ عددٌ آخر من زملاء الصفّ، وتظاهرَ أندريه الضخم بأنه قد أغميَ عليه من الصدمة ومدّ يده نحو الصبيّ ذي اللهجة الإيرلنديّة. اشتعلَ وجهي نارًا. "لا تقلقوا أيها الطلاب. لا أعتقدُ أنّكم ملعونون بسبب العلم الذي تتمّ ممارسته هنا،" تابعَ رادو دون أدنى إدراك لما فعلهُ

بي. "لكن من الصعب تغيير تقاليد القرويّين. انتبهوا إذا ذهبتُم إلى براشوف بمُفردكم. آه... أظنّ أنّهُ كان هُنالك اجتماع عن ذلك -"

دقّت ساعةٌ في الفناء، إيذانًا بالنهاية المُباركة لهذا التعذيب. رميتُ دفتري وأدوات الكتابة في كيسٍ صغير كنتُ أحمله. لم أقوَ على البقاء لحظةً أخرى في المكان. لو سمعتُ تعليقًا خبيثًا آخر عن الإغماء أو الهستيريا كنتُ سأفقدُ صوابي حقًا.

"لا يُسمَح للطلّاب بالخروج من هذا المكان دون إشراف!" هتفَ رادو وسط صخب المقاعد التي دُفِعَت من المناضد. "لا أريدُ أن تتمّ التضحية بأيٍّ منكم باعتباره مُهرطقًا. سيكون ذلك في غاية السوء لبرنامجنا! ستُقام الوقفة التكريميّة عند غروب الشمس، لا تنسوا."

هزّ نيكولاي رأسه في وجه الأستاذ قبل أن يجتازه نحو ممرّ الخروج. وقفَ توماس عند منضدته، بعد أن منعَهُ مرور الطلاب المنصرفين من قطع المسافة بيننا، وانتباهه مُنصبٌّ عليّ. لم أنتظر اقترابه، بل أدرتُ ظهري وسرتُ نحو الباب بأقصى سُرعة.



16

الأمير الخالد



صفّ الفولكلور

قلعة بران

3 ديسمبر 1888

"أودري روز، من فضلكِ انتظري." وصلَ توماس إليّ في الممرّ خارج قاعة الدرس لكنّني تحركت بسرعة. سقطَت ذراعه على جانبه.

"يُمكنني الشّرح. ظننتُ –"

قاطعتُه: "آه؟ ظننتَ؟ هل ظننتَ إضعافي وجعلي أضحوكةً أمام أقراننا فكرةً جيّدة؟ ألم نتحدّث عن هذا بالأمس فقط؟"

"رجاءً. أقسمُ أنني لم أقصد أبدًا –"

"بالضبط. أنتَ لا تقصد شيئًا أبدًا!" ترنّحَ توماس للوراء كأنّه قد تلقّى ضربةً منّي. تجاهلتُ ألمهُ وأنا أخفضُ صوتي إلى همسٍ غاضب مع مرور أنستازيا الهادئ بقربنا، في طريقها إلى نهاية الممرّ. "أنتَ تهتمّ

بنفسكَ فقط وتُثبت ذلك عبر أفعالك اللعينة يوميًا. أنتَ تحتفظ بمشاعرك وقصصك وتاريخك لنفسك، ثم تذهب لتُخبر الآخرين بأسراري أنا. هل لديكَ فكرة عن مدى صعوبة الأمر بالنسبة لي؟ أغلب الرجال لا يأخذونني على محمل الجدّ لأنّني أرتدي تنورة، ثم تذهب أنتَ لتُثبت أنّهم على حق! لستُ أقلّ شأنًا يا توماس. لا أحد كذلك."

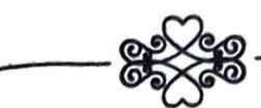
"لا يجب عليكِ -"

"لا يجب عليّ ماذا؟ تحمُّل ظنونكَ بأنّكَ تعرف ما الأفضل بالنسبة لي؟ أنتَ مُحقّ. لا أتحمّل ذلك. لا أفهم كيف تعتقد أنّ لديكَ الحقّ في التحدّث نيابةً عني، وفي تحذير الآخرين من 'حالتي النفسيّة الهشّة'. من المُفترض أن تكون صديقي، وندًّا لي، لا وصيًّا عليّ."

قبل بضعة أسابيع كنتُ قلقةً من أن يحرمني والدي من دراسة الطبّ الجنائيّ ومن توماس، فأفقدهُما كما فقدتُ أخي. لم أتحمّل فكرة خسارته. لم أعرف أنّ توماس سيخونني تحت غطاء حماية مصلحتي. لم أتوقّع أبدًا أنه سيكون الشخص الذي يُحطّم ما بيننا.

قال بصدق: "أقسمُ أنني صديقك أودري روز. أعرفُ أنّكِ غاضبة"

قلتُ بنبرةٍ لاذعة: "استنتاجٌ دقيقٌ آخر من قبل السيّد توماس كريسويل الذي لا يُخطئ. قُلتَ أنّكَ أحببتَني مرّة، لكنّ أفعالكَ تُظهر حقيقةً مختلفة سيّدي. أنا أطلبُ التساوي في المكانة ولن أقبل بأقلّ من



ذلك." اتّضحَ أمامي المُستقبل - الذي لم أكن واثقةً من رغبتي فيه - كالبلّور النقيّ. لقد كنتُ مُحقّةً في افتراضاتي: بغضّ النظر عن تظاهُر توماس بخلاف ذلك، لكن تفكيره كباقي الرجال. رجلٌ يجد أن من واجبه والتزامه التحدّث نيابةً عني ووضع القواعد في حال زواجنا. لا مفرّ من إضعافي بطريقةٍ أو بأخرى عبر 'مُساعداتِه' الطائشة.

"أودري روز -"

"أرفضُ أن يحكمَني شيءٌ عدا إرادتي الحرّة يا كريسويل. دعني أوضّح هذا أكثر، فمنَ الواضح أنّكَ لم تفهم القصد سابقًا: أفضّلُ أن أموت وأنا خادمةٌ عجوز على إخضاع نفسي لحياةٍ معك أنتَ ونواياك الحسَنة. ابحث عن شخصٍ آخر لتُعذّبه بمشاعرك."

سمعتُ توماس يُنادي باسمي بينما كنتُ أهرع عبر الممرّ قبل أن أنزل السلالم الملتوية على عجل. كادت المشاعل تنطفئ في إثر مروري بجانبها لكنّني لم أجرؤ على التوقّف. تابعتُ الجري نزولًا في السلّم المنحني، وقلبي يتشظّى مع كل خطوة أخطوها مُبتعدةً عنه.

لم أشعر قطّ بعُزلةٍ أو حماقةٍ أكثر من هذه طوال حياتي.

جلبَ لي الجسد المُتيبّس على طاولة الفحص قدرًا من الراحة أكثر ممّا كان مُناسبًا، وبدلاً من لوم نفسي على السلوك غير اللائق، استمتعتُ بإحساس السيطرة المطلقة على مشاعري. أكثرُ ثقةٍ تغمرُني على الإطلاق

عندما أقف والمشرط في يدي أمام جثّةٍ تنتظر بلحمها المشقوق، ككتابٍ جديد ينتظر دارسيه. أكثر ثقةٍ في الماضي على الأقلّ. ازدادَت أهميّة هذا الاختبار بالنسبة لي الآن، خاصّةً بعد تدخّل توماس.

ركّزتُ على الجسد البارد الذي غطّته عدّة قطع قماش موضوعة بعناية ليبقى لائقًا. خفقَ قلبي قليلاً لكنّني أمرتُه بالهدوء. لن أنهار خلال هذا الفحص. إذا لزمَ الأمر سأسمح للعناد والحقد باستجماع قواي.

"كوني قويّة." همسَ أحدهم من مكانٍ قريب في غرفة العمليّات. نظرتُ باحثةً عن المصدر دون جدوى. ذلك في الغالب استهزاءٌ بفضل إعلان رادو عن 'حالتي الهشّة'. سأثبتُ لنفسي، قبل أيّ شخصٍ آخر، أنني قادرةٌ بالكامل على إجراء هذا التشريح.

أمسكتُ بالمشرط، وأزحتُ مشاعري جانبًا وأنا أحدّق في الصبي الذي كان حيًّا بالأمس. لم يعُد فيلهلم زميلي في الصف، بل عيّنة، وسوف أجد القوّة اللازمة لتحديد سبب وفاته ومنح الراحة لعائلته. ربّما هذه هي الطريقة التي سوف أساعد بها نيكولاي في التأقلُم: يُمكنني أن أكشف له سبب وفاة قريبه وكيفيّة موته. ارتجفَت يدي قليلاً عندما رفعت النصل.

لقد أوضحَ لنا أستاذنا، الشابّ الإنجليزي السيّد دانيال بيرسي، الطريقة الصحيحة لعمل شقّ التشريح، ثمّ عرضَ على أحدنا فرصة



المُساعدة في التحقيق في وفاة السيّد فيلهلم آلديا. كنتُ أوّل مَن تطوّع لاستخراج أعضائه، نظرًا لقيامي بمهمّاتٍ مُماثلة من قبل. توقّعتُ أنّ توماس متلهّفٌ بقدَري لفحص الجثة، لكنّه لم يُنافسني حينَ رفعتُ يدي، بل عادَ إلى الوراء غارسًا أسنانه في شفّته السفليّة. كنتُ منزعجةً منه لدرجة عدم تقدير تصرّفه ذاك. لقد علمَ أنني بحاجةٍ للقيام بذلك، بحاجة للتغلّب على مخاوفي أو حزم أمتعتي للرحيل. إذا لم أتدبّر أمر هذا التشريح فلن أنجح في كورس التقييم.

"طلّاب، يُرجى ملاحظة الأدوات اللازمة لفحصكم التشريحيّ. قبل كلّ إجراء، من المهمّ أن يكون كل ما تحتاجونه جاهزًا." أشارَ بيرسي إلى طاولةٍ صغيرة عليها صينيّةٌ من الأدوات المألوفة. "منشارُ عظام، سكّين متعرّجة ومقصّ الأمعاء لفتح كل من الأمعاء الدقيقة والغليظة، وملقطٌ مُسنّن وإزميل الجمجمة. هنالك أيضًا زجاجةٌ من حمض الكربوليك في متناول اليد. تُفضّل الدراسات الجديدة مُمارسة التعقيم. إذن، الآن يُمكنكِ المتابعة يا آنسة وادزورث."

قمتُ بتسليط ضغطٍ كافٍ لكسر عظم القصّ وفتحهِ باستخدام زوج من قواطع الأضلاع. لقد علّمَني عمّي طريقته في أغسطس الماضي، وكنتُ ممتنةً للدرس حين وقفتُ في غرفة عمليّات التشريح، مُحاطةً بثلاث حلقاتٍ من المقاعد التي ارتفعَت على الأقل ثلاثينَ قدمًا في الهواء،

رغمَ أنّ زملائي في الفصل قد احتشدوا في أدنى مستوى. عمّ الهدوء في الغرفة، باستثناء حركة الأقدام البسيطة بين حينٍ وآخر.

لاحظتُ امتعاض الأمير من زاوية عيني. لقد عرضَ عليه بيرسي خيار الغياب عن هذا الدرس لكنّهُ رفض. لم تكن لديّ فكرة عن سبب عدم قيام مولدفانو بفحص الجثّة بنفسه، أو سبب تسليمها لدراستنا. لكنّ نيكولاي جلس هناك بِرزانة. لقد اختارَ ألّا يتخلّى عن قريبه حتّى الدّفن، وأُعجِبتُ بقوّته لكنّني لم أستطع فهم مغزى حضور مثل هذا الإجراء لميّتٍ عزيز. لم يسعني إلا الشعور بنظرته إليّ، الحادة كالأداة التي بيدي، بينما كنتُ أكشف أسرار الوفاة المفاجئة لقريبه.

علمتُ قبل بدء المختبر أنّ الأخوين الإيطاليّين - السيّد فنشينزو والسيد جيوفاني بيانشي - توأمان غير مُتماثلين. لقد كفّوا عن التحديق في كتبهم، واستبدلوها بطريقة إجرائي تشريح الجثة. كانَ بأسهُما مُخيفًا، مثل الطريقة التي تواصلا فيها بصمت مع بعضهما البعض. نظرتُ إلى باقي زملائي لفترةٍ وجيزة. كان السيّد نوح هايل والسيّد كِيان فاريل مفتونَين بنفس القدر. بدأ نظري بالانزلاق في اتجاه توماس قبل أن أمنعه؛ لم أرغب في النظر إليه.

قمتُ بتثبيت فتحة القفص الصدريّ وأجبرتُ نفسي على عدم التأثّر بينما انطلقَت رائحة الأحشاء المكشوفة في الجوّ. شممتُ رائحة ثومٍ



خفيفة، وأنا أُبعدُ صور المومسات المقتولات من رأسي. لم يتمّ تشويه هذه الجثة من قبل قاتل بشع، ولم يتم انتزاع الأعضاء منها. الآن ليس وقت الأفكار خارج طاولة التشريح، بل وقت العلم. قطعتُ بعض العضلات كاشفةً عن الكيس المُحيط بالقلب.

"جيّدٌ جدًا آنسة وادزورث."

تجوّل البروفيسور بيرسي حول مسرح التشريح، رافعًا صوته بشكلٍ دراميّ. لقد كان مؤدّيًا بارعًا، كالمايسترو وهو يقود سيمفونيّةً إلى ذروتها. تردّدَ صدى صوته على جدران الغرفة كموجةٍ تتحطّم على الشاطئ.

"ما لدينا هنا هو التامور يا طلّاب. يرجى ملاحظة الطريقة التي يُغطّي بها القلب. لهُ طبقةٌ خارجية وأخرى داخلية، الأولى ذات طبيعة ليفيّة والثانية غشائيّة."

ضاقت عيناي. لقد جفّ غشاء التامور تمامًا. لم أرَ مثل هذا الشيء من قبل. التقطتُ حقنةً زجاجيّة-معدنيّة من سطح الطاولة وحاولتُ سحب عيّنة دمّ من ساعد المتوفى دونَ طلبٍ من أحد. سحبتُ السدّادة للخلف، متوقّعةً رؤية القوام السميك للدم المتخثّر، لكنه لم يظهر. دارَت شهقةٌ مسموعة حول حلقة المقاعد السفلية في القاعة، وتردّدت مثل جوقةٍ تُرشد روحًا في طريقها إلى الجنّة بعد وصولها إلى السماوات. أشارَ بيرسي إلى أسماء الأدوات والإجراءات، هذه المرة باللغة الرومانيّة.

تراجعتُ إلى الوراء، ونظراتي تتنقّل على الجسد شبه العاري، بتركيز شديد على لُغزه، حينَها لاحظتُ غياب زُرقة ما بعد الوفاة. اقتربتُ أكثر، مُحاولةً العثور على أثرٍ لتجمّع الدم الرماديّ المُزرقّ الذي يجب أن يكون موجودًا. عندما يموت الشخص، يُلطّخ دمهُ أدنى منطقة من الجسم بحسب وضعيّته الأخيرة. إذا ماتَ مُستلقيًا على بطنه ثم انقلب، سيبقى تغيّر اللون موجودًا على بطنه. فتّشتُ كلّ جانبٍ من جوانب فيلهلم وتحت أطرافه بحثًا عن تلك الزُرقة، ولم أجدها. شحوبُه كان غريبًا حتّى بالنسبة للجُثث.

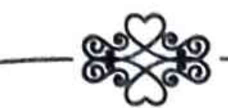
كانت هُنالك مشكلةٌ كبيرة في هذا الجسد.

قال بيرسي وهو يأخذ حقنةً أكبر: "لا بأس. أحيانًا يكون من الصعب أخذ عيّنة من المتوفّى، لا حرجَ في هذا. من فضلِك."

تمتمَ أحدهم بصوتٍ عالٍ بما يكفي لأسمعه وأتظاهر بالعكس: "ربّما حالتها النفسيّة ضعيفة."

تنحّيتُ جانبًا لأفسحَ المجال إلى بيرسي بسحب عيّنته، مُتجاهلةً ضحك زملائي. نقرتُ على جانب حُقنتي، متسائلةً كيف فشلت في سحب قطرة دم واحدة من فيلهلم. حجم الإبرة ليسَ مُهمًّا. أردتُ إلقاء نظرة على توماس لكنّني لم أستسلم لتلك الرغبة.

"هذا مثيرٌ للاهتمام."



التقطَ بيرسي ذراعه اليسرى وغرز الإبرة ببطء في الجلد الرقيق لمرفق المتوفّى، لكن الدماء لم تظهر عندما شدّ المكبس. عقدَ البروفيسور حاجبيه وجرّبَ بقعةً أخرى بنفس النتيجة: حقنةٌ فارغة. وبالطبع، لم يسخر أحدٌ من عجزه عن سحب الدمّ.

"ممم." تمتمَ مع نفسه، ثمّ حاولَ أخذ عيّنات من كل الأطراف، وفي كل مرة فشلَ في سحب الدمّ. تراجعَ إلى الوراء ويداه على وركيه، وهزَّ رأسه. تدلّت خصلاتٌ من شعره الأشقر على حاجبيه بنفس الطريقة التي انتشرَ بها النمش على وجهه.

"غموضُ هذا الموت في ازدياد يا طلّاب. يبدو أنّ هذا الجسد قد فقدَ دمه."

لعنتُ نفسي على ذلك، لكن لم يسعني إلّا رؤية ردّ فعل توماس وسط الحشد هذه المرّة. انجرفَ نظري من وجهٍ مذهول إلى آخر، والجميع يتحدّثون فيما بينهم بقلق. أشارَ أندريه إلى جثّة صديقه المقتول والرعب يغمرُ كلّ حركاته. أردتُ إخباره أنّ الخوف سيُعرقل الحكمة، وسوف يُعقّد ويؤخّر بحثنا عن الحقيقة، لكنّني لم أقل شيئًا.

لقد كان اكتشافًا مروّعًا.

سرتُ في دائرةٍ بطيئة وعيناي تتفقّد الحُجرة، لكنّ توماس كان قد خرج. أضاءَ وميضُ حزن في داخلي قبل أن أقوم بإخماده. هكذا أفضل.

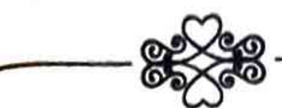
أحتاجُ إلى تعلّم الكفّ عن البحث عنه من أجل طمأنينة لم يكن مستعدًا لتقديمها على أيّة حال.

انحنى الأمير ليتّكئ على الحاجز، وابيضّت مفاصل يديه. "هل هُنالك علامات ستريغوي على رقبته؟"

"ماذا؟" سألت لأنني لم أفهم ذلك السؤال السخيف. انحنيتُ وأدرتُ رأس فيلهلم إلى الجانب، لتظهر فتحتَين صغيرتين أغلقَهُما دمٌ جافّ.

مرّرتُ يدي على ضفائر شعري، دون تفكير في القفص الصدري الذي فتحتُه بها منذ قليل. لا بدّ من وجود تفسير لا يتضمّن هجوم مصّاص دماء. مصّاصو الدماء والمُستذئبون مجرّد حكايات غير مُمكنة علميًا، بغضّ النظر عن مقدار الفولكلور الذي قصّهُ علينا البروفيسور رادو.

أرخيتُ كتفيّ، وأذنتُ لنفسي بإطفاء مشاعري تمامًا. لقد حان الوقت لتبنّي طريقة توماس في الاستنتاج. إذا لم يهجم مُستذئب أو مصاص دماء على فيلهلم، فمن فعلَها؟ قلّبتُ صفحاتٍ من السيناريوهات في رأسي، لا بدّ من وجود تفسير معقول للنُقطتين على رقبته. الشباب لا يسقطون صرعى ببساطة ثمّ يفقدون دماءهم لأسبابٍ طبيعيّة، ولم أعرف كائنًا حيًّا يُمكن أن يُخلّف علامات... العضّ تلك.



هززتُ رأسي. علامات عضّ؟ تلك هستيريا كانت تشقّ طريقها إلى ذهني. لا يُمكن لِحيوان أن يصنع هذا الجرح. كان مرتّبًا ونظيفًا جدًا، ولا تترك الأسنان آثارًا بهذه الدقّة عند دخولها اللّحم.

هجمات الحيوانات وحشيّة، وتترك مؤشرات عديدة على الجثة: لحمٌ مُمزّق، أظافر مكسورة وخدوش. كنّا سنرى الجروح الدفاعيّة بشكل كدمات على اليدين، كما أشارَ عمّي في حالات الشجار. لم يكن مصّاصو الدماء أكثر واقعيّةً من أيّ كابوس، ثمّ خطرَت لي الفكرة.

من المُمكن أن تكون العلامات مصنوعة بجهازٍ جنائزيّ[1]. رغمَ أنّني لم أكن واثقةً من الطريقة التي يستخدمها مُنسّقو الجنائز لاستخراج الدم.

"هل هُنالك علامات ستريغوي على رقبته؟" سأل نيكولاي ثانيةً بنبرةٍ أكثر حدّة، بعد أن أوشكتُ على نسيانه تمامًا. كان هُنالك شيءٌ آخر في نبرته، شيءٌ مشوبٌ بالرّهبة، وربّما حتّى الخوف. تساءلتُ عمّا يعرفهُ عن الشائعات التي تداولها القرويّون، بأنّ سلفهُ مصّاص الدماء قد عادَ من القبر عطشانًا.

1-جهاز جنائزيّ: أداة يستعملها الدفّانون ومُنظّمو الجنائز لغرض تفريغ الجثث من الدماء. (المُترجِم)

تذكّرتُ العنوان الرئيسي من الصحيفة: هل عادَ الأمير الخالد؟ هل احتاجَ القرويون في السرّ لأميرهم الخالد؟ هل ذهبَ أحدهم إلى أبعد الحدود في ترتيب هذا الموت وتفريغ الدمّ من الجسد ثم تركهُ للعرض؟ لم أحسد نيكولاي في هذه اللحظة. لقد أرادَ شخصٌ أن يظنّ الناس أنّ فيلهلم قُتل على يد مصّاص دماء، وليسَ أيّ مصّاص دماء، بل ذلك الأكثر تعطّشًا للدماء على الإطلاق.

أومأتُ برأسي دون أن أرفعهُ، ردًّا على استفسار الأمير. كانت بالكاد حركة محسوسة، لكنّها كافية.

لم تكن لديّ أدنى فكرة عن كيفيّة الشروع في حلّ اللغز. كيف تمّ تفريغ الدمّ من هذا الجسد دون أن يُلاحظ أحد؟ كنّا في القرية لساعةٍ واحدة تقريبًا، وهو بالكاد وقتٌ كافٍ لإنجاز مثل تلك المهمّة. هل ذلك ممكن لأيدٍ ماهرة؟ لم تكن لديّ فكرة عن المدّة التي يستغرقها تفريغ جسدٍ من الدمّ.

تصاعدَت الهمسات في أنحاء غرفة العمليّات، ووصلَ بعضها إليّ. مرّت عدّة قشعريراتٍ في جذعي خلال وقوفي باستقامةٍ أكثر. يبدو أنّ القرويّين ليسوا وحيدين في خُرافاتهم؛ بعض زملائي في الصفّ مُقتنعينَ أيضًا بأنّ فلاد دراكولا لم يمُت بعد.



"عزيزتي الغالية ليزا،

كما أشرتِ - في مُناسباتٍ لا أعرفُ عددها - فإنّ خبرتكِ في الأمور ذات الطبيعة الرقيقة تفوقُ خبرتي فيها، خاصةً عندما يتعلّق الأمر بالجنس الأكثر ظُلمًا. (أنا أمزح بطبيعة الحال!)

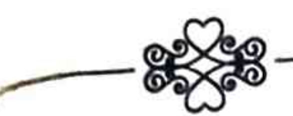
بصراحة، أخشى أنّني قد جرحتُ السيّد كريسويل بطريقةٍ سيُواجه برغم غروره صعوبةً في التّعافي منها. الأمر ببساطة... أنّهُ يقودُني إلى الجنون! لقد كان رجلًا نبيلًا نموذجيًّا، وهو أمرٌ مُثير للفضول والجنون في آنٍ واحد. في بعض الأيام أكونُ واثقةً من أننا سنعيش بعض الأيام السعيدة، كما عاشَت الملكة مع حبيبها الأمير ألبرت. وفي أوقاتٍ أخرى أقسمُ أنني أشعر باستقلاليّتي وهي تنسلخ من أطراف أصابعي حينَ يُصرّ على حمايتي.

لنعُد إلى الموضوع: لقد وبّختُ السيّد كريسويل بشدّة، بعدَ أن قامَ بإبلاغ أحد أساتذتنا أنّ حالتي النفسيّة ليسَت قويّة. لا يبدو هذا فظيعًا، إلّا أنّها كانت المرّة الثانية التي حاولَ فيها التدخّل في استقلاليّتي. يا للجرأة العجيبة! كان زملاؤنا في الصفّ مستمتعين للغاية بذلك، على العكس منّي. ربّما أدّى ردّي الغاضب إلى نفور عواطف السيّد كريسويل. وقبل أن تسأليني عن تفاصيل الكلام المروّعة، فقد شرحتُ - ببالغ القسوة - أنّني أفضّلُ الموت وحيدةً على قبول الارتباط به، في

حال كان ينوي ذلك أصلًا. الرجاء مُساعدتي بأيّة نصيحةٍ لديكِ. يبدو أنّني أكثر استعدادًا لاستخراج القلوب من تشجيعها.

ابنة خالتكِ المُحِبّة، أودري روز.

مُلاحظة: كيف حالُكِ في الريف؟ هل ستتّجهين إلى المدينة قريبًا؟"



17

وقفةٌ في الثلج

المروج الأمامية

قلعة بران

3 ديسمبر 1888

وقفَ مولدفانو وسط مجموعتنا الصغيرة، ورفرفَت عباءتهُ السوداء وشعرهُ الفضيّ أمامَ الريح القارسة التي هبَّت عبر الجبال، بينما كان يتلو صلاةً باللغة الرومانيّة.

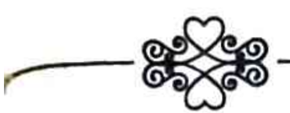
تساقطَ الثلج والجليد بشكلٍ مُطّرد لكنّ أحدًا لم يجرؤ على الشكوى. قبل بدء مولدفانو بالوقفة، همسَ رادو أنّه إذا هطلَ المطر في جنازة فهذا مؤشرٌ على حُزن المتوفّى. كنتُ ممتنةً لأنّ هذه ليسَت جنازةً رسميّة، لكنّني لم أعرف ما نفع الطقس وما تُشير إليه حالته البائسة حول مشاعر فيلهلم في الحياة الآخرة.

تجوّلَ ذهني برفقة عينيّ بينما واصلَ مولدفانو تأبينه. كان زميلنا الجديد - بديل فيلهلم - شابًا يُدعى السيّد إيريك بيتروف من موسكو. بدا كأنه قد وُلدَ في الجليد. لقد تجاهلَ الثلج الذي غطّى جبينه خلال وقوفنا في دائرة على المروج الأماميّة، ولهب شموعنا يتراقص خلف أيادينا المقوّسة. كنّا ثمانية طلّاب من كورس التقييم، مع الأساتذة وأنستازيا، في حين لم يُكلّف توماس نفسه عناء الحضور. في الحقيقة لم أرهُ منذ أن تركَ درس بيرسي مُبكّرًا.

أجّلَ مولدفانو درس علم التشريح إلى ما بعد الوقفة التشريفيّة بسبب سوء الأحوال الجوّية، وتساءلتُ عمّا إذا كان توماس سيُورّط نفسه بحضوره. أبعدتُه من أفكاري والتففتُ بمعطفي، الذي شقّت الثلوج طريقها تحت ياقته. رمشتُ نافضةً نتف الثلج من رموشي، وحاولتُ قصارى جهدي أن أمنع أسناني من الاصطكاك. لم أؤمن بالأشباح لكنّني شعرتُ أنه من الحكمة عدم إزعاج فيلهلم، إذا كان يُشاهدنا بالفعل من عالمٍ آخر.

اقتربَت مني أنستازيا بأنفٍ أحمرٍ لامع. "هذا الطقس مُريع."

أومأت. لقد كان فظيعًا بالتأكيد، لكنّه ليس بفظاعة الطريقة الوحشيّة التي فقدَ فيها فيلهلم حياته. لم يكن القليل من الثلج والجليد شيئًا مُقارنةً بالبرودة اللامتناهية التي تغمر جسده الآن. كان نيكولاي



يُحدّق في الغابة، وعيناه تتألّقان بدموعٍ لم تسقط. وفقًا لإمداد أنستازيا الذي لا ينضب من أقاويل القلعة، فإنّ الأمير لم يتحدّث إلى شخص منذ اكتشاف فقدان دم فيلهلم، رغم محاولات أندريه الكثيرة لمُواساته والتواصل معه. أدهشَني كون أندريه بتلك الرقّة رغم سوء أفعاله مع رادو، برغمِ علمي أنّ هُنالك جوانب مُختلفة لكلّ شخص إذا بحثَ المرء بجدّية. لا أحد جيّد أو شرّير بالكامل، حقيقةٌ أخرى تعلّمتُها من قضيّة السفّاح. جذبَت انتباهي حركةٌ قرب حافّة الغابة. لم تكن أكثر من انتقالٍ سريع، كما لو أنّ شيئًا ما انزلقَ داخلًا في الظلّ. مرّت في ذهني صورٌ لعيون ذهبيّة لامعة وفمٍ أسود، ووبّختُ نفسي. لم يُحيطنا المُستذئبون في انتظار لحظة الهجوم علينا، ولم يكن مصّاصو الدماء حقيقيّين.

نظرَت أنستازيا إليّ بعينين واسعتَين. لقد رأتها أيضًا. "ربّما كان رادو مُحقًّا، ربّما هُنالك مُستذئبون في الغابة! شيءٌ ما يُراقبنا... هل تشعُرين به؟"

ارتفعَ الشعر على قفا رقبتي. من الغريب أنّها فكّرَت في الذئاب أيضًا. "وجود شخصٍ يُراقبنا أكثر احتمالًا."

"فكرةٌ مُرعِبة." ارتجفَت أنستازيا بشدّة حتى انطفأ لهب شمعتها.

"في ضوء الاكتشاف الأخير بشأن وفاة فيلهلم،" قال مدير المدرسة بالإنكليزية ذات اللّكنة، مُنتقلًا من العزاء إلى عمله المعتاد. "لا يُسمح

لأحدٍ بالخروج من أرض الأكاديميّة، على الأقل حتى نكتشف سبب الوفاة الحقيقيّ. كما سيتمّ فرض حظر تجوّل لضمان سلامتكم."

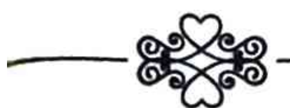
تبادل أندريه نظرةً غريبة مع أنستازيا.

"هل تمّ تهديد الأكاديميّة؟" سألَ أندريه بلهجةٍ غليظةٍ ثابتة تُلائمهُ جيّدًا.

التقَت نظرات مُديرنا بنظراتنا، وهذه المرّة اختفَت علامات السخرية منها. إذا تصرّفَ مولدفانو بلُطفٍ معنا فهذا يعني أنّ شيئًا أسوأ من التهديد في الطريق إلينا. "نحن نتّخذ إجراءات احترازية. لم يتمّ توجيه أيّ تهديدٍ مُباشر."

أشارَ مولدفانو لنا بالعودة إلى القلعة. كان جيوفاني وفنشينزو أوّل الصاعدين في السُلّم الحجري واختفَيا بالداخل، مُتحمّسَين لحجز أفضل المقاعد في درس علم التشريح. كان يجب أن أشعر بالحماس أو التوتّر أيضًا بشأن ذلك الدرس، بوجود المقعدَين الدائمَين في الأكاديميّة مُعلّقَين أمام أعيننا كعظامٍ معروضة لجِراءٍ جائعة، مع ذلك ظلّت أفكاري تشردُ صوب الغابة.

استدرتُ لأشاهد الظلال وهي تتحرّك تحت الأشجار بينما كان زملائي يصعدون السُلّم. تساءلتُ عمَّن وُجدَ هُناك، يُراقب مجموعتنا الصغيرة وربّما يُطاردنا مثل الفرائس. لقد وقعَ فيلهلم ضحيّةً لِشرّ، ولم



تتمكّن مُخيّلتي - رغم نشاطها المُفرط مؤخرًا - من استحضار مصّاص دماء ليستنزف دمه هكذا. لقد قام وحشٌ بشريّ بتلك الفعلة، وعزمتُ على معرفة الكيفيّة والسبب.

"عندما أنطقُ اسم الطالب، يُرجى تحديد العظم الذي أشيرُ إليه." سارَ مولدفانو أمام الصف الأول من الطلّاب، ويداه خلف ظهره كأنّهُ عسكريّ. "أريدُ قياس كفاءتكم في الأساسيّات قبل الانتقال إلى مواضيع أكثر تعَقيدًا. مفهوم؟"

"نعم أيّها المُدير." أجَبنا جميعًا. لم ألاحظ أحدًا يتراخى أو ينجرف للنوم في هذا الفصل. كان الجميع جالسًا على حافّة مقاعدهم، وريشاتُهم تُقطّر حبرًا جاهزةً للخربشة على صفحاتٍ فارغة. جميعُهم باستثناء توماس، الذي مدّ رقبته في محاولةٍ لجِذب انتباهي.

زممتُ شفتيّ مُتجاهلةً إيّاه. لقد آلَمني بما يكفي خلال درس الفولكلور، ولم أرغب في أن يُعيد الموقف نفسه في هذا الدرس. لم يكن مولدفانو مُتسامحًا أو مُشتّتًا مثل رادو.

"أودري روز،" همسَ توماس حين انشغلَ المُدير لفترةٍ وجيزة بخزانةِ النماذج. "أرجوكِ، دعيني أشرح."

رمقتُه بأشدّ نظراتي تحذيرًا، وهي مُستعارَةٌ من العمّة أميليا. سوف أقتلهُ إذا أفسدَ فرصتي في الالتحاق بهذه الأكاديمية. اعتدلَ في جلسته

لكنّهُ لم يرفع بصره عني، في حين أبقيتُ فمي مغلقًا، خوفًا من إطلاق سلسلة شتائم لاذعة عليه. أهملتُه وحدّقتُ إلى الأمام مباشرة.

تعلّقَت سبورةٌ كبيرة على الحائط خلف مكتب مولدفانو وسطحُها الغامق خالٍ من أيّة كتابة. قامَ المُدير بإخراج هيكل عظميّ من الخزانة ووضعه بجانبه، ثمّ التقطَ عصا تأشير وبدأ يُشير إلى كلّ جزءٍ يُريد منا تشخيصه. تحرّكتُ في مقعدي، آملةً ألّا يفوتني شيءٌ سهل، بينما تململ توماس وتركيزه عليَّ يحفر ثغرةً في تركيزي. أمسكتُ ريشتي بقوّة.

"سيّد فاريل، من فضلِك سمِّ هذا العظم."

ناضلتُ لكيلا أقلب عينيّ.

"هذا هو القحف، سيّدي." سحبَ الصبيّ الأيرلنديّ كتفيه إلى الوراء مبتسمًا، كما لو أنه وجدَ علاجًا لمرضٍ نادر بدلًا من تسمية الجمجمة باسمها.

"سيّد هايل؟ التالي، من فضلك."

"الترقوة، سيّدي."

استمرّ الدرس بنفس المنوال: تم سؤال كلّ طالب سؤالًا بسيطًا لدرجة السذاجة، وتساءلتُ عمّا إذا كنتُ مُخطئة بشأن صعوبة هذا الفصل. بعدها ترك مولدفانو المؤشر فجأةً وعاد إلى الخزانة، ليعود بصينيّة تحوي ما بدا أنه عظام دجاج في جرارٍ مليئة بسائلٍ صافٍ. شممتُ



الهواء: لم يكن حمض الكاربوليك أو الفورمالين. "آنسة وادزورث، تعالَي إلى مقدمة الصفّ من فضلك."

أخذتُ نفسًا عميقًا ونهضتُ دافعةً نفسي إلى العمل. توقّفتُ بجانب المُدير، وانتباهي ثابتٌ على الجرار في يديه، قبل أن يُقدّم لي إحداها.

"افحصيها وقدّمي النتائج."

رفعتُ الجرّة إلى أنفي وشممتُها. "يبدو أنه عظم دجاج منقوع في الخلّ، سيّدي."

أعطاني مولدفانو إيماءةً مقتضبة. "وكيف تؤثّر هذه المادّة على العظام؟"

قاومتُ الرغبة في عضّ شفّتي السفلى بشدّة. سادَ الهدوء فجأةً حتّى دقَّ على أذنيّ، وانصبَّت أنظار الجميع عليّ مُحلّلين كلّ حركاتي. كنتُ أفكّر في تأثير الخلّ، لكنّ انتباهي انقسمَ إلى نصفين.

شخرَ أندريه. "يبدو أنّها مريضة، سيّدي. هل تعتقد أنّ حالتها النفسيّة مُتضرّرة؟"

اشتعلَ وجهي بينما كان الطلاب يضحكون. لم يُبدِ المُدير ردّة فعلٍ تجاههم، وبالتأكيد لم يُقدّم لي عونًا. اجتاحَني الغضب، وفتحتُ فمي لأنفثه قبل أن يُقاطعني توماس بقفزةٍ مُفاجئة من كرسيّه الذي انقلبَ خلفه.

"كفى!" هتفَ بصوتٍ أبرد من العاصفة الهائجة في الخارج. "الآنسة وادزورث قادِرةٌ للغاية. لا تسخروا منها."

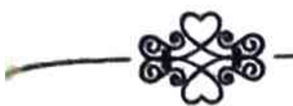
لم تكن إحراجاتي السابقة شيئًا مُقارنةً ببحر الحَرَج الذي غرقتُ فيه الآن. تراجعَ مولدفانو وهو يُحدّق في توماس، كأنّهُ سحليّةٌ اكتسبَت فجأةً القُدرة على الكلام.

"ستكون هذه نهايةُ قولك سيّد كريسويل." أشارَ إلى الكرسي المقلوب. "إذا لم تتمكّن من الجلوس عليه بهدوء فسوف تُطلَبُ منكَ المُغادرة. صبري ينفد آنسة وادزورث. ماذا يُمكن أن يحدُث لعظمٍ في الخلّ؟"

اندفعَ الدم حول رأسي لكنني كنتُ غاضبةً لدرجة عدم الاكتراث. فجأةً عرفتُها: حامض. الخلّ حامض. "سوف يُصبح أضعف. من المعروف أن الحامض يُسبّب تآكل فوسفات الكالسيوم، ممّا يجعل العظام أكثر مرونةً أيضًا."

كادَت ابتسامةٌ تظهر على شفاه مولدفانو. "الأمير نيكولاي، حدّد المفاصل التي ترتبط بالحركات في أجسادنا."

أطلقتُ أنفاسي وعدتُ إلى مقعدي، غاضبةً من فعل توماس الذي وضعَني مرةً أخرى في محطّ إحراج أمام أقراننا. سواءٌ أكانَ عن قصدٍ أو بغيره، فقد قامَ بعملٍ جيّد في تقليل فرص اجتيازنا كورس التقييم.



أبقيتُ عينيّ على دفتر ملاحظاتي لما تبقّى من الدرس، خائفةً من أيّة حماقات أخرى قد يرتكبها توماس.

"لقد توسّلَ إليّ أخي للتحدّث نيابةً عنه."

سحبَت داسيانا كرسي الكتابة من حجرة نومي ووضعَتهُ أمام الأريكة. سوف تنضمُّ إلينا أنستازيا في غضون ساعة أو نحو ذلك، لكن في الوقت الحالي كنّا أنا وإيليانا وداسيانا فقط.

جلسَت صينية طعام أمامنا دون أن يمسّها أحد. لقد فقدتُ شهيّتي بالكامل. طلبتُ منهما شَغل الأريكة وجلستُ على الكرسي قُبالتها. لم أرغب في التعليق على إحباطي من توماس، لكنّ داسيانا لن تقبل صمتي.

"إنهُ يتعذّب. بصراحةٍ لا أعتقدُ أنه فكّرَ في نتائج أفعاله. توماس يرى العالم على شكل مُعادلات، وكلّ مشكلة لها حلّ بالنسبة له. إنهُ لا يفهم العواطف جيدًا لكنّه يُحاول ذلك، ولديه رغبةٌ في التعلّم."

لم أكلّف نفسي عناء الإشارة إلى أنه إذا كان مهتمًّا فعلًا بالتعلّم، للاحظَ ذلك في المرّةِ الأولى التي تحدّثنا فيها بشأن مُشاركته في إخباري بما يجب أن أفعله، ومن ثمَّ لم يكُن ليصنع مثل ذلك المشهد في درس علم التشريح. بدلاً من التعبير عن سخطي قلتُ ببساطة: "أنا بحاجةٍ إلى بعض الوقت." "مفهوم. لم أرهُ أبدًا مُتأثّرًا هكذا من قبل. كلّ ما يفعله

هو المشي في غرفته. هل تُريدين أن أنقل له رسالة قبل أن أغادر؟" هززتُ رأسي. قدّرتُ حقًا مُحاولة داسيانا لإصلاح صداقتنا، لكن الوقت ليسَ مناسبًا الآن. لن أسمح لِقضايا خارجيّة بالتأثير على ما أتيتُ إلى هنا لفعله: تطوير مهاراتي في الطب الجنائيّ والحصول على مكانٍ في الأكاديميّة. سأتعامل مع إلهاءاتي الشخصيّة بعد أن أضمن مستقبلي مع واحدة من تلك المواقع؛ لن أضحّي بنفسي أو بأهدافي حتّى من أجل توماس. لم يكن ذلك شيئًا يجبُ على أيّ شخصٍ فعلُه، خاصةً على امرأة. الشريك المُناسب يكون داعِمًا ويفهمُ ذلك، حتى لو تاقَ إلى إصلاح الأمور مرّةً أخرى.

في هذه اللحظة احتجتُ إلى فهم كيف فقدَ زميلنا في الفصل دمه بالكامل، وفي غضون ساعة فقط. وكيف تمّ إلقاء جثّته وسط القرية دون أيّ دليلٍ أو شهود. رغم أنّني افترضتُ أنّ المُدير ربّما استفسرَ عن ذلك بالفعل خلال تفقّدهِ المكان.

كرهتُ أنّ عمّي ليسَ جزءًا من هذه القضيّة. كنتُ سأكون بجانبه وهو يتحدّث إلى المُحقّقين، بدلاً من أن تتمّ إعادتي إلى الأكاديميّة. حتّى المُحقّق ويليام بلاكبيرن - بأسراره العديدة - قد شملَني في جرائم السفّاح. استلقَت إيليانا في حُضن داسيانا وجفناها نصفُ مغلقَين، بينما كانت داسيانا تُمرّر أصابعها خلال شعرها. تحدَّثنا عن المكان الذي



ستُسافر إليه داسيانا قريبًا والعائلة التي ستزورُها. كان حديثُهما بنبرةٍ ناعمة مُهتمّة، ومشوبةً بشيءٍ من الحزن على احتمال عدم رؤية بعضهما البعض لِفترة من الوقت. أتاحَ حديثُهما لِذهني فرصة العودة إلى الوراء، إلى ما رأيتُه في القرية. الطريقة التي تُرِكَ بها فيلهلم، وعدم اضطراب الثلج حول جسده، كما لو أنّه قد... أُلقِيَ من نافذةٍ قريبة...

قفزتُ من الكرسيّ وخطوتُ أمام النار، بشيءٍ يتفكّك ويتجمّع في ذهني، لكنّني لم أستطع فهم ناتج القطع المُدمجَة.

"هل أنتِ بخير؟" سألتني داسيانا.

قُلت: "أعتذر. أنا أفكّر فقط."

ابتسمَت وعادَت للتحدّث بهدوء مع إيليانا. تذكّرتُ الشكل الذي ظننتُ أنني لمحتُه في النافذة فوق مسرح الجريمة. المصراع الذي ضربَ الحائط وجذبَ انتباهي إلى الأعلى. من الغريب ترك المصاريع مفتوحة في أثناء العاصفة، وهو أقلّ غرابة إذا كان ذلك هو المكان الذي تم إلقاء الجثّة منه.

جاءَت طرقةٌ على الباب أجفلَتنا جميعًا من أماكننا، وسُرعان ما انفصلَت إيليانا عن داسيانا. دخلَت أنستازيا مُتمايلةً بخفّة، وهي تُلوّح لإيليانا وتبتسم لي ابتسامةً عريضة قبل أن تتفحّص داسيانا عن كثب. لم

أتوقع مجيئها بتلك السرعة، لكنّني عرفتُ عن أنستازيا أنّها ترقصُ على إيقاعها الخاصّ في الحياة.

"هل أنتِ أخت الوسيم؟"

ضاقت عينا داسيانا. "إذا كُنتِ تشيرين إلى توماس فَبلى. وأنتِ؟"

"أنا الفتاة التي تأمل في خطفهِ لِنفسها." رمَت أنستازيا رأسها للخلف وضحكَت. "أنا أمزح! كان تعبيرُكِ رائعًا." ثمّ أشارَت إليّ. "لا إهانة لكِ أودري روز."

زمّت داسيانا شفتيها، وأمكنَني تخيّل ما تتوقُ إلى قوله. لقد مرَّت بي نفس الدهشة من صراحة أنستازيا في بداية لقائي بها. أنستازيا تعرفُ ما تُريد ولا تخجل من التعبير عنه، وهي سمةٌ رائعة لشابّة تحت رعاية مُديرٍ صارم.

"أظنُّ أنّني عرفتُ مكان مقتل فيلهلم." قلتُ على أمل كسر التوتّر، ثمّ أخبرتُهم بسرعة عن المصراع والنافذة المفتوحة والشكل الغامض. لم أنسَ أيّة تفاصيل عن حالة الجسد أو آثار الأقدام المُنفردة التي أدّت إلى الزقاق المجاور، كأنّ مَن رماه من المبنى قد فحصهُ قبل أن يتسلّل هاربًا.

تجمّدَت أنستازيا بالكامل، أمّا إيليانا فقد لمسَت صليبًا سحبَتهُ من أسفل قميصها المُطرّز، في حين نهضَت داسيانا لتسكب لنفسها دفعةً من النبيذ من الدورق الذي جلبتهُ معها خلسةً. فورَ انتهائي من الكلام



وضعَت داسيانا كأسها والقلق منقوشٌ عبر جبينها. "لو كان قد أُلقيَ من النافذة، ألن تتكسّر بعض عظامه؟"

رفعتُ كتفًا. "ربّما. هذا يحتاج مزيدًا من التحقيق، لكنني لم أرَ أيّة مؤشرات على كسور في العظام أو كدمات. لم يكن السقوط بذلك الارتفاع، وإذا كان قد ماتَ بالفعل..." لم أكمل جملتي لأنّ إيليانا بدَت على وشك التقيؤ.

قالت داسيانا: "حسنًا، أعتقدُ أنّنا نحتاج إلى معرفة مالك ذلك المنزل. بغضّ النظر عن أيّ شيء فإنّهُ خيطٌ مُثير للاهتمام. يجب أن تُخبري المُدير."

زفرَت أنستازيا. "لا ينبغي لها أن تفعل هذا. يجب أن نُحقّق في الأمر بمُفردنا. إذا تمّ إبلاغ عمّي فسوفَ يكتشف الأسرار ولن يُشاركها معنا." أمسكَت يدي بيديها. "قد تكون هذه فرصتكِ لتُظهري له قيمتك الحقيقيّة. أرجوكِ لا تُخبريه بهذه النظريّة، ودَعيني أساعدُك، ليرى بعينيه قدرة الشابّات على هذه الأشياء."

ابتلعتُ ردّي الأوّلي: إنّها على صواب. إذا أخبرنا مولدفانو بهذا الأمر فسوف يُجبرنا على البقاء في الخلف خلال التحقيق، ثمّ ماذا؟ لن يُشاركنا بشيء ولن يعترف حتّى بدورنا في مُساعدته في القضية. كانت هناك أيضًا مسألة منع الخروج من الأكاديميّة؛ من المؤكّد أنّهُ سيستخدمها كعُذر

ليُبقينا وراءه. قُلت: "حاليًّا سنحتفظ بهذه المعلومات لأنفسنا، لكن يجب أن نُخطّط للتحقيق في القرية قريبًا."

تبادلَت داسيانا وإيليانا نظراتٍ قلقة، لكنّني تظاهرتُ بعدم ملاحظة ذلك. أنستازيا وأنا كُنّا بحاجةٍ إلى هذا. قبّلَت أنستازيا خدّي وابتسمَت برضا قائلةً: "لن تندمي!"

لكن خلال تمنّياتي بمساءٍ سعيد لأصدقائي ورحلةٍ مُمتعة لداسيانا في المحطّة التالية ضمن جولتها الكبرى، لم أستطع مقاومة إحساس أنّ قول أنستازيا الأخير كانَ في غاية الخطأ.



18

أفضل طرُق سحب الدمّ



غرف البرج
قلعة بران

4 ديسمبر 1888

اندلعَت ألسنةُ لهبٍ تُشبه التّنانين خلف قضبان المدفأة في غُرفة الجلوس الصغيرة ضمن جناحي الخالي.

راقبتُها مفتونةً، بينما ضغطَ كتابي الطبّي على ساقيّ ليُصيبهما ببعض الخدَر: كانت رومانيا المُحيطة بنا تحتوي على تنانين في كلّ مكانٍ أنظرُ إليه. المشاعل في أنحاء القلعة، اللوحات القماشيّة في الممرّات، المنحوتات في القرية والشعارات على العربات. لقد عرفتُ أنّ "دراكول" يُترجَم إلى "تنّين" وافترضتُ كون تلك التصاميم تكريمًا لزعيمَين مُخيفَين: فلاد الثاني وفلاد الثالث.



قمتُ بتدوين ملاحظة في ذهني لسؤال البروفيسور رادو عمّا إذا كان لذلك علاقة أيضًا بجماعة التنّين الغامضة. ربّما تحمل التنانين أدلّة، لا أعرف إلى ماذا بالضبط لكنّها بدت تستحق البحث. ربما كانت جماعة التنّين وراء موت فيلهلم، في استهدافٍ لأفراد النبلاء أو العائلات التي لم تُحافظ على قِيَمها المسيحيّة الأصيلة.

تنهّدت. لقد جمحَ تفكيري بعض الشيء؛ لا دليل على وجود الجماعة في هذا الوقت أصلًا. ربما كانت مجرّد شائعات وحكايات يتناقلها المُزارعون لضبط سلوك الناس خلال العصور التي تلَت مقتل أميرهم المُتوحّش والمحبوب على يد الأتراك.

قمتُ بتحريك ساقيّ على أمل استعادة بعض الشعور في أصابع قدميّ. كان كتاب الإجراءات الجنائزيّة بحجم قطّة منزلية كبيرة لكنّه أقلّ إمتاعًا بكثير. لم يُهرهِر[1] ولم يُظهر رغبةً في مُداعبة ما خلف أذنيه، بل قدّمَ معلوماتٍ ورسوم وجدتُها مُزعِجة.

تمّ رسم المُخطّطات بالأبيض والأسود لتوضيح كيفيّة تفريغ الجسم من الدمّ بالتفصيل، بالإضافة إلى خياطة الفم - وهي تتطلّب رباطًا يمرّ من الذقن عبر اللثّة وحاجز الأنف - لغرض الجنازة. نصحَت إحدى الرسومات كذلك باستخدام الفازلين لإبقاء الجفون مُغلقة.

---

1 -هرهرة القطة: مواء واطئ ومستمر يشير غالبًا إلى استرخاء القطة. (المُترجِم)



من المُحتمل أن ينهار أفراد الأسرة الحزينة إذا رأوا عيون أحبّائهم أو فكوكهم تنفتح عندما يقودهم القسّ من الموت إلى السماوات. شخصيًا لن أهتمّ عند مُشاهدة مثل ذلك الشيء بنفسي. سيكون اللسان الجافّ مروّعًا للغاية، أشبه بِبرقةٍ متروكةٍ لساعات تحت شمس الصحراء، صورةٌ من الأفضل تركها للخيال.

لقد رأيتُ ما يكفي من الجثث في مختبر عمّي لأعرف جيّدًا أنّ معظم الناس يُفضّلون عدم رؤية تلك المناظر، خاصّةً حين يتعلّق الأمر بأحبّائهم. كففتُ عن التعلّق بأفكار الأشخاص الذين فقدتُهم وانتقلتُ إلى الفصل التالي من الكتاب. كانت الصفحات سميكةً خشنة حول الأطراف، والكتاب جميلٌ رغمَ موضوعه.

تخيّلتُ توماس جالسًا معي، وهو يُشير إلى تفاصيل لن يُلاحظها غيره خلال دراسة هذه الكتب. لقد سمحتُ لنفسي ببضع نظرات مسروقة، لكنّني تجنّبتُه بالكامل في أثناء درس رادو للفولكلور وتمرين التشريح لمولدفانو. لم يبدُ بحالٍ جيّد في كلا الدرسَين. أعدتُ التركيز على كتابي مُهمِلةً خطّ الأفكار هذا. لم أكن على درايةٍ بأعمال الجنائز مثلما كنتُ في تشريح الجثث، لذا استعرتُ هذا المُجلّد من إحدى المكتبات في طريقي إلى غُرفتي بعد الفصل.

وفقًا للدفّانين، كان إدخال قُنَيَّة - وهي أنبوبٌ طويل - في الشريان السُباتي ثم إخراج السوائل عن طريق الجاذبية هو أفضل طريقة لسحب الدمّ وسوائل الجسم الأخرى. يقوم عامل الجنائز بعدها بتحريك السوائل عبر تدليك مسارها من أقدام المتوفّين إلى قلوبهم الساكنة. بدا ذلك عملاً مُضنيًا لأيّ شخص بينما كان الناس يتجوّلون في شوارع براشوف المزدحمة، كما أنّهُ يُخلّف الكثير من الاضطراب في الثلج حول جثة فيلهلم. من المؤكّد أيضًا تناثر بعض السوائل أو الدماء على الأرض. إذن لا بدّ من تحريك جسده بعد سحب الدم. لم تكن هُناك طريقةٌ أخرى يخوضُ فيها كلّ ذلك حيثُ تمّ العثور عليه. ما زلتُ أؤمنُ بشدّة أنّ المنزل ذا المصراع المفتوح قد يحوي أدلّة.

صرتُ أكثر اقتناعًا بأنّ جهاز الجنائز هو ما استُخدِم لسحب دمه؛ لكنّهُ لم يحلّ لُغز كيفيّة موته. إذا كان قد قُتل فيجب أن يظهر عليه جرحٌ خارجيّ. للخنق مثلاً علاماتٌ واضحة: نزفٌ مُنقّط في بياض عينيه وتغيُّر اللون حول رقبته. كان جسده خاليًا من كلّ ذلك، ولم أستطع تذكّر أيّ دليل ملموس يُظهِر أنّهُ قد قُتل، باستثناء علامات "العضّ" المُفترَضة.

لقد شككتُ في وقوفه مكتوف الأيدي وسماحه لشخصٍ ما بتفريغ دمه دون قتال، لذا فإنّ "علامات العضّ" ليسَت سبب وفاته على



الأغلب. من الوارد أنّهُ قد أُعطِيَ بعض الأفيون، وربّما تسبّبت هذه السموم في طفحه الجلديّ.

بينما تجوّلَ عقلي في قضيّة جثة زميلي الجافّة، طلبَ قلبي أن يأتي توماس ويُناقش معي الموضوع على الفور. أخبرتُ قلبي أن ينسى نداءه؛ سأحلّ اللغز بنفسي. رغم علمي بقدرتي على إنجاز هذه المهمّة، لكنّني لم أستطع إنكار الفراغ الذي حولي. كانت داسيانا تُسافر حول القارّة بالفعل، ولم تتمكّن أنستازيا من القدوم إلى غرفتي بسبب كتابٍ كانت تدرُسه، قالت أنّهُ قد يُساعد في قضيّة فيلهلم. أمّا إيليانا فمشغولةٌ بمهامّها ورفضتُ تعريض عملها للخطر فقط لتؤنس وحدتي.

أينَ أنتِ عندما أحتاجُكِ يا ابنة عمّتي؟ كنتُ في انتظار رسالة ردٍّ من ليزا، على أمل أن تُقدّم بعض النصائح التي احتجتُها جدًا بشأن مسألتي مع توماس. كانت الرومانسية بالنسبة لها مثل الطبّ الجنائيّ بالنسبة لي، وتمنّيتُ وجودها معي لمُساعدتي في التغلّب على عاصفة المشاعر تلك.

احتقرتُ كوني مشتتةً خلال هذا الوقت الحرج. بغضّ النظر عن عدد المرّات التي أمرتُ فيها عقلي بصياغة نظريّاتٍ علميّة، كان يدفع نفسه بعنادٍ إلى توماس والاضطرابات التي شعرتُ بها. كنتُ بحاجةٍ إلى حلّ الموقف لأتمكّن من التركيز. تنهّدتُ، لعلمي أنّ هذه ليسَت الحقيقة الكاملة خلف رغبتي في مُعالجة المشكلة. لقد اشتقتُ له، رغم تَوقي إلى

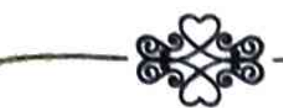
خنقه. هذه الفكرة، مع بشاعتها، أفضل بكثير من الأفكار المؤذية الأخرى التي طاردَتني سابقًا.

داهمَت حواسّي ذكريات الجريمة الشنيعة التي قامَ بها السفّاح، كأنّها تنتظر لحظة ندائي لها. الطريقة التي تمزّقَ بها جسد الآنسة ماري جين كيلي... ثمّ أوقفتُ نفسي هُناك.

أغلقتُ الكتاب وتوجّهتُ إلى سريري. غدًا سأستيقظ لأبدأ من جديد، وأتعامل مع تداعيات خلافنا. حاليًا سأعتني بجروحي. كان توماس مُحقًا في شيء واحد: أنا بحاجةٍ إلى مُعالجة نفسي قبل أن أتمكّن من مُعالجة أيّ شيء أو شخصٍ آخر. رفعتُ الأغطية، وأوشكتُ على الانزلاق تحت دفئها عندما سمعتُ طرقةً على بابي. توقّفَت أنفاسي. إذا كان السيّد توماس كريسويل السخيف على بابي في هذه الساعة غير اللائقة، خاصّةً بعد سلوكه البغيض...

خفقَ قلبي الخائن وأنا أفتح الباب، قبل أن تفنى التحذيرات الحاضرة على عتبة لساني. "آه! لستِ مَن ظننتُ على الإطلاق."

ارتدَت أنستازيا ملابس سوداء مُعتِمة وشفتاها تميلُ بشيطانيّة. "مَن افترضتِ أنّهُ سيكون هنا في هذه الساعة؟" أمسكَت بيديّ وقامَت بالتأرجح في رقصة فالس خرقاء. "بالتأكيد ليس السيّد كريسويل



الجذّاب... ها؟ يا للإثارة! يا للفضيحة! يجب أن أعترف بأنّني أحسدُك على حياتكِ السرّية."

"أنستازيا، كوني جادّة! إنها العاشرة ليلاً! ماذا تفعلين بحقّ السماء خارج السرير؟" نظرتُ إلى ملابسها ثانيةً، مُتذكّرةً الوقت الذي ارتديتُ فيه ثوب حداد. "في الواقع، يجب أن أسأل إلى أين تُخطّطين للتسلّل؟"

"نحنُ ذاهبتان للتحقيق في مسرح وفاة فيلهلم." قفزَت إلى حجرة نومي وأخرجَت بعض الملابس الداكنة من خزانتي. "استعجلي. القمر مكتمل والسماءُ صافية... علينا الذهاب إلى براشوف الليلة. أخبرَني عمّي أنه استدعى حرسًا ملكيًا؛ سيصلون غدًا ويجعلون التسلّل أمرًا صعبًا." نظرَت إليَّ من فوق كتفها. "لا زلتِ مهتمةً بالبحث في ذلك المنزل، أليس كذلك؟"

"بالطبع." أومأتُ برأسي مُحاولةً عدم التفكير في كائنات الغابة. الوحوش حقيقيّةٌ بقدر تخيّلاتِنا فقط، وخيالاتي عازمة على ملء العالم بما هو خارقٌ للطبيعة. "ألا يجب أن ننتظر ضوء النهار؟ قد تكون الذئاب خارجةً للصيد."

زفرَت أنستازيا. "البروفيسور رادو يملأ رأسك بالمخاوف. مع ذلك، إذا كُنتِ خائفة لهذه الدرجة..." قطعَت كلامها ليبقى عرضُها الساخر والمُتحدّي مُعلّقًا بيننا. هززتُ رأسي بالنفي فأشرقَت عيناها

بفَخر. "عظيم!" رمَت لي الملابس الداكنة. "إذا كنّا محظوظتَين قد نُواجه الأمير الخالد. يبدو التنزه في منتصف الليل مع دراكولا الساحر ذا مُتعةٍ كبيرة."

"تقصِدين ذا مُتعةٍ قاتلة." انزلقتُ في ثوبي الأسود ولففتُ عباءةً مطابقة له من الفرو حول كتفيّ. قبل مغادرتنا، انتزعتُ دبّوسًا من خزانة ملابسي وغرستُه في شعري. ابتسمَت أنستازيا في وجهي مُحتارة لكنّها لم تستفسر عنه لحسن الحظّ. لم أرغب في قول ذلك بصوتٍ عالٍ، لكنّني بالتأكيد أملتُ ألّا نُصادف أيّ شخصٍ مُتعطّش لدمائنا.

في الواقع، أفضّلُ عدم رؤية الأمير دراكولا أبدًا.

كانت أنستازيا على حقّ: السماء خاليةٌ من السُحب والثلوج لأول مرّة، والقمر ساطعٌ لدرجة أنّنا لم نحتَج إلى مصباحٍ أو فانوس. انعكسَ ضوء القمر في بقعٍ لامعة على غطاء الثلج.

مع ذلك، كان الجوّ أكثر برودةً من المختبر في قبو عمّي حيث فحَصنا الجثث. سارَعنا المشي في الطريق القديم الذي يربط الأكاديميّة بالقرية، وكان تقدّمنا هادئًا باستثناء أصوات الطبيعة العرضيّة، تنّوراتنا تخطّ أكداس الثلج، وأنفاسُنا تخرج في دفعات بُخار. كنّا نسير بخطى حثيثة، على أمل الابتعاد عن القلعة في أسرع وقت ممكن.



تراقصَت الظلال فوق رؤوسنا مع صرير أغصان الأشجار وتأوّهاتها. حاولتُ تجاهل الشعر الواقف على قفا رقبتي والشعور بأنّني تحت المُراقبة. لم تكن هُنالك ذئاب. لا صيّاد يطارِدُنا، خالدٌ أم مُفترس. لا أحد يُسعده تشويه أجسادنا وتحويلنا إلى أشكالٍ لا يُمكن التعرّف عليها. تدفّقَ الدم بشدّة في رأسي.

للمرة الثانية في ذلك المساء خطرَت في ذهني صورةٌ مروّعة لجثّة الآنسة ماري جين كيلي، كما حدثَ غالبًا حين أتخيّل شيئًا بالغ الوحشيّة. لقد مزّقَ جاك السفّاح جسدَها حتّى غدا بعيد الشبه عن أيّ شيءٍ بشريّ.

أغمضتُ عينيّ للحظة، راغبةً في البقاء هادئةً ثابتة، لكنّ الشعور بأنّني مُراقَبة استمرّ. كانت الغابة ساحرةً خلال ساعات النهار، لكنّها في الليل خطيرةٌ ومُخادِعة. قطعتُ وعدًا على عدم ترك غرفتي في الظلام مرّةً أخرى.

المُستذئبون ومصاصو الدماء ليسوا حقيقيين. لا أحد يُطاردك... فلاد دراكولا ميّت، وكذلك جاك السفّاح. لا يوجد...

انكسرَ غصن شجرة في مكانٍ ما بالقرب منّا وسقطَ أرضًا، ففقدتُ الإحساس بجسدي. قفزنا أنا وأنستازيا معًا، مُمسكتَين ببعضنا البعض كما لو أنّ قوّةً خبيثة قد تُفرّقنا. أصغَينا السمع في صمتٍ للحظات، في اجتهادٍ لسماع أيّة أصواتٍ أخرى. كان كلّ شيء ساكنًا، عدا قلبي، الذي

خفقَ في صدري كأنّ مخلوقاتٍ خارقة تُطاردني. همسَت أنستازيا: "الغابةُ شرّيرةٌ مثل دراكولا. أقسمُ أنّ شيئًا ما موجود هُناك. هل تشعُرين به؟"

شكرتُ السماء لأنّ عقلي لم يكن وحيدًا في استحضار الوحوش الجائعة التي تتبعنا إلى القرية.

قُلت: "لقد قرأتُ دراساتٍ تدّعي أنّ الحواسّ الغريزيّة البشريّة تتعاظم في أوقات الشدائد. نحن ننسجم مع عالم الطبيعة من أجل البقاء. أنا متأكدة من أنّ تفكيرنا سخيفٌ الآن، رغم أنّ دروس رادو تبدو معقولةً أكثر تحت جُنح الظلام."

لم تُعلّق صديقتي على ذلك، لكنّها أيضًا لم تتخلَّ عن تشبّثها بي حتى وصلنا بأمانٍ إلى براشوف. كما توقّعت كانت القرية هادئة، بعد أن نام سكانها بأمان داخل منازلهم الملوّنة. تردّد صدى عواء منفرد من بعيد، ووجدَت نغمته الحزينة مُغنّيًا آخر، وسرعان ما أزعجَ سكونَ الليل عواءُ جوقةٍ من الذئاب.

رفعتُ غطاء عباءتي ونظرتُ إلى القلعة التي تقف فوقنا، مُظلمةً مُهيبة تحت ضوء القمر الفضيّ. كانَ هُنالك شيءٌ ما ينتظر، وأمكنَني الشعور بوجوده. ما الذي طاردَنا؟ إنسانٌ أم وحش؟ قبل أن أضيع في القلق، قدتُ أنستازيا إلى المكان الذي رُمِيَت فيه جثّة فيلهلم. "هُناك." أشرتُ إلى المنزل المجاور لمسرح الجريمة ونافذته، والذي تمّ



الآن تثبيت مصراعه بإحكام في مكانه. "أقسمُ أنّ المصراع كان سائبًا في آخر مرّةٍ كنتُ هنا."

زمّت أنستازيا شفتَيها وهي تُركّز على المنزل المُظلم، وشعرتُ بالسخافة وأنا أقفُ هُناك في الليل تحت صدمة الواقع. لم يُمكنني التيقّن من كون الغالق مفتوحًا حقًا، أو من رؤيتي لظلّ شخص راقبَ الحشد من النافذة. ربّما كان مجرّد شبحٍ آخر من نسج مخيّلتي. بدا لي أنّ الهستيريا هي المُحفّز وراء كلّ نوبةٍ من نوباتي تلك.

"أعتذر،" قلتُ مشيرةً إلى المبنى الاعتياديّ جدًا. "يبدو أنّني مُخطئةٌ في النهاية. لقد جئنا إلى هنا من أجل لا شيء."

قالَت أنستازيا وهي تسحبني نحو الباب الأمامي: "يجب أن نتأكّد من عدم وجود شيءٍ هنا بالفعل. صِفي ما حدثَ مرّةً أخرى، ربّما هُناك ما نستطيع البدء به."

تبلورَت فكرةٌ ببطء في رأسي حين ركّزتُ انتباهي على الباب، ورأسي مائل إلى الجانب. أزلتُ الدبّوس من شعري، وعلمتُ أنّني على وشك تجاوز حدٍّ أخلاقيّ لم أفكّر في اجتيازه من قبل. لكنّ أنستازيا كانت مُحقّة: لقد قطَعنا كلّ ذلك الطريق، وخاطَرنا في نيل غضب مولدفانو وتعريض مكاني في الأكاديميّة للخطر، ولا تزال أمامنا مهمّة العودة إلى غُرفنا في القلعة، بعد تجنُّب الذئاب المتوحّشة والمدير القاسي.

لم أستطِع العودة إلى الأكاديمية دون التأكّد، بغضّ النظر عن العواقب. تسارعَ قلبي، ليس من الخوف حينَها بل من الإثارة، وكان الأمر مُقلِقًا وعصيبًا للغاية. تقدّمتُ إلى الأمام وأمسكتُ مقبض الباب بيدٍ واحدة لأُدخِل الدبّوس في موضع القفل وألويه، حتّى سمعتُ نقرةً جميلة.

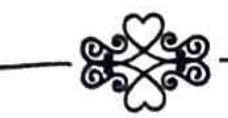
"أودري روز! ماذا تفعلين؟!" قالت أنستازيا وتركيزها يندفع في كلّ مكان حولنا بصوتٍ مُرتعِب. "ربّما هُنالك أناسٌ نائمون في الداخل!"

"صحيح وقد نجدهُ مهجورًا." شكرتُ والدي بِصمت. كان غالبًا ما يُخطئ في وضع المفاتيح وهو تحت رحمة اللّودانوم[1] في العام الماضي، ما أجبرَني على تعلّم فنّ فتح الأقفال. أعدتُ الدبّوس إلى شعري وتوقّفت، في انتظار مَن يكتشفني، والنبض يهدرُ في عروقي.

بطريقةٍ أو بأخرى كنّا سنحلُّ لغزًا واحدًا على الأقلّ الليلة. ربّما شاهدتُ شخصًا يُحدّق من تلك النافذة، وربّما لا، ما يعني احتمال وجود أدلّة. على أيّة حال لم أستطع الاستمرار في الهرب من الظلال بعد الآن. أخذتُ نفسًا عميقًا وأمرتُ جسدي بالاسترخاء. لقد حان وقت احتضان الظلام، لأُصبِح مُخيفةً أكثر من أيّ أميرٍ مصّاص للدماء يُطارد

---

1 - اللودانوم: من أنواع الأفيون التي تُسبّب الإدمان. (المُترجِم)

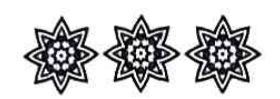


الليل. حتّى لو اضطرّني ذلك للتضحية ببعضٍ من روحي وأخلاقي الحميدة للوصول إلى مبتغاي.

"هُنالك طريقةٌ واحدةٌ فقط للتأكّد." همستُ قبل أن أعبر العتبة على رؤوس أصابعي لأختفي في الظلام.

19

اكتشافٌ مُثير



منزل غير معروف
براشوف

4 ديسمبر 1888

لم توقد نيرانٌ داخل المنزل الصغير، وكان هواؤه بنفس برودة الهواء الطلق.

تسلّلَ الصقيع إلى زجاج النوافذ وجذعي وأنا في طريقي نحو البقعة الوحيدة التي أنارَها ضوء القمر. حتّى في الظلام شبه الدامس، أمكنَني رؤية أنّ المكان حُطام. لقد تمّ قَلب كرسي، وتناثرَت الأوراق، وأُخرِجَت الأدراج. بدا كأنّ شخصًا - أو بضعة أشخاص - قد عاثوا في المكان فسادًا.

تنفّسَت أنستازيا بصعوبةٍ خلفي. "انظُري! هل هذه... دماء؟"



استدرتُ وحدّقتُ في البقعة الكبيرة بلون الصدأ على السجّادة. سرَت قشعريراتٌ بطيئة في بدني. تولّدَ لديّ شعورٌ فظيع أنّنا وقفنا في نفس المكان الذي سُحِبَ فيه دم فيلهلم من جسده بالقوّة. خفقَ قلبي بضعف السرعة، لكنّني أرغمتُ نفسي على التحقيق كما لو كنتُ توماس كريسويل، بهدوءٍ وبرود وقُدرة على استقراء قُطع الأحجية المُتبقّية.

"هل هي كذلك؟" سألتني أنستازيا ثانيةً. "قد يُصيبني غثيانٌ إذا كانت دماء."

قبل أن أتمكّن من الإجابة عليها، حطّ انتباهي على إبريقٍ زجاجيّ مكسور. التقطتُ بعناية قطعةً من زجاجه، وغرستُ اصبعي في البقعة القرمزيّة الداكنة. فركتُها بين أصابعي، مُلاحظةً لزوجتها. دقّ قلبي بشدّة لكنّني تذوّقتُ السائل الجاف بعد أن وثقتُ إلى حدٍّ ما من ماهيّته. التوَت شفاه أنستازيا بينما ابتسمتُ لها وأنا أمسحُ يديّ أسفل عباءتي "إنّه عصيرٌ من نوع ما، وليسَ دمًا."

ظلّت صديقتي تُحدّق في وجهي، كأنّني تجاوزتُ حدود اللياقة لدرجةٍ لا يُمكن حتّى التعليق عليها. بحثتُ في نفسي لأجد وخزة الإثارة تلك في أعماقي، أشبه بتيّارٍ كهربائيّ خفيّ جعلَني أشعر بِحيويّة لم أشعر بها منذُ عصور.

"ماذا حدثَ هنا باعتقادِك؟"

ألقيتُ نظرةً خاطفة حول المكان ثانيةً. "من الصعب التكهّن بأيّ شيء قبل أن نجد مصباحًا."

سحبتُ الستائر عن النافذة سامحةً لمزيدٍ من ضوء القمر بالدخول. عبرَت أنستازيا الغرفة بسرعة ورفعَت مصباحًا زيتيًّا لم يتحطّم خلال الفوضى. بعدَ هسهسةٍ قصيرة ملأ الضوء الأصفر الفضاء حولنا، كاشفًا عن قصّةٍ مأساويّة.

تناثرَت زُجاجات المشروبات الروحيّة على الأرض في منطقة الطهي الصغيرة خارج الغرفة الرئيسية. كان بعضُها مكسورًا وكلّها فارغة. استنتجتُ من قلّة رائحة الكحول في الهواء، مع عدم تساقط أيٍّ منه، أنّ شخصًا ما قد تعاطى المشروب بكثرة.

عند إعادة فحص الغرفة – التي اعتقدتُ في البدء أنّها تعرّضَت للنهب – تبيّنَ لي أنّ مَن عبثَ بمحتوياتها قد يكون نفس الشخص الذي شربَ كل تلك القناني. ربما كان يبحث عن زجاجةٍ أخرى يشربها وغضبَ عندما وجدَ المنزل خاليًا. أشعلَت أنستازيا مصباحًا آخر قبل الانطلاق لتفقّد الغرف الأخرى.

رفعتُ بيدي صورةً فوتوغرافيّة، مُتفاجئةً بإيجادها في منزلٍ مثل هذا، ثم شهَقت. ظهرَت في الصورة نفس الشابة التي وُصِفت بأنّها مفقودة في الرسم المُعلّق في محل الملابس. كانت تبتسم في وجه طفل، بينما وقفَ



زوجها وراءهما بفخر. هل يُمكن أن تكون هي مَن شربَ كل هذه الخمور؟ ثمّ خرجَت مخمورةً تمشي في الغابة لوحدها...

عادت أنستازيا وهي تلوّح بكتابٍ أشارَ الصليب الموجود على غلافه إلى أنّهُ دينيّ. "لا أحد في غرفة النوم، لكنّ هذا بدا مُثيرًا للفضول."

"لن تأخذيه، أليس كذلك؟" نظرتُ إلى الكتاب بينما كانت تُقلّب الصفحات؛ كان على الأرجح نصًّا مقدّسًا من نوعٍ ما. اتّسعَت عينا أنستازيا وهي تهزُّ رأسها. أعدتُ الصورة إلى مكانها وأشرتُ إلى الباب.

قُلت: "يجب أن نُغادر. كان من الخطأ التسلّل إلى هنا. لا أظنّ أنّ لهذا المكان علاقةٌ بموت فيلهلم."

"ربّما له علاقة." رفعَت أنستازيا الكتاب ثانيةً. "لقد تذكّرتُ للتوّ أين رأيتُ هذا الرمز من قبل."

"تبدو القراءة شاقّة قبل النوم."

قفزَ رأسي من كتاب التشريح الذي دسستُ أنفي بين صفحاته. لقد مرّ يومٌ كامل منذ مغامرتي مع أنستازيا، ولم يحدث الكثير. توماس وأنا ما زلنا لا نتحدّث، ورادو متأثّرٌ بحكايات مصّاصي الدماء أكثر من أيّ وقتٍ مضى، أمّا مولدفانو فكانَ عازمًا على جعل وقتي في القلعة تعيسًا قدر الإمكان. ابتسمتُ ببلادة بينما كانت إيليانا تضع صينيّةً مغطّاة قبل أن تجلس على حافة الأريكة. فاحَت رائحةٌ خياليّة من الطبق، وهدرَت

معدتي بالموافقة حالما وضعتُ كتابي على الطاولة. "طلبتُ من الطاهي صنع شيءٍ مُميّز. إنه طبقٌ رومانيّ، يُشبه فطيرة لحم مع الفطر لكن بخُبزٍ مُسطّح."

سحبَت الغطاء الفضّي من الطبق لتُشير إلى كومة من الفطائر بحجم راحة اليد. كانت هُناك ستةٌ منها، أكثر ممّا يكفينا نحنُ الاثنتَين. نظرتُ حولي باحثةً عن شوكةٍ وسكّين، لكنّني لم أجد غير محارم وأطباق صغيرة. رغبتُ في أخذ إحدى الفطائر، ثم توقّفتُ مؤقّتًا ويدي فوقها. "هل يجب..."

"تابعي." مثّلَت إيليانا رفع واحدة منها وأخذ قضمة. "خُذيها وتناوليها، ما لم يكن لديكِ مانع. بدا تناول الطعام باليدين أمرًا شائعًا لي. لم أفكّر جيدًا. لا مشكلة لديّ في إعادته إلى المطبخ إذا كُنتِ تُفضّلين شيئًا آخر."

قلتُ ضاحكةً: "كلا على الإطلاق. في الواقع لقد اعتدنا على أكل الخبز المُسطّح والرايتا[1] بأيدينا منذ الطفولة."

تناولتُ قضمةً وأدهشَتني نكهة اللحم المُتبّل بمهارة مع قطع الفطر التي ذابَت مثل الزبدة على لساني. كانَت على ظاهر الخبز المُسطّح فقاعاتٌ

---

1 - الرايتا: خبز هنديّ مُسطّح. (المُترجِم)



مُتفحّمة مذاقها يُشبه دُخان الخشب، وتطلّبَ الأمر كثيرًا من إرادتي لكيلا أغمض عينيّ وأتأوه بشدّة في ذلك النعيم.

"هذا شهيّ."

"خمّنتُ أنّها ستُعجِبك. أجلبُ عادةً سلّةً كاملة منها حين أزور داسيانا. شهيّتها قويّة مثل أخيها." تلاشَت ابتسامة إيليانا قليلاً ثمّ تحوّلت إلى عبوس، وفهمتُ حزنها بعد ذهاب داسيانا. "لا تدَعي مظهرها الرقيق يخدعك. إنّها امرأةٌ فولاذيّة. شاهدتُها تُنهي السلّة بأكملها أمام طاولة من النبلاء. لقد فغروا أفواههم على المنظر، لكن داسيانا لم تهتمّ مطلقًا."

ذهبَ العبوس الخفيف لتستبدله نظرةُ فخرٍ كبير، ولم أستطع منع نفسي من الابتسام. تساءلتُ عمّا إذا كانت قد التقت بداسيانا في منزل أحد النبلاء الذين عملَت عندهم إيليانا، لكنني لم أرغبَ في التطفّل بالسؤال. تلك قصّتهما الخاصّة لترويانها متى ما شاءتا ذلك.

"قد أقوم بالتهام الصينيّة بأكملها أمام الملكة دون ندم على لقمةٍ واحدة من هذه اللذّة."

أكلنا في صمتٍ ودود، ورشفتُ الشاي الذي أحضرته إيليانا أيضًا. أوضحَت لي أنّ الرومانيّين لا يشربونه كثيرًا، لكنّها تكيّفَت مع عاداتي الإنجليزية في المشروبات. كنتُ ممتنةً لصُحبتها.

أرسلَت أنستازيا رسالةً تقول فيها أنّها ستمكث في غرفتها طوال المساء لقراءة الكتاب الدينيّ الغامض. كانت تعتقد أنّ الرمز الموجود على غلافه كان أحد رموز جماعة التنّين، لكنّني شككتُ في انتماء المرأة المفقودة من القرية إلى تلك المجموعة القديمة من الفرسان.

قمتُ بتقطيع الخبزة المحشيّة الثالثة إلى عدّة قطع، مفكرةً كيف فعل نيكولاي نفس الشيء قبل يومين. تساءلتُ عمّا إذا عاد إلى تناول الطعام أم أنه مستمرٌّ في ابتلاع حُزنه. لوقف هذه الأفكار، قرّرتُ فجأةً طلب نصيحة إيليانا.

قلتُ ببطء: "أنا... أجدُ نفسي غير متأكدة من إمكانية التفكير بمستقبلٍ مع توماس، نظرًا لِخلافنا الأخير. هل تُزعجُك... معرفة أنّ المستقبل مع داسيانا قد يكون مُستحيلاً؟"

"لا أستطيع التنبؤ بما يجلبُه المستقبل مع احتمال عدم قدوم الغد. قد يحدُث أيّ شيء. قد يُقرر الربّ أنّه سئم منّا ويمحو الأرض." أخذَت مناديلًا من الدرج، وراقبَتها وهي تسقط على الأرض بشكل عشوائيّ.

"صحيح؟" أخذتُ رشفةً من الشاي وأنا أفكّرُ في ما قالته، بينما غمرَ طعم الأعشاب اللطيف حلقي. "من الحكمة التخطيط لاحتمالاتٍ مُختلفة في المستقبل. ألا ينبغي أن يكون للمرء هدفٌ ما يعمل على تحقيقه، حتى لو كان المسار الذي يسلكه مجهولاً؟" "يجب أن تتبعي قلبكِ، وانسي



الباقي." وقفَت إيليانا لتجمع الأطباق والمناديل المستعملة. "توماس إنسان وسوف يرتكب أخطاء، وطالما أنه يعتذر وهو شيءٌ يُمكنك التعايش معه فالأمر يستحقّ أن تحبّيه اليوم. يجدر بكِ أيضًا مُسامحته. لا تعرفين أبدًا متى قد تفقدينه."

شقّت وخزةُ خوفٍ طريقها أسفل عظام فقراتي. لم أرغب في التفكير في مثل هذه الأشياء. كنّا أنا وتوماس على خلافٍ مؤقت، وسوف نعيش لنحلّ اختلافاتنا تلك. "أنتِ وأنا ثنائيٌّ خطير في هذه الليلة الصاخبة يا إيليانا. بين كتاب الجنائز خاصّتي وهذه المُحادثة، لا يسعُني الانتظار لرؤية ما تُخبّئه لنا بقيّة الأمسية."

استبدلَ ابتسامة إيليانا تعبيرٌ أكثر جدّية. "ستصل عائلة فيلهلم في الصباح لأخذ ابنهم إلى المنزل ودفنه. إنّهم غاضبون للغاية من أنّ جسده قد تمّ... تدنيسه."

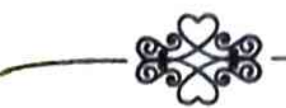
"كيف علمتِ بذلك؟"

"يُفترض أن يبقى الخدم غير مسموعين وغير مرئيّين خلال اعتنائنا بالقلعة وشاغليها، لكن هذا لا يعني أنّنا لا نرى ونسمع، ونثرثر أيضًا. غالبًا ما تضجّ قاعة الخدم ببعض الفضائح الجديدة. تعالي، سأريكِ بعض المسالك السرّية. إذا رغبتِ يُمكِنكِ كذلك التسلّل في الممرّات الفارغة، إنه الجزء المفضّل لديّ من هذه الوظيفة."

تبعتُ إيليانا إلى غرفة الغسيل، حيث أخرجَت مفتاحًا من مئزرها ثم ضغطَت على خزانة ركنيّة طويلة لم أنتبه لوجودها من قبل. في الداخل كان هُنالك باب يؤدي إلى قاعةٍ صغيرة تنتهي بدرجٍ دائري. لقد تأثّرتُ بفكرة الممرّات المخفيّة. كان لأرضنا الريفيّة، ثورنبراير، متاهةٌ كاملة داخل جدرانها. سيسعدني وجود شيء من تلك المساحات الخفيّة في قلعة بران. هُنالك شيءٌ ساحر في السّير إلى مكان لا يقصدهُ معظم الناس، ولا يُفكّرون في إيجاد شخصٍ فيه.

بعد إغلاق باب الممرّ السرّي، نزلَت إيليانا الدرج بخفّةِ طواف الأشباح عبر الأثير، وواجهتُ صعوبةً في ألّا أشبهُ فيلًا يتعثّر بشُجيراتٍ وأنا أتخبّط خلفها. لم أعتبر نفسي كثيرة الضجيج من قبل، لكن حركة إيليانا الصامتة بشكل عجيب جعلَتني أشعر بالعار. تابعنا النزول حتّى سخنَت عضلات فخذيّ، وفورَ وصولنا إلى الطابق الرئيسي أسرعَت إيليانا نحو عمودٍ عريض.

هززتُ رأسي. لقد مشيتُ من هنا عدّة مرات سابقًا، ولم ألاحظ أبدًا أنّ ما افترضتُها مجرّد أعمدة تُشير للطلّاب نحو القاعة الرئيسية كانت في الواقع تضمّ مدخلًا ضيّقًا في أحد جانبيها. لم تتغيّر خطوات إيليانا الواثقة خلال اختفائها في الممرّ المُظلم، الذي امتدّ خلف اللوحات الضخمة المُبطّنة للقاعة.



استقرّ شعورٌ غريب في داخلي. عندما تسلّلتُ عبر القاعات في الليلة التي غادرتُ فيها غرف أنستازيا وانتهى بي الأمر بزيارة توماس، كنتُ واثقة أنّني تحت المراقبة. ذلك الاحتمال واردٌ جدًا الآن، وارتجفتُ للفكرة.

"كوني هادئةً قدر الإمكان. من المفترض ألّا نتحدث أو نُحدث ضوضاء هنا. مولدفانو لا يرحم عندما يتعلّق الأمر بخرق قوانين القلعة."

قمتُ بملاحظة كل التفاصيل بِصمت. كانت هناك المزيد من اللوحات المُعلّقة على هذا الجانب من الممرّ السرّي، باعتبارها خزينًا إضافيًا يُستعمل حين الحاجة إليه. مشَينا بسرعةٍ اضطرّتني إلى جمع تنّورتي لكي لا أتعثّر بها بعد التفافها حول أطرافي، لكنني لم أفوّت المشاهد المصوّرة على اللوحات: أشخاصٌ يتعرضون للخوزقة ويصرخون ألمًا ورعبًا، غابةٌ من الموتى والدم ينزف من أفواه الضحايا المُخوزَقين. أظهرَت صورةٌ أخرى رجلاً يتناول الطعام على مائدة سالَ عليها نبيذٌ أو دمّ، من الصعب معرفة أيّهما. تذكّرتُ قول رادو بأنّ فلاد دراكولا قد غمسَ خبزه في دماء أعدائه. اخترقَت قشعريراتٌ بشرَتي. تعكّرَ مزاجي وضاقَ صدري بين الفسحة الصغيرة شحيحة الإضاءة والأعمال الفنّية تلك. بدَت هذه القلعة الشرّيرة كأنّها تستنشق خوفي بسرور، وتسارعَت

نبضات قلبي.توقّفت إيليانا بشكلٍ مفاجئ، ولولا إجبار نفسي على النظر إلى الأمام لاصطدمتُ بها مُوقعةً كلَينا على الأرض. قطبتُ حاجبيّ ولاحظتُ شحوب وجهها. حرّكَت ذقنها للأمام، ويداها مشغولتان بالصينيّة الفارغة. "مولدفانو."

"ماذا... أين؟"

"ششش، هُناك." أشارَت إلى جزءٍ من لوحةٍ تم قصّ قماشها بعناية، ولم أكن لأراه أبدًا لو لم أعلم بوجوده. ظننتُ أنّ الخدم استخدموها كوسيلةٍ لتفتيش الممرّات العامة قبل دخولها. انزلقَ شعور غريب أسفل جذعي، ولم أُمانع فكرة وجود عيون للجدران. "عبر اللوحة."

اقتربتُ أكثر، بحرصٍ على عدم لمس نسيج القماش الثقيل للبقاء مخفيّتَين عن مولدفانو. دعوتُ ألّا تدقّ ألواح الأرضيّة ناقوس الخطر، أو تتناهى إلى سمعه دقّات قلبي المدويّة.

كان المُدير في نقاشٍ مُحتدِم مع شخصٍ ما، رغمَ أنّه قامَ بمعظم الحديث. لقد تحدّثَ بالرومانيّة بسرعةٍ لم أستطع مواكبة كلماتها.

تعلّقَت مرآةٌ على الطرف البعيد من الممرّ العامّ، مُقدّمةً لمحةً من تعابير وجهه. التمعَ شعره الفضّي الطويل مثل شفرة المقصلة، وهو يهزّ رأسه من جانبٍ إلى آخر. لم أشهد قطّ مثل هذا الرجل القاسي بكلّ معاني الكلمة. ترجمَت إيليانا الكلام لي بهدوء.



"لديّ عملي الذي أقومُ به ولديكَ عملك. لا تتجاوز الحدود."

ناضلتُ لرؤية ما حول مولدفانو، لكنه كان يحجب الشخص الآخر تمامًا بردائه الأسود الطويل وقبضتَيه اللّتَين على وركه.

"لدينا سببٌ للاعتقاد بأنّ ذلك سيحدث مرةً أخرى، هُنا." فاجأني صوت رفيقه الرجوليّ العميق. كان مألوفًا نوعًا ما. "لقد تلقّى أفراد العائلة المالكة... رسائل، تهديدات."

"تهديدات بماذا؟"

"رسومات، موت، ستريغوي."

قال مولدفانو شيئًا لم نسمعه لا أنا ولا إيليانا.

"القرويّون متوتّرون." جاء صوت الذكر العميق ثانيةً. "إنهم يعرفون أنّ الجثّة فاقدة الدمّ. يعتقدون أنّ القلعة والغابة ملعونتان. جثّة القطار أيضًا تسبّبَت في... قلق."

غطّيت فمي لأخنق صوت المفاجأة. لم أعد بحاجة لمعرفة مَن يُكلّم مولدفانو؛ ميّزتُ الصوت رغم أنني سمعتُه مرةً واحدة من قبل، ورأيتُ تلك العيون الحادّة التي يُمكن أن تقطع الشخص إلى نصفين.

ظهرَ دانيشتي، الحارس الملكيّ من القطار، من خلف المُدير وهو يمسح الجزء الأمامي من زيّه الرسميّ. جمدَت نظراته في المكان الذي اختبأنا فيه، فتباطأ نبضي إلى درجة التوقّف. انقطعَت أنفاس إيليانا أيضًا



حتّى عادَ تركيزه إلى المُدير. لقد وقف شامخًا، وجميع زواياه تواجه الرجل الأكبر سنًّا بأخطر أوضاعها.

"لا تُخيّب ظنّنا أيّها المُدير. نحنُ بحاجةٍ إلى ذلك الكتاب. إذا لم يتمّ تعطيل تلك الغُرف ستُغلِق العائلة المالكة الأكاديميّة."

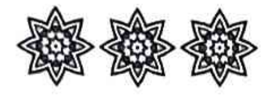
زمجرَ مولدفانو: "كما أبلغتُ جلالة الملك بالفعل، فقد سُرِقَ الكتاب. لدى رادو بضع صفحاتٍ فقط في حيازته، وهي لا تكفي. إذا كنتَ ترغب في نبش القلعة فافعلها. أضمنُ لكَ أنّكَ لن تجد ما لم يعُد موجودًا هُنا أصلًا."

"إذن ليرحم الربّ طلّابكم."



20

قرارٌ خاطئ



ممر الخدم

قلعة بران

5 ديسمبر 1888

دارَ دانيشتي على عقبَيه وبدأتُ أنا في التقدّم، لكنّ إيليانا أعاقَت طريق خروجي، بينما كان المُدير يمشي أسفل الممرّ كظلٍّ يُطارد الحارس الشابّ.

همسَت وهي تمدّ ذراعها: "كلا، لا يُمكن لمولدفانو أن يعرف أنّنا سمعناه."

"كيف يمكنني التظاهر بخلاف ذلك؟ كانوا يتحدّثون عن فيلهلم آلديا، وإلّا ماذا يفعل الحرس الملكيّ هنا؟" تسابقَ عقلي بأجزاء المعلومات التي سمعتُها. إذا كان أفراد العائلة المالكة قد تلقّوا تهديدات،

فهذا يُفسّر الخوف الذي أظهرهُ نيكولاي بعد اكتشافه أنّ دماء قريبه قد تمّ سحبُها.

ربما تلقّى نبلاء آخرون تهديداتٍ مماثلة، وهو ما دفعني إلى التساؤل عمّا قد يعرفه الأمير أو يشكّ فيه. "إذا قتلَ شخصٌ فيلهلم فقد يكون الأمير نيكولاي التالي."

"لا تعرفين ذلك. ربّما كان يتحدّث عن شخصٍ آخر." قامَت إيليانا بزمّ شفتيها كأنّها تمنع نفسها من قولٍ خطأ. "قد يكون الحارس هنا ببساطة لأنّ مولدفانو هو الطبيب الجنائيّ الرسميّ للعائلة المالكة."

"حقًا؟ كيف يكون مُدير الأكاديميّة ويعمل للعائلة المالكة في نفس الوقت؟"

رفعَت إيليانا كتفها. "كلّ ما أعرفهُ أنه إذا اكتشف مولدفانو تجسُّسَنا عليه فسوف ينتهي الأمر بشكلٍ سيّءٍ للغاية، إمّا لِكلينا وإمّا لي فقط. لا أستطيع تحمّل خسارة هذا العمل؛ لديّ عائلةٌ أعتني بها وأشقّائي بحاجةٍ لي."

إذا كان هناك تهديدٌ حقيقيّ للأكاديميّة أو لَلطلّاب فلا يحقّ للمُدير إخفاء تلك المعلومات. ستكون مواجهته هي الشيء الصحيح الذي يجب فعله. لكن... انتقلَ تركيزي إلى وجه إيليانا المُتوسّل الذي اجتاحَ القلق تعابيره.



تنهّدت. "حسنًا. لن أخبر أحدًا بما سمعناه." ضغطَت إيليانا مرّةً على يدي وبدأت في السير في الممرّ السرّي. انتظرتُ للحظة قبل اللحاق بها. "لكن هذا لا يعني أنني لن أحاول اكتشاف سبب وجود دانيشتي هنا، وما الكتاب الذي كان يُلمّح إليه. هل سمعتِ شيئًا عن تلك الغرف الخطرة التي ذكرَها؟ أو أيّة غرفة قد تحتاج إلى 'تأمين'؟"

أدارَت رأسها فجأةً. "هل تعرفين ذلك الحارس؟"

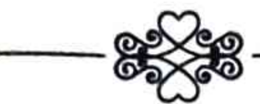
"كان لنا شرف اللقاء به في القطار، أنا وتوماس." تردّدتُ وحدّقتُ عبر اللوحة للتأكّد من ذهاب الرجلين من الممرّ العام. "لقد رفعَ جثّة رجلٍ قُتِل هُناك. عرَضنا عليه المُساعدة لكنّهُ لم يرغب في خدماتِنا. حسنًا، عرضَ توماس المُساعدة لكنّهُ بدا مُنزعجًا إلى حدٍّ ما."

حدّقَت إيليانا في وجهي مذهولةً لِلحظة. "يحتاجونني في الطوابق السفلى، والمشرحة الرئيسية في نفس الطابق أيضًا." مرّت فيها قشعريرة. "سأحاولُ مقابلتكِ في غرفتكِ على الإفطار غدًا." حرّكَت ذقنها نحو الممرّ الرئيسي والصينيّة تهتزّ في يديها. "تحقّقي من وجود أشخاص قبل دخول القاعة الرئيسية. آه،" - تردّدت للحظة - "إذا اخترتِ زيارة المشرحة في هذه الساعة فسوف تكونين بمُفردك. لا أحد يذهب إليها بعد حلول الظلام. ربّما تجدين بعض الإجابات هُناك." قبل أن يُتاح لي وقت الردّ انطلقَت إيليانا عبر الممرّ السرّي وانعطفَت عند الزاوية

لتختفي عن الأنظار. فركتُ صدغيّ. كانت هذه أغرب أيّام حياتي. جريمتا قتل مُختلفتان تمامًا مع وعدٍ بالمزيد في الطريق، بالإضافة إلى غموض القلعة. تمنّيتُ بصدق أن تكون الأسابيع القليلة المُقبلة أكثر هدوءًا، رغم أنني شككتُ في ذلك بوجود قاتلٍ يحومُ في المنطقة. وبّختُ نفسي: لم يقُل دانيشتي ذلك بالضبط.

أعدتُ النظر عبر الفتحة الموجودة في نسيج اللوحة قبل الخروج إلى القاعة الرئيسية، وذهني مزدحمٌ بمعلوماتٍ وأسئلة جديدة. ما الحقيقة الكاملة خلف نقاش دانيشتي ومولدفانو؟ بعد زوال الإثارة أدركتُ افتراضي أنّهم كانوا يتحدّثون عن فيلهلم، لكنّهم لم يذكروا اسم ضحيّة القتل أبدًا، رغم أنّني لم أستطع تخيّل جثةٍ أخرى بلا دمّ تُثير قلق القرويين. ثمّ هناك الجريمة الغريبة في القطار التي تُشبه تلك التي في القرية...

توقّفتُ فجأة، بعد أن خرجَت فكرةٌ من ثنايا عقلي لتتشكّل. هل جلبَ دانيشتي ضحيّة القطار إلى هنا لدراستها؟ ذلك منطقيّ: إلى أين يُمكن أن ينقل الحرس الملكيّ جثّةً تحتاج إلى فحصٍ جنائيّ؟ بالتأكيد إلى واحدة من أرقى الأكاديميّات في أوربا، وهي أيضًا على بُعد نصف يومٍ فقط بالعربة من مسرح الجريمة، وفوق ذلك يُديرها الطبيب الجنائيّ الرسميّ للعائلة المالكة.



إذا كان الحرس الملكيّ متدخّلًا في المسألة فهُناك احتمال أن يكون الضحيّة مرتبطًا بالتاج بطريقةٍ ما أيضًا. ربّما لهذا السبب لم يترك دانيشتي الجثّة في مسرح الجريمة. لم أسمع شائعاتٍ عن جريمة القتل في القطار، ما جعلني أعتقد أنّ العائلة المالكة قد أخفت هويّة المقتول من الجمهور.

كانت الصحف ستُفجّر هذه المعلومات من أبواقها المليئة بالحبر. هل هذا يعني أنّ فيلهلم والضحيّة الأولى كانا يُسافران معًا؟ افترضتُ أنه من الممكن وجود صلة مشتركة بين الرجلين، رغمَ أنّهما قد قُتِلا بطريقةٍ مُختلفة تمامًا.

دقّ قلبي بقوّة على قفصه العظميّ. لم أكن واثقة من كيفيّة ربط كل شيء، لكنني علمتُ بوجود صلةٍ ما. ثلاث جرائم قتل بطريقتين مختلفتين. ربّما تطوّرَت طريقة القتل بالممارسة بعد تلك الضحيّة الأولى التي تصدّرَت عناوين الصحف؟

كان لدى عمّي طريقةٌ عجيبة بوضع نفسه في ذهن القاتل، وحاولتُ مُحاكاة منهجيّته. لقد تمّ التخلص من أحد الضحايا كما لو كان مصّاص دماء، ومن الثاني كما لو أنّهُ قد قُتِل على يد مصّاص دماء. لماذا؟ إذا تمكّنتُ من فحص الجثة من القطار ربّما أعرف المزيد. هل لهذا السبب أخبرَتني إيليانا بمكان المشرحة؟ كانت تعرف أسرار القلعة بفضل القيل والقال، وجثّة ضحيّة القطار قد تكون إحداها.

قالت إيليانا أنّ المشرحة ستكون فارغة، لكن إذا رآني المُدير أو دانيشتي سيضيع احتمال اجتيازي لهذا الكورس. يجب أن أعود إلى غرفتي مباشرةً لأقرأ دروس الغد.

تلاعبَ التردّد بمشاعري، وأغراني باختيار مسارٍ آخر. فكّرتُ في محادثتي السابقة مع إيليانا، حول الغد الذي لا يُمكن ضمانه أبدًا. لم نعرف حقًّا ما الخيارات التي قد تُولَد في لحظاتنا، ما الفرص التي قد تظهر في طريقنا. وجدتُ نفسي أسير بثباتٍ في اتجاه لا يؤدي إلى غرفتي.

تمّ الاحتفاظ بالجثث في مكانين أعرفُهما في القلعة: أحدهما في المشرحة في الطابق السفليّ، كما قالت إيليانا، والآخر في البُرج بجوار غرفتي. سألقي نظرةً سريعة داخل كلّ درج للجثث لأعرف ما إذا كنتُ محقةً بشأن وجود ضحيّة القطار هناك. ثمّ سأقرّر ماذا أفعل.

مشيتُ بسرعةٍ رافعةً ذقني، على أمل أن أبدو في مهمّةٍ موكّلة بها من طاقم التعليم. كان لديّ شعور بأنّني إذا بدوتُ مذنبةً كما شعرتُ في داخلي فإنّ مغامرتي الجريئة ستنتهي قبل أن تبدأ حتّى.

لا أستطيع أن أجلس وأتفرّج على حياتي بضميرٍ حيّ. إذا كان هنالك قاتل يجوب أروقة أكاديميّة علوم الطبّ الجنائيّ فلن أنتظر ظهور جثّة باردةٍ أخرى. إذا طاردَ القاتل سلالة المُخوزِق فقد يكون الأمير نيكولاي هو التالي.



توقّفتُ وأنا ألهث. تلك هي: المُفارقة المُذهلة في مطاردة أحدُهم لدماء رجل شاعَ أنّهُ يشربها. لكنّها منطقيّة. واصلتُ المشي وعقلي شاردٌ بسيلٍ من الأفكار. تمنّيتُ لو لم يُعقّد توماس صداقتنا هكذا. كنتُ أرغب في مشاركة نظريّاتي الجديدة معه والتحدّث عنها.

توقّفتُ ثانيةً، آخذةً بعين الاعتبار الخيارات المُتاحة أمامي. ربّما يجب أن أتحدّث مع توماس الآن، لأعتذر عن انفعالي، ثم يُمكننا التسلّل معًا إلى المشرحة و... أمسكتُ بتنّورتي وواصلتُ السير. سأذهب إلى المشرحة بمُفردي ثمّ أشارك نتائجي مع توماس بعدها. كنتُ بحاجةٍ إلى معرفة أنّني أستطيع التعامل مع الموتى دون صُحبة.

لفتَت انتباهي حركةٌ خاطفة فاستدرتُ والتفسير يتشكّل بالفعل على لساني، لكنني قُوبلتُ بممرٍّ فارغ. لا شيء في غير محلّه. انتظرتُ لحظةً وحبستُ أنفاسي وأنا واثقة من أنّه إذا تسلّل شخصٌ ما إلى كوّةٍ فلا بدّ أنه سيُصدر صوتًا يُنبّهني إلى وجوده. لا شيء.

تنفّستُ بعُمق لكن ذلك لم يُبطئ نبضاتي السريعة. كنتُ أرى أشياء غير موجودة مرّةً أخرى. لعنتُ أشباح الماضي، واحتقرتُ نفسي بسبب صعوبة تمييزها الخيال عن الواقع. لا أحد يُلاحقني. هذا ليسَ أحد أزقّة وايتشابل التي تملؤها الموسيقى الناشزة من الحانات القريبة، ولم يكن هُناك شخصٌ يرتدي عباءةً يتسلّل خلال الليل. إذا واصلتُ تكرار هذه

التأكيدات فلا بدّ أنها ستغدو ذاكرةً جسديّة. تنفّستُ الصعداء. لم تمرّ إلّا أسابيع قليلة منذ أن تحطّمَ عالمي، ولا أزال أتعافى. سأتخطّى هذا، أحتاجُ فقط إلى وقت.

استدرتُ لمرّةٍ أخيرة وكان الممرّ الأبيض لا يزال صامتًا، عدا صوت خطواتي المُسرعة على الأرضيّة الخشبيّة. تحرّكتُ بأسرع ما أمكنَني، تحثّني ثريّات الشموع وهي تُشير نحوي بأصابعها المضيئة، كأنّها تتهمّني بارتكاب ذنب.

وصلتُ إلى نهاية الممرّ التالي ووقفتُ أمام باب سميك من خشب البلوط عليه لافتة 'مشرحة'. لم توجد نافذة أو طريقة أخرى للنظر إلى الداخل ومعرفة ما إذا كانت المشرحة مشغولة. يجب أن أجرّب حظّي. تسارعَت أنفاسي وأنا أمدّ يدي إلى المقبض، ثم رفعتُ أصابعي كأنّني قد لُسِعت. لقد تذكّرتُ همسات الآلات البخارية... لكن لا صوت خلف هذا الباب. استمعتُ ثانيةً للتأكّد. كان الصمتُ خانقًا. استنشقتُ الهواء من أنفي وزفرتُه من فمي، سامحةً لصدري بالارتفاع والهبوط بإيقاعٍ ثابت. أنا طالبةٌ هنا، ولو كان أحدهم في المشرحة فيُمكنني إعطاء سببٍ وجيه لما أفعل. لم يُخبرونا بأنّ دخولها مسموحٌ فقط خلال النهار أو برفقة أستاذ.



شددتُ قامتي بعد تلك الفكرة. ليسَ هذا منزل والدي، حيثُ وجبَ عليّ التسلّل في الغرف الممنوعة. لم أكن حتّى بصدد إجراء تشريح للجثّة في تلك اللحظة.

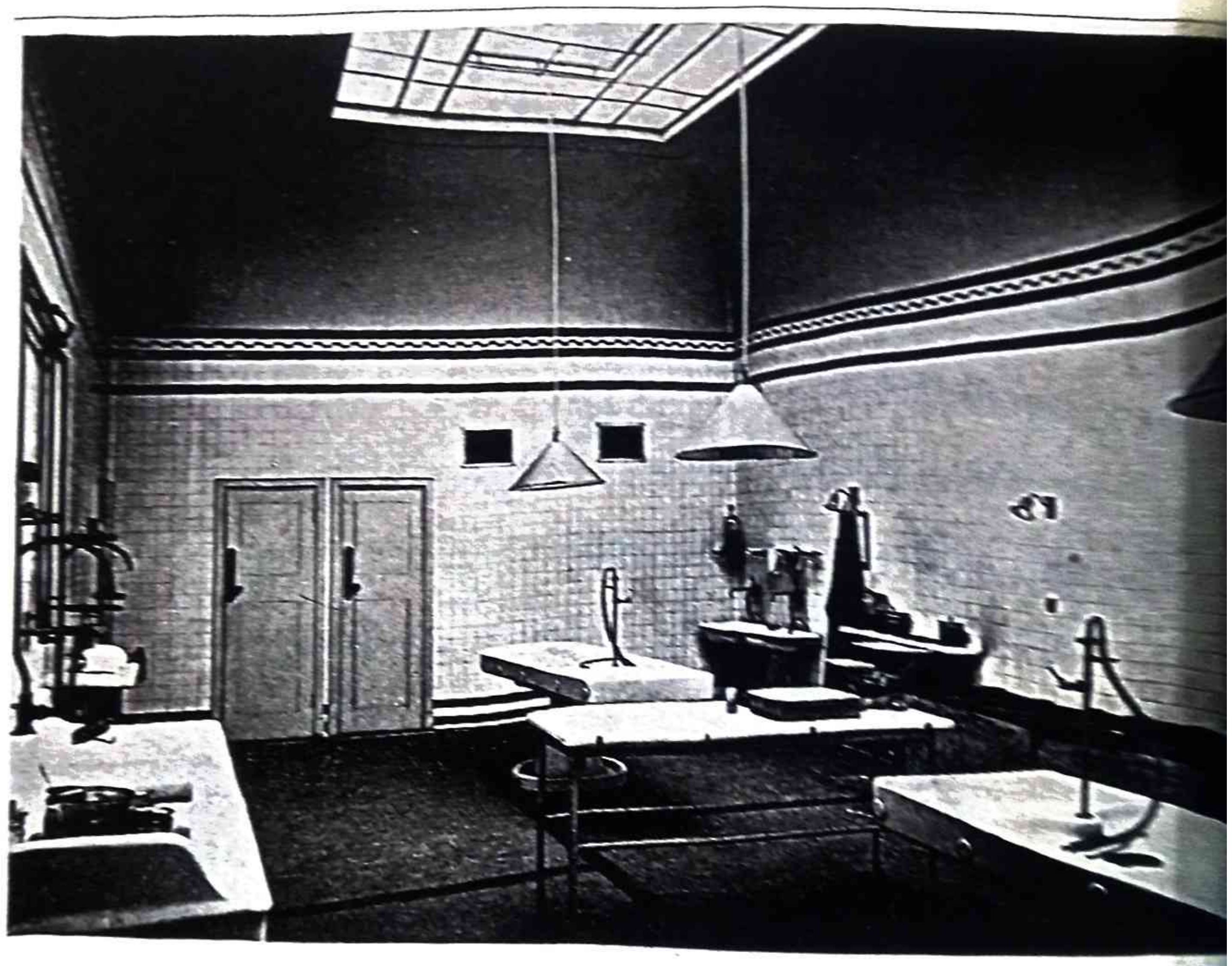
ضغطتُ بيدي على مقبض الباب، وشعرتُ بلسعة الحديد البارد خلف قفّازاتي الرقيقة. كلّما أنهيتُ هذا مبكّرًا كلّما أسرعتُ في لقاء توماس. بهذه الفكرة لويتُ المقبض ثمّ تعثّرتُ للأمام مع فتح الباب من الجانب الآخر. كادَ قلبي يتوقّف. نظرتُ إلى الأرض - ناسيةً إخفاء خوفي - وأنا مستعدّةٌ لغضب المُدير مولدفانو.

"كنتُ سأقوم فقط بفهرسة..." بدأتُ الكلام ثم نظرتُ لأعلى، لأرى إيليانا بعينين متّسعتَين. لم يكن المُدير في مكانٍ قريب لحسن الحظّ، وتلاشت الكذبة على لساني. "ماذا... ظننتُكِ متّجهة إلى المطابخ؟"

"أنا... يجب أن أنصرف. سنتحدّث لاحقًا؟"

هرعَت أسفل الممرّ دون كلام أو النظر إلى الخلف. وقفتُ هناك مُستجمعةً نفسي ويدي على صدري. لقد كرهتُ مولدفانو لإجبارها على الاعتناء بغرفةٍ مليئة بالجثث رغم وضوح خوفها منها. نشأت إيليانا في القرية، وفي الغالب أنّها نشأت مع خرافاتِهم المتعلّقة بالأموات.

دفعتُ غضبي تجاه المدير بعيدًا وأمسكتُ بالمقبض مرةً أخرى، رافضةً المغادرة بعد أن وصلتُ إلى هذا الحدّ، ودخلت.



Pathological Block: Post-mortem Room. H. V. ASHLEY & WINTON NEWMAN

غرفة تشريح الجثث في إحدى مستشفيات لندن – 1913م



21

فتح الجروح القديمة



المشرحة

قلعة بران

5 ديسمبر 1888

نظرتُ حولي بعناية، حيث استقبلني جدارٌ من الأدراج المعدنية وثلاث مناضد طويلة. هسهسَت المشاعل الغازيّة بهدوء في إثر اقتحامي، إحداها كانت غير مُضاءة. امتدّت أمامي طاولة فحص تحملُ جسدًا مُغطّى من الرأس حتى أخمص القدمين في كفنٍ من القماش الثقيل. تجاهلتُ وخزات الخوف على عمودي الفقريّ، فلا يُمكنني تحمّل نوبةٍ أخرى من القلق تُعيق مهمّتي.

زفرتُ نافثةً أنفاسي الضبابيّة في الهواء المتجمّد، مُرتاحةً لرؤية الغرفة خاليةً من الأحياء. تحرّكتُ بالسرعة التي سمحَت بها تنورتي باتجاه الجثة،

مُتمنّيةً أن تكون ضحيّة القطار. ستكون الأمور أسهل بكثير لو عثرتُ عليه بهذه السرعة.

وقفتُ فوق الكفن وقد فاجأني تردّدٌ في كشف وجه مَن يرقُد هناك. أثقلَ شعورٌ مألوفٌ بالرهبة أفكاري وذراعيّ. كان بإمكاني أن أُقسِم أنّ الغطاء قد تحرّك، لمرّةٍ واحدة فقط، حركةٌ محسوسةٌ بالكاد لكنّها في النهاية حركة. بدأت ذكرى في اختراق الحاجز الذي بنيتُه حولها، لكنّني أبعدتُها. ليس هنا، ليس حينما يعمل الوقت ضدّي.

لقد تمّ تدمير مختبر جاك السفّاح، ولا يُمكن للجثث أن تعود للحياة. في يومٍ ما سيُدرك عقلي اللعين هذه الحقيقة.

دون أن أضيّع لحظةً ثمينةً أخرى على هذا الهراء سحبتُ الغطاء، وتصدّعَ العالم تحت قدميّ. ارتجفَت ركبتاي بينما كنتُ أتمعّن في الملامح الساكنة... الرموش الطويلة والوجنتان البارزتان، الشفاه المُمتلئة التي افتقدَت ابتسامتها المُعتادة.

كان توماس مُمدّدًا كالتّمثال.

"هذا ليس حقيقيًا."

أغمضتُ عينيّ. لم يكن هذا حقيقيًا. لم أعرف بالضبط ماذا كان، ربّما وهمٌ ناجم عن الهستيريا الشديدة، لكن من المستحيل أن تكون حقيقة. سأعدّ إلى خمسة ثم تختفي هذه الجثة، لتحلّ محلّها جثة شاب آخر فقدَ

حياته في وقتٍ مبكر. هذا خيال. ربما كنتُ حقًا أشبهُ إحدى شخصيّات بو المؤسفة، مدفوعةً للجنون بعد أشهرٍ من الفَقد والمخاوف. هذا الجسد يُشبه توماس لا غير، وحينَ أفتح عينيّ ثانيةً سأرى حقيقته، ثمّ أهرع إلى غرفته لأقاتل أعزّ أصدقائي. سوف أمسكُ به من طيّات سترته وأضغط شفتيّ على شفتيه، دون أدنى اكتراث بوقاحة الفعل. سأقولُ له مرارًا وتكرارًا كم أعشقه، حتى حينما أرغبُ في خنقه. في تلك الأثناء انتشرَت صورٌ جديدة وبعثرَت أصابعها في ذهني. رأيتُ توماس يُعطيني مئة ابتسامة مختلفة، كلّ واحدةٍ منها هديّةٌ لي فقط. رأيتُ كلّ مُشاحناتِنا، كل مُغازلاتنا التي حجبَت مشاعر لم يكن أحدُنا مُستعدًا لمواجهتها. انزلقَت دمعةٌ على خدّي وتركتُها. كان هُناك فراغٌ يُشعُّ من قلبي، يستنزفني أكثر مع كلّ نفسٍ عالقٍ في هاويتِه.

"رجاءً ".انهرتُ على صدره كأنّ دموعي قد تصبّ حياتي في جسده.

"رجاءً لا تأخذهُ مني هو أيضًا. أرجِعه! سأفعل أيّ شيء..." أي شيء على الإطلاق- أخلاقيّ أم لا - لأقاتلهُ مرةً أخرى.

"أيّ شيء؟"

توقّفَ قلبي. ابتعدتُ عن الجسد في استعدادٍ للهجوم على الدخيل، قبل أن تنطوي ذراعاه حولي مثل الأجنحة الممتدّة. شهقتُ وتراجعتُ بقوّة، بينما كانت الصفراء تحرقُ حلقي. لا يُمكن لهذا أن يحدُث، الموتى

لا يعودون. التوى فم توماس بتلك الابتسامة اللعينة، وفقدتُ الشعور بكلّ شيءٍ في داخلي. بدا أن الحرارة انخفضَت عدة درجات. أغلقتُ فمي لمنع أسناني من الاصطكاك، رغمَ أنّ جسدي كان يرتجف بشدة.

"لو عرفتُ أنّ الطريق إلى قلبكِ يمرّ عبر الموت، لفعلتُ هذا منذ زمن طويل يا وادزورث."

تلمّسَ ياقتي، وتعثّرَت أصابعه عليها وأنا أحاولُ دفعَها بعيدًا عن رقبتي. لو كان بإمكاني فقط أخذ نفسٍ أعمق...

"أنتَ... أنتَ لست..."

ترنّحتُ جانبًا ويداي تُمسكان بوسطي. دارَت الغرفة حولي في حلقاتٍ مُفرغة، وأغمضتُ عيني للحظةٍ لكن ذلك أسوأ، إذ تلاحقَت أمامي صورٌ لم أستطع الهروبَ منها. استقامَ توماس ورمى الكفن عن جسده السليم، بينما كان جبينه مجعّدًا بقلق. رأيتُه يمسح أطرافه فوق طاولة الفحص ثم يقف. كان على ما يرام، وليس ميّتًا... على الإطلاق. فقدَت الغرفة برودتها فجأة، لكنها أمسَت خانقة. أقسمُ أنّ السقف أخذَ ينزل، وأنّ الجدران كانت تُشيّعني إلى الزاوية، حيث سيخنُقني هذا القبر الملعون. شهقتُ عدة شهقات عميقة لكنّها لم تكن كافية. فكّرتُ في كل الجثث القابعة في تلك الأدراج المغلقة بانتظاري للانضمام إليها .تصاعدَ نفَسي. لم يمُت توماس مثل أمّي وأخي. لم يعُد من الموت كوحش، ولم



يكن مصاص دماء. انحنيتُ لأضع رأسي بين ركبتيّ لاعنةً ثقل الهواء لتلك الدرجة. أبقيتُ عينيّ مُغمضة، واستمرّت تلك الأفكار رغمًا عني. كان عقلي يُحاول قتلي. مصّاصو الدماء والكائنات الخالدة أساطير وليسوا واقعًا. لا أحد يستطيع عبور حدود الموت والعودة، ولا حتى السيّد توماس كريسويل.

"أودري روز، أنا آسف جدًا." مدّ توماس يديه تجاهي بتهدئةٍ رقيقة. "لقد كانت حيلةً فظيعة لجعلكِ تتحدّثين معي. لا شيء آخر. أنا- أنا صديقٌ مُريع. لم أقصد أبدًا... أنتِ تحتاجين إلى هواء، لنذهب إلى الخارج، لو سمحتِ. إنها- لقد توسّلتُ إلى إيليانا لتجلبكِ إلى هنا بطريقةٍ ما حتّى نتمكّن من التحدّث، لوحدنا. ثم رأيتُ الطاولة وفكّرت- اسمحي لي بأن أساعدكِ في الحصول على بعض الهواء. أنا أعتذر. لم أظنّ"...

"أنت... أيّها الوغد!"

تعثّرتُ نحو الزاوية بوجهٍ مُشتعل، والدموع تنساب من عينيّ المُغلقتين. لم تعُد تلك الفجوة في قلبي فارغة، بل ملأتها عواطف غاضبة حارقة لا يُمكن إخمادها.

لقد كان توماس حاضرًا في تلك الليلة وشهدَ كلّ شيء، وبعد ذلك يُقرّر الرقود هنا مُتظاهرًا بالموت، كأنّ فكرة موته لن تكون ضربةً قاضيةً

عليّ .شددتُ قبضتيّ. أدركتُ وجود ألف شيء يُمكنني الصراخ بشأنه، لكنّني احتجتُ إلى إجابةِ أحدها فقط.

سألتُه: "كيف أمكنكَ الاستلقاء على تلك الطاولة والتظاهُر بالموت؟ أنتَ تعرف... تعرف ما حدث في ذلك المختبر. أنا لا أستطيع..."

وقفتُ هناك ويداي ترتجفان، أتنفسُ بصوتٍ عالٍ بما يكفي لسماعه. أسقطَ توماس رأسه في يديه ولم ينطق بكلمة. لم يتحرّك، ومرّت ثوانٍ قبل أن يفور غضبي مرةً أخرى، باحثًا عن شيءٍ يتلقّاه.

"تكلّم الآن، أو لا تبحث عنّي مرةً أخرى يا كريسويل. كيف تمكّنتَ من فعل ذلك؟ مع علمكَ بأنّ هذا ما يُطاردني ليلًا ونهارًا. أمّي على تلك الطاولة، الكهرباء".

بكيتُ بشدّة بعد ذلك. انهمرَت الدموع على وجهي وأنا أعاود عيش أهوال تلك الليلة. هذه هي الذكرى التي لم أستطع تجاوزها، التي لم أكفّ عن رؤيتها في كل مرةٍ أقفُ فيها فوق جثةٍ جديدة. أمّي الجميلة ذات القلب الضعيف بعد أن شوّهَها الموت. الأنابيب الداخلة في جسدها المُتحلّل جزئيًّا، ارتعاش أصابعها، نفس اليدين اللّتَين أمسكتا بي ذات يوم، مُتعفّنتين باديتَي العظام. قطع من شعرها الغرابيّ الطويل مُتناثرة على الأرض.



اجتاحَتني موجةٌ جديدة من الاضطراب. لقد كان منظرًا لم ولن أنساهُ ما حُييت، والآن لديّ معهُ صور توماس مُمددًا على طاولة الفحص؟ خرجَت أنفاسي في نوبات مُتقطّعة. أخيرًا دفعتُ نظراتي إلى أعلى، لأحدّق في الشابّ الذي استطاعَ بسهولة أن يستنتج المستحيل، لكنّه فوّتَ ما كان بسيطًا واضحًا أمامه.

قلتُ وجسدي يرتجف: "أنا على وشك الانهيار يا توماس... لقد اقتربتُ من فُقدان نفسي. لا أعرف حتّى ما إذا كان بإمكاني دراسة الطب الجنائيّ بعد الآن".

رمشَ توماس كأنّني قد تحدّثتُ بسرعةٍ وفظاظةٍ لدرجة أنّ دماغه لم يستوعب كلماتي. فتح فمه، ثم أغلقهُ وهزّ رأسه. كانت نظراته برقّةِ نبرته عندما وجدَ أخيرًا الكلمات المناسبة.

"أنتِ حزينة يا أودري روز. الحُزن على الفَقد لا يعني الانهيار. أنتِ تُعيدين البناء بعد حدثٍ... مُدمّر. ستعودين أقوى." ابتلعَ ريقه بشدّة. "هل هذا ما تعتقدينه؟ أنه لا يُمكن إصلاحك؟"

مسحتُ وجهي بكفّة ثوبي. "لماذا استلقيتَ على تلك الطاولة؟ أحتاجُ الحقيقة هذه المرّة".

"أنا... ظننتُ..." عضّ توماس شفته. "ظننتُ أنّ مواجهة مخاوفك قد تكون مفيدة. قد... يُساعدكِ لكي... تُقدّمي أفضل ما لديك. لدينا

فقط بضعة أسابيع أخرى، سوف تصبح المُنافسة شرسة. اعتقدتُ أنّكِ ستُقدّرين مجهودي".

"هذا أغبى شيء سمعتُه يخرج من فمك. ألم تُفكّر في ما قد يفعلهُ ذلك بي؟"

"اعتقدتُ أنّكِ ستكونين... مُنزعجة قليلاً، لكن في الغالب مسرورة. تخيّلتُكِ... تضحكين في الواقع. لم أفكّر حقًا في الأمر برُمّته. فهمتُ الآن كيف كان بوسعي تقديم العون بطريقةٍ أكثر... إنتاجيّة. ربّما هذا وقت الدعم العاطفيّ."

"آه؟ الآن فقط تستنتج أنّ الوقت قد حان للدعم العاطفي؟ كيف تعتقد أنّني سأضحك على مثل هذا الشيء؟ على فقدانك !ذلك أبعد ما يكون عن التسلية في خيالي".

التمعَ نظره بسُخريةٍ أتَت في غير وقتها. "إذن هل تعترفين أخيرًا بأنّ قلبكِ لا يُمكنه الاستغناء عنّي؟ لقد فاتَ أوان هذا الاعتراف منذ زمن، إذا سألتِني".

"عُذرًا؟" وقفتُ هناك أطرفُ بعينيّ فاغرةً فمي. إنّه لم يأخذ الأمر بجدّية. كنتُ سأقتلُه. سأقطّعهُ إلى ألف قطعة وأُطعمهُ للذئاب العملاقة التي تجوب الغابة. رفعتُ وجهي وكبتُّ صرخةً في حلقي، ورغمَ أنّني لم أُصدر صوتًا إلا أنّ تعبير وجهي كان مُخيفًا بما يكفي.



"كانت مزحة! الوقت غير مُناسب للمزاح، فهمت." تعثّرَ توماس مُتراجعًا وهزّ رأسه. "لقد أُصبتِ بصدمةٍ كبيرة... إنه خطئي بطبيعة الحال. لكن-"

تقدّمتُ نحوه، وضاقت عيناي مع اقتراب فمي من فمه. نسيتُ الإتيكيت واللباقة وكل هراء المجتمع المُهذّب اللعين. وضعتُ يديّ على صدره ودفعتُه صوب الحائط لأثبّتهُ هناك. لم أضطرّ إلى لمسهِ لإبقائه في مكانه، فقد بدا راضيًا عن وضعنا الحاليّ.

"أرجوكِ أودري روز. أنا يائس ولا يُمكنني الاعتذار بما فيه الكفاية ".مدّ توماس يديه إلى وجهي حتى أصبحتا على بشرتي تقريبًا، ثم توقّفَ عندما لاحظ نظرتي الحادّة إليه.

"لا تُعاملني كما لو كنتَ تعرف ما الأفضل لي." توقّفتُ مُحاولةً كشف مشاعري وتفسير ردّة فعلي القويّة. "لقد حاولَ والدي حبسي في قفص وحمايتي من العالم الخارجي، وهذه أول تجربة حقيقية لي مع الحرية يا توماس. أنا أتّخذُ قراراتي الخاصّة أخيرًا، وهو أمرٌ مُرعب ومُثير في نفس الوقت، لكنّي بحاجةٍ إلى معرفة قدرتي على خوض بعض المعارك بمُفردي. إذا كنتَ تُريد المساعدة حقًا فكلّ ما عليكَ فعله هو البقاء بجانبي. هذا كلّ ما أطلبه. لا مزيد من التجارب في مُساعدتي على التعامل مع صدماتي، أو التحدّث مع الأساتذة عن حالتي العاطفية أو

النفسيّة. أنـــتَ تُقوّضني بفعل ذلك، ولن أتحمّل مثل هذه الأفعال".

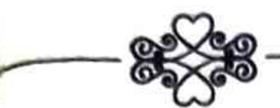
"أنا آسفٌ لذلك أيضًا وادزورث." أخبرَني الندم العميق في عينيه بصدق كلماته. "أنتِ مُساوية لي، وستظلّين دائمًا كذلك. أشعرُ بالخجل الشديد لأنّني تصرّفتُ بطريقةٍ جعلتكِ تشعرين بخلاف ذلك."

استنشقَ بعُمق. "هل... أتسمحينَ لي بالشرح؟"

"هل هُنالك المزيد خلف هذه الحماقة؟"

حدّقتُ فيه دون أن أرمش. لقد قامَ توماس بالكثير من السخافات من قبل، لكنّ هذا كان أسوأها. عليه أن يعرف أنّ هذا لن يُعيد فتح جرح جديد فحسب، بل سوف يُمزّق الجرح مع روحي في آنٍ واحد. سمحتُ للبرودة بتغطية كياني بالكامل، قبل أن ينفخ نفَسًا مُرتجفًا كأنهُ قد شعرَ بها تنبعث منّي.

"في ذهني، حين فكّرتُ في شعوركِ إذا وجدتِني هنا بهذا الشكل، اعتقدتُ أنّكِ... ستضحكين. ستشعُرين بالارتياح لأنّ أسوأ مخاوفك كانت خاطئة، لأنّ الشيء الوحيد الذي عليكِ أن تخشيه هو مُحاولاتي الفظيعة لمُساعدتك." رفعَ يده إلى جبينه. "لقد فقدتُ مهارتي في الاستنتاج، والآن يبدو الأمر الآن بالضبط كما هو: أسوأ فكرة عرفَتها البشريّة. أخبرتُكِ سابقًا أنني لا أملكُ مُعادلةً لك، ولا أفهم النساء أيضًا على ما يبدو. أو ربّما هُم الناس بشكلٍ عامّ لا أفهمهم، لذا أعرف الآن



لماذا لا تروق أفكاري الفكاهيّة لمعظم الناس". أردتُ الابتسام أمام ذلك التقليل الزائد من النفس، لكنّي لم أمتلك ما يكفي من الطاقة لذلك.

"الأمر فقط... أحيانًا حينما أخاف أو أحتار أحاولُ إيجاد الفكاهة، لكسر الضغط النفسيّ. دائمًا ما يُساعدني الضحك، وكنتُ آمل أن يُساعدكِ أيضًا. أنا حقًا آسف أودري روز. كنتُ مُخطئًا تمامًا في مُناقشة حالتك العاطفية مع رادو".

"بلى، كنتَ كذلك."

أومأ توماس برأسه. بدا للحظة كأنه سينهار جاثيًا على ركبتيه، لكنّه استطرد. "خطئي الفادح لم يكن بسبب قلّة إيماني بكِ. أنا ببساطة لم أثق في أنّ رادو لن يُصرّ بالاستفسار عن جاك السفّاح .بقيتُ أتخيّلهُ يؤذيكِ دون قصد، وعرفتُ أنني سأرغب في قتله حينها. أعلمُ أنّكِ لا تحتاجين إلى الحماية، لكنّني أعاني من الرغبة في إسعادك".

أخذَ نفسًا عميقًا، وبدا أنّ لديه المزيد.

"في درس رادو... بعد ذلك بقيتُ أنظر إلى وجهك، نوره يتلاشى وذلك العدَم الخاوي يعودُ إليه ثانيةً .شعرتُ أنّنا كنّا نقف في المختبر ليلة موته، وأسوأ ما في الأمر معرفتي أنّه كان بإمكاني منعه لو حاولتُ بجدّيةٍ أكبر. لو لم أكن مرعوبًا من خسارتك." غطى توماس وجهه واضطربَت أنفاسه. هذه المرة، انهمرَت دموعٌ على ذقنه. "لا أعرف كيف أُصلح هذا.

لكنّي أعدُك أن أكون أفضل. أنا-" قلتُ برفق: "لم يكن هُنالك شيء أمكنكَ فعلهُ في تلك الليلة."

كانت تلك حقيقةً عرفتُها منذ فترة، لكنّها لم تمنع عقلي من العودة إلى ذلك المشهد وإعادة عرضه مرارًا وتكرارًا، باحثًا عن نهايةٍ مُختلفة للقصّة. مددتُ يدي لأمسكَ يد توماس بحنان. كنتُ لا أزال مستاءةً منه، لكن استيعاب الأمور خفّفَ غضبي. لا يزال توماس على قيد الحياة ويُمكننا ترك هذا وراءنا والمضيّ قدُمًا، لم يُوقفنا الوقت ولا الموت بعد.

ابتلعَ ريقه بصعوبة وهو يُحدّق في أيدينا المضمومة." أرجوكِ سامحيني."

"أنا-"

صدرَ صريرٌ من لوح الأرضيّة تحتنا، فدفعتُ نفسي بعيدًا عن توماس واختبرتُ البقعة بِوزني. بدا من صوت اللوح أنّ له مفصلاتٍ تحتاج إلى تزييت، وأكدّ ظنّي رؤيتي لحافّات باب. دعوتُ ألّا يكون ذلك وهمًا آخر. بدا أنّ توماس لم يلاحظ الباب؛ كان تركيزه مُنصبًّا عليّ فقط، وتعبيرهُ حذر لكنه متفائل، فأدركتُ أنه كان ينتظر ردّي على اعتذاره.

"إذا أقسمتَ ألّا تتحدّث بالنيابة عني أبدًا دون موافقتي، فأنا أسامحُك." قلتُ وأنا أعلمُ أنّني سأسامحهُ في كلّ الأحوال. أشرقَ وجهه، وتطلّبَ الأمر كلّ ما عندي لكيلا أضمّهُ بين ذراعيّ. تنحنحتُ وأشرتُ



إلى الأرض. "لديّ نظريةٌ أحاول إثباتها، وأعتقدُ أنّ الباب الذي نقف عليه هو أوّل دليل لنا".

حدّقَ توماس في وجهي للحظة ثمّ حوّلَ انتباهه إلى الأرض. حين وقفتُ على بُعد بضعة أقدام كان من السهل عليّ رؤيتها: هُنالك بالتأكيد بابٌ مخفيّ داخل المشرحة.

"سمعتُ مولدفانو ودانيشتي يتحدّثان عن تعطيل غُرف، رغمَ أنّني لستُ متأكدةً ممّا يقصدانهُ بذلك. قالا أنّهما بحاجة للعثور على كتاب لتحديد مكانها." قلتُ وقد حلّت الإثارة محلّ مشاعري المظلمة السابقة وأنا أحدّق في الباب الخفيّ. "أعتقدُ أنّنا قد سبَقناهُما إليها."

"هذا واردٌ جدًا." دفع توماس كتفيه للخلف. "يُمكن أن يكون هذا نفقًا قديمًا إلى الغابة. لقد استخدم فلاد هذه القلعة كحصن، وأنا واثقٌ من وجود الكثير من السبل المتاحة له لصُنع مخارج تكتيكيّة عند حاجته لها. من المُحتمل أنه الآن مجرّد قصر للعناكب. أُفضّل عدم تلطيخ هذه البدلة".

شممتُ الهواء بشكلٍ دراميّ. "تفوحُ منكَ رائحة الأعذار يا كريسويل. هل تخشى العناكب؟"

نقرَ بأصابعه على ذراعيه وكان تعبيرهُ مدروسًا. "لا أشعرُ بفُقدان شيءٍ من كرامتي إذا اعترفتُ بأنني أبغضها."

ابتسمتُ، فكلانا سيقع في مشاكل. كنتُ آمل ألّا نواجه أيّة مخلوقات ذات ثمانية أرجل، لكن قوّة جذب الفضول المغناطيسيّة كانت أكبر من أن أقاومها. تلمّستُ حافات الألواح الخشبية بحثًا عن آليّة فتح. المساحة الموجودة تحتنا ستكون إمّا قديمةً مليئةً بنسيج العناكب، وإمّا مُعتنى بها مؤخرًا وهذا يدفعني للاعتقاد بأنّ هنالك مَن يعلم بوجودها. وإذا علمَ أحدٌ بذلك فهي غالبًا مليئةٌ بالأدلة. دانيشتي يبحث عن غرفٍ مخفيّة، ويجبُ عليّ معرفة السبب. ألقيتُ نظرةً خاطفة على توماس.

"ألا تنوي المساعدة؟" قضمَ شفته حتّى كدتُ أرى دمه" .حقًا؟ هل تعتقد أنّ هذه الفكرة أسوأ من تلك التي لعبتَ فيها دور الموتى وأخفتَني حتى الموت؟"

"معكِ حقّ." ضربَ بأصابعه على شفتيه وهو يُفكّر. "إذا انتهى بي الأمر كوجبةٍ للعناكب المفترسة، على الأقل ستبقى لي ذكرى شيءٍ آخر غير مظهري الجميل."

ابتسمَ بينما قلبتُ عينيّ، ثم مشى إلى المشعل غير المُضاء. شاهدتُه وهو يدرسهُ لفترةٍ وجيزة قبل أن يلفّهُ جانبًا. تأرجح الباب الخفيّ مفتوحًا للأسفل بشكلٍ عجيب، كاشفًا عن سلّمٍ رطبٍ مُتعفّن. رفعتُ عينيّ بعدم تصديق والتمعَت عينا توماس. بالطبع. باتَ المشعل المُطفأ حلًا واضحًا لي الآن.

"هل أثيرُ إعجابك بقُدراتي في الاستنتاج؟ كان المشعل الوحيد غير المُضاء في الغرفة، ممّا يدفع المرء إلى الشكّ بوجود سرّ..."

"ليس الآن يا كريسويل. ساعِدني، أريدُ رؤية ما أخفاهُ فلاد دراكولا هنا وما يبحث عنه دانيشتي."

22

تلك الأجنحة الجلديّة



ممرّ سريّ
قلعة بران

5 ديسمبر 1888

إذا لم يكن الظلام شبه الدامس كافيًا لتحذيرنا بعدم الدخول، فلا بدّ أنّ رائحة العفن الكريهة التي غمرَتنا كانت كذلك.

"لطيف ".قامَ توماس بقرص أنفه. "لا شيء يُضاهي عبق جثّةٍ مُنتفخة لإدخال المرء في أجواء المغامرة."

وقفنا على عتبة الباب الأرضيّ، نُحدّق فيما بدا بكل تأكيد مكانًا سوداويًا.

تثاءبَت أمامنا الحجارة الرماديّة، المُزيّنة بأنسجة العنكبوت وغيرها من المُخلّفات، وفتحَت أسنانها المُتقطّعة على مصراعيها للسماح لنا



بدخول أحشاء القلعة. بذلتُ قصارى جهدي للتنفّس عبر فمي. "فكّر في الأمر كما لو كان مجرّد ثمرةٍ ناضجة جاهزة للانفجار."

غمزَني توماس بنظراته قبل أن يرفع حاجبيه بإعجاب. "أنتِ ساحرةٌ بشكلٍ رهيب."

"يجب أن نُسرع. لا أريد أن نبقى طويلاً هنا." أومأتُ برأسي نحو الباب. "هل يجب أن نُغلق هذا؟"

نظرَ توماس إلى الممرّ السري ثمّ الباب، وبان الاستسلام على ملامحه وهو يتنهّد. "لديّ شعورٌ بأنّنا سنندم على ذلك، لكن بلى. انزلي بضع خطوات وسأقومُ بغلقِها علينا لنبقى بصُحبة الجثّة والعناكب، في الظلام."

جمعتُ تنّورتي، مُمتنةً لأنّها لم تكن بالضخامة المعتادة، ونزلتُ خطوةً خطوة بتقزّزٍ مما قد يعلَق في حافّتها. كنتُ مرعوبةً من مصدر تلك الرائحة النتنة، وتمنّيتُ أن تكون جثّة حيوان وجدَ طريقه إلى القلعة. لم أحبّذ العثور على رُفات بشريّة.

نفخَ توماس ورائي، واحتكّ حذاؤه عدّة مرّات بالحجر وهو يُعيد الباب الأرضيّ إلى مكانه. كنتُ أعرفُ من خبراتي السابقة أنهُ قادرٌ على التحرّك طوال الليل بهدوءٍ مُدهش .ضغطتُ أسناني مُتجاهلةً صوت ضربات حذائه وهو ينزل الدرجات بعدي. ربّما لا يزال مضطربًا من

حركته الحمقاء في لعب دور الميّت. تدحرجَت حصاةٌ أسفل الدرج قبلنا، مُعلنةً قدومنا إلى العالم بأسره. توقّفتُ عن الحركة واشتدّت نبضاتي. لم نكن واثقين من كوننا لوحدنا هُنا، ولم أرغب في الطرد بهذه السرعة. خاصّةً مع وجود الكثير من الأسئلة التي لم تتمّ الإجابة عنها حول ما يجري بالضبط في هذه الأكاديميّة.

تمتمَ توماس بشيءٍ مُنخفض لم أفهمه.

"أنت، هدوء ".ألقيتُ نظرةً عليه فوق كتفي، رغمَ أنّ الظلام شديد لدرجةٍ أخفَت هيأته. كان شبحه ظاهرًا تحت ضوء الغاز الذي تدفقَ عبر صدعٍ في الباب الأرضيّ. قاومتُ رغبتي في الارتعاش. كان هُنالك دائمًا شيءٌ فيه مُقلقٌ بطريقةٍ مُثيرة للفضول، خاصةً حين يغمرُنا الظلام.

"لا أطيقُ الانتظار لرؤية ما إذا كانت جميلة مثل رائحتها."

"حقًا؟ هل من المستحيل أن تصمت؟"

كان ردهُ الوحيد ضربة عود ثقاب أعقبَتها هسهسة. ابتسمَ توماس خلف الشمعدان الذي حمله، والضوء بالكاد يبان في الظلام الحالك. لم أكلّف نفسي عناء سؤاله أين وجد قطعة الشمع، ربما كانت في جيب معطفه. انحنى نحوي وتحدّث بهدوءٍ شديد لدرجة أنّني بالكاد سمعتُ كلماته. مع ذلك لم يفُتهُ اضطراب أنفاسي بينما كانت شفتاه على وشك لمس رقبتي، ما جعلَني أرتعش. لقد شعرتُ بابتسامته في شعري.

قال: "أنتَ أجملُ شابٍّ عرفتُه على الإطلاق."

ركّزتُ نظري عليه مُحاولةً إيجاد كدماتٍ عليه، لكنّي لم أرَ شيئًا خارجًا عن المألوف. فقط عينان بُنّيتان ذهبيّتان تُحدّقان بي بمتعة. "لقد ضربتَ رأسك، أليس كذلك؟ أم دسّ لكَ أحدهم دواءً غريبًا؟"

"أنتِ تُريدين صمتي." ابتسم توماس، ثم دارَ حولي بعد أن قفزَ نازلاً الدرج بمرح. "العبارة التي نطقتُ بها للتوّ هي شفرة إنهاء صمتي. أعدُكِ بأنّني لن أنطق بحرفٍ واحد حتى تفتحينَ هاتين الشفتَين بهذه الكلمات."

"هذا لو كنتَ محظوظًا لهذه الدرجة."

تسلّلَ توماس نازلاً الدرج دون حتى التنفّس بصوتٍ مسموع. لو لم أعرف بالفعل أنّه معي، ولولا وميض الضوء الباهت الذي يحمله لم أكن لأعرف أبدًا أنه أمامي ببضع خطوات. كانت له قدرة الحركة كالأشباح حين يختار ذلك.

اضمحلّ ظلّه في الظلال المُحيطة بنا، وحرصتُ على استعمال نفس حذره والنزول بتركيز، لأنّ آخر شيء احتجتُه هو كسر أحد أطرافي هنا. رفرفَت أجنحةٌ على مسافة، بصوتٍ بدا كضرباتِ جلودٍ ببعضها في تتابعٍ محموم. تجاهلتُ توق قلبي للطيران فورًا والخروج للأعلى، ثمّ تخيّلتُ تلك الخفافيش التي ذكرَها المُدير ليلة وصولنا.

الجثث ذات الرائحة الكريهة شيء، أمّا الخفافيش... سرَت رعشةٌ على طول عظامي. الخفافيش بوجوهها القارضة وأجنحتها الغشائية جعلَت أعصابي تختضّ. كان أمرًا غير منطقيّ. لقد تحمّلتُ الفئران بشكل جيد، والطيور كذلك. لكن تلك الأجنحة الخالية من الريش، والعروق التي تنتشر على طولها مثل أغصان الشجرة، تلك أفضّلُ جدًا الاستغناء عن منظرها.

حينَ وصلنا إلى أسفل الدرج دخلنا ممرًا بدا محفورًا من الحجر الخامّ للجبل نفسه، وتساءلتُ عن حاجتي لاكتشاف أسرار موجودة تحت المشرحة في قلعةٍ ذات ماضٍ كريه.

تساقطَت قطرات متكاثفة من الحجر، رغم عدم وجود مَن يمسح حزن هذا النفق البائس. على الأقل لا أحد نُريد مُقابلته دون سلاح. عوَت الرياح عبر الممرّ، واقشعرّت ذراعي. أطلقتُ لعنةً وقد نسيتُ السكوت، فاستدار توماس بتعبيرٍ حائر لكنّني أشرتُ له بمواصلة المشي. عليّ النظر في صُنع نوع من الأحزمة التي يُمكنها حمل مشرط، لأربطه بجسدي وأستخدمهُ كالنصل كلّما احتجتُ إلى ذلك. تساءلتُ عن قدرة الخيّاط في المدينة على صنع إكسسوار كهذا.

إذا كان بإمكان المرء صنع حزام فمن المؤكد أنّ ذلك ممكن أيضًا. كنتُ في تردّد مرةً أخرى وعرفتُ ذلك. لقد تمنّيتُ بصدق ألّا تُهاجمنا



الخفافيش. كان هُنالك العديد من الأشياء التي يُمكنني تحمّلها... لكن تخيُّل مخالبها عالقة في شعري وهي تصرخ وتُمزّق خصلاتي...

مسحتُ بيدي على الجزء الأمامي من تنّورتي، مُتمنّيةً لو كنتُ قد فكّرتُ في جلب عباءة. رغمَ أنّني بالطبع لم أخطّط للذهاب إلى أيّ مكان غير ممرّات الخدم. كان الجو أكثر برودة بكثير تحت بناية القلعة ومدافئها العديدة. بدا أنّ توماس قد التقط أفكاري عبر الظلام، لأنه التفتَ ليُواجهني فجأةً وهو يُقدّم معطفه.

"شكرًا لك. لكن احتفظ بها حاليًا." لقد كانت طويلة جدًا وقد أتعثّر بها.

أومأ برأسه واستمرّ. أسرعتُ وراءه، وتمكّنتُ من تجاهل الأجنحة المرفرفة التي تردّد صداها في الممرّ الرّطب أمامنا. سحبتُ توماس لأوقفه، إذ تراءى لي وميض شعلة باهت في الطرف البعيد من النفق الحجريّ الطويل الذي كنّا فيه. كان نورها يُشبه الشمس الغاربة في الأفق، لكن إشعاعها القليل افتقدَ للدفء. إذا أنيرَت شعلة فهذا يعني وجود شخصٍ ما هُنا الآن، أو على الأقل مؤخرًا.

انطلقَت أنفاسي الضبابيّة أمامي كأشباح تحذير، وأشارَ توماس لي لأتقدّم عليه. بدَت الجدران كأنّها تقترب الآن، الجبل يسحقنا من كلا الجانبين. مررنا بعدّة أبواب، بعضها كان مصطبغًا بالأسود والبعض

الآخر من خشب البلوط الداكن، وكلّها صعبة التمييز عن جدران الكهف إلّا عن كثب .حاولتُ دفع إحداها للداخل، لكنّها رفضَت التزحزح. واصلتُ السير في الممرّ، وانتباهي بالكامل على أيّة علامة لحركة. لم أعرف ما سنفعل إذا واجهنا شخصًا شريرًا هنا. أملتُ أن يكون لدى توماس سلاحٌ مخبّأ مع ذلك الشمعدان.

هبّ نسيمٌ خفيف أطفأ شمعتنا. رغبتُ في إخراج شعري من ضفائره وتغطية رقبتي به، فالهواء بالقرب من نهاية النفق أكثر برودةً مما كان عليه عند الدرج. لم يعُد الماء يُقطر بل تجمّدَ في ورقةٍ مُتلألئة على وجه الصخر. وصل توماس إلى المكان الذي وقفتُ فيه وأشارَ إلى الاتجاه الذي أتَينا منه. بالنظر إلى الوراء من هذه النقطة كان بإمكاني رؤية أنّنا كنّا ننزل طول الطريق، رغمَ أنني لم أشعر بذلك خلال سيرنا. كنّا أيضًا أبعد بكثير عن نقطة دخولنا ممّا اعتقدت.

كان الظلام يلعب ألعابهُ الخادعة بحواسّي. بإمكاني أن أُقسم أنه شعرَ بنا، وراقبَ كلّ خطوةٍ مُتخبّطة اتّخذناها وسعدَ بترهيبنا. قامَ توماس بدفع شبكة عنكبوتيّة بعيدًا قبل أن أتمكّن من السير عبرها، تصرفٌ شهم قياسًا بخوفه. شكرتُه وواصلتُ السير ببطء في الممرّ.

سألت: "يبدو كأنهُ كرنفال بعددٍ كبير جدًا من النظّارات. أليس كذلك؟"



مرّت بضع ثوانٍ قبل أن ألتفت، متوقعةً ردّ فعل وقح، لكن توماس أومأ برأسه وابتسمَ ابتسامةً عريضة. ثمّ تذكّرتُ وعدهُ بالصمت.

"أتعلم؟" سألتُه فرفعَ حاجبَيه. "أفضّل الاستمتاع برؤيتك دون سماع الهراء الذي تتفوه به. يجب أن تزيد من أوقات هدوئك." سمحتُ لنظراتي بفحص ملامحه الحادّة، مسرورةً بالشوق الذي أضاءَ عينيه عندما وجدَ انتباهي فمه. "في الحقيقة، لم أرغب أبدًا في تقبيلك أكثر من الآن."

تحرّكتُ بسُرعة أسفل الممرّ، مُبتسمةً لنفسي بينما كان فاغرًا فمه. القليل من المرح هو ما احتجتُه لدفع القلق عنّي. لم أرغب في التفكير بما أوشكنا على رؤيته. لم تكن رائحة الموت لطيفةً أبدًا، والرائحة الغامرة الآن جعلت عينيّ تدمعان. أخذَ الأمل في العثور على جثّة حيوان يتضاءل.

ما لم يكن حيوانًا كبيرًا، حيوانًا بحجم إنسان.

مسحتُ البلل من زوايا رموشي. كانت تلك رائحة الجثث التي لم يتمّ دفنها عميقًا بما يكفي. لم نتعامل مع الكثير من حالات التحلّل المتقدّم في مختبر العمّ، لكن المرّات القليلة التي واجهناها ستبقى محفوظةً في طيّات عقلي إلى الأبد.

بعد الاقتراب من الشُعلة الوحيدة، ميّزتُ نفقَين آخرَين يتفرّعان باتّجاهين مُتعاكسين. قبل نقطة التفرّع كانت هناك بابٌ سميكة من

خشب البلوط على أحد الجانبين. بدا أنّ قطرات الماء تتسرّب من مسامات خشبها، في منظرٍ غريب للغاية.

أخذتُ عدّة أنفاس عميقة مُستمتعةً بالطريقة التي أبقَتني بها البرودة في حالة تأهّب. هُنا باتَ عُرض الممرّ يكفي لمرور شخصٍ واحد فقط، وكادت الجدران تخدش أكتافي الضيّقة بينما كنّا نتقدّم بخطواتٍ نحو ذلك الباب المشؤوم والرّعب المُختبئ خلفه. دارَ توماس جانبًا ليتمكّن من المرور.

نظرتُ للأسفل وتفاجأتُ بالعثور على بعض القمامة. غطّت رائحة الموت معظم الأشياء، لكنّ المنديل المتّسخ عند قدميّ بدا حديثًا. ابتلعتُ ريقي، على أمل أن يكون مَن رمى القمامة قد رحلَ منذُ زمن. من الصعب للغاية الخروج من هذا الممرّ الضيّق دون أن يتمّ إمساكنا.

أغمضتُ عينيّ. كنتُ أعرف أنّني قويّة بما يكفي للتعامل مع أيّ شيءٍ كنّا على وشك اكتشافه، لكن جزء عقلي المُتأثر بجرائم السفّاح ملأ مشاعري بالهراء مرةً أخرى. احتجتُ إلى دقيقةٍ واحدة فقط، ثم أتحرّك.

نقرَ توماس على كتفي، مُشيرًا إلى أنه يريد المرور. هززتُ رأسي بالرفض. لكي يحدث ذلك كان عليه أن يضغط جسمه عبري. قبل أن أتمكّن من الاحتجاج، ضغطَ عليّ برفق نحو الحائط وانزلقَ مارًا بسُرعة. رفعتُ نفسي عن الحائط على مضض لأشاهدهُ وهو يتفقّد النفقَين. كان



مشغولاً بحساب شيء لا يعلمه إلا الربّ، فركّزتُ على الباب. لقد شتّتَني بما فيه الكفاية عن خوفي المُتزايد، وهو يعرف ذلك. لو لم أكن مُمتنةً للنتيجة لَصفعتُه بقفّازي على قيامه بهذه الحركات الجريئة ونحنُ بلا رقابة.

واجهتُ الباب مرةً أخرى. لقد تمّ حرق صليب بشُعلتين من كل طرف في الخشب منذُ زمنٍ بعيد، من مظهره الباهت. كما تمّ نحت الرقم الرومانيVII أسفل الصليب. تلمّستُ بأصابعي الرمز، قبل أن أسحب يدي وقد فاجأني دفء.

ربما لم أكن مُتحرّرةً من أوهامي كما ظننت. من الأفضل فتح الباب بسرعة، إن أمكنَ ذلك. التشويق بشأن مَن أو ما سنجدهُ خلفها سيزداد أضعافًا كلّما قمتُ بتأجيله.

سحبتُ نفسًا عميقًا آخر ودفعتُ بكلّ قوّتي، مُلاحظةً من جديد مدى سخونة الخشب في النفق البارد. لم يكن ذلك مُمكنًا علميًّا، لذا تجاهلتُ ارتجاف عظامي ولِدهشتي فُتحَ الباب. الصرير الذي توقّعتُه لم يأتِ أبدًا. من الواضح أنّ شخصًا ما قد اهتمّ بتشحيم مفصلاته المعدنيّة.

أدخلتُ رأسي بالكاد بضع بوصات فيه، في حيرةٍ من أمري بسبب الحرارة التي انبعثَت من داخل الفضاء المُعتم، وحاولتُ التركيز. بدَت الغرفة بحجم غرفة استحمام صغيرة، لكن كانت هناك كتلةٌ سوداء في

وسط الأرضيّة، وكتلٌ مُماثلة لها على الجدران العالية. لم يكن لذلك معنى. ما الذي يُمكن أن يغطّي الجدران؟ وكيف كان الجوّ دافئًا هنا بهذا الشكل المُزعج دون نار؟!

صدرَ هسيس بخار من شقّ ما كأنهُ يُجيب على سؤالي .لا بد من وجود مصدر حرارة قريب في مكان ما، ربما ينبوع طبيعيّ ساخن داخل الجبل، أو نوع من نظام التدفئة في القلعة.

"كريسويل، سلّمني تلك الشعلة. أعتقد -" ضربَ شيءٌ دافئٌ وفرويّ أعلى رأسي، مددتُ يدي إليه لكنهُ اختفى. اندفعَ الدم في أذنيّ، وتوقّفَ كلّ جزء في عقلي عن العمل عندما ارتفعَت كتلة السواد ككائنٍ واحد. "ماذا بحقّ -"

قفزتُ إلى الوراء، بينما طارَ مئةُ خفاش صارخ نحوي. احتكّت أسنانها حول ياقة ثوبي، ثم انزلقَت على طول بشرة رقبتي. تطلّبَ الأمر آخر قطرات عقلانيّتي لأمنع نفسي من الصراخ. إذا انهرتُ الآن سيجدُنا شخصٌ ما، كنتُ بحاجةٍ إلى القوّة وثبات التركيز. كنتُ بحاجةٍ للقتال.

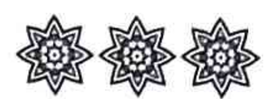
لمسَت يداي أجنحةً من الجلد. أخذتُ أضربُ الأجساد الطائرة مُتجاهلةً حالة الذعر المُتنامية، حتّى شعرتُ بالدم يسيل على أصابعي المغطاة ويتناثر على الأرض.

كنّا تحتَ هجومٍ شرس.



23

مصّاصو دماء



ممر سري
قلعة بران

5 ديسمبر 1888

كان توماس بجانبي بعد لحظة، مُلوّحًا بالشعلة من الحائط كالسيف المُشتعل. لم يكن الوحيد القادر على التصرّف بثبات في وجه الخطر، فقد قمتُ بحفظ تفاصيل الغرفة والمشهد قدر استطاعتي بين الهجمات. كانت الكتلة في وسط الغرفة جسدًا مستلقيًا ووجههُ للأسفل، والخفافيش تُغطّيه بالكامل وعلى الأغلب تتغذّى عليه.

أشارَت التنّورة إلى أنّ الضحية أنثى، وبانَ جلدُها أكثر بياضًا من الثلج في البقع التي لم تشوّهها علامات العضّ القرمزيّة. لم يترك سكونها أدنى شكّ في أنها هالكة. لا يُمكن لأيّ شخص حيّ البقاء ساكنًا مع

ذلك العدد من المخلوقات الزاحفة فوقه. ركضتُ إلى جانبها فقط للتأكّد.

"ماذا تفعلين؟" صرخ توماس من الباب. "لقد ماتت! أسرعي!"

"لحظة... واحدة." قلتُ وأنا أرى شعرًا أشقر تحت الخطوط القرمزيّة. كنتُ عازمةً على جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات. حاولتُ البحث عن تفاصيل أخرى لكن عدة خفافيش انقضّت فوقي في الحال، ومزّقت رباط قفّازي مُنجذبةً إلى الدم المُتسرّب من جراحي. حملتُ نفسي خارجةً من الغرفة بأسرع ما يمكن وأغلقتُ الباب، قبل أن يدفعَ توماس الشعلة نحو ما تبقى من مُهاجمينا. رأيتُ عينيه جامحتَين تحت صراخ الطيور وتأرجحها، قبل هجومها من جديد .بعد أن طاردَ الخفاش الأخير حتى اختفائه، انتزعَ شيئًا من كتفي ورماه. "هل أنتِ بخير يا وادزورث؟"

لقد تعرّضنا توًّا للهجوم في كابوسٍ جهنميّ تحوّل إلى حقيقة. نزلَ دفء على رقبتي. كانت لديّ جروح أكثر مما تجرّأتُ على التفكير فيه في الوقت الراهن، وبدلاً من التعبير عن كلّ ذلك ضحكت. هذا شيءٌ حتى بو لم يستطع أن يحلم به. رغم الرعب شعرتُ بحرارة الإثارة تغمرني. دقّ الدم في عروقي وتنشّط قلبي ليُذكّرني بمدى قوتي، بمدى روعة كوني على قيد الحياة.



"المعلومات كلها من الكتب، [illegible] [illegible]"

[illegible] [illegible] [illegible] "الخفافيش [illegible]
[illegible] مصاصة للدماء [illegible] "
[illegible] "بالإضافة إلى [illegible] أنا أعرف [illegible]
[illegible] "[illegible]
[illegible] "هذه الخفافيش ليست من [illegible] "

قلتُ بلطف: "لم أعرف أنك أيضًا عالم في الخفافيش. هل هذا أحد
كلّ [illegible]؟"

استطلعني باهتمام ثم نزع معطفه الطويل ليقدمه لي. كان دافئًا
ورائحته خليط من القهوة المحمّصة والكولونيا المنعشة، وقاومتُ
بصعوبة رغبة استنشاقها بعمق.

"عقلك جذّاب للغاية، حتى في مواجهة كل هذا." لوّح قُبالة الباب
المغلق وابتسامته تتلاشى. "وهو حتى الآن جزء [illegible] المفضل لدي. أعترف،
بل، لقد درستها بما يكفي لمعرفة أن هذه خفافيش مصاصة للدماء، ولا
فكرة عندي لمَ يقوم أحدهم بتربيتها." سرت فيّ قشعريرة حتى داخل
معطف توماس. كانت هذه القطعة أكثر ترويعًا مما ظننت. "أتساءل أيّة
مخلوقات ساحرة أخرى قد نجدها في تلك الأنفاق."



فجأةً تذكّرتُ تفاصيل مُحادثة مولدفانو مع دانيشتي، ووصفتُها كاملةً لتوماس بأسرع ما يُمكن.

"ما علاقة الكتاب الذي تحدّث عنه دانيشتي بهذه الممرّات؟ هل تعتقد أنهُ يحتوي على إشارات عن أين تؤدّي هذه الأبواب والأنفاق؟"

"ربّما." نظرَ توماس إليّ وإلى النفقَين المُظلمين خلفنا، وكان تعبيره سهل القراءة هذه المرّة. لقد وجدنا للتوّ جثّةً وتعرّضنا لهجوم الخفافيش الضارية. ليسَ الآن الوقت المناسب للتوغّل إلى ذلك الحدّ أسفل القلعة دون تسليح أنفسنا قبلها بالمعرفة والأسلحة. "يجب أن نقوم ببعض الأبحاث. تعالي، أنا أعرف المكان المثاليّ لذلك."

تسلّلنا عائدين إلى غُرفنا وقمنا بتنظيف الدماء من وجوهنا. أعدتُ أيضًا معطف توماس، لتجنّب إثارة أسئلة أو انتباه غير مرغوب فيه إذا رآنا شخصٌ في هذه الساعة. الآن، وفي ممرٍّ كثير الظلال بالجناح الغربيّ للقلعة، وقفنا أمام بابين من خشب البلّوط تمّ نقشها بكلّ أنواع الوحوش، الأسطورية منها والمألوفة. تخيّلتُ عبارة "مكتبة دراكولا الدمويّة" بأحرفٍ قوطيّة غامقة، رغمَ عدم وجود لوحة تعريفيّة هناك.

انتصبَت المشاعل في أوانٍ من الحديد المطاوع بفخر على كلّ جانب، داعيةً الزوار ومُحذرّةً إيّاهم من التصرف السيّء خلال وجودهم في المكتبة. رصدتُ بعض الخفافيش الطائرة داخل تصميم الباب وسحبتُها



لأفتحها. "لو لم تُكتَب عليَّ رؤية واحدة أخرى من تلك المخلوقات المروّعة ثانيةً، فسوف أموتُ فتاةً سعيدة."

ضحكَ توماس بهدوءٍ بجانبي. "نعم، لكن الطريقة التي صفعتِ بها مَن هاجمَني كانت شجاعةً للغاية. للأسف لن أشهد مثل هذه الضراوة من جديد. ربّما يُمكننا الذهاب لصيد الخفافيش مرّةً في السنة على الأقل، لكن بعد ذلك سيتعيّن علينا إطلاق سراحها. إنها محبوبةٌ لدرجةٍ لا يُمكن إيذاؤها."

توقفتُ قليلًا قبل عبور العتبة. "لقد حاولوا شرب دمائنا يا كريسويل. لم أكن لأصفها بمحبوبة."

دخلتُ الغرفة قبل أن أتوقف ويدي على صدري. ذكّرَتني القُبّة المُضلّعة الشبيهة بسقف الكاتدرائية بعناكب حجريّة تمدّ أرجلها الطويلة على الجدران، بينما ضمّت الممرّات الحجريّة الغائرة صفوف الكتب.

كانت هذه أكبر مكتبة في القلعة، وأكبر بكثير من تلك التي وجدتُ فيها كتاب المُمارسات الجنائزيّة. غمرَ حواسّي الجلد والرقّ ورائحة الحبر السحريّة على الصفحات. تعلّقَت ثريّات من الحديد المطاوع بنفس تصميم حاملات مشاعل المدخل من شبكة الأحجار الرماديّة فوقها، كان منظرها مُهدّدًا ومُثيرًا للفضول في آنٍ واحد. تمنّى جزءٌ مني قضاء ساعات داخل كهوف المكتبة المُظلمة، وجزءٌ آخر تاقَ لإيجاد سلاح؛ قد

يختبئ أي شخص أو شيء في تلك الزوايا القاتمة.أغمضتُ عينيّ للحظة. خلال مُعالجتنا للجروح قرّرنا أنا وتوماس تأجيل إخطار أيّ شخص بشأن الجثة التي اكتشفناها. لقد رفضَت كلّ ذرةٍ فيَّ ترك بقايا الفتاة المسكينة في ذلك المكان الرهيب، لكنّني لم أثق في مولدفانو. من المُحتمل أن يُعاقبنا أو يطردنا لكشفنا أسرار القلعة. قال توماس أيضًا أنه إذا اكتشفوا هُم جثّتها فقد يُرشدنا ذلك إلى مَن يعرف بأمر الممرّات السرّية. وافقتُ على مضض وبشرطٍ واحد: إذا لم يتم العثور على جثّتها بحلول ظهر الغد، فسوف نترك رسالة غامضة تدلّهم عليها.

عطسَ أحدهم على بُعد عدّة ممرّات، وتردّد صدى الصوت في الغرفة الشاسعة. تجمّدَ جسدي. لم نرتكب أيّ خطأ، ومع ذلك لم أستطع منع قلبي من التسارع عند التفكير في مُصادفة شخص.

"من هُنا." همسَ توماس وهو يُرشدني نحو الاتجاه المعاكس. تقدّمتُ إلى الأمام مُتمعّنةً في كلّ ممرٍّ من الكتب. لم تكن صفوف كتب عادية، بل رفوفًا امتدّت من الأرض إلى السقف مُكتظّة بمُجلّدات من كل الأشكال والأحجام. كتب سميكة، رفيعة، ذات غلاف جلديّ وناعمة، تمّ تكديسها مثل خلايا لتُكوّن جسدًا .رغبتُ في الجري في كلّ ممرّ لمعرفة ما إذا كانت هناك أيّة نهاية لها. لن يُمكننا قراءة كلّ كتاب موجود هناك حتى لو قضينا في ذلك ما تبقى من الزمان. لكن في يوم



قامَ توماس بالنظر إليّ من أعلى لأسفل، وتوقّف حينَ قمتُ أخيرًا بالتنحنح وقد احمرّت رقبته قليلًا. "زهور أودري."

"عُذرًا؟"

"سأطلبُ صنع خلطة شاي مُميّزة خاصّة من أجلك. القليل من الورد الإنجليزي، ربّما بعض البرغموت. مع لمسة من المذاق الحلو، وقويّ الطعم بالتأكيد. تحتاجُ إلى بتلات أيضًا." ابتسم. "ربّما وجدتُ مهمّتي الحقيقيّة. هذه لحظةٌ عظيمة! هل نُخلّدها برقصةِ فالس؟"

"تعالَ يا متذوّق الشاي." أومأتُ نحو ممرّات الكتب المنتظرة وقلبي يُرفرف بسرور." لدينا الكثير من التحقيقات لفعلها، إذا كنّا نأمل في العثور على كتبٍ تحوي تخطيط القلعة."

"وأنفاقها السرّية." مدّ توماس ذراعيه. "من بعدكِ عزيزتي وادزورث."

"يا للهول! لقد أخفتَني!"

فجأةً خرجَ البروفيسور رادو من الممرّ المجاور، مُرسلًا وابلًا من الكتب نحو الأرض. انقضّ فورًا ليحملها كحمامةٍ تنقُر فتات الخبز. "كنتُ أبحث عن مُجلّد معيّن عن الستريغوي لصفّ الغد. هذه المكتبة اللعينة أكبرُ من أن تجد أنفكَ فيها. لقد أخبرتُ مولدفانو منذ دهور أنّنا بحاجة إلى توظيف أكثر من أمين مكتبة واحد، لا أجد ذلك المحتال بيير

مطلقًا!" كنتُ لا أزال أهدّئ أعصابي بينما لم يصدر من رادو أيّ صوت، وهو إنجازٌ مُثير للإعجاب للأستاذ الأخرق. حملتُ كتابًا بعنوان 'المعادن' من الأرض وسلّمتُه إليه، مُلاحظةً جلدهُ وخطهُ العتيقين. "تفضّل أستاذ."

"آه، ألبرتوس ماغنوس. أحد دروسنا القادمة." توقّفَ مؤقتًا، ورمشت عيناه الكبيرتان خلف نظاراته وهو يُضيف الكتاب إلى مجموعته. "هل رأيتُما بيير إذن؟ ربّما أرسلتماه للبحث على كتاب لكما. لم أقصد المقاطعة، لكن هذا بالضبط ما أعنيه. المزيد من أمناء المكتبة يعني المزيد من المعرفة، إصرار مولدفانو على واحد..."

استاءَ رادو لدرجة أنهُ بدأ في الإيماء بذراعيه دون وعي، مُتناسيًا الكتب التي تشغلها، فمالَ توماس للأمام ليسندها قبل أن تنهار علينا من جديد.

"بيير اللعين ليس في المكان المطلوب كالعادة. أخبراه أنني وجدت المواد الخاصّة بي، من غير فضلٍ منه. أنا أقومُ بعمله وعملي."

ترنّحَ رادو مبتعدًا، مُتلعثمًا في نفسه مرةً أخرى بشأن الفوضى التي تمرّ بها خطته الدراسية، وكيف أنه سيتحدّث إلى المدير لتوظيف أمناء مكتبة جدد. قال توماس: "على الأقل لم يسأل لماذا خرجنا من غرفنا دون مُرافق في هذه الساعة، لكن أمين المكتبة مسكين. يحتاج بالفعل إلى مُعينٍ

له لتحمّل عناء أكاديميّة كاملة مع رادو." "إنه مُذهل." شاهدتُ أستاذنا يصطدم بعمودٍ حجريّ ويرتدّ عنه بذراعيه الممتلئتين بالكتب. "أتساءلُ كيف تمكّنَ يا تُرى من الحصول على منصبٍ هُنا."

أعادَ توماس انتباهه إليّ. "لطالما كانت لعائلته يدٌ في هذه القلعة، لأجيالٍ مضَت كما أذكُر. الأكاديميّة تُبقيه من باب التقليد، ويعتقدون أنّ السكّان المحليّين يستمتعون بمعرفة.أنّ أحدًا من طبقتهم يُمكنه تسلّق سلّم المراتب الاجتماعيّة."

عقدتُ حاجبيّ. "إن كان هذا صحيحًا فعائلتُه قد فعلَت ذلك منذ مئات السنين، والأكاديميّة لم تكن موجودةً في ذلك الزمن."

"آه، اسمحي لي بتعديل. أعتقدُ أنّ عائلته قد شاركَت في العناية بالقلعة. موقعهُ التدريسيّ جديدٌ عليهم، وهو شرفٌ ومصدر إلهام."

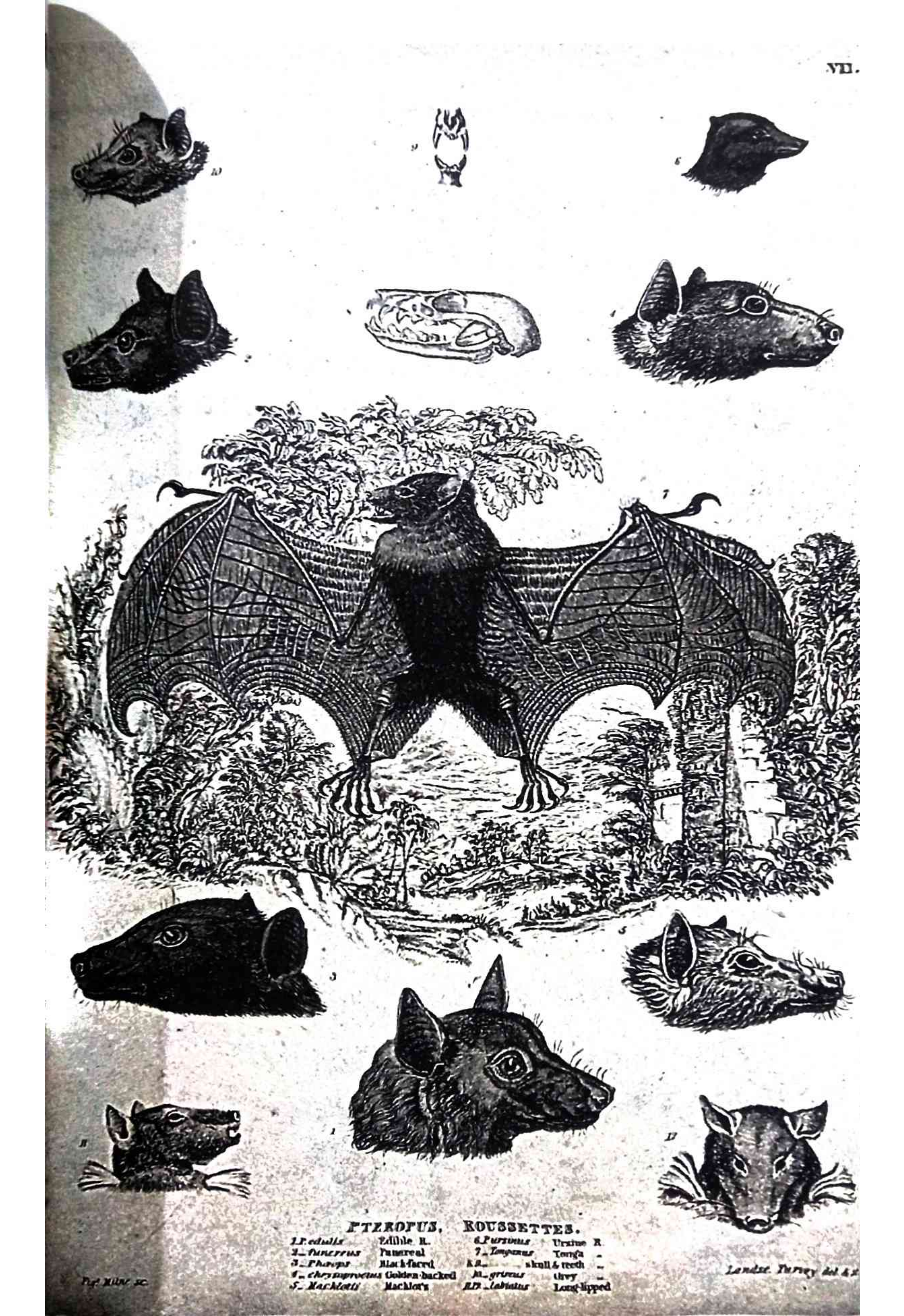
"لماذا لم يُعرض عليه منصب المُدير؟ ذلك سيرسل رسالةً إيجابيّة أكثر من تعيينه كأستاذ للفولكلور."

رفع توماس كتفه. "لسوء حظ رادو، أنا واثقٌ من خطأ الأكاديميّة. أشكّ في أن معظم القرويين من جيلنا يهتمّون بنفس قدر اهتمام الأجيال السابقة، وهُم في الغالب يُفكّرون فيه كما يفكّرون في بقيّتنا هنا: كافرين أشرار يجب أن يخجلوا من تحويل هذه القلعة المقدّسة إلى مكانٍ للعلم. آه، انظُري."

أشارَ توماس إلى قسمٍ مُنعزل بالقرب من مدفأةٍ مشتعلة. في البداية اعتقدتُ أنه كان يتصرف بوقاحة، مُشيرًا إلى مكانٍ نتمتعُ فيه بخصوصيّة، لكنه كان مُركّزًا على مهمّتنا. تعلّقَت لافتةٌ باللغة الإنجليزية بفخرٍ في نهاية الممرّ: مبنى القلعة والأراضي.

"قد يكون اليوم يومنا في النهاية."

انطلقتُ إلى الممرّ الضخم من الكتب المُخصّصة للقلعة، على أمل أن تكون هذه واحدةً أخرى من تلك الأوقات التي يكون فيها توماس على حقّ.



PTEROPUS, ROUSSETTES.

1. P. edulis — Edible R. | 6. P. ursinus — Ursine R.
2. — funereus — Funereal | 7. — Tonganus — Tonga —
3. — Phaiops — Black-faced | 8. 9. — — skull & teeth —
4. — chrysoproctus — Golden-backed | 10. — griseus — Grey —
5. — Macklotti — Macklot's | 11. 12. — labiatus — Long-lipped

Pl. Milne sc. — Landsr. Turvey del. & sc.

24

رسوماتٌ غريبة



غرف البرج
قلعة بران

5 ديسمبر 1888

وقفَت إيليانا على كرسيّ مُتهالك، تنفضُ الغبار عن رفوف الكتب المُكتظّة في غرفة جلوسي، عندما وصلتُ أخيرًا إلى الطابق العلوي قبل مُنتصف الليل بقليل.

لاحظتُ على حافة النافذة زوج جزَمي يلمع كأنه قد صُقلَ حديثًا، ولم أملك الطاقة لأسأل لماذا.

كانت غزوتنا الكبرى على المكتبة الرئيسية لنيل معلومات حول نهاية النفقَين السريّين خاسرة. لم نكتشف سوى أنّ رادو أكثر حماقةً ممّا ظننّا، وأنهُ يحبّ قراءة النصوص الألمانيّة القديمة.



كان قسم 'مبنى القلعة والأراضي' في المكتبة مُهمَلًا، حيث وجدنا كتب شعر ومجلات تحتوي على قصص سخيفة تتعلّق بالقلعة والمنطقة المُحيطة بها، ولم نجد شيئًا مفيدًا. رغم أنّني لم أتوقّع أن نذهب إلى المكتبة بتلك البساطة لنخرُج بكتابٍ لم يستطع إيجاده المدير ولا الحرس الملكيّ.

أغلقتُ الباب خلفي بنقرةٍ خفيفة. توقّفَت يد إيليانا عن التنظيف دون أن تستدير، حاملةً قطعة القماش المُغطّاة بالغبار والخشبُ يصرُّ تحت قدمَيها. جعلَتها الأوساخ الظاهرة على أسفل مئزرها المُطرّز تبدو كأنها قد مشَت عبر أرضٍ مُبتلّة. لم أرغب في معرفة أيّ جزءٍ رطبٍ من القلعة أُجبرَت على تنظيفه، إذا كان مُشابهًا للممرّ الذي مشينا فيه فهو بالتأكيد أمرٌ في غاية البؤس.

انفجرَت إيليانا قائلة: "أنا- أنا آسفةٌ جدًا لما سبق. لقد طلبَ توماس منّي المساعدة ولم أستطع- لم أستطع... لم أرغب في ردّ طلب شقيق داسيانا. أخبرتُه أنها فكرةٌ مروّعة لكنهُ كان يائسًا. الحبّ يجعلُ أعقلَ الناس حمقى. يُمكنني المغادرة إذا كنتِ غير راغبة في التحدّث معي."

"أرجو ألّا تنزعجي. لستُ مستاءةً منك. لقد كان يومًا شاقًا، هذا كل شيء."

أومأت إيليانا برأسها وعادت لتنظيف رفوف الكتب بعناية. قفزتُ على الأريكة وفركتُ صدغيّ، على أمل أن تنزل عليّ بعض السكينة من

السماء لتتناثر عبر روحي مثل زخّة مطرٍ نقيّ. بدَت حركة توماس لاستعادة صداقتنا وتظاهُره بالموت كأنّها قد حدثَت منذُ سنين. لدينا الآن مشاكل أكبر بكثير لنُواجهها.

رغمَ أنّ تلك الخفافيش متوحّشة إلّا أنّني علمتُ أنّها غير مسؤولة عن فقدان دم فيلهلم، فمن المؤكد إصابته بخدوشٍ ملحوظة على جسمه لو كانت كذلك. الأمر الذي جعلَني أكثر ثقةً في أنّ دمه قد سُحِبَ بجهازٍ جنائزيّ. ما زالت جروح العضّات في يدي تُحرقني. أردتُ أن أغطس في حوض الحمّام وأنظّف لُعاب الخفافيش العالق ولا أعود للتفكير في تلك الوحوش الصغيرة القذرة إلى الأبد. سيعودُ أبي إلى إدمان اللودانوم إذا علمَ يومًا ما بتعرّضي لمثل هذه المخلوقات التي قد تنقل الأمراض.

بالطبع سيقوم أحدُهم بتربية خفافيش مصّاصة للدماء في قلعةٍ يُشاع أنّ أشهر مالكيها قد أصبحَ مصّاص دماء. اتّهامي الأوّلي يقع على المُدير، لكنّ الاندفاع هو أكثر ما حذّرَني منه عمّي. التوصّل إلى استنتاج مُتسرّع حول هويّة الجاني ثم خلق الأدلّة لتأكيد هذا الاستنتاج لن يقود إلى الحقيقة ولا العدالة.

"تبدينَ... هل كلّ شيء على ما يرام؟" سألَت إيليانا.

رغمَ وعدي لتوماس بالتزام الصمت لكنّني قرّرتُ مُشاركة اكتشافنا معها. ربّما سمعَت شيئًا عن تلك الممرّات من خدمٍ أو أناسٍ آخرين.



"لقد وجدنا جثّة... جثّة مشوّهة في المشرحة. حسنًا، تحت المشرحة. كان هناك بابٌ خفيّ و..." تجمّدَت إيليانا، وأسرعتُ بالكلام على أمل تجنيبها تفاصيل الحديث عن الموتى. "على أيّة حال، أتمنّى أن نكون قد ذهبنا وعُدنا لوحدِنا. من الصعب معرفة احتمال وجود أوجه تشابه مع أيّة حالةٍ أخرى مرّت علينا. كانت الخفافيش... تتغذّى على الدم. لا أعرف ما يجبُ فهمُه من ذلك. يجب ألّا تُخبري أحدًا، حاليًا على الأقل."

"كانت الخفافيش... تشرب من جثّة؟" هُنا استدارَت إيليانا وهي تطرُف بعينَيها، بدَت مُهتزّة بما يكفي لتسقط أرضًا. "هل كان طالبًا؟ هل أخبرتِ أحدًا؟"

اجتاحَت عقلي صورة جسد الفتاة ناصع البياض، لتُعذّبني بكل تفاصيلها الحيّة، والتمزّقات التي عانَت منها وهي تلفظُ آخر أنفاسها الملعونة. هززتُ رأسي.

"كان- كانَ من الصعب فعل شيء. عرفتُ جنسها فقط من خلال ملابسها. لم نتمكن من تفتيش الغرفة بوجود تلك... الخفافيش. سنُرسل للمدير رسالةً من مجهول إذا لم يتمّ اكتشافها بحلول ظُهر الغد. اعتقدنا أنّ الشخص المسؤول عن موتها قد يتظاهر بإيجاد جثّتها، لذا فكّرنا أنهُ من الأفضل الانتظار لبضع ساعات." أغمضتُ عينيّ، مُحاولةً نسيان أصوات ضرب الأجنحة على رأسي، وشعور المخالب وهي

تتغلغل في جسدي الناعم. لا بدّ أنّ موتها لم يأتِ بالسرعة الكافية. كرهتُ التفكير في المدّة التي بقيَت فيها هُناك وهم يشربون منها، مرةً تلو أخرى، الأسنان الحادّة تعض وتشقّ الجلد، كم شعرَت بالعجز وقوة حياتها تُستنزَف منها تدريجيًا.

ركّزتُ على الموقد وألسنة اللهب. إذا سمحتُ لمخيّلتي بالانطلاق فسوفَ يُصيبني الغثيان.

"هل تظنّين أنّ نفس الشخص الذي خوزقَ الاثنَين الآخرَين هو المسؤول؟" عبثَت إيليانا بقطعة القماش خاصّتها. "أم أنّ هُناك قاتلٌ آخر في براشوف؟"

طرحتُ الحقائق التي أعرفها. "حتى الآن هنالك جثّتان تمّت خوزقتُهما: واحدة في القطار والأخرى نُشِرت في الصحف. ثمّ هُناك جثة فيلهلم آلديا الخالية من الدم. والآن هذه الشابّة، التي ماتت على الأغلب من كونها وجبةً حيّة للخفافيش. بالنظر لغياب تصلّب الموت يُمكنني القول أنها قد ماتت قبل اثنتين وسبعين ساعة على الأقل، مع ذلك من الصعب التأكّد."

لم أذكر الصلابة الطفيفة الموجودة في الأطراف، أو كيف أنّ حرارة الغرفة قد عجّلَت العمليّة. جعلَني عمّي أحفظُ العوامل التي تُساهم في تسريع أو تأخير آثار الوفاة في الصيف الماضي. نظرًا لأنّ الحرارة كانت



مُعتدلة إلى دافئة في الغرفة وكان جسدها يتحلّل، فذلك يعني أنّ أربعًا وعشرين ساعة على الأقل قد مرّت على وفاتها. رغمَ أنّني قدّرتُ وقت وفاتها سابقًا بثلاثة أيّام أو أربعة. كانت الرائحة فظيعة هُناك.

"هل من المُمكن أنها ضحيةٌ أخرى للمُخوزق؟"

خلعتُ قفّازاتي الدانتيل وأنا أنظر إلى القطع الممزّقة، كاشفةً النقاب عن الخدوش وعلامات العضّ. "يا ليتَني أعلم. لقد تمّ وضع زوج من الجثث كما لو كانتا لمصّاصي دماء، والزوج الآخر كما لو كانتا ضحايا لمصّاصي دماء."

ظاهريًا لم يرتكب هذه الجرائم نفس الشخص. بدا الأمر كأنّ المرأة وفيلهلم قُتلا بطرقٍ مختلفة عن الأخرَيين وعن بعضهما البعض.

لم أكن حتى واثقةً من أنّ شخصًا ما قد أجبرَها على دخول تلك الغرفة، ربّما ذهبَت تستكشف ووقعَت في فخّ الحصار. كان الظلام دامسًا في الغرفة، ربّما تكون قد تعثّرَت ثم تعرّضَت لهجوم الخفافيش الجائعة لتسقطَ عاجزةً عن الهروب من جحيمها. كان هناك الكثير من المُتغيّرات المجهولة لحِين فحص الجثة.

قلتُ طاردةً صورة الجسد الممزّق: "إمّا أنّ شخصًا ما يُحاول جاهدًا تنظيم جرائم مصاصي الدماء، وإمّا أنّ هُناك قاتلان يعملان، تقريبًا يحاولان التفوّق على بعضهما البعض. أحدهما يُقلّد أسلوب صيّاد

مصّاصي الدماء والآخر يُقلّد أسلوب مصّاص الدماء الفعليّ. لستُ متأكدةً من شيء، لا تزال هناك الكثير من القطع المفقودة. إذا ماتَ فيلهلم بسبب الخفافيش كنّا سنرى جروح عديدة عليه؛ لقد كانت في غاية الوحشيّة."

رفعتُ يدي مُظهرةً العضّات التي جفّت بلون الياقوت الأحمر.

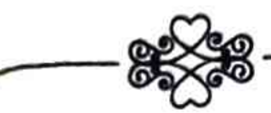
قالت إيليانا بانتباهٍ مشتّت: "القلعة قديمة، وكذلك الأنفاق التي وجدتماها. ربّما تتكاثر الخفافيش هنا منذ عهد فلاد."

"مُمكن." فكرةٌ ساحرة بالفعل. "أعتقدُ أنّ هُناك مَن يقوم بتربيتها. قال توماس أنها تُدعى خفافيش مصّاصة الدماء، لكنها عادةً تعيش في الأمريكتين. لا يُمكنني مطلقًا معرفة علاقة ذلك، إلّا إذا كان مجرّد سوء حظّ."

قالت إيليانا وتركيزها عالق على الأمير الخالد المزعوم: "ربّما للمُخوزِق صلةٌ بالأكاديميّة. لقد وقعَت جريمة القتل الأولى في القرية، ثمّ عُثِرَ على جثة فيلهلم هُناك أيضًا. إذا كان ما قاله دانيشتي بخصوص التهديدات الموجّهة ضدّ العائلة المالكة دقيقًا، فربّما كان المُخوزِق يتطلّع إلى إثارة الذعر في أوّل عمليّتي قتل."

"أو ربّما كان يتدرّب."

همسَت: "ربّما كان يجمع الدّماء."



اقشعرّ بدني. حفّزَت تلك الفكرة الجزء المنطقيّ من عقلي لتظهرَ أجزاء أخرى أكثر خطرًا وتنضمّ إليه. من المحتمل بالتأكيد أنّ قاتلًا محترفًا يعيش تحت هذا السقف ذي الأبراج، يسرق الدماء لأغراضٍ خاصّة.

مرّت في ذهني نظرية العمّ عن القتلة الذين يزجّون أنفسهم في تحقيقات جرائمهم. في مدرسةٍ مكوّنة من طلاب وأساتذة، مَن سيكسب أكثر من جرائم القتل؟ إلّا إذا كان الدافع هو متعة الصيد فقط. شغف التعطّش للدماء هذا كان أكثر ما يُرعبني. تمنّيتُ وجود عمّي معي لمُناقشة هذا، كان دائمًا ثاقب البصيرة.

هدأت إيليانا لدرجة أنّني جفلتُ عندما نزلَت من كرسيّها. "هل تؤمنين بوجود المُخوزِق؟"

قلت: "ليسَ بالمعنى الحرفيّ، لا. أنا واثقة من أنّ شخصًا بشريًا بالكامل يُعيد إحياء طرق الموت التي اشتهرَ بها فلاد دراكولا. لا أصدّق للحظةٍ واحدة أنهُ قد قامَ من القبر ليُطارد أحدًا. هذا غير معقول ويتعارض تمامًا مع قوانين الطبيعة. لا توجد طريقة لإحياء الأموات، بغضّ النظر عن مدى رغبة المرء في ذلك."

لم أفصح عن مدى الألم الذي عرفتُه عن حقيقة جملتي الأخيرة. اهتزّت أصابعٌ في ذاكرتي، ودفعتُ صورتها بعيدًا.

قالت إيليانا بهدوء: "بعض القرويّين سيختلفون معكِ. أصيبَ بعضهم بأمراض خلال الأسبوعين الماضيين، بينما اختفَت فتاةٌ واحدة. إنّهم على يقين من أنّ اللوم يقعُ على ستريغوي. الآن تمّ اكتشاف جثة فيلهلم ودمهُ مفقود. إنّهم يعرفون ما قد يعنيه ذلك."

أردتُ التعليق على اختفاء فتاة القرية ثمّ أوقفتُ نفسي. شعرتُ بالخجل من الاعتراف بالتسلّل إلى منزلها. اعتقدتُ أنّ قضيتها مجرّد حالةٍ مؤسفة، نتجَت عن شرب الكثير من المشروبات الروحيّة والضياع في الغابة. لم يخطفها أيّ مصّاصي دماء أو مستذئبين من الطريق.

"هل تعرفين شخصًا يُريد إغلاق الأكاديمية؟" سألتُها.

وضعَت إيليانا قطعة القماش على دلوٍ مُغلون ثمّ نقرَت على الجوانب، ما خلقَ صوتًا أجوفًا تردّدَ في جمجمتي. ضاقَت عيناي وهي تنظر نحو الباب وتبلع ريقها. كنتُ على وشك سؤالها ما الأمر عندما أسرعَت إلى الأريكة، لتسحبَ كتابًا مُغلفًا بالجلد من جيب مئزرها وتُسلّمه لي بنفور كما لو كان مبولةً كريهة الرائحة، فأخذتُه على مضض.

"أنا... أعلمُ إنه خطأ. وجدتُ هذا الدفتر، في غرفة الأمير نيكولاي." رفعتُ نظري إليها، لكنّ إيليانا أبقت عينيها على الكتاب وتلعثمَت. "أتذكُرين حين أخبرتُكِ أنّ الخدم يجب أن يبتعدوا عن الأنظار والمسامع؟" أومأت. "حسنًا، من السهل جدًا على بعض



الطلاب النبلاء نسيان وجودنا أصلًا. يظنّ بعضهم أنّ مواقدهم تُشعل نفسها بطريقةٍ سحريّة، وأنّ لأوعية غرفهم أجنحةً تطير بها لتُفرّغ نفاياتها."

"أنا آسفة لقسوة الناس البالغة."

بدَت عيناها كقطعتي جليد قبل أن يزول التعبير من وجهها. "لستُ فخورةً بأخذ الدفتر، لكنّي سمعتُه يذكُر شيئًا عن رسومات. عندما نظرتُ إلى داخله رأيتُ صورًا مروّعة. تفضّلي."

فتحتُ الدفتر الجلديّ لأرى بعض المخطّطات. قلوب وأمعاء ودماغ بشري و... خفافيش. جماجم لخفافيش ذات أنيابٍ رهيبة، أجنحة خفافيش مع ملاحظات وتفاصيل المخالب في قمّتها. عرضَت كلّ صفحة بفخر قسمًا جديدًا من تشريح الخفافيش. أعدتُ انتباهي إلى إيليانا التي كان بصرها ثابتًا على يديها.

"لديه أيضًا عددٌ من العيّنات في غرفهِ."

"لماذا أزعجكِ ذكر رسوماته؟"

قلّصَت إيليانا يديها. "تذكّرتُ ما قاله دانيشتي ومولدفانو عن تلقّي العائلة المالكة لتلك التهديدات. لقد كانت رسومات." جلستُ باستقامةٍ أكثر، كأنّ ذلك سيجعل ما قالتهُ مُستساغًا. هزّت موجات من الغثيان معدتي. "لا يُمكن أن يكون قد أرسلَ تلك بنفسه..."

"لهذا السبب ألقيتُ نظرة. ثمّ رأيتُ رسوم الخفافيش ولاحظتُ الهياكل العظميّة التي في غرفته... لا أعرف لماذا أخذتُ دفتره. لقد اعتقدتُ بوجود المزيد، ثمّ رأيتُ هذا قُرب نهاية الأوراق."

مدّت يدها لتقلب الصفحات حتى وجدَت ضالّتها، وتوقّفَت أنفاسي مع بقيّة أجزاء جسدي. رسمةٌ لفتاةٍ بشعرٍ من العقيق وعينين من الأخضر الزمرّدي الداكن تبتسم بجرأة بشفاهٍ تُقطّر دمًا.

أشرتُ بإصبعي على حدود الفكّ والعينين الشبيهة بعيون القطط، ثم لمستُ وجهي. "لا أفهم... لا يُمكن أن تكون هذه أنا. لم يكن لديه الوقت لـ-"

انتقلَت إيليانا إلى الصفحة التالية. رُسِمَ عليها بعناية شديدة صورةٌ لفتاةٍ ترتدي مئزرًا ملطخًا بالدم، تحمل شفرة تشريح فوق جسدٍ صارخ البياض. أشحتُ ببصري. كانت الجثة ذكرًا ولم يوجد قماش يغطّي عُريه. صعدَت حرارةٌ إلى خديّ، لم أعرف ما الذي يجب فعله بعد هذه الرسومات الفاضحة.

"هُنالك المزيد." أظهرَت لي إيليانا صورةً بعد أخرى، كلّ واحدة منها تعرضُني بهيئة مخلوقٍ جميل يُحبّ الدماء والموت. الطريقة التي رسمَني بها الأمير جعلَتني أبدو ككائنٍ خالد، مثاليّ لدرجةٍ تفوق البشر، كثيرة البرود والقسوة في هذا العالم الهشّ. ومضَت ألسنة اللهب في المدفأة



بشدّة وقد ارتفعَت حرارتها فجأة. تقتُ إلى فتح نوافذي على مصراعيها للسماح لريح الكاربات الباردة بتطهير الغرفة.

شهقتُ عند رؤيتي الصورة الأخيرة. كان من الصعب معرفة مَن الذكر بالضبط - توماس أم نيكولاي - لكنهُ وقفَ إلى جنب أودري روز جديدة. ارتدى الشاب بدلة مصنوعةً من العظام، وحملَ جمجمةً عاجيّة كما لو كانت وحيًا مُنزّلًا من السماء. بدا الرسم رائعًا، رغمَ القلب التشريحيّ الكبير والدورة الدمويّة التي تشعّبَت من صدري، ثمّ شقّت طريقها حتّى أسفل ذراعيّ ومدّت أصابعها إلى تنّورتي.

لفتت انتباهي بعد ذلك القفّازات السوداء في الرسم. غطّى الدانتيل والدوائر ذراعيّ كما لو كانا منقوشَين بشكلٍ دائم على بشرتي. راقبَت إيليانا عن كثب قبل أن تُشير إلى التصميم على ذراعيّ. "ذراعا الأمير نيكولاي مُغطّاة بالحبر. ليسَ بدقّة هذا الرسم، لكنّني رأيتُها حينما رفعَ أكمامه."

رفعتُ حاجبيّ. لقد قرأتُ أنّ نقش الوشوم على الجسد قد انتشرَ بين الأرستقراطيّين خلال السنوات القليلة الماضية. بمجرّد إعلان المجلات عن تلك الموضة كان هُناك حوالي واحد من كلّ خمس سيّدات ورجال نبلاء - حسب التقديرات - قد تمّ نقش أجسادهم. كما أنّها كانت تزداد شعبيّةً في البلاط الملكيّ. من المنطقي قيام الأمير بوشم جسده. سيُضيف

ذلك إلى سحره. تخيّلتُ العديد من الشابّات يتلهّفنَ لخلع ملابسه والنظر إلى ما خفيَ من رسوم تحتها.

"ماذا تُمثّل وشومه؟"

قامَت إيليانا من المقعد لتأخذ الدفتر وتُشير نحو الباب. "الوقت متأخّر. لقد لمّعتُ حذاءك وتركتُه لِبابا نيكولاي. يجب أن تخلُدي للراحة لفسح المجال أمامه في توزيع هدايا الشتاء." ابتسمَت أمام حيرتي. "أعتقدُ أنّ نسختكم من بابا نيكولاي تُسمّى سانتا كلوز. من عاداته جلب الحلوى، وإذا هزّ لحيته وتساقطَ الثلج فسوفَ يبدأ الشتاء حقًا. نامي الآن. الليلة هي ليلة السّحر، ربما يتركُ لكِ حلية."

كان النوم بعيدًا عن ذهني، خاصةً بوجود نيكولاي آخر يتجوّل قرب القلعة ليُقدّم "هدايا"، لكنّي تمنّيتُ لها ليلةً سعيدة. ضغطتُ بأصابعي على عينيّ حتى ظهرَت ومضاتٌ بيضاء تُشبه نيازك السماء. في يومٍ واحد ظننتُ أنّ توماس قد مات، واكتشفتُ ممرًّا سرّيًا، وتعرّضتُ لهجوم من قبل خفافيش تشربُ الدماء، واكتشفتُ جثةً أخرى، والآن اطّلعتُ على رسومات نيكولاي الدمويّة. قد يكون الأمير الظلاميّ هو الشخص الذي نبحثُ عنه. لقد سنحَت له فرصة إرسال تهديدات مُصوّرة لأفراد الأسرة المالكة. ربّما كان يحاول تأمين العرش لنفسه. لم يسَعني إلّا التساؤل عمّا إذا كان نيكولاي مسؤولاً أيضًا عن وفاة ابن



عمّه. إذا واصلتُ الكشف عن أسراره فإنّ شيئًا أسوأ من التهديد قد يُصيبني قريبًا. كان التفكير في ما سيأتي به الصباح كافيًا لإثقال جفنيّ، فرفعتُ أغطيتي وانزلقتُ تحتها. آخر صورة رأيتُها قبل النوم كانت لشابّةٍ عجيبة ذات وشوم تلتفّ حول ذراعيها، شفتاها ملتويتان بابتسامةٍ وحشية وهي تغرسُ قواطعها في شفّتها المُلطخة بالدم. إذا كان الأميرِ نيكولاي يعتقد حقًا أنّني ملعونة، فربّما صاغَ هذا الرسم التوضيحي كإعلانٍ لي، إعلان تحوّلي إلى الأميرة دراكولا. أملتُ ألّا يسعى أحد إلى طعن قلبي.

أودري روز،

إذا كنتِ تقرئين هذا، فعلى الأغلب أنّكِ قد زُرتِ غرفتي. أعتذرُ عن المغادرة دون وداع. لقد وجدتُ صلة ربط بين الجماعة وجرائم القتل. لقد أخبرتُكِ أنّني ميّزتُ ذلك الكتاب! لا تثِقي بأحد. أقسمُ أنّني سأعودُ في غضون أسبوع بمزيدٍ من المعلومات. أعتقدُ أنّ تلك الشابّة قد رتّبَت المشهد في منزلها.

لقد قمتُ ببعض التحقيقات في القرية واكتشفتُ أنّ زوجها هو الضحيّة التي ذكرَتها الصحف أوّل مرّة! (لسوء الحظ، توفّي طفلُها قبل بضعة أشهر).

يعتقد العمّ مولدفانو أنّني غادرتُ مُسرعةً إلى المجرّ لتقديم مُساعدة في مسألةٍ شخصيّة عاجلة.

لا تذهبي إلى القرية ثانيةً. إنها غير آمنة، العيون في كلّ مكان.

- أنستازيا.

ملاحظة: أرجو أن تُحرقي هذه الرسالة. أشكُّ أنّ لدى الخدم عادة العبث بالحاجات الشخصيّة.



25

حديقة الرماد



الساحة المُسيّجة

قلعة بران

13 ديسمبر 1888

في المساء الذي تلا اكتشافنا للأنفاق، أرسلنا أنا وتوماس خطابًا مجهول المُرسِل إلى مولدفانو ضمَّ إرشاداتٍ إلى مكان العثور على الجثة، لكنّنا لم نسمع شيئًا بخصوص ذلك منذ أيّام. لا أعرف ما إذا كان قد أرسلَ شخصًا للتحقّق، ولم تسنح لي فرصة التسلّل إلى هُناك بنفسي. بدا أنّ عدد الحرّاس يتزايد داخل الأكاديميّة شبه الفارغة، وهُم عازمون على إبقائنا محبوسين.

أصابَني الإحباط ودفعَني لإرسال رسالة أخرى. تمنّيتُ بصدق أن يأخذ المُدير الأمر على محمل الجدّ، فقد كرهتُ التفكير في ترك الجسد ليتعفّن هناك. ستضيعُ منّا الأدلّة المحتملة إلى الأبد، ناهيكَ عن فكرة

ترك شخص بتلك الحالة... إذا لم أسمع خبرًا بحلول المساء، أقسمتُ على نفسي أنّني سأسحب المدير إلى الأنفاق بيدي.

وضعتُ قطعةً من الحلوى الصلبة في فمي، شاكرةً مَن قامَ بلعب دور بابا نيكولاي في القلعة عليها. كانت الحلوى، بالإضافة إلى صُحبة إيليانا بين حينٍ وآخر، الجزء الأكثر متعةً في أسبوعٍ طويل للغاية. لم تعُد أنستازيا بعد من المكان الذي سافرَت إليه، وأقلقَني جوّ التسرّع في رسالتها. ماذا اكتشفَت عن جماعة التنّين يا ترى؟ لم تظنّ إيليانا أنّ مغادرة أنستازيا القلعة أمرٌ مُريب، ولم أرغب في إثارة قلقها بالإفصاح عن مخاوفي.

في منتصف الأسبوع، نجحَ رادو في تنويم فنشينزو بينما كان يملأ مسامعنا بالفولكلور المحليّ حول الجثث التي يتمّ حرقها وتحويلها إلى رماد ثمّ تناولها. بعدها تناوَبنا جميعًا في صالة عمليّات بيرسي، نستخرج الأعضاء ونتعلم تعقيدات الموت، محاولين التفوّق وتأمين مكاننا في كورس التقييم.

لقد استمتعنا جميعًا بالمعرفة التي قُدّمَت لنا في دروس بيرسي. التفاصيل الدقيقة للقتل وعلاماته العديدة، كيف تقرأ لغة الجثة لنيل دليلٍ قاطع على سبب الوفاة. لقد أحببتُ هذه الدروس، وشعرتُ بنفسي أزدادُ قوّةً أمام الجثث. رغم أنّ كوابيس جرائم السفّاح ظلّت كامنةً قُرب السطح في ذهني. أمّا دروس مولدفانو فكانت تجري دائمًا بدقّةٍ عالية،

ترك شخص بتلك الحالة... إذا لم أسمع خبرًا بحلول المساء، أقسمتُ على نفسي أنّني سأسحب المدير إلى الأنفاق بيدي.

وضعتُ قطعةً من الحلوى الصلبة في فمي، شاكرةً مَن قامَ بلعب دور بابا نيكولاي في القلعة عليها. كانت الحلوى، بالإضافة إلى صُحبة إيليانا بين حينٍ وآخر، الجزء الأكثر متعةً في أسبوعٍ طويل للغاية. لم تعُد أنستازيا بعد من المكان الذي سافرَت إليه، وأقلقَني جوّ التسرّع في رسالتها. ماذا اكتشفَت عن جماعة التنّين يا ترى؟ لم تظنّ إيليانا أنّ مغادرة أنستازيا القلعة أمرٌ مُريب، ولم أرغب في إثارة قلقها بالإفصاح عن مخاوفي.

في منتصف الأسبوع، نجحَ رادو في تنويم فنشينزو بينما كان يملأ مسامعنا بالفولكلور المحليّ حول الجثث التي يتمّ حرقها وتحويلها إلى رماد ثمّ تناولها. بعدها تناوَبنا جميعًا في صالة عمليّات بيرسي، نستخرج الأعضاء ونتعلم تعقيدات الموت، محاولين التفوّق وتأمين مكاننا في كورس التقييم.

لقد استمتعنا جميعًا بالمعرفة التي قُدّمَت لنا في دروس بيرسي. التفاصيل الدقيقة للقتل وعلاماته العديدة، كيف تقرأ لغة الجثة لنيل دليلٍ قاطع على سبب الوفاة. لقد أحببتُ هذه الدروس، وشعرتُ بنفسي أزدادُ قوّةً أمام الجثث. رغم أنّ كوابيس جرائم السفّاح ظلّت كامنةً قُرب السطح في ذهني. أمّا دروس مولدفانو فكانت تجري دائمًا بدقّةٍ عالية،

ورغم أنّني لم أستمتع بها إلّا أنه كان موهوبًا بشكلٍ استثنائيّ في علم التشريح وفي الطبّ الجنائيّ. لاحظتُ أنّ أحدًا لم يجرؤ على التكلّم بحُرّية، خوفاً من الطرد الفوريّ.

لم يتحدّث أحد عن فيلهلم أو موته المُفاجئ بعد أن أخذَت عائلته جثّته. بدا كأنّ الزمن لم يتوقّف لحظةً لحادثتِه، واستمرّ بالمضيّ قُدمًا دون اكتراث.

حاولنا أنا وتوماس التسلّل ثانيةً إلى الأنفاق في ساعاتٍ غريبة، لكن مساعينا أُحبطَت من قبل مجموعة الحرس الملكيّ. لقد أخذَ مولدفانو حظر التجوّل الجديد على محمل الجدّ، وانتشرَ الحرس في أنحاء القاعات بعددٍ أكثر ممّا تخيّلتُه موجودًا في البلاط الملكيّ الرومانيّ.

بحلول نهاية الأسبوع، وصلَت لي رسالةٌ مختومة من بريد لندن. أحضرَتها لي خادمةٌ جديدة، مع خبر أنّ إيليانا قد كُلّفَت بواجباتٍ أخرى لفترةٍ من الوقت. حزنتُ لفقدان رفيقتي في الليل، لكنّ تلك الرسالة أسعدَتني. كنتُ أعرف مَن المُرسِل ولم أستطع الانتظار لأقوم بفتحها وقراءتها بعد الدرس. تحدّثَ رادو مرارًا وتكرارًا عن كونها ليلةً شرّيرة. طقطقَ الأمير مفاصل أصابعه، وتدلّى رأس أندريه، مع ذلك كان التوأمان وحتى كِييان الحزين مُنجذبين لتلك الحكاية. تحرّكتُ في مقعدي وأنا أدعو لسماع دقّات ساعة الباحة بأسرع ما يُمكن. استطردَ رادو:



"يُشاع أنّ أصلها يعود للثقافة الرومانيّة. تُقدَّم ذبيحة، ثم تتحدّث إلينا الحيوانات. لا أحد يعرف إن كان ذلك بلُغتنا أم لغتها." دفعَ نظارته إلى أعلى أنفه وألقى نظرةً على الفصل. "أين السيّد هايل اللعين؟ هل غادرَ الصفّ مبكرًا؟"

تململَ نوح بقلق ورفعَ يده، لكن رادو اجتازهُ وانتباههُ مشتّتٌ بين بقيّة الطلاب وملاحظاته.

"السيّد هايل جالسٌ هناك يا أستاذ." قال نيكولاي بِكَسل. "ربما باتَ الحجاب الفاصل بين العوالم ضعيفًا لديكَ بما يكفي لتضليل الواقع."

التفتَ رادو إلى الأمير وحدّقَ فيه بعُمق. "ابذلوا قُصارى جهدكم للبقاء في غرفكم الليلة. سوف ينهض الأموات ويُطاردون أولئك الحمقى بما يكفي للتجوّل خارجًا. سوف تقطنُ الأرواح مَن لا يروقُ لها. حتّى الأمراء مُستهدَفون." استمرّ باقي الدرس على نفس المنوال حتّى دقّت ساعة الخلاص من سجن رادو الفولكلوريّ. بقيتُ واقفةً في المدخل خارج الفصل الدراسيّ، لكن توماس دخلَ في نقاشٍ مع رادو حول أصل العطلة، وكان الأمر أشبه بالجلوس لانتظار نمو عُشبة من الأرض على مدار أيّام. كانت الرسالة تغلي في جيبي، واحتجتُ لقراءتها حالًا. ردّ عليّ توماس بإيماءةٍ من رأسه حينَ أشرتُ نحو الممرّ.



تمكنتُ من الخروج وحشر نفسي في إحدى زوايا فناء القلعة المُسيّج. كان أمامي بعض الوقت قبل بدء درسنا التالي، وذلك المكان خلا من أعين الطلاب والأساتذة وجيش الرجال غير المرغوب فيهم. لقد قامَ الحرس بدوريّاتٍ على السقف ذي الأبراج في الأعلى دون المشي في الفناء أسفله. من مكاني المُريح، تخلّصت من التوتّر الذي لففتُ نفسي فيه عُقدةً عُقدة.

جلسَ بئرُ أمنياتٍ[1] بفخر في وسط الأرضيّة المُتدرّجة المرصوفة بالحصى. لقد كان قطعةً أخرى من الجمال في عالم الشتاء القاسي. لو تيسّرَ للمرء قطع عمودٍ كورنثيّ[2] في تاجه، فشكلهُ سيقترب من أوراق الأقنثة التي زيّنَت الجدار الخارجي للبئر. قمتُ بسحب غطاء عباءتي وأنا أبذل قصارى جهدي للاحتفاظ بأكبر قدر مُمكن من حرارة جسمي بينما هبّت ضربات ريحٍ ثلجيّة حولي. لقد اعتدتُ على جلب عباءتي إلى الفصول الدراسية، بسبب عدم معرفتي متى قد يرغب مولدفانو أو رادو في إلقاء درسٍ في الهواء الطلق.

1- بئر الأمنيات: مصطلح أوربي قديم يطلق على بعض الآبار التي يُشاع عن أنها تُحقق أماني زائريها أو الذين يرمون فيها قطعةً معدنية. (المُترجِم)

2- عمود كورنثيّ: نمط الأعمدة المزخرفة في اليونان القديمة والذي يعتبر من أكثر الأنماط المعمارية تعقيدًا وجمالًا. (المُترجِم)

لمستُ المظروف وابتسمت. لقد علمتُ من المُراسلات السابقة أنّ العمّة أميليا وليزا كانتا في زيارةٍ إلى والدي، لتحضير المنزل للعطلة القادمة. كدتُ أنسى كلّ شيء عن عيد الميلاد، بعد جريمة القطار والرحلة إلى منزل المرأة المفقودة والوفاة الغامضة لفيلهلم والشابّة أسفل المشرحة.

قرّرنا أنا وتوماس البقاء في بوخارست خلال استراحتنا القصيرة التي تستمرّ يومين، حيث احتفظَت عائلتُه بمنزلٍ هناك، لكن كان من الصعب عليّ التغلّب على فكرة عدم رؤية عائلتي. لم أفوّت سابقًا يوم عطلة مع أبي، ومع مرور الأيام صرتُ في شكٍّ بما يجب أن أفعله. ستكون الرحلة إلى لندن منعشة، رغم أنه من المستحيل القيام بها دون تفويت دروس. لا يُمكنني تحمّل التخلّف عن ركب الطلاب، خاصةً إذا رغبتُ في التفوّق على زملائي والحصول على مكان في الأكاديميّة. مع ذلك تاقَ جزءٌ جامحٌ مني إلى نسيان الأكاديمية والذهاب إلى المنزل بلا رجعة. تقلّصَت معدتي لتلك الفكرة. كان أقراني موهوبين بشكلٍ استثنائيّ، ولم أستطع الكفّ عن القلق بشأن مَن سيفوز بالمقعدين المُتاحَين. دفعتُ الخوف بعيدًا وركّزتُ على قراءة رسالة ابنة عمّتي ثانيةً.

ذكرَت ليزا سابقًا أنّها هي وعمّتي أميليا ستبقيان على الأرجح طوال فصل الشتاء برفقة أبي في منزلنا الكبير الفارغ في ساحة بلغريف. لقد



عانى أبي بعد كلّ ما حدث وشعرَ بالذنب الشديد بسبب إحدى جرائم القتل التي قام بها السفّاح. في قمّة نشاطات القتل عثرَت عليه الشرطة في وكرٍ للأفيون في إيست إيند وتمّ تشجيعه على الراحة في منزلنا الريفيّ. كان قد عادَ للتوّ إلى لندن حين التقى بالآنسة كيلي في أثناء بحثه عن اللودانوم. ادّعَت أنّها تعرفُ شخصًا قد يُجهزه به، وتبعَها أبي عن طيب خاطر إلى ذلك المنزل الملعون في ساحة ميلر. لقد تركَ الآنسة ماري جين كيلي على قيد الحياة، ولم يملك فكرةً عن كونهِ مُطارَدًا في ذلك المساء. كان جاك السفّاح قد تبعهُ، وهو يُراقب وينتظر وقت تنفيذ ضربته.

ربّما توماس على حقّ: العودة إلى لندن ليسَت فكرةً سيّئة. يُمكننا مُراقبة أبي عن كثب وسيكون عمّي سعيدًا جدًّا بعودتنا، مع ذلك فإنّ ترك الأكاديمية سيكون فشلاً لي بعد كلّ اجتهادي هذا. صحيحٌ أنّني أحتقرُ المدير لكنّني أردتُ نيل مكانٍ هنا. لم أستطع تخيّل ما سأفعله لو لم ينجح توماس ولا أنا في ذلك. راودَتني فكرةٌ جديدة جعلَت قلبي يدقّ بعُنف: ماذا لو تم قبول أحدنا في الأكاديميّة دون الآخر؟ مجرّد التفكير في توديع توماس قطعَ أنفاسي. تركتُ الأفكار الحزينة لأفتح رسالة ابنة عمّتي، حريصةً على التهام كلّ جزءٍ منها.

ابنة خالي العزيزة،

اسمحي لي أن أكون صريحةً للغاية. ما دمتُ قد قرأتُ كلّ روايات الموهوبة العظيمة جين أوستن[1]، وبما إنني أكبرُ منكِ بثلاثة أشهر، فمن الجليّ أنّ لديّ معرفةً رومانسيّة أكثر منك بأضعاف. لا أعتبرُ نفسي شاعرة، لكنّني كنتُ أُغازل (دون أيّ خجل) ساحرًا شابًّا مُثيرًا للاهتمام يعملُ في سيرك مُتنقّل. حسنًا... سأخبركِ كلّ شيء عن ذلك لاحقًا.

على أيّة حال، كنا نُناقش موضوع الرومانسيّة في مساء أحد الأيام بالقُرب من البُركة، وتحدّثَ عن كون الحبّ شبيهًا بالحديقة. لا تقلبي عينيكِ يا ابنة خالي، هذا غير لائق. (تعلمينَ كم أعشقُك!)

كانت هذه نصيحته: تحتاج الأزهار إلى الكثير من الماء وأشعة الشمس لتنمو.

الحبّ أيضًا يحتاج إلى الاهتمام والمودّة، وإلّا فإنّه يذوي ببطء بسبب الإهمال. حين يذبل الحبّ يُصبح هشًّا مثل ورقةٍ جافّة، تحملينها بيدكِ لتجديها قد استحالَت رمادًا رغم لمستكِ الرقيقة، وتذهب أدراج الريح إلى الأبد.

1- جين أوستن: (1775-1817م) روائية بريطانية شهيرة، أشهر رواياتها كبرياء وهوى. (المُترجِم)



لا تُديري ظهركِ للحبّ الذي يمكنه تخطّي حاجز الحياة والموت يا ابنة خالي. سيخوضُ السيّد توماس كريسويل كل حلقةٍ من حلقات الجحيم إذا احتجتِ منه ذلك، مثل رحلة دانتي الباسلة إلى قلب الظلام. أنتِ القلب النابض داخل أضلاعه. هذه طريقةٌ غريبة للقول بأنكما تُكمّلان بعضكما البعض، وهذا لا يعني أنكما غير كاملَين كلًّا على حده.

أنا أخالفُ أمّي بالاعتقاد أنّ جميع النساء يجب أن يقفنَ بمفردهنّ دون الحاجة إلى شخصٍ يسندهنّ. المرأة التي تستحقّ الزواج لا بدّ أن تكون كاملة الثقة بنفسها. هذا نقاشٌ لوقتٍ آخر، لنعُد إلى السيّد كريسويل العزيز...

هُنالك شيءٌ قويّ في هذا النوع من الحبّ، شيءٌ يستحقّ عناء الاهتمام به حتّى عندما تقترب جمراتهُ بشكلٍ خطير من الانطفاء. أرجو منكِ التحدّث معه، ثم الكتابة إليّ لإخباري بكلّ التفاصيل اللذيذة. تعرفينَ كم أعشق الرومانسيّات العظيمة!

لا تدَعي حديقتك الوفيرة تتحوّل إلى رماد يا ابنة خالي. لا أحد يريد التنزه في حديقةٍ دمّرَها الإهمال بعدَما كانَت مزدهرةً مليئةً بالورود.

المُخلصة، ليزا.

مُلاحظة: هل أعدتِ النظر في أمر العودة إلى لندن لقضاء العطلة؟ المللُ طاغٍ هنا بدونك. أقسمُ أنه إذا حاولَت فيكتوريا أو ريجينا توجيه

الأوامر لنا في حفلةِ شاي أخرى سأُلقي بنفسي من برج لندن. على الأقل عندها لن تصرّ أمي على أن أتدرّب وأتدرّب على حفلةِ بلوغي[1]. كأنّ المجتمع سيلعنُني إذا تقدّمتُ لليمين بدلًا من اليسار في رقصة الفالس!

لو شعرَ زوجي المستقبليّ بالفزع من مثل هذه الأمور التافهة فلن يستحقّ الزواج بي أصلًا، ذلك النوع البليد أودّ تجنّبه بأيّ ثمن. تخيّلي لو أخبرتُ أمّي بذلك؟ سأنتظرُ حتى تصلينَ إلى المنزل حتّى نسعد برؤيتها وهي تتحوّل إلى شيطان أحمر، شيءٌ نتطلّع إليه!

قُبلاتي وعناقي، ل.

"هل ستُمانعين كثيرًا إذا جلستُ هنا أيضًا؟"

ألقيتُ نظرةً خاطفة على المتحدّث باللهجة الأمريكيّة، متفاجئةً لأنّ أحد زملائي فتحَ حديثًا معي. لقد تحدّثوا غالبًا في مجموعات، وبعدَ مُحاولة توماس التعيسة لُمساعدتي عبر تحذير رادو من حالتي النفسية لم يتقبّلوا وجودي كزميلة لهم في الكورس إلّا عند الضرورة القصوى. بالنسبة لهم لم أشكّل تهديدًا ولم أكن حتّى جديرةً بالُملاحظة.

ابتسمَ نوح. بدَت ملامحه منحوتةً من أرقى أصناف الأبنوس، عميقةً وغنيّة وجميلة. هززتُ رأسي. "مُطلقًا. الفناء يتّسعُ لكلَينا وأكثر."

1-حفلة البلوغ: تقليدٌ قديم يقضي بإقامة حفل للفتاة التي تصل سن البلوغ لتقديمها للمجتمع كامرأة بالغة ومتاحة للزواج. (المُترجِم)

تلألأت عيناه البُنّيتان. "بالفعل." نظرَ إلى الثلج الذي تساقطَ بشدّةٍ أكثر، مُغطّيًا الحجارة والتماثيل المكشوفة. شاهدتُ نظراته تنجرف نحو القلعة، وتقلّصَت عضلات ظهره عندما ظهرَ مولدفانو لفترةٍ وجيزة في إحدى النوافذ سائرًا في الممرّ. "هل أنا مُخطئ أم أنّ المُدير شخصٌ بائس؟"

ضحكتُ بعفويّة. "أجرؤ على القول أنه مروّعٌ بشكلٍ عامّ."

"لكنّهُ ماهرٌ حقًا بشفرته الجراحيّة. أعتقدُ أنّ المرء لا يُمكنه الحصول على كل شيء، أليس كذلك؟" رفعَ ياقة معطفه للأعلى وهو يضرب قطع الجليد التي جلبَتها الرياح. كانت تتنقل وتتزحلق على الأرض بصوتٍ يبعثُ السكينة تحت السماء الرماديّة. "أنا السيّد نوح هايل بالمناسبة. رغم أنكِ تعرفين ذلك من الفصل، لكن لا بدّ من تقديم نفسي بشكلٍ لائق."

أومأت. "هل أنتَ من أميركا؟"

"بلى. نشأتُ في شيكاغو. هل سبق أن زُرتِها؟"

"كلا. لكن آملُ أن أسافر إلى هناك يومًا ما."

"ما رأيكِ في درس رادو؟" سأل نوح مُغيّرًا الموضوع فجأة. "في الطقوس التي من المُفترض أن تجري الليلة؟ هل تعتقدين أنّ جميع القرويّين سيُقدّمون قرابين في قناعةٍ أنّ الحيوانات ستتحدّث بلُغتنا هذه الليلة فقط؟"

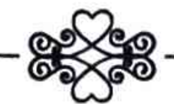
رفعتُ كتفي واخترتُ كلماتي بعناية. "لستُ واثقة من أنّ هذا الدرس أكثر غرابةً من التراث الشعبيّ فيما يتعلّق بمصّاصي الدماء والمُستذئبين."

نظرَ نوح جانبيًا إليّ. "كيف شاركَت شابّةٌ مثلكِ في كلّ هذا" - أشار إلى القلعة - "العمل الخاصّ بالجثث؟"

"كان إمّا ذلك وإمّا التطريز والنميمة،" قلتُ سامحةً للفكاهة بالتسلّل إلى نبرة صوتي. "بصراحة أتخيّل أنّ الباقين ممّن يدرسون هذا العلم قد مرّوا بخياراتٍ مُشابهة. أريدُ فهم الموت والمرض، أريدُ تقديم الطمأنينة للعوائل في الأوقات العصيبة. أؤمنُ بأنّ لدى كلٍّ منّا هبةٌ خاصّة يُقدّمها للعالم، وصادفَ كون هبتي قراءة الموتى."

"لستِ سيئةً في ذلك آنسة وادزورث، بغضّ النظر عمّا يقوله أيّ شخصٍ آخر." قال نوح بصراحةٍ لم أُمانعها، بل وجدتُها مُنعشةً مثل هواء الجبل. دقّت الساعة بتذكيرٍ كئيب أنّ وقت المرح قد انتهى. وقفتُ داسّةً رسالة ليزا في جيب تنّورتي، وأزلتُ الثلج من قميصي تحت العباءة. "هل أنت مُتحمّسٌ للدرس؟ سندخل غرفة التشريح اليوم."

"إنهُ أمرٌ جيّد." قالَ نوح وقد وقفَ فاركًا يديه بقفّازاتها الجلديّة. "سيحصل كلٌّ منّا على عيّنتهِ اليوم. لقد وضعَ بعض الصبية رهاناتٍ على أدائهم."



"هل هذا صحيح؟" رفعتُ حاجبي. "حسنًا، أعتذرُ مقدمًا لِفوزي بالمركز الأول."

قال نوح: "يُمكنكِ بالتأكيد مُحاولة الحصول على المركز الأول. لكن عليكِ أن تُقاتليني لأجله."

"أتمنّى أن يفوز الأفضل."

"أحبُّ التحدّيات الجيّدة." مدّ نوح يده ليُصافح يدي ذات القفّاز، واكتشفتُ أنّ مصافحة شابٍّ لي لا تُزعجني ولو قليلاً، بل كانت علامةً على الاحترام، علامةً على أنّ نوح يعتبرني الآن ندًّا له. ابتسمتُ ونحنُ نشقّ طريقنا إلى الداخل.

هذا بالضبط ما عشتُ لأجله: استكشاف الموتى.



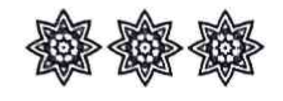
خمسة طلاب يدرسون تشريح الجثث -

1900م



26

حالةٌ عجيبة



غرفة التشريح

قلعة بران

13 ديسمبر 1888

"ما الغرض من فحص جثث أولئك الذين يموتون بلا علامات صدمةٍ خارجيّة؟"

وقفَ البروفيسور بيرسي بجانب دماغ العيّنة المكشوف أمامه، ومئزرهُ ملطّخٌ بدماءٍ بلون الصدأ. كان شعرهُ المائل للاحمرار وشارباه مُرتّبان بدقّة، على نقيضٍ من السوائل التي شوّهت ملامحه المفعمة بالحياة. تخيّلتُه قريبًا من مظهر عمّي حين كان أستاذًا شابًا، ودفأتني الفكرة رغم برودة هواء غرفة التشريح.

سأل: "لماذا نقوم بفتح أجسادهم ونحنُ نرى بوضوح أنّهم ماتوا لأسبابٍ 'طبيعيّة'؟"

انطلقَت أيدٍ مُتحمّسة في الهواء مثل الألعاب النارية، تنفجر بالحاجة إلى الإجابة وإثبات نفسها، وعلى استعدادٍ للتفوّق على الأقران. نظرَ الأمير في أرجاء الغرفة، مُقيّمًا حجم المنافَسة، وقد بدا اليوم أكثر اهتمامًا من العادة. تجاهلَهم بيرسي جميعًا، ووجّهَ انتباهه إلى الطالب الوحيد الذي كان مُشتّتًا.

"سيّد كريسويل؟ هل لديكَ ردّ على هذه المسألة؟"

ليسَ مُفاجئًا أنّ توماس أوشكَ على دفن رأسه في الجُثّة المُخصّصة له، مُتجاهلاً الجميع وكلّ شيء باستثناء مشرطه والجثّة. شاهدتُ الجلد يفتح تحت نصله كموجةٍ مُرتدّة من الشاطئ. رفعَ ملقطًا مُسنّنًا من دُرجه وفحصه، ثم شرعَ في مهمّة كشف الأحشاء وهو يُدندن لنفسهِ بهدوء بنغمةٍ بهيجة قياسًا بما كان يفعله. رفعتُ حاجبي. ربّما كان شغفهُ كبيرًا بعمله، ولم يكلف بيرسي نفسه عناء مُقاطعته. لقد عرفَ بسرعةٍ أنّ توماس قوّةٌ مُستقلّة خلال وجوده في المختبر.

"الأمير نيكولاي؟"

حوّلتُ نظري مرّةً أخرى إلى نيكولاي. كان يمضغ شفته السفلى وانتباهه ثابت على العيّنة التي أمامه. "نحنُ بحاجةٍ إلى إثبات ما إذا ماتوا لسببٍ طبيعيّ، ولا توجد طريقة أخرى لذلك غير فحصهم."

"صحيحٌ جزئيًا. أيّ شخص آخر؟"



قام أندريه بأرجحة مشرطه كما لو كان سيفًا بيد أكثر فارسٍ أخرق عرفَتهُ المملكة، بينما ابتعد نوح عنه بعض الشيء. لم يكن التوأمان بيانشي أفضل من توماس، فنظراتُهما ثابتة تمامًا على الأجساد أمامهما ومشارطهما تعمل شقوقًا دقيقة. رفعَ كلٌّ من كِييان وإيريك يديهما وهما يُحدّقان في بعضهما. كان أحدهما كالنار والآخر كالثلج، غير سارَّين لأيّ شخصٍ يتعرّض لهما لفترةٍ طويلة من الزمن.

"كي نتمكّن من فهم الأمراض وتأثيراتها على الجسم؟" قال إيريك.

"أحيانًا. إذن هل يجب علينا دائمًا فتح العيّنات من دون سبب وجيه؟" سأل بيرسي.

كاد كِييان أن يقلب مقعده في عجلته للإجابة. "كلا سيدي. تشريح الموتى ليسَ ضروريًا للجميع، فقط أولئك الذين يموتون في ظروفٍ مُريبة."

"شكرًا لك سيّد فاريل. سيّد برانكوفيتش، يُرجى أن تضع مشرطك من يدك. إنه ليسَ سلاحًا، قد تؤذي شخصًا ما به، على الأرجح نفسك. هل من جواب آخر؟"

رفعتُ يدي فأومأ بيرسي في وجهي بنظرةٍ ثابتة.

"تفضّلي، آنسة وادزورث." "لأنهُ يا سيّدي، كما في حالة المُتوفّى أمامي والذي ماتَ في الماء، قد يعتقدُ المرء أنهُ ماتَ غرقًا أو بسبب

انخفاض درجة حرارة الجسم. إجراء تشريح للجثة هو الطريقة الوحيدة للتأكّد من سبب وفاته." "جيّدٌ جدًا. وما الذي سيُخبرنا به التشريح؟"

"سوف يُخبرنا لماذا سقطَ في الماء. قد تكون لديه حالةٌ ما، مثل النوبة القلبيّة أو أمّ الدم."

"أو ربما احتسى الكثير من المشروبات الروحيّة بسبب البرد القارس." أضافَ نيكولاي، دافعًا نوح وإيريك لضحكة عصبيّة. عندما تحوّل انتباه الأمير إليّ نزلَت قشعريرة في فقرات ظهري. كان من الصعب نسيان الرسومات التي رسمَها لي، أو التهديدات المُصوّرة التي وُجّهَت للعائلة المالكة، عائلته.

"الأمير نيكولاي، دع المزاح خارج غرفة التشريح. هذه قلّة ذوق. ممتاز يا آنسة وادزورث، الجرائم قد تكون سببًا أيضًا. لهذا السبب بالتحديد من المهمّ فحص كل جثّة جيّدًا. لن يعرف المرء أبدًا الأسرار التي قد يكشفها حين يجرؤ على البحث في أماكن أكثر... بشاعةً."

انحنى توماس بقُربي ليهمس. "إنه غريبٌ بعض الشيء، هذا الشخص."

"هكذا يقول الشابّ الذي فاته سماع نداء اسمه لأنه كان مُنهمكًا بجثّته." همستُ رادّة. "بيرسي ليس أغرب منك أو منّي أو من عمّي. أنتَ فقط تغار لأنّني المُفضّلة لديه."



انتبهَ توماس إليّ، وقبل أن يتمكّن من إبهاري بإحدى ردوده دفعتُ شفرتي في اللحم الجليديّ لجُثّتي، مُتجاهلةً لونها الأزرق الغامق وعينيها الجاحظتين وأنا أشقّ طريقي نحو القفص الصدريّ. بالكاد استطعتُ رؤية الجثّة كما كانت، وليسَت شيئًا يُحدّق ببرودٍ في وجهي بانزعاجٍ من النصل الذي أحمله.

لقد انتفخَ جذعها كحالِ بقيّة الجسم، ما جعل من الصعب للغاية العثور على ملامح تعريفيّة. ابتلعتُ اشمئزازي، وقاومتُ رغبة التراجع في الوقت الذي احتاجَت فيه هذه الجثة إلى الاحترام.

أغمضتُ عينيّ للحظات ثم فحصتُ قلبه، مُلاحِظةً أنّ كلّ شيءٍ بدا طبيعيًا، قبل أن أتجّه إلى رأسه لأسحب جفنيه للأعلى. لم تكن هناك علامات نزيف مُنقّط في بياض عينيه. إذن هذا الرجل لم يتمّ خنقه قبل سقوطه في الماء. من المُحتمل أنهُ فقدَ حياته بسبب البرودة الشديدة وانخفاض درجة حرارة الجسم، وليس نتيجة فعلٍ شرّير. لم تكن تلك أفضل طريقة للموت، وبالتأكيد ليسَت الطريقة الأسهل أيضًا. أملتُ ألّا يكون قد عانى طويلاً، رغم أنه ما يزال لديّ الكثير لأتعلّمه فيما يتعلّق بانخفاض درجة حرارة الجسم وتبعاته.

ألقيتُ نظرةً سريعة في أنحاء الغرفة ولاحظتُ أنّ عيّنتي ليسَت الأسوأ. كانت لدى نيكولاي جثةً قديمة نوعًا ما، جذعها منتفخ وممتدٌّ

إلى ما فوق طاقته، بينما انتشرَت خطوطٌ سوداء ورماديّة تشبه الديدان الصغيرة على جلدها. تلك علامةٌ غير جيّدة. شاهدتُ الأمير يُجمّد تعابير وجهه قبل أن يقطع الجسد، لكن القطع كان أعمق وأسرع من اللازم...

انبثقَت ديدانٌ من منطقة الأمعاء مصحوبةً برائحةٍ غازيّةٍ مُريعة، وتراجعَ نيكولاي إلى الخلف دافعًا اليرقات عن جبينه بيديهِ المُرتعشتَين بشدّة. تمدّد صدره وتقلّص كما لو كان بإمكانه تقليل الاشمئزاز ببضعة أنفاسٍ عميقة.

حلَّ الصمت مثل اللعنة. لقد كان موقفًا مُهينًا للغاية بالنسبة لفردٍ من عائلةٍ ملكيّة، مع ذلك فقد حافظَ على هالة الاستعلاء خاصّته حتّى بوجود ديدانٍ مُتدلّية من وجهه. توقفَ إيريك لبُرهة قبل أن يرفع نظرهُ أخيرًا من جثّته. أخذَ يستوعب المشهد ببطء وهو يرمش كأنّهُ في كابوس، ثم صرخَ ورمى بمئزره نحو الأمير المُتّسخ.

رغم أنّ الأمر لم يكن مُضحكًا إلا إنني كدتُ أختنق بالضحكة التي كتمتُها. لم يتمكّن أندريه من إمساك نفسه ولو للحظة، وانفجرَ ضاحكًا بشدّة وهو ينحني على بطنه. طبطبَ إيريك على ظهره بينما كان يشهق ويسعل. احمرّ وجه نيكولاي بينما جاءت الضحكات من نوح وكِيبان وحتى التوأمان بيانشي. بعد الفزع من رؤية تلك الديدان والمرح الكبير



الذي سادَ المشهد تحرّرَت قهقهتي القصيرة أخيرًا. حدّقَ الأمير فيَّ بهدوء، لكن بدلًا من الامتعاض قامَ بمسح وجهه ثانيةً وضحك. كانت ضحكتهُ سريعةً لكنّها بدَت أوّل بوادر كسر التوتّر الذي طغى عليه منذُ وفاة فيلهلم.

رفعَ توماس عينيه عن منضدته المجاورة لي وانتشرَت ابتسَامةٌ على فمه رغم أنه حاول كبتها. "يملؤني الاشمئزاز حقًا لكن لا يُمكنني الإشاحة بنظري."

أسرعَ بيرسي إلى مسرح هجوم الديدان وفمهُ مائلٌ بانزعاج. "يكفي يا طلّاب! هذه قاعة طبّ جنائيّ وليسَت محلّ دُعابات. اذهب للاغتسال أيّها الأمير نيكولاي. إيريك..." سلّمهُ الأستاذ مئزرًا جديدًا، ثم أشارَ نحو طاولة التعليم خاصّته وهو يُخاطبنا جميعًا. "يُرجى الجلوس بهدوء والمُراقبة. إذا كان هذا يفوقُ تحمّلكم فأنتم معذورون. طلّاب، لا تضحكوا خلال المُمارسات العلميّة الجدّية. أظهِروا بعض الاحترام للموتى. إذا عجزتُم عن الالتزام بهذا الأمر فسوف أوصي بمنعكم جميعًا من اجتياز هذا الكورس. نحنُ هنا في الأكاديميّة نأخذُ واجباتنا على محمل الجدّ ونُنفّذها بمسؤولية كبيرة. نوبةٌ أخرى مما حصل وسيتمّ رفضكم جميعًا. مفهوم؟"

"نعم يا أستاذ." قُلنا بصوتٍ واحد.

لحقنا بيرسي إلى منضدةٍ حملَت عيّنةً مُغطّاة، وكان الخوف من الطرد من الكورس كافيًا لمحو كلّ ما تبقى لدينا من المرح. انتزعَ بيرسي القماش عنها دون مقدّمات، كاشفًا عن هيأةٍ مألوفة بشكلٍ غامض لي. صعّبَ التحلّل الأمر عليَّ في البداية ثمّ...

شهقتُ بحدّة قبل أن أصطدم بإيريك، الذي كانت لديه الجرأة للتهكّم عليّ كما لو أنه لم يصرخ في وجه الديدان منذ دقائق.

"أعتذر." حدّقتُ في المرأة الشقراء على المنضدة، بعلامات العضّ المُتناثرة على جسدها ودمائها الجافّة فوق كل جرح. كدتُ أسمع صوت خفق الأجنحة الجلديّة يتردّد في حجرة التشريح، ونظرتُ لقطعة القماش التي غطّت وجهها لأسبابٍ لم أجرؤ حتّى على التساؤل عنها.

تجمّدَ توماس في مكانه قرب رأس الجثة، والتقَت نظراته بنظراتي لتتعلّق بها. دعوتُ أن تؤخذ ردودُ فعلنا على أنّها نتيجة رؤية امرأة ماتت بوحشيّة، وليسَت بسبب التعرّف عليها من الأنفاق. شعرتُ بشيءٍ مُزعج يتشبّث بظهري بين أكتافي، ويدفعني للالتفاف ودفعه عني. أغمضتُ عينيّ. إذا كان هذا نسجًا آخر من خيالي...

تحرّكتُ قليلًا ونظرتُ ورائي. لقد دخلَ المدير مولدفانو الغرفة وكان يدقّ بإصبعه على ذراعه، وتركيزه ينتقل من الجسد المُسجّى على الطاولة إلى تعابيري المتشنّجة. علمتُ علم اليقين أنهُ قد قرأ في وجهي علامات



التعرّف على الضحيّة. تظاهرتُ أنّني غير مهتمّة وتساءلتُ عمّا إذا فعلَ توماس الشيء نفسه. ألقيتُ نظرة عليه لكنه كان يُراقب الأمير عن كثب، وافترضتُ أنه حاولَ تمييز ما إذا كان نيكولاي على معرفةٍ مسبقة بهذه الجثة. أخيرًا لاحظَ توماس مولدفانو عندما استدار المُدير على عقبيه وغادر. لم يُصدر صوتًا لكنّني شعرت كأنّ طبولًا قد دقّت في أذنيّ عند رحيله.

قال بيرسي: "تم اكتشاف هذه المرأة المجهولة في المشرحة قبل الفصل، في أحد أدراج الجثث. لقد فقدَ جسدُها معظم دمه، وعلامات العض ظاهرةٌ بغزارة. يبدو كأنّ شخصًا ما نقلها إلى هناك للحفاظ على برودتها وإبطاء عمليّة التحلّل. لدينا حالةٌ مُثيرةٌ للاهتمام هنا يا طلّاب."

لم تكن لدى بيرسي أدنى فكرة عن مدى صوابه.

27

أجنحةٌ سوداء



غرف البرج
قلعة بران

14 ديسمبر 1888

قفزتُ من سريري، مُبعدةً صور الأنياب الحادّة التي رسمَها عقلي الباطن من الظلام.

انسابَت خيوط ضوء القمر عبر الستائر في جداول صبّت على الأرض مثل شلالٍ فضيّ. كانت الأغطية باردةً حولي، لكنّ البرد ليسَ ما أفاقَني من النوم. لقد غطّى العرق بشرتي في بقعٍ نديّة، وانفتحَ ثوب نومي بطريقةٍ ما ليكشف عن أعلى صدري بشكلٍ غير لائق.

تلمّستُ رقبتي بلطف وأنا ألهث من كابوس المخلوقات المُجنّحة التي تهجم وتعضّ، خوفًا من أنّ أصابعي ستبتلّ بالدم. لا شيء، كنتُ



سالمةً بالكامل. لا ستريغوي ولا خفافيش أو شياطين مُتعطّشة للدماء كانت تتغذى عليّ. شعرتُ فقط بلحمي الناعم الساخن، الذي لم يؤذيه سوى هواء الشتاء المُتجمّد.

حدّقتُ في الظلال ونبضي يتسابق في حالة تأهّب. كانت النيران في حجرتي قد انطفأت منذ وقتٍ ليس ببعيد، نظرًا للجمر المتوهّج. استلقيتُ ثانيةً بشكلٍ جزئيّ. كان عقلي يتخبّط بكوابيس غريبة، لكن بإمكاني أن أُقسم أنّني سمعتُ أصواتًا. لا يُمكن أن تكون جميعها نتاج أحلامي المضطربة. لقد قلّت نشاطات مخيّلتي مؤخرًا، أو هكذا ظننت. أمسكتُ ببطانيّاتي وهدّأتُ قلبي المحموم وأنا أنظرُ لظلال خزانة ملابسي والمنضدة. كنتُ أنتظر أن تنسلخ الظلال من الجدران وتتجمّع لتأخذ شكل الأمير الخالد، الذي يمتدّ جناحاه الطويلان ليوقفا قلبي فورًا. لكن كلّ شيء صامتٌ ببؤس. أينَ ذلك من الأرواح التي تزور عالم البشر في هذه الليلة التي يُفترَض أنّها شرّيرة. ربما ذلك بسبب علو جبال الكاربات، كانت قلة الأوكسجين تؤثّر على ذهني. حمقاء." استلقيتُ جانبًا ساحبةً الأغطية حتى ذقني، ودغدغَت ظهري قطعٌ طويلة سائبة من شعري فاقشعررت. غصتُ أكثر حتّى اندفن رأسي عن العالم خارج بطانيّاتي. الكوابيس للأطفال فقط. رادو السخيف وهراء الفولكلور خاصّته. بالطبع لا توجد ليلة شتائية يُمكن أن تستدعي الموتى، بل يوجد

دائمًا تفسيرٌ علميّ. أغمضتُ عينيّ، وركّزتُ على مدى دفئي في شرنقتي الصغيرة. تباطأ نفَسي وثقلَ جفناي بما يكفي لئلّا أحاول فتحهُما مرةً أخرى. شعرتُ بنفسي أتلاشى في حلمٍ رائع، في مكانٍ كنتُ فيه مع توماس في طريقنا إلى بوخارست لقضاء العطلة. كنتُ أرتدي ثوبًا جميلًا فاخرًا، بعيدًا عن جرائم القتل -

ارتطام.

اندفعَ الأدرينالين عبر جسدي بسُرعة. في ظرف ثانيتَين، نزلتُ من فراشي ولبستُ نعلي ووقفتُ في وسط حجرة نومي، وأذناي تطنّ من التركيز في الاستماع. تيقّنتُ من وجود صوت شخص أو شيءٍ يتحرّك في الممرّ خارج غُرفي. جمعتُ خوفيَ ودفعتُه إلى أعمق فجوةٍ في ذهني، مُتجاهلةً ركلاته المستمرّة في الطريق إليها. تركتُ فكرة ارتداء ثوب من أجل التسلّل بخفّة، وفتحتُ باب غرفة نومي ببطء لأنظر إلى غرفة الجلوس: كان جمر الموقد هناك خامدًا أيضًا. بدا أنّ خادمتي الجديدة لم تُوقده قبل وقت النوم لسببٍ ما. لم يكن توهّجه البرتقاليّ الغامق كافيًا للرؤية، ما أتاحَ فرصة اختباء لأيّ شخص دخيل. انطلقَت سحبٌ من أنفاسي الباردة أمامي على فتراتٍ متفاوتة. ارتطام مزدوج. توقّفت على العتبة بين حجرة نومي وغرفة الجلوس. كان كل شيء ساكنًا كالقبور. بعد ذلك جاءَت همسةٌ خشنة بالرومانيّة: "هدوء."



ارتطام.

بعد قضائي وقتًا في تحريك الجثث في مختبر عمّي، صرتُ أميّز الصوت الذي تُصدره الأطراف المُثقلة بالموت عند اصطدامها بالأرض. مرّت في رأسي صور سارقي الجثث. لم أعرف لماذا تخيّلتُهم هياكل عظميّة بأيدٍ ذات مخالب وأنياب تُقطّر دماءً وأجنحة من الجلد، بينما يجب عليهم أن يكونوا أقوياء بما يكفي لرفع الأوزان الثقيلة للموتى، كما إنّهم بالتأكيد بشريّون.

حبستُ أنفاسي خوفًا من أن تفضح وجودي. مهما كان أولئك اللصوص فلم أرغب في لفت انتباههم الشرّير إليّ. البشر هُم الوحوش والأشرار الحقيقيّون، وهُم أكثر واقعيّةً من صنائع أيّة حكايةٍ أو خيال.

مرّت لحظات واستمرّت الهمسات. دفعتُ مفاصلي المُجمّدة إلى الحركة بسرعةٍ وهدوء عبر الغرفة الصغيرة. كنتُ ممتنّةً أكثر من أيّ وقت مضى لقلّة قطع الأثاث فيها وأنا متجّهة إلى باب الممرّ. تردّدتُ بعض الشيء عند وصولي إلى الباب. ربّما كانت حكايات رادو السخيفة صحيحة: هذه ليلةٌ مُناسبة للمُطارَدات، إلّا أنّ الشبح سيكون أنا، المُتنقّلة في الخفاء.

ضغطتُ أذني على الحائط المجاور للباب وأصغيتُ السمع، عازمةً على البقاء باردةً ثابتةً كالرّخام. كانت الأصوات خافتة لدرجة صعبَ

عليّ فهمها. لم أعرف أيضًا ما إذا كانا ذكورًا أم إناثًا. اتّكأتُ على الحائط حتى آلمَني وجهي بسبب الضغط، ومع ذلك لم أستطع فهم ما همسَ به المُتسلّلان في وقتٍ متأخّر من الليل. بدَت لي كأنّها ترنيمة...

تراجعتُ مُحتارةً. لماذا يردّدُ أناسٌ ترانيم غريبة في قلب الليل! ربّما كانت الارتطامات نتيجة علاقةٍ سرّية. ألم أتعلّم هذا الدرس بالفعل من داسيانا وإيليانا؟ استدرتُ مُستعدةً للعودة إلى السرير، ثمّ توقّفت.

لقد تعالت الهمسات واستمرّت مثل الأمواج قبل أن تعود لتنخفض. لم يكن هذا لقاءً حميميًّا في البرج. بدا أنّ حماس الأغنية الغامضة قد شتّتَ تركيز الأصوات على الهدوء، وبتُّ قادرةً على تمييز كلماتٍ مُتفرّقة.

"عظم... دم... هنا... شيءٌ ما... ميّت... أجنحة سوداء... قلب... دخل... الغابة لوحده... سيُحدّد... مسارات... مُطارَدة... أسفل... ثمّ..."

اصطدام. توقّفَ الترديد كأنّ مقصلةً قد قطعَت ألسُن كلّ مَن تجرّأ على النطق بهذا الكلام المشؤوم في هذه الليلة الشتائيّة المُقدّسة. لم أرغب في منح مصداقية لخُرافات رادو، لكن ربّما هُنالك شيءٌ مُميّز في هذه الليلة.

تراقصَ ضوءٌ من تحت فتحة بابي ليُنير الأرضيّة وأقدامي. لم أجرؤ على التحرّك، تنفستُ بهدوء مُراقبةً الضوء وهو يتلاشى أسفل الممرّ،



يُرافقه صوت شيء يتمّ سحبه. سارَ زوجان على الأقل من الأحذية نزولًا في السلالم، يجرّان بضاعتهما المسروقة خلفهما. عبثَ الفضول بعقلي جاعلًا التفكير المنطقيّ صعبًا. إذا لم أتبعهما بسرعة فسوف أفقدهُما في متاهات ممرّات القلعة.

بدا الذهاب بمفردي فكرةً مروّعة، لكن ماذا بوسعي أن أفعل؟ لم أستطع التظاهر بعدم سماعي لما جرى من جُرم، ولم يكن هناك ما يكفي من الوقت للإسراع إلى غرفة نوم توماس وإيقاظه. بالإضافة إلى أن طابقه مشترك مع طلاب آخرين من الذكور. لم أستطع تخيّل الفضيحة التي قد أقع فيها بسحبه من سريره في وقت متأخرٍ من الليل. كلانا سيفقدُ مكانه في الأكاديميّة، ومن المؤكد أنّ شائعاتٍ عن علاقةٍ مُحرّمة بيننا ستصل إلى أولئك في لندن، الذين بدا أنهم ينالون سلطةً عبر نقل الأخبار ويُتاجرون بها كالأموال. تمنّيتُ لو عادت أنستازيا، كانت ستُعينني بالتأكيد في هذه المُعضلة.

عضضتُ شفتي. لم أعتقد أنّ القاتل وراء سرقة منتصف الليل هذه، إذ لم أتمكّن من إيجاد سببٍ يدفعهُ لسرقة جثّة. لقد استمتعَ بالقتل وليسَ بسرقة الجثث. داعبَ التردّد الجزء الرشيد من ذهني، الجزء الذي قرّر أنّني يجب أن أوقظ المُدير وأدعهُ يتعامل مع اللصوص. أمكنَني تخيّل التواء فمه وأنا أقصُّ عليه ما سمعت، ونظراته الثاقبة بما يكفي لاختراق

الجلد وشرب الدم. عندئذٍ اتّخذتُ قراري. هرعتُ داخل غرفتي لجلب عباءة ومشرط، واهتزّت يداي بقوّة حتى كاد سلاحي يسقط منها. على الأقل كانت لديّ وسيلة دفاع عن النفس. إذا التجأتُ إلى مولدفانو فسوف ينفجر غضبًا لتسلّلي في منتصف الليل ولن يُصدّقني. قد ينتهي بي المطاف كإحدى العظام التي ينظّف أسنانه بها. فضّلتُ أن أجرّب حظّي مع خاطفي الجثة وترانيمهم الشرّيرة.

اندفعتُ إلى الممرّ وركضت نازلةً الدرج، مُلاحِظةً آخر وميضٍ لحركتهم قبل دخولهم الطوابق السفليّة. توقّفتُ لالتقاط أنفاسي. على ما يبدو، كنّا ذاهبين تحت الأرض بالجثّة المسروقة.



28

سارقا الجثث



ممرّات

قلعة بران

14 ديسمبر 1888

وضعَ لصّا الجثث أغطية سوداء فوق رأسيهما، حاجبَين هويّتهما في الممرّات المليئة بالظلال وهُما يشقّان طريقهما من البرج إلى الطوابق السفلية. كانت عباءتي بلون الفحم - ذكّرتني بالليالي ذات القمر غير المكتمل وأزقّة لندن الضبابيّة - وهي مثاليّةٌ للتسلّل عبر المساحات غير المُضاءة. تمسّكتُ بمشرطي، مُستعدةً لاستخدامه مثل السيف كما فعلَ أندريه سابقًا.

تحرّكَ اللصّان بحذرٍ ثابت كأنهما قد فعلا ذلك لمرّاتٍ عديدة. كانا يتوقّفان قليلًا ليَستمعا قبل عبور الرواق التالي، وكان تقدّمهما صامتًا باستثناء أصوات الكشط من الجسد الذي سحباهُ خلفهما. لم يتطلّب

الأمر وقتًا طويلاً لفهم أننا كنّا نسير نحو مشرحة الطابق السفليّ. ضغطتُ بجسمي على الحائط وسمحتُ لسلسلةٍ كاملة من الشكوك باجتياح ذهني. ربما كان هؤلاء 'اللصوص' مجرد خدم ينقلون الجثث بين المشرحتَين بناءً على أوامر الأساتذة.

لا بدّ من وجود شخصٍ ينقل الجثث من مكانٍ إلى آخر في الأكاديميّة، ولم أرَ ذلك أبدًا في أثناء ساعات النهار. كان أمر الترنيمة غريبًا بعض الشيء لكنهُ ليسَ دليلاً دامغًا على الذنب. في الواقع، عند وقوفي هناك مُفكّرةً، لم أكن واثقةً تمامًا من كونها ترنيمة. ربّما ردّدا لحنًا ما لصرفِ انتباههما عن عملهما الكريه. إذا كان مزاجهما قريبًا من مزاج إيليانا فهُما على الأغلب يكرهان التعامل مع الجثث، كمعظم الناس.

ركلتُ السجّادة الرثّة البالية من مرور الأقدام التي لا تُحصى عليها خلال القرون الماضية. لم أصدّق أنّني نهضتُ من سريري من أجل هذا. زوجٌ من لصوص الجثث؟ يبدو أنّني لن أترك مفاهيمي الرومانسيّة لشأنها أبدًا.

ليسَ كلّ ما يضرب ويرتطم في الليل وحشًا. من الواضح أنّني تأثّرتُ بحكايات مصّاصي الدماء والمُستذئبين الكثيرة التي لا أنفك أسمعُها منذ وصولي إلى هنا. كلّ ذلك في خيالي الملعون. لكنني في مكانٍ ما من أعماقي رغبتُ بأن تكون تلك الحكايات العجيبة والمُميتة حقيقية.



لقد كرهتُ الاعتراف بذلك حتّى لنفسي، لكن هناك شيءٌ جذّابٌ للغاية في فكرة الكائنات الخالدة. ربّما كان الوحش الذي بداخلي هو مَن يتمنّى وجود آخرين مثله، خاصّةً أولئك الموجودين فقط في القصص.

سحبَ الشخصان الجسد المغطّى بأفضل ما يمكن ودارا عند الزاوية ليختفيا عن الأنظار. قررتُ البقاء لفترةٍ أطول قليلًا، لأتأكد من أنهما قد أودعا هذه العيّنة في المشرحة السفليّة قبل صعود سلالم البرج التعيسة مرةً أخرى. نظرتُ إلى السرخس العملاق على الجانب الآخر من القاعة، وتساءلتُ عن إمكانية الاستلقاء خلفه والنوم حتى الصباح.

سمعتُ صوت باب يُغلق، وقمتُ بالالتفاف حول الزاوية لأضع نفسي في كوةٍ مُخبّأة وراء لوحةٍ ضخمة من القماش. يجب ألّا يتأخّرا الآن. جلستُ القرفصاء، وغطّيتُ ثوب نومي بعباءتي جيّدًا لتجنّب ظهور أيّ قماش فاتح اللون يجذب الانتباه. لا داعٍ لأن يعرف خدم القلعة مغامراتي الليلية. مسحتُ مشرطي بطرف عباءتي، مُتذكّرةً إحدى اقتباسات شكسبير المفضّلة لديّ: "أدوات الظلام تُخبرنا بالحقائق."[1]

شعرتُ بوخزٍ في أصابع قدميّ، وكانتا على وشك الخدر الكامل في لحظات. تحرّكتُ قليلًا على أمل ضخّ بعض الحياة ثانيةً في قدميّ. بالتأكيد

---

1 -اقتباسٌ شهير من مسرحية ماكبث لشكسبير. (المُترجِم)

لن يحتاج وضع جثة على طاولة أو في دُرج الجثث كل هذا الوقت. التفّ عليّ القلق تدريجيًا حتّى كاد يمنعني من التنفس.

أغمضتُ عينيّ. "بالطبع. هذه هي الليالي التي أُمضيها."

لم أسمح لفكرة دخولها الأنفاق السرّية بالمرور في عقلي. لن أتمكّن من النزول بإرادتي إلى ذلك المكان اللعين بمفردي. مجرّد فكرة اللحاق بأشخاص مجهولين في أنفاق تمتلئ بالخفافيش وغيرها من المخلوقات البغيضة كانت كافية لدفعي نحو العودة مباشرةً إلى غرفتي، بسلاحٍ أو بدونه. حسبتُ دقّات قلبي المتزايدة وأنا أعلمُ ما يجب فعله. لم يكُن لديّ سلاح حقيقي، ولا مصدر ضوء، ولا أحد يعرف أنّني كنتُ خارج غرفتي. إذا حدثَ لي شيء فلن يتمّ العثور عليّ أبدًا، ومن المؤكد أنّ مولدفانو لن يُرسل أحدًا للبحث عنّي.

نبّهَتني تلك الفكرة إلى أمرٍ لم ينتبه إليه دماغي المُرهَق: أينَ ذهبَ الحرس الملكيّ؟ لقد تمّ نشرهم في الممرّات وخارج المشرحة في كلّ يوم من هذا الأسبوع. كان غريبًا أنّني لم أواجه أحدهم بالفعل. مع ذلك ربّما اقتصرَت دوريّاتهم فقط على المداخل والمخارج الرئيسية خلال هذه الساعات المتأخّرة. لقد اندسّ الطلاب في أسرّتهم منذ وقتٍ طويل، وهم الآن يحلمون بالكتب والأحشاء. أمّا سكّان المشرحة فلا يحتاجون إلى رقابة، لأن لا أحد غيري يتوهّم أنّهم يتحرّكون.



لففتُ عباءتي حول جسدي مثل الدرع وغادرتُ ملاذي الآمن.

استرقتُ نظرةً حول الزاوية وأطلقتُ نفسًا بطيئًا: لا أحد هناك. تسلّلتُ بسرعة نحو باب المشرحة، وقبل أن أقنع نفسي بعدم فعلها قمتُ بإدارة مقبض الباب لأدخل. كانت المشرحة خاليةً في سكونٍ تامّ، وكلّ شيء فيها في مكانه باستثناء الباب الخفيّ، الذي كان مواربًا كخطٍّ مُغرٍ من فتات الخبز السامّ الذي لم أستطع مقاومة اللحاق به. هاجمَت حواسّي نفس الرائحة الكريهة للّحم المُتعفّن وأنا أنزل بهدوء على الدرج الحجريّ المُتكسّر، بحذرٍ من وجود فخاخ.

صلّيتُ لئلّا تجوب الخفافيش هذه الأنفاق الليلة، أو العناكب. لا يُمكنني مواجهة تلك الأرجُل الطويلة والعيون اللامعة. بإمكاني التعامل مع الجثث واللصوص والروائح الكريهة في الأماكن المُظلمة البائسة، لكن الخفافيش والعناكب تفوق طاقة تحمّلي.

فور دخولي إلى النفق عوّدتُ نفسي على الظلام الحالك. رمشتُ عينيّ عدة مرّات مُتكيّفةً مع قلّة الضوء، وشاهدتُ الأشكال الداكنة للسارقَين تتحرّك بسرعة دون اكتراثٍ بإحداث ضوضاء أو إيقاظ الطلاب والأساتذة. كم مرةً فعلوا هذا من قبل؟ بدا الأمر روتينًا مألوفًا لديهم.

ركضتُ قليلاً ثم توقّفت، في انتظار تلاشي ضوء فانوسهم دون أن يختفي تمامًا، لأنطلق وراءهم بين الظلال، بعيدةً بما يكفي لتفادي

الكشف. توقّف اللّصان عند مفترق طرق، ليرفعا الفانوس قبالة الحائط ويتلمّسا شيئًا ما هناك بأطراف الأصابع. قمتُ بتقديرٍ تقريبيّ لارتفاع ذلك الشيء على الحائط، على أمل معرفة ما لفتَ انتباههما بعد أن يتحرّكا.

واصلتُ النزول في النفق - إحدى الأنفاق التي قرّرنا أنا وتوماس عدم المشي فيها ليلة اكتشافنا لجثّة الفتاة - وانتظرتُ أن تغمرني الظلال مرةً أخرى، قبل أن أندفع إلى الزاوية متلمّسةً الجدار الحجريّ الخشن. هبّت ريحٌ باردة على حاشية ثوب نومي السفليّة.

للحظةٍ مُروّعة تخيّلتُ عناكب تزحف على جواربي واضطربت. تنفّسي، أمرتُ نفسي. لا أستطيع تحمّل نوبة ذعر هنا بمُفردي. مرّت أصابعي على شبكات عنكبوت لزجة وأشياء فضّلتُ عدم تمييزها قبل أن تنزلق في منحوتاتٍ عميقة.

XI

نظرتُ حولي: باتَ النفق الآن مُعتمًا تقريبًا بعد وصول اللصوص إلى نهايته المُقابلة. رقم أحد عشر بالرومانيّة، ولا شيء أو حرف آخر في ذلك النحت. أسرعتُ أسفل الممرّ التالي، وشاهدتُ الشبحَين يفعلان الشيء ذاته من جديد قبل المُتابعة. جلبَ كلّ مفترق طرق في الأنفاق منحوتاتٍ جديدة وموجةً جديدة من الخوف.



XXIII
VIII

كرّرتُ الأرقام لنفسي بِصمت، على أمل أن أتمكّن من تذكّرها لمزيدٍ من البحث بعد عودتي إلى غرفتي. بدَت أهميّتُها الآن لغزًا يجبُ عليّ كشفهُ في وقتٍ لاحق.

رفرفَت أجنحةٌ باهتياج، جاذبةً انتباهي نحو السقف الرماديّ الذي فصلَني عن الطوابق العليا من القلعة، وعن الهواء النقيّ والسماء المرصّعة بالنجوم. سحبتُ بضعة أنفاسٍ قصيرة وركّزتُ على الأرض، مُجبرةً نفسي على البقاء هادئةً مع اشتداد الصوت. كنتُ أعرف جيدًا مصدر تلك الرفرفة الفظيعة. أسرعتُ المشي للأمام، شاغلةً أفكاري بأيّ شيء عدا المخلوقات التي حلّقَت فوقي، أو نبضاتي التي دقّت في رأسي.

اندمجَت اللحظات حتّى صرتُ غير واثقة ما إذا كنتُ في الليل أم النهار، لكن همسات الصيّادين الطائرين استمرّت. كرهتُ تخيّلهم يتربّصون بي في انتظار فرصة الهجوم، وأغرَتني فكرة العثور على شعلة ولتذهب عواقب افتضاح وجودي إلى الجحيم. كان ذلك أكثر ممّا أستطيع تحمّلهُ من الرّعب، وخشيتُ أن يتوقف قلبي تمامًا من الإعياء.

"أسرِعا، أسرِعا!" حثّتْ أشباح اللصّين، داعيةً أن نصل إلى وجهتِنا مهما كانت دون آثار عضّ. بدا كأنّنا لن نغادر هذه الممرّات اللّعينة. واصلنا السير عبر الكثير من الحلقات والدوائر، حتى قلقتُ من أنّني لن

أجد طريق عودتي ثانيةً. سمعتُ شيئا يغذّ الخطى ورائي وجمدت، صلّيتُ لئلا تكون جثةً قد نهضَت بحثًا عن وجبةٍ دافئة، قبل أن أمسك بتنّورتي وأركض بنظراتٍ ثابتة على اللصوص والجثة.

أخيرًا وصلنا إلى مساحةٍ واسعة حيث التقَت أربعة أنفاق. تقدّمَ أحد الشبحين للأمام، وكان ضوء فانوسه يومض مثل اليراعات في الكهف الرطب وهو يدور في حلقةٍ بطيئة. لاحَ الظلام من كل زاوية كأنهُ ينتظر ابتلاعنا جميعًا.

شاهدتُ الشخص الذي حمل الفانوس يتحرّك مبتعدًا، ليُصبح أصغر وأصغر. كانت الغرفة الوسطيّة رطبة في المنتصف، فيها فجوةٌ صغيرة جمعَت صفيحةً فضّية من الماء، انعكسَ عليها ضوء الفانوس كشمسٍ صغيرة تغربُ على أفقٍ مقلوب. كان المشهد محبّبًا بشكلٍ غريب في هذا المكان المُريع.

من المؤسف أنّ اللهب لا يُمكنه انتزاع البرد من الهواء أو الحامض من معدتي. تولّد لديّ شعور بأنّني لن أتنفّس بشكلٍ طبيعي حتى أُصبح بأمان من الخفافيش، وفركتُ ذراعيّ مُقاومةً ارتجاف كامل جسدي.

لم تكن البرودة فقط ما جعلَ بدني يقشعرّ. لقد شعرتُ أنّ هذه الأنفاق- مثل القلعة- على قيد الحياة بطريقةٍ ما، تسكنُها أرواحٌ وكائنات من عالمٍ آخر. تخيّلتُ آلاف العيون تُحدّق بي من الفجوات



المُظلمة، بشرية أو حيوانيّة، لم أكن متأكدة أيّهما مُخيفٌ أكثر. تحرّكَت الأشباح بحماسٍ جديد، وبعد السير بسرعة عبر عدّة أنفاق رطبة أخرى بانَ ضوءٌ فضيّ على حافات الجدران والسقوف في آخر ممرّ، في دلالةٍ على قُرب المخرج. سمعتُ نعيبَ بومةٍ يتردّد من مسافة، وأجابَ نداءهُ نعيبٌ آخر. بقيتُ مختبئةً في زاويةٍ أنتظرُ خروج اللّصوص إلى الليل. كان الهواء هنا مُنعشًا برائحة الصنوبر، وكدتُ أجثو على ركبتيّ شاكرةً.

لم يطُل الأمر قبل خروج اللصوص تحت ضوء القمر، ساحبينَ جائزتهم. راقبتُ كلّ خطوةٍ مشيتُها بحذرٍ من أيّة أوراق أو أغصان قد تتكسر تحت أقدامي. بالكاد تنفّستُ حتى وصلتُ إلى الحد الفاصل بين القلعة والهواء الطلق، وأطراف أصابعي تتلمّس الجدران الحجريّة الخشنة.

نظرتُ من فم النفق إلى العالم المُتجمّد. التوَت أغصان الأشجار واحتجّت مُنزعجةً من اقتحام عالم البشر لها. لمحتُ الشبحَين المبتعدَين فتسلّلتُ باتجاههم، بثوب نومي الناصع المُماثل للأرض المُغطّاة بالثلوج تحت عباءتي. سقطَت نتفٌ ثلجيّة من السماء بخفّةٍ وصمت. هاجمَت الرعشات عظامي عبرَ القطن السميك، لكنّي أبقيتُ نظري ثابتًا على الظلال أمامي، المُتمايلة عبر الغابة بالجثّة الغامضة خلفها. من المستحيل أن أعود الآن، حتى لو اخترقَ ليل الشتاء ملابسي وثقبَ بشرتي.

سمعتُ وقع أحذيتهما الثقيلة تطأ الأرض المتجمّدة وتراجعتُ بضع خطوات. ومضَ شيءٌ عبر السماء ليجذب انتباهي بعيدًا عن اللصوص. ابتسمَ القمر نصف ابتسامة، بتعبير ساخر من أولئك الذين تجرّأوا على ترك أسرّتهم الدافئة لدخول غابة فلاد المُخوزِق. لففتُ عباءتي بإحكامٍ أكثر حول نفسي.

توقف اللصّان فجأةً عند مفترق طرق، وبدا أنهما في جدال حول الاتجاه الذي يجب أن يسلكاه. حدّقتُ في الجثة التي وضعاها أرضًا: هُنالك شيءٌ غريب في شكلها. كانت مُتكتّلة ورائحتها تُشبه... رائحة الثوم !عادَت ذكريات الضحيّة من القطار إلى مقدّمة ذهني. من المُمكن جدًا أن تكون رائحة ثوم، رغم أنّ كميّته داخل الجسد يجب أن تكون هائلة لأتمكّن من شمّها من هذه المسافة. حواسّي جيّدة لكنّني لستُ كائنًا خارقًا.

شاهدتُهما يسحبان الجثة مرةً أخرى ليمشيا في الطريق. إذا كان الجسد محشوًا بالثوم فقد يكون أحد اللصّين هو المُخوزِق. ربما يعمل معه شخصٌ آخر، وكما جرى مع جسد فيلهلم الخالي من الدم، قد يكون هذا مشهدًا آخر لهجوم ستريغوي مُصطنَع. تردّدت. تعقُّب لصّي جُثث إلى الغابة شيء ومطاردة شخصٍ قد يكون قد خوزقَ شخصَين شيءٌ مختلفٌ تمامًا. لن يكفي المبضع الذي حملتُه لمواجهة الرجلَين.



انكسرَ غصنٌ خلفي، فاستدرتُ ببطء ونبضي يزأر في أذنيّ. عقدَ مولدفانو ذراعيه وهو يُحدّق في وجهي، كأنّني قمتُ بتحلية أمسيته للتوّ.

"تمّ فرض حظر التجوّل على جميع الطلاب. ومع ذلك ها أنتِ ذا، تسيرينَ في الغابة كما لو كان ذلك حقّكِ الطبيعيّ آنسة وادزورث."

فكّرتُ بأن أُسكِتهُ لكنّي أبقيتُ فمي مُغلقًا. أشارَ مولدفانو بذقنه نحو ظلٍّ خرجَ من الأشجار الضخمة قرب أسوار القلعة. ظهرَ كابوسي السابق في هيأة حارس ملكيّ مُتغطرس. "رافِقها للداخل. سأفرض عليها إجراءاتٍ تأديبيّة عند الصباح."

تقدّمَ دانيشتي نحوي بنظراتٍ حادّة بما يكفي لإسكاتي، وطوّقَت يده الخشنة ذراعي بعد لحظة ليسحبني بعيدًا عن حدود الغابة. حدّقتُ في دانيشتي مُتسائلةً كيف تمّ تكليفه بمُراقبة حظر التجوّل، ربما تمّت معاقبته لكونهِ بتلك القسوة.

"انتظِر!" هتفتُ وأنا أقاوم قبضته حتّى أفلتُّ منها لأواجه المدير. "لقد سُرِقَت جثّة من مشرحة البرج. قام لصّان يضعان أغطية رأس بجرّها من هنا منذ لحظات. هذا هو السبب الوحيد الذي دفعَني لمُغادرة غرفتي." ارتعشَت عضلة في فكّ مولدفانو. "أنظُر بنفسِك، كانا أمامي مباشرةً. أظنُّ أنّ أحدهما هو المُخوزِق... فاحَت من الجثّة رائحة الثوم. إنّهما -"

رمشَت عيناي صوب الغابة الهادئة بشكل مخيف، كما لو كانت تحبس أنفاسها في انتظار حكم مولدفانو. حتّى البوم لم يجرؤ على النّعيب. حدّقتُ إلى الأمام في الطريق الساكن حيث مرّ اللصّان للتوّ :لم تكن هناك آثار أقدام لأنّ تساقط الثلوج طمرَها.

لم توجد علامة على الشخصَين اللّذين رأيتُهما أو الجثّة التي أخذاها. بدا كأنّ الغابة طهّرَت نفسها من الآثام، وأخفَت جريمةً كنتُ واثقةً من حدوثها.

"أخبريني، هل خيالكِ دائمًا بهذا... الجموح؟ ربّما لا يكون 'اللصوص' الذين تتحدثين عنهم سوى موظّفي المطبخ وهُم يقومون بتحضيرات وجبة الصباح. تقع مخازن الأغذية الزائدة في نهاية هذا الطريق يا آنسة وادزورث."

"لكن... أُقسم..." لم أعُد أعرف شيئًا. ألقيتُ نظرةً خاطفة على المكان الذي اختبأ دانيشتي فيه، لكنه لم يكن لِيراهُما من زاوية القلعة. إذا كانت مخازن الطعام الزائد هناك فربّما لم يُولِ اهتمامًا كبيرًا للخدم خلال تأديتهم وظائفهم.

لم يهتمّ المدير بالنظر في الاتجاه الذي أشرتُ إليه. "أنتِ تحت التجريب الأكاديميّ حتى إشعارٍ آخر آنسة وادزورث. قد يكون هذا النوع من السلوك الخاطئ مقبولاً في لندن، لكنّنا نأخذ الأمور بشكل



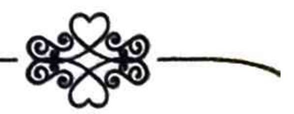
أكثر جدّية هنا. كلمةٌ أخرى منكِ وسوف أفقدُ ما تبقّى من صبري وأطردُكِ من هذه القلعة حالاً."

عزيزتي ليزا،

بعد قراءة آخر رسائلك، أخذتُ وقتًا طويلاً للتفكير في الأمر. أعتقدُ أنّكِ على حقّ، رغم علمي أنّكِ لا تشكّين في ذلك. أدركتُ أنّني كنتُ مجروحةً وغاضبة. لم تنشأ أفعال توماس السيّئة من قلّة المودّة من جانبه، بل من سوء فهمه لكيفية تقديم الدعم الصحيح. (الذي لا يشمل تحذير الأساتذة من حالتي النفسيّة).

لديّ مخاوف أخرى، وأخشى حتّى من تسميتها. أرجو أن تحرقي هذه الرسالة بمجرّد قراءتها، وألّا تُخبري أحدًا بمحتوياتها. لا أستطيع زعزعة الشعور بكوني تحت المُراقَبة. لقد تمّ العثور على طالبٍ ميّت ثمّ اكتشاف جثّة مجهولة الهويّة هنا في غضون أسابيع. لم تبدُ على الأول علاماتٌ خارجيّة للقتل، أمّا الآخر فقد ماتَ نتيجة... أسبابٍ رهيبة. لقد تمّ استنزاف الأجساد بالكامل من الدم. شيءٌ مروّع، أعتذر. أيضًا مرّ حوالي أسبوع دون أن يصلني شيءٌ من صديقةٍ لي هنا، وأنا قلقةٌ بشأنها.

لن أتمكّن من العودة إلى المنزل لقضاء عطلة عيد الميلاد بسبب الطقس القاسي وقلّة وقت الإجازة، لكنّني سأكتبُ لكِ كثيرًا للتعويض



عن ذلك. تحتفظ عائلة توماس بمنزلٍ في بوخارست، وقد دعَتنا أخته إلى حفلة هناك وليسَت لديّ أدنى فكرة عمّا سأرتديه لهذا الحدث. لقد تركتُ أعز فساتيني في البيت. من السُخف الحديث عن مثل هذه الأمور في ظلّ ظروفٍ أسوأ بكثير. هل ذكرَت العمّة أميليا المزيد عن جولة القارّة؟ لقد وعدَت شقيقة توماس، الآنسة داسيانا كريسويل، بالكتابة لها نيابةً عنك. ربّما عليك أن تطلبي من والدتِك إعادة النظر في رأيها ومنحك الإذن كهديّة عطلة. أو ربّما يجب أن توافق على سفرنا إلى أميركا؟ أحبُّ قضاء بعض الوقت هناك في زيارة الجدّة. قد نتمكّن من دفع جدّتي للتحدّث نيابةً عنّا أيضًا. تعرفين قدرتها على الإقناع.

أعتذرُ عن عدم كتابة المزيد من التفاصيل. يجب أن أتجه إلى السرير، درس علم التشريح في وقتٍ مبكّر في الصباح. إنهُ درسي المُفضّل إلى حدٍّ ما (رغم أنّ المُدير شخصٌ فظيع).

ابنة خالك المُحبّة،

أ. ر

مُلاحظة: كيف حال والدي؟ أرجو أن تُعانقيه لي وتُخبريه أنني سأكتبُ له قريبًا. أفتقدهُ بشدة وأخشى أن يقع تحت تأثير اللّودانوم خاصّتهُ في غيابي. احذري حين يحبس نفسه في مكتبه، فلا خير يأتي من ذلك مطلقًا.



29

لمحاتٌ من شريطٍ أسود

غرف البرج
قلعة بران

14 ديسمبر 1888

دفعَني القلق من وقوع رسالتي لليزا في أيدي شخص آخر إلى تسليمها إلى البريد الخارج من القلعة منذ الصباح الباكر. بعد رجوعي رأيتُ من مدخل غُرفي الخاصّة ضيفًا غير مدعوّ يمشي على أطراف أصابعه عبر منطقة الجلوس متّجهًا نحو غرفة نومي كأنّ له كلّ الحق في ذلك. كانت ثقته بنفسه عجيبةً حقًا خلال قيامه بسلوكيّاتٍ خاطئة من جميع النواحي.

لم تكن لديّ أدنى فكرة عمّا نوى فعله، لكن من المحتمل أنّ للوغد عذرًا مُثيرًا للاهتمام. بعد أن تمّ اصطحابي إلى غرفتي لم تسنح لي فرصة مناقشة أحداث الليلة السابقة معه. لم تحضر إيليانا بعد لخدمتي، لذا

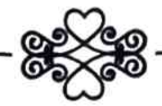
أرسلتُ له ملاحظةً بواسطة الخادمة الجديدة طالبةً منه أن يُقابلني بعد انتهاء الدروس في المكتبة الرئيسيّة.

من المفترض أن نكون قد التقينا قبل عشر دقائق، ورغم عدم السماح لي بحضور درس مولدفانو وصلتُ إلى الموعد متأخّرة. لقد قضيتُ معظم الصباح في قراءة أيّ شيء استطعتُ إيجاده عن القلعة وفقدتُ الشعور بالوقت. تنحنحتُ برضا عندما استدار مُتفاجئًا وحاجباه في أعلى جبينه.

"آه، مرحبًا. ظننتُكِ في المكتبة؟ من غير المُهذّب الكذب على أصدقائكِ وادزورث."

"هل يُمكنني معرفة سبب تسلّلك داخل غُرفي الخاصّة يا كريسويل؟" نظرَ إلى باب حجرة نومي المفتوح القريب منه، لا يعلم ما يدور في ذهنهِ إلّا الرّب. "أم نتظاهر بأنّكَ لستَ الوغد الوقح الذي أعرفُه؟"

"لماذا لم تحضري الدرس؟" حرّك توماس قدميه في مكانهما، وكان هُناك صندوقٌ كبير مخفيّ جزئيًا خلف ظهره. سرتُ لأنظر من حوله لكنه تراجعَ خطوة ليُغنّي:" أوه أوه، هذه تُدعى مُفاجأة يا وادزورث. استمرّي في أعمالك واتركيني. أنتِ تعرفين أنّني لن أوبّخكِ لو دخلتِ غرفة نومي، لستُ وغدًا لهذه الدرجة."



اقتربتُ إلى حيث وقف وقد ضيّقتُ عينيّ. "لقد اقتحمتَ غُرفي، والآن تُريد أن أتركك بمُفردك للقيام بأيّة وقاحة تنوي القيام بها؟ لا يبدو هذا منطقيًّا."

"ممم. أفهمُ قصدَك."

تراجعَ توماس ببطء نحو غرفة نومي، وقدمهُ على عتبتها بتحكّمٍ كامل. كنتُ سأركّز على نيّته أكثر لو لم أحاول رؤية الحزمة المُحيّرة التي أخفاها، بعد أن فتنَتني لمحاتٌ من شريطٍ أسود مربوط بشكل قوسٍ ضخم عليها.

"حين تقولينها بهذه الطريقة بالطبع لا أريدُكِ أن تترُكيني لوحدي. يُمكن أن نحظى بالكثير من المرح معًا."

اتّجهَت نظراته بعمد صوب سريري الفرديّ وتعلّقَت هُناك لتوضيح نواياه. نسيتُ تمامًا سؤالي التالي، وصارَ بإمكاني رؤية ورق بُنّي يُغلّف صندوق توماس، الذي كان كبيرًا بما يكفي لخزن جثّة. اقتربتُ منه وفضولي يشتعل. ماذا يُمكن أن يكون؟ أبقيتُ تركيزي عليه على أمل الحصول على دليل. أضافَ ببطء: "رغم ذلك، أُفضّل أن أتدحرج على شيءٍ... يتناسب أكثر مع حجمي."

توقّفتُ عن الحركة، وكدتُ أكفّ عن التنفس بعد أن محَت كلماته فضولي بشأن الصندوق. لم أستطع تخيّل كيف سيكون الأمر: الاستلقاء في السرير معًا، تبادل القُبل دون قيود... و-

ابتسمَ توماس بمُكر كأنّهُ عرفَ بالضبط المنحى الذي اتّخذتهُ أفكاري الجامحة، وكان مسرورًا لأنّني لم أرمِه من النافذة. سخنَ وجهي وأشرتُ إلى الغرفة ورائي. "أُخرج من غرفة نومي كريسويل، ضع الصندوق على المقعد هناك."

"أعتذرُ يا جميلتي لكن كان يجب أن تتصرّفي على الفور حين قرأتِ لغة جسدي. أعترفُ أنّكِ أبليتِ بلاءً حسنًا في جمع تفاصيلي. من المؤسف أنّكِ تركتِ تلك الأفكار الفاضحة تُشتّت انتباهك، رغمَ أنّني لا أستطيعُ لومك."

"خُذ هذا... توماس!" قبل أن أتمكّن من التوجّه لمنعِه قامَ بغلق الباب بقدمه اللعينة. جرّبتُ المقبض لكنه وضعَ المفتاح فيه ليحبس نفسه في الداخل. كنتُ سأقتلُه.

نادى توماس من وراء الباب قائلاً: "بالنظر لشابّةٍ متواضعةٍ مثلك، أجدُ لديكِ عددًا مُثيرًا من الملابسِ التي أخجلُ أن أذكر أوصافها. سوف أتخيّل كل أنواع الأشياء غير اللائقة خلال قيامكِ بخياطة الجثة القادمة في درس بيرسي. هل تعتقدين أنّ هذا يجعلني مُنحرفًا نوعًا ما؟ ربما يجب



أن أقلق. في الواقع أنتِ مَن يجب أن يخاف." "كريسويل! لقد أوضحتَ وجهة نظرك، تفضّل الآن بالمُغادرة. إذا اكتشفَ المُدير هذه الوقاحة خلال وضعي تحت التجريب الأكاديميّ، فسوف يطرُدني!"

ضربتُ على الباب قبل أن أقفز خطوةً للوراء حينما فُتِح. زالت علامات الفكاهة من تعبير وجهه عندما مدّ رأسه ليُحدّق في وجهي. "هل قُلتِ التجريب الأكاديميّ؟ ما الخطأ الذي فاتَني، وما عواقب التجريب؟"

تراجعتُ لأستند على الحائط وقد غلبَني التعب فجأةً من الليلة السابقة. بالكاد نمتُ، بقيتُ أتقلّب كما لو أنّ ذلك سيُساعد في تحديد ما رأيتُه. هل كان هُناك بالفعل شخصان يُردّدان ترنيمةً في الممرّ؟ هل سرقا جثةً حقًا أم كانا ينقلان الطعام الزائد كما اقترح مولدفانو؟ لم أعد أثقُ بنفسي.

وقفَ توماس مثل وقفتي مُتكئًا على دعامة الباب، وقمتُ بسرد كلّ التفاصيل التي أمكنَني تذكّرها، على أمل أن يجد معنى في شيءٍ فاتَني، لأنهُ غالبًا يفهم الأشياء بطريقةٍ فريدة. تحدّثتُ عن مغامرتي مع أنستازيا في القرية، واكتشاف تورّط الشابّة المفقودة المحتمل مع جماعة التنّين. ثمّ أخبرتُه عن شكوكي بشأن رسوم نيكولاي وكيف يُمكن أن يرتبط ذلك بوفاة قريبه، مع ذلك لم أخبره أنّ الأمير قد رسمَني أيضًا. لم أرغب في

إطلاعه على ذلك لعدّة أسباب. عندما انتهيت قضمَ توماس شفته السفليّة حتى بدَت مُصابةً بكدمة.

قال: "لن أتفاجأ إذا كان نيكولاي مسؤولاً عن إرسال تلك التهديدات، لكنّ السبب لا يزال غير واضح. سأقوم بمُراقبته في الفصل، لالتقاط أيّة علامة أو دليل."

قلت: "لديّ نظريّة أنّ شخصًا ما يُطارد سُلالة فلاد، وينوي إيصال رسالة لا أعرف غرضها. في اثنين من جرائم القتل يبدو القاتل صيّاد مصّاصي دماء، أمّا الأخرى فتحمل علامات واضحة على هجوم لِمصّاص دماء. أعتقدُ أن الأمير نيكولاي قد يكون في خطر، ما لم يكن هو مَن يُرسل التهديدات. ما الرابط المشترك بين الضحايا؟ وما علاقة المرأة من الأنفاق بكلّ شيء؟"

"تقنيًا، نيكولاي ليس أحد أحفاد فلاد." حدّق توماس في عينيّ لكنّني رأيتُ أنه في قارّةٍ أخرى. "إنه من ذُرّية دانيشتي. لقد تنافسَت عائلتا دانيشتي ودراكولشتي لسنواتٍ عديدة. أودُّ القول أنّ هُناك مَن يستهدف آل باسراب الذي يضمّ العائلتَين معًا. أو ربّما يتمّ تصوير إحدى العائلتَين على أنّ أبناءها مصّاصو دماء، والأخرى على أنّها تضمّ الصيّادين."

سألتُه: "إذن هل الحارس دانيشتي على صلة قرابة بالأمير نيكولاي؟ أكادُ أخشى سؤالك كيف تعرف كلّ هذه الأمور عن عائلةٍ من القرون الوسطى."

"هُنالك شيءٌ كنتُ أنوي إخباركِ به." تنفّسَ بعُمق. "أنا وريث دراكولا."

شكرتُ اتّكائي المُسبق على الحائط الذي سندَني. حدّقتُ فيه مُحاولةً استيعاب المعاني خلف تلك الجملة القصيرة... ربّما لم أسمعهُ جيّدًا. انتظرَ ردّي بتوتّر دون النطق بكلمة أخرى.

"لكن... أنتَ إنجليزيّ."

ابتسمَ بتردّد: "وروماني أيضًا، أتذكُرين؟ من جهة أمّي. كانت والدتي سليلة مينيا ابن فلاد."

قمتُ بتدوير المعلومات في ذهني واخترتُ كلماتي التالية بعناية. "لماذا لم تذكر نسَب دراكولا من قبل؟ إنه موضوعٌ مُثير للاهتمام حقًا."

"إنه نسبٌ شرّير... لم أرغب في كشف ذلك. في الواقع لقد حدّثَتني صديقتُك أنستازيا الأسبوع الماضي واتّهمَتني بإحضار لعنة الدمّ هذه إلى الأكاديميّة. قالت إنّ آخر وريثٍ ذكَر لدراكولا يجب ألّا يأتي إلى هذه القلعة، إلّا إذا كان يرسم خطّةً كبرى للاستيلاء عليها، أو هراء من هذا القبيل."

سقطَت نظراته إلى السجادة وارتخى كتفاه، فتسارعَ قلبي. أدركتُ أنّ توماس مؤمنٌ بِشؤم نسَبه والأسوأ ظنّهُ بأنّني قد أؤمن به أيضًا، كلّ ذلك بسبب الأسرة التي وُلِدَ فيها. لم تكن لديّ فكرة عن كيفية اكتشاف أنستازيا لحقيقته ولم أهتم في الوقت الراهن. لمستُ كوعه لأشجّعهُ بلطف على النظر إليّ.

"هل أنتَ مُتأكد من أنّ نسبَك لا يحملُ حماقة؟ "لم يبتسم، والتوى شيءٌ في داخلي. "إذا كنتَ شرّيرًا فأنا كذلك، إن لم أكُن أسوأ. كلانا يشقّ الموتى توماس وهذا لا يجعلنا ملعونين. هل هذا السبب في أنّكَ لم تُخبرني قبل الآن؟ أم خشيتَ أن يُغيّر لقبكَ الأميريّ مشاعري؟"

رفعَ بصره ببطء، ولم يُخفِ عواطفه هذه المرّة. قبل أن يُجيب رأيتُ عُمق خوفه على وجهه بعد اختفاء كلّ الغطرسة والكبرياء منه. حلّ في مكانها شابٌّ بدا كأنّ العالم ينهار من حوله ولم يكن بيده شيءٌ يفعله لإنقاذ نفسه. لقد هوى من جرف مُرتفع لدرجة أنّ كلّ آماله في البقاء حيًّا قد تلاشَت قبل وصوله إلى الأرض.

"مَن سيلومُكِ على عدم التحدّث معي ثانيةً؟ الوحش عديم المشاعر الذي ينحدر من الشيطان نفسه. الجميع في لندن سيحبّون إيجاد سببٍ فعليّ لسلوكي الغريب." مرّر توماس يده عبر شعره. "معظم الناس يجدونني صعب المعشر في أفضل الظروف. بصراحة، خفتُ كثيرًا من أن



تَريني كما يراني أيّ شخصٍ آخر. هذا لا يعني أنّني لا أثقُ بك، لكنّني أنانيّ ولا أريدُ فقدانك. أنا وريث سلالة غارقة في الدماء، ماذا يُمكن أُقدّم لك؟"

كانت هناك عشرات الأشياء التي نحتاج إلى التركيز عليها: احتماليّة كون المُخوزِق المحتال قريبًا من الأكاديميّة، العدد المُتزايد من جرائم القتل، زميلنا المشبوه... مع ذلك عندما حَدّقتُ في عيني توماس ورأيتُ الألم فيهما لم أفكّر إلّا في شيءٍ واحد. اقتربتُ منه أكثر، ودقّات قلبي تتسارع مع كلّ خطوةٍ تجاهه.

"أنا لا أرى وحشًا، توماس." فصلَت بيننا بضع بوصاتٍ فقط. "أرى فقط أفضل صديقٍ لي. أرى اللّطف والعطف. أرى شابًّا مصمّمًا على استخدام عقله لمساعدة الآخرين، رغمَ فشله الذريع في المسائل العاطفية."

ارتجفَت شفتاه، لكنّ القلق لا زال على وجهه. "ربّما يُمكننا الاقتصار على ذكر الطرق التي أكونُ رائعًا فيها..."

"ما أقصدُ قوله هو، إنني أراكَ توماس كريسويل." وضعتُ يدي ذات القفّاز على وجهه في أخفّ لمسةٍ مُمكنة. "وأعتقدُ أنّكَ حقًا رائع... أحيانًا."

ظلّ ساكنًا لبضع لحظات ثقيلة، وانزلق تركيزه على ملامحي وهو يُقيّم صدقي. أبقيتُ تعبيري مُرتخيًا، سامحةً للحقيقة بالكشف عن نفسها.

"حسنًا، أنا ساحرٌ حقًا." وضع توماس يديه أسفل سترته وتوتّره يتراجع مع الحركة. "وأميرٌ أيضًا. لا مفرّ من أن تُحبّيني، رغمَ أنّ اسم دراكولا مضادٌّ للأمير الساحر. هذه التفصيلة غير جديرة بالذكر حقًا."

ضحكتُ من كلّ قلبي. "ألستَ بالأصل من عائلةٍ نازحة؟ أنتَ أميرٌ دون عرش."

"الأمير الساحر المخلوع ليس لهُ نفس الوقع يا وادزورث." قال وهو ينفث سُخطًا زائفًا، واستطعتُ رؤية اللمعان في عينيه.

"أنا مسحورةٌ رغمَ كلّ شيء."

تغيّرَت نظراته وهي تنتقل ببطء إلى فمي. تقدّمَ بحذرٍ شديد إلى الأمام ورفعَ ذقني. بعد ما مررنا به من أخطاءٍ وإخفاقات أدركتُ أنّ البقاء بجانبه لخوض غمار هذه الحياة المجنونة لن يكون قرارًا سيّئًا. أغمضتُ عينيّ مُستعدةً للقُبلة الثانية... لكن يدَي توماس اختفتا وفقدتُ الشعور بدفئه فجأةً.

"يا لسوء الحظّ." استقامَ وهو يومئ برأسه نحو الباب قبل أن يبتعد. "لدينا ضيف."



دخلَت الخادمة - التي أرسلتُها مع مُذكّرة توماس سابقًا - إلى غرفتي، واحمرّ وجهها حتى أمكنَني رؤية لونه من مكان وقوفي. لم تكن هذه أول مرّةٍ أتمنّى فيها عودة إيليانا. رغبتُ في الاختفاء الفوريّ، فمنَ المؤكد أنها فهمَت التوتّر بيني وبين توماس رغمَ كوننا الآن على مسافةٍ محترمة. رفعَت الدلاء الخشبية التي معها وهي تُتمتم عبارات اعتذار بالرومانيّة والإنجليزية معًا.

"لا لا، كل شيء على ما يرام. لم تُقاطعي شيئًا." قلتُ مُتجهةً نحو باب غُرفتي المفتوح. لم أرغب بأن تقوم بافتراضٍ خاطئ، أو صحيح. كانت فضيحة وجود توماس في غرفتي لوحدنا كافيةً لتحطيمي إذا انتشرَ خبرُها. هل ستنشرهُ هذه الفتاة الهادئة؟ لقد بقيَت في مُحيط الغرفة، عاجزةً تمامًا عن مواجهة نظراتي، فأثارَ ذلك خوفي. بذلتُ قصارى جهدي للتحدّث بأكبر قدر مُمكن من الرومانيّة: "كنّا في طريقنا إلى المكتبة. أرجو أن تُخبري إيليانا بأنّني أودّ التحدّث معها لاحقًا."

أومأت الخادمة الشابّة برأسها المُنخفض. "نعم آنستي. سأقومُ بإخبارها إذا رأيتُها."

شعرتُ أنّ انتباه توماس منصَبٌّ على الخادمة الجديدة، لكنّني لم أرغب في لفت المزيد من الانتباه إلى وضعنا غير اللائق، فابتسمتُ للفتاة ثمّ مشيتُ مع توماس بسرعةٍ نحو المكتبة. كانت لدينا قضيّة تنتظر الحلّ.

بعد أن عرفتُ أمر سلالة توماس خشيتُ ألّا يكون نيكولاي هو الوحيد المُعرّض للخطر. إذا كانت شكوكي حول استهداف سلالة فلاد صحيحة فتوماس أكثر عُرضةً للخطر لأنهُ وريث دراكولا.

إذا كان أحد فرعَي شجرة العائلة يُخوزَق والآخر يُفرَّغ من الدّم، فلن يكون أيٌّ منهما في أمان.



30

نظرةٌ عن كثب



المكتبة

قلعة بران

14 ديسمبر 1888

"لم يُمكنكِ الابتعاد عني، أليس كذلك؟" ابتسمَ نوح لي من خلف مجلّدٍ كبير منصوب على منضدة. "لماذا لم تحضري درس علم التشريح؟" زفرت. "لقد أمسكَ بي صديقنا المشترك في الخارج بعد حظر التجوّل."

هزّ نوح رأسه وضحك. "آمل أنّ ما استدرجكِ للخارج يستحقّ العناء. هذا الرجل مُرعبٌ أكثر من أيّ مصّاص دماء يُطارد الأكاديميّة." سُرعان ما طغَت الجدّية على لهجته. "أنتِ محظوظةٌ لأنّ مولدفانو وجدكِ ليلة أمس، على عكس تلك الخادمة. لقد نالَ منها شيءٌ ما قبله."

رمشنا أنا وتوماس في عيني بعضنا وتعاظمَ الفزع في عروقي. لم أرَ إيليانا طوال الصباح، بل لم أرَها منذ حوالي يومين.

"أيّة خادمة؟" سألتُ ومعدتي تلتوي. "ما اسمُها؟"

"فتاةٌ تمّ تكليفها بغُرف الأمير نيكولاي وأندريه. يقوم مولدفانو وذلك الحارس باستجواب كليهما الآن. لقد أُلغيَت دروس بيرسي ورادو مساء اليوم وكلّ شيء، من المفترض أن نعود إلى غرفنا بحلول الثالثة." نظرَ نوح إلينا. "أفكّرُ في الاستماع إلى المُدير اليوم. إريك وكِيان وأنا سنحبس أنفسنا للدراسة. لقد تمّ تفريغ جسد تلك الخادمة من الدم، وأودُّ شخصيًا الاحتفاظ بدمي."

"أنتَ لا تؤمن أنّ مصّاص دماء هاجمَها، أليس كذلك؟"

هزّ نوح كتفيه. "هل يهمّ ما إذا كان مصّاص دماء حقيقي أم مُزيّف؟ لقد ماتت في كلتا الحالتين وذهبَ دمها."

لم أستطع استجماع أفكاري بالسرعة الكافية. بعد قتل هذه الخادمة والفتاة من الأنفاق أكونُ مُخطئةً في افتراضي بأنّ أفراد العائلة المالكة فقط هُم المُستهدَفون. لم تكن لدى فتاة القرية أيّة علاقات ملكيّة واضحة، وما زلتُ لا أصدّق أنّها من أعضاء جماعة التنّين، بغضّ النظر عن رسالة أنستازيا الغامضة.



"كيف عرفتُم أنّ دمها مفقود؟" طوى توماس ذراعيه على صدره. "هل رأى أحدكم الجثة؟ أين تمّ اكتشافها؟"

"بعد حصّة التشريح، وجدَها التوأمان في الممرّ خارج جناح العلوم. كانا مُسرعَين إلى غرفهما لتناول الغداء عندما وجدا جسدَها. قالا أنّها كانت أكثر شحوبًا من فيلهلم، ولا وجود لازرقاق ما بعد الوفاة عليها." بلعَ نوح ريقه. "كما إنّها خلَت من علامات صدمة خارجية، لا جروح واضحة عدا ثقبين في رقبتها. قد يكون الستريغوي خُرافة، لكن مَن يقتل هؤلاء الناس لا يبدو أنهُ يعرف أو يهتمّ لذلك."

قُلت: "أعتقدُ أنّ القاتل يستخدم جهازًا جنائزيًّا لذلك. هل يقوم المُدير بجرد مُعدّات الأكاديميّة باستمرار؟"

"لا أعرف، لكنّني واثقٌ من أنه قد تحقّقَ من الأمر." أغلقَ نوح الكتاب الذي كان يقرأه ونظرَ إلى أمين المكتبة، الذي جاء ليجلس خلف مكتب كبير، وانزلقَت نظراته على كلّ واحدٍ منّا وهو يبتسمُ بأدب. أخفضَ نوح صوته وانحنى قائلًا: "رغمَ أنّني أشكّ في أنه سيُخبرنا إذا كان أحد الأجهزة مفقودًا. مولدفانو يكرهُ نشر الأخبار. إذا تسلّل شخصٌ إلى الأكاديميّة وسرقَ جهازًا ليستخدمهُ في جرائم قتل..." رفع كتفه. "فلن يكون هذا الخبر مُتاحًا للناس، ستتحطّم الأكاديميّة." في أثناء تفكيرنا جميعًا في المعلومات الجديدة، التقَت عيناي بعينَي أمين

المكتبة فابتسم قائلًا: "صباح الخير، أنا بيير. هل يُمكنني المساعدة في العثور على شيء؟"

قال نوح حاملًا حقيبته: "كلا، شكرًا. سأراكما في الدرس القادم، إن وُجِد. قد يتمّ إلغاء كورس التقييم هذا. على الأقل هكذا تقول الشائعات." هزّ رأسه بتعاسةٍ واضحة. "لقد قطعتُ شوطًا طويلاً للوصول إلى هنا، وسواءٌ أكان هناك مصّاص دماء أم لا فلن أتخلّى عن نيل ذلك المقعد. كما قُلت، سندرس أنا وإيريك وكِيان لاحقًا، وكلاكما مُرحّبٌ به للانضمام إلينا."

"شكرًا لك." قلتُ مُبتسمة. لقد كان عرضًا لطيفًا، لكن لم تكن ثمّة طريقة تسمح لي بالبقاء في غرفة مليئة بالشباب في الليل، بغضّ النظر عن براءة السبب. رأيتُ العمّة أميليا ترسم علامة الصليب على نفسها بمجرّد التفكير في سُمعتي الملطّخة.

ودّعَ توماس نوح وتفحّصَ أمين المكتبة بدقّةٍ مجهريّة. كان رجلاً نحيفًا بشعرٍ بُنّي مُجعّد، يرتدي كنزةً واسعة. "أين يُمكن أن نجد كتابًا عن جماعة التنّين، يحوي أرقامًا رومانيّة بأيّ شكلٍ من الأشكال؟"

أطرقَ بيير قليلًا قبل أن يقف. "من هُنا لو سمحت."

لقد امتدّت أكداس الكتب على كلّ بوصةٍ تقريبًا من القسم الذي أبلغَنا بيير بالبحث فيه. ذكّرَني أمين المكتبة بالسرطان الناسِك، الذي لا



يخرج بعيدًا عن قوقعته قبل أن يتراجع إلى أعماقها. شككتُ أنهُ اختبأ من رادو كلّما سمعهُ قادمًا.

أغلقَ توماس كتابًا مُمزّقًا آخر، وهو يعطس بوجه حفنة ذرّات الغبار التي تطايرَت في الهواء، قبل أن يختار كتابًا آخر بإصرار. لقد فعلنا نفس الشيء لساعات: الجلوس بهدوء والعطس والبحث في كلّ كتابٍ قديم. كان هناك المئات منها عند قدميّ، وكنّا أكثر عزمًا من أيّ وقتٍ مضى على ربط تلك القرائن التي تبدو عشوائية. بدا أحدُهم موهوبًا للغاية في تضليل مسار التحقيق بخيوطٍ مُزيّفة.

"لنتخيّل أنّنا في مختبر عمّي يا كريسويل."

نظرَ توماس إلى الأعلى. "هل أرتدي نظارات وأُغمغم لنفسي إذن؟"

"كُن جادًّا. سأقدّم أفكاري ونظريّاتي بشأن القاتل أوّلاً، حسنًا؟"

أومأ توماس برأسه، رغم شعوري برغبته في القيام بدور العمّ. لو سنحَت له فرصة لهرعَ إلى غرفته ليرتدي سترةً من التويد[1] أيضًا.

قُلت: "أعتقدُ أنّ القاتل لديهِ فهمٌ جيّد لمُمارسات الطبّ الجنائيّ، ولكيفيّة إلقاء الشبهات في مكانٍ آخر. الطريقة التي نُفذّت بها الجرائم توحي بالتخطيط الدقيق، أو بوجود أكثر من قاتلٍ واحد، وهو ما يقودُنا

---

1 -التويد: نسيج من الصوف تُصنَع منه سترات الرجال. (المُترجِم)

إلى جماعة التنّين وتورّطهم المُحتمل. لكن لماذا هُم بالذات؟ لماذا يرتكبون الجرائم على طريقة مصّاصي الدماء؟"

هزّ توماس رأسه. "إنّهم موجودون منذ قرون، وممّا أعرفهُ أنّهم مارسوا الكثير من عمليّات الاغتيال التي تمّ توارثُها عبر مراتبهم."

"ربّما قتلوا الفتاة المفقودة من القرية لاستخدام منزلها القريب من القلعة، وربّما كان موتها ضمن طقوسٍ مُعيّنة."

فكّر توماس في ذلك للحظة. "لكن لماذا تستهدف جماعة التنّين طلاب الأكاديميّة؟ إذا تمّ إنشاؤها أصلًا لحماية الدم الملكيّ فلماذا تقتل أفرادًا يحملونه؟"

قُلت: "يُمكنني التفكير في تفسير معقول. ماذا لو كانوا من المُوالين لدراكولا ويُريدون إعادة وريثه إلى العرش؟ ربّما يتخلّصون تدريجيًا من أيّ شخص له حقّ المُطالبة بالعرش، سواءٌ من بعيد أو غيره."

شحبَ توماس. "هذه نظريةٌ جيّدة يا وادزورث. دعينا نرى ما يُمكننا كشفه عنهم أيضًا."

عُدنا إلى سحب الكتب من الرفوف، وكانت علاقتها بجماعة التنّين واضحة من خلال أيقوناتها المتعدّدة والصُلبان. كان شعارهم تنّينًا مُلتفًّا على نفسه، وأحد رموزهم المتكرّرة عبارة عن صليبٍ مُشتعل بالنيران. بدا ذلك مألوفًا لي لكنّني لم أعرف أين رأيتُه من قبل.



بقيتُ أفكّر في آخر جريمة. إذا بدأ زملائي المُهتمّون بالعلم يخافون من مصّاصي الدماء فلا أستطيع تخيّل ما سيُفكّر فيه القرويّون بمجرّد اكتشافهم وجود جثّةٍ أخرى بدون دم، وفي قلعة فلاد دراكولا بالذات.

وقفتُ ماسحةً الجزء الأمامي من ثوبي. "هذه مهمّةٌ مُستحيلة. كيف يُفترض بنا معرفة مَن في الجماعة الآن؟"

"لم تُخترَع الأرقام الرومانيّة في يومٍ واحد يا وادزورث."

تنهّدت بعمق حتى ظننتُ أنّني بحاجةٍ إلى أريكة لأغمى عليها. "هل هذا هو رأيكَ البائس حقًّا؟"

لم أنتظر رده، بل اتّجهتُ نحو القسم المُعنون 'الشّعر'.

"ربما يجب علينا التحقّق من مخازن الأغذية الليلة."

قفزتُ عابسةً بوجه توماس، الذي تسلّلَ خلفي مُتابعًا: "عندها يُمكننا إثبات ما إذا كان مولدفانو يكذب."

"نعم، بالتأكيد. دعنا نتسلّل إلى الخارج. أنا متأكّدة من أنّ المدير سيكون لطيفًا إذا أمسكَ بي مرةً أخرى وأنا أفعل نفس الشيء الذي حذّرَني منه. هذا إذا لم يُمسكنا القاتل مصّاص الدماء أو مجموعة الفرسان المارقين التي تتجول في هذه القلعة قبله." شخرَ توماس لكنّني تجاهلتُ رفضه. "هل تعتقد أنّ المُدير يعرفُ مَن يقتُل الطلاب والكادر؟ أو ربّما يكون مسؤولًا؟ لا أريدُ المُخاطرة باحتمال الطرد إذا كنّا مُخطئين."

قال توماس: "لا أعتقدُ أنهُ كاذب، لكنّني لستُ مقتنعًا أنهُ يجهل تمامًا هذه الحوادث الغريبة في القلعة. أتساءلُ ما إذا كان متعاطفًا مع الجماعة، رغمَ أنّني لا أظنّهُ عضوًا فيها فدماؤه ليسَت ملكيّة. في الواقع أشعرُ أنّنا قد تشتّتنا بسبب هذه الحقائق الأخرى." "إذن هل تقترح أنّ لا يد للجماعة في هذا على الإطلاق؟" انتعشَ ذهني بعدّة أفكار جديدة بعد زوال جماعة التنّين من المسألة. "من الوارد جدًا أنّ شخصًا ما يتظاهرُ بكونه منهم... ربّما هذا هو سبب عجزنا عن إيجاد صلةٍ حقيقيّة بهم. ماذا لو كانت الجماعة حقًا خارج القضية برمّتها؟"

"قد تكون مجرّد إلهاءٍ مُتقَن تمّ زرعُه من قبل القاتل."

"هذا يُفسّر كيف لم تتمكّن من استنتاج أو بناء نظريّة بطريقتكَ السحريّة المعتادة." ضيّقتُ عينيّ. "لم تقُم بقراءة علامات احتكاك على أحذية أو التضحية بشيء لآلهة الحساب لحلّ القضيّة، أليس كذلك؟"

قال توماس بصوتٍ حزين: "قد يكون هذا صعب التصديق، لكنّني حتى الآن عاجزٌ عن تشغيل قدراتي الروحانيّة. مع ذلك لديّ أسئلةٌ وشكوك لا أستطيعُ تجاهلها."

"لقد شوّقتَني. استمرّ."

أخذَ توماس نفسًا عميقًا وقال: "أين ذهبَت أنستازيا؟ أخشى أنّنا تجاهَلنا حقائق كانت تُعمينا بوضوحها."



شعرتُ بوخزٍ في قلبي. توماس شديد الحذر، وهذه ليسَت أوّل مرّةٍ يُخبرني فيها بأن أشكّ في المُقرّبين منّا، مع ذلك كان جزءٌ مني يعلمُ أنّ أنستازيا تُخفي أسرارًا. في الواقع، وبصدقٍ كامل، كنتُ أعرف أنّ إيليانا لديها أسرار أيضًا. دفعتُ مشاعري ولم أسمح لها بتشويش أحكامي. لن أكون عمياء عن الحقيقة بتعمّد، ولن أُبقي شكوكي لنفسي من الآن فصاعدًا بغضّ النظر عن الثمن العاطفيّ.

"كما إنّني لم أرَ إيليانا منذ يومين. منذ المساء الذي سبقَ نقل الجثّة من مشرحة البرج."

أومأ توماس. "ماذا بعد؟ هل هناك شيءٌ مُريب آخر؟"

عادَت أفكاري إلى المرّات التي تحدّثنا فيها عن الستريغوي، كيف كانت إيليانا تُغيّر الموضوع قبل أن تسأل أنستازيا المزيد من الأسئلة، وكم آمنَت بالخرافات. "إيليانا من براشوف، القرية التي وقعَت فيها أوّل جريمة قتل."

"وهي تُدرك أيضًا أنّ دماء فلاد دراكولا تجري في عروق أختي."

أعلمُ أنّ ذلك مستحيل طبّيًا، لكن أقسمُ أنّني شعرتُ بقلبي يتوقّف عن النبض، على الأقل للحظات. حدّقتُ في توماس، مُدركةً أنّ أفكارنا وصلَت إلى نفس النتيجة المُروّعة.



"هل تعرف أين داسيانا الآن؟" سألتُه بنبضٍ مُتسارع. "أيّة مدينةٍ ستزور؟" هزّ توماس رأسه ببطء، واشتدّ شعورٌ مُظلِم في داخلي. "هل أنتَ متأكدٌ أنّها غادرَت القلعة؟ ماذا عن رسالة دعوتها للحفلة؟"

"داسي من النوعْ الذي يُخطّط مُسبقًا؛ ربّما كتبَت الدعوة في وقتٍ سابق ثم تمّ إرسالها في البريد من قبل شخصٍ آخر." لمحتُ دمعًا في عينَي توماس، لكنه رمشَ ليُزيحه. "لم أرَها تُغادر في عربتها. لقد خرجَت مع إيليانا ولم أرغب في التطفّل ...ظننتُهما تُريدان قضاء المزيد من الوقت لوحدهما."

تلك الجثّة المسروقة من مشرحة البرج، هل كانت جثّة داسيانا؟ بالكادْ استطعتُ التنفّس. لقد فقدَ توماس والدته؛ وفقدان شقيقته سيكون جرحًا لا يُحتمَل ومُدمّرًا له. أجبرتُ عقلي على نبذ الحزن وربط أيّة نقاط أو أدلّة مُتاحة. ماذا عرَفنا عن الأيام أو الساعات الأخيرة لداسيانا في القلعة؟ ثمّ انتبهت.

"أعرفُ بالضبط إلى أين يجب الذهاب." فكّرتُ بإمساك يده ثم توقّفت: حتى خلف جدران القلعة لن تمرّ حركاتي هذه بسلام. فجأةً مشى أمين المكتبة بالقرب منّا وذراعاه ممتلئتان بالكتب، فقُلت: "تعال، لديّ فكرة."



خرَجنا من المكتبة وقُمنا بتفقّد الأروقة الواسعة. لا خادمات ولا خدم ولا حرّاس، رغمَ أننا لم نكن لنرَ الخادمات فورًا فقد يختفينَ عنا خلف لوحات القماش في الممرّ الجانبيّ. طلبتُ من توماس أن يتبعني إلى الممرّ السريّ، وتحرّكنا بسرعةٍ ويقظة مستعدّين لأيّة حركةٍ أو صوت.

كان الهواء أبرد من العادة، إذ خمدَت مدافئ الممرّ وانطفأت المشاعل. بدا كأنّ القلعة قد جمّدَت مشاعرها إلى هذا الهدوء الجليديّ، وأملتُ عدم حلول عاصفة وشيكة. بدت بعض الزوايا الآن أكثر شرًّا، إذ كانت أماكن يلوذ بها أيّ شخص يرغبُ في إلحاق أذى. راقبتُ أيّ أثر لحركةٍ هناك ثمّ مررنا بمنصّة عليها ثعبان فارتعشت: قد يختبئ شخصٌ خلفها في انتظار القفز علينا.

كانت إيليانا ضئيلةً بما يكفي للاختفاء بين القطع المعروضة، وتبعَ توماس نظري لكنه أبقى تعبير وجهه مُحايدًا. أردتُ معرفة ما إذا كانت هذه أوّل مرةٍ يدخل فيها ممرّ الخدم، لكنّني لم أُخاطر بالتحدّث بصوتٍ عال.

سمعنا وقع أحذية على السجّاد في الممرّ الرئيسي فتجمّدنا، وظهرانا على إحدى اللوحات الكبيرة. لم أجرؤ على النظر إلى مشهد التعذيب الذي صوّرته. خمّنتُ من ثقل الأصوات وجود أربعة حرّاس على الأقل. لم يتكلّموا، ولم يدلّ على وصولهم ومُغادرتهم غير إيقاع خُطاهم.

بالكاد تنفّست حتى تلاشَت الأصوات، وبقينا أنا وتوماس ساكنَين لبضع لحظاتٍ أخرى بعدها. أبعدتُ نفسي عن الحائط وفحصتُ كلا الجهتَين، سنخرج من الممرّ السريّ قريبًا. لحُسن الحظّ تمكنّا أخيرًا من شقّ طريقنا إلى غرف أنستازيا دون أن نُكتشَف. بدا أنّ الجميع قد استجابوا لتحذير المُدير ولزموا غرفهم.

ضغطتُ أذني على باب غرفة أنستازيا، واستمعتُ للحظة قبل فتحه. لم تكن النيران مشتعلة، ودخلَ ضوء الشمس عبر الستائر المفتوحة. بانَ كل شيء كما تذكرتُه في آخر مرةٍ كانت فيها أنستازيا هنا.

"ماذا نفعل في هذه الغرفة وادزورث؟"

قمتُ بفحص الغرفة: بدا أنّ الكتاب الذي أخذَته أنستازيا من منزل المرأة المفقودة يحمل إحدى رموز الجماعة، وإذا كان الأمر كذلك، فربّما...

"أنظُر." عبرتُ الغرفة ورفعتُ الكتاب عن المنضدة. كان عنوانه بالرومانيّة: 'قصائد الموت.' لقد تشتّتَ ذهني سابقًا بفكرة ضياع تلك الفتاة وتجمّدها في الغابة، لدرجة أنّني لم أكلّف نفسي عناء قراءة عنوانه.

"حينما دخلتُ أنا وأنستازيا ذلك المنزل، ادّعَت وجود صلة بين هذا الكتاب والجماعة." قرّبتُ الكتاب ليراه: لقد احترقَ صليب على الغلاف واشتعلَت نيرانٌ في كلّ جانبٍ منه. "في البداية حسبتُها مُخطئة، إذ لم أجد



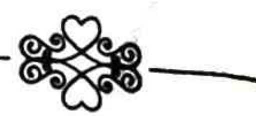
سببًا منطقيًا لارتباط امرأة مفقودة من القرية بجماعةٍ من النبلاء الفرسان. خطأ واضح من جانبي."

"الجميع يرتكب الأخطاء يا وادزورث، لا عيب في ذلك. طريقة إصلاحها هي ما يهمّ حقًا." قلّبَ توماس صفحات الكتاب بسرعة. "ممم، أعتقدُ -"

"أنّ الوقت قد حان لتعودا إلى غُرفكما الخاصّة. لا سبب لأن تكونا هنا." توتّرنا أنا وتوماس نتيجة الاقتحام والصوت الخشن. وقف دانيشتي على عتبة الباب وقد شغلَ جسده مساحتها بالكامل. يبدو أنّ القلعة مليئة بالذين يُمكنهم التنقّل كالأشباح. "لقد تمّ إلغاء جميع الأنشطة داخل القلعة حتّى الصباح، حسب أوامر مولدفانو. قرّر المدير عقد الدروس غدًا بشرط مرافقة جميع الطلّاب إلى قاعة الدرس وخلال العودة إلى الغرف."

أخفى توماس بطريقةٍ ما 'قصائد الموت 'وقال رافعًا يديه" :حسنًا، من بعدك."

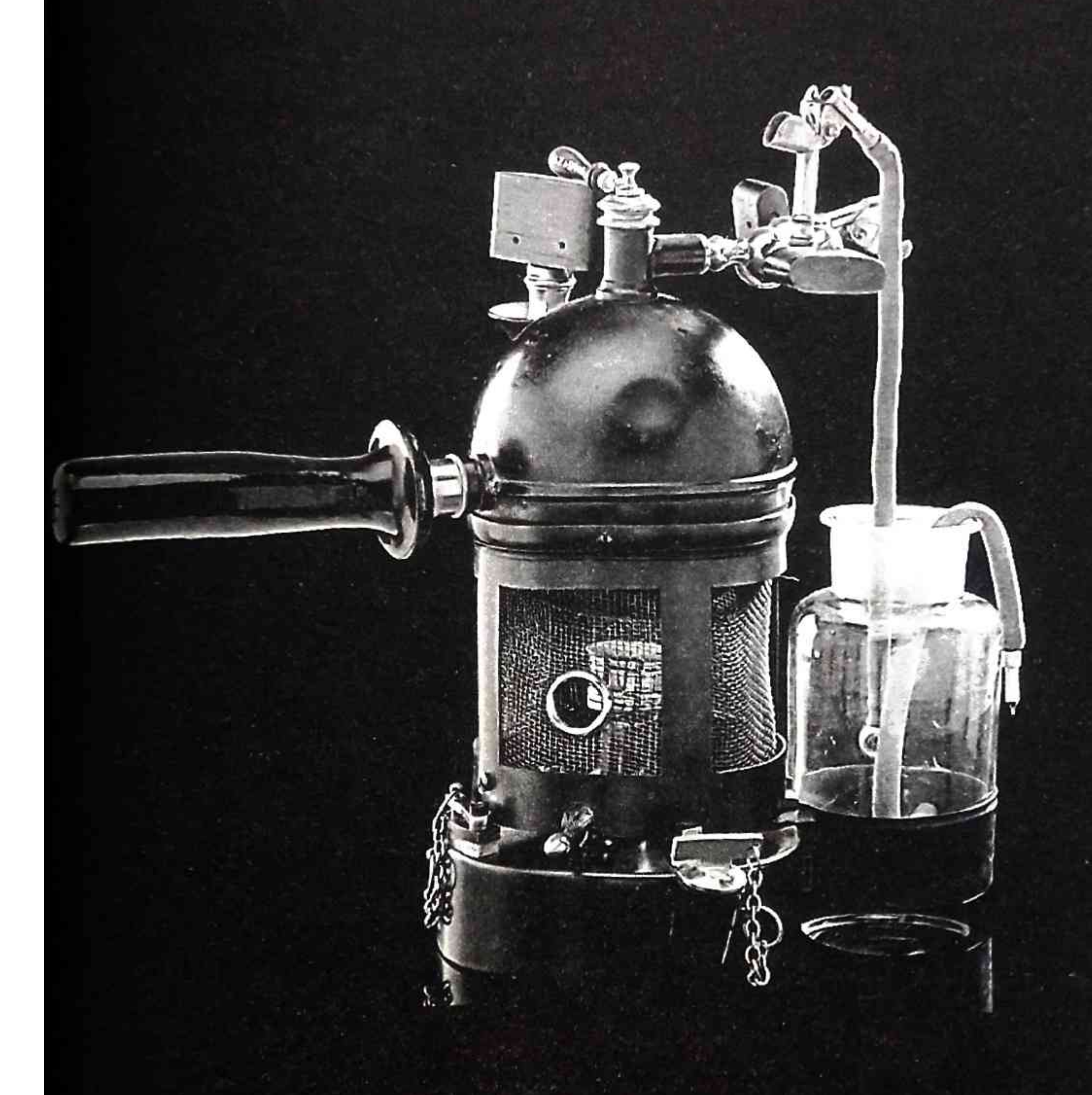
لم أجرؤ على البحث عن الكتاب المخفيّ الآن. لم أرغب في أن ينتزعه دانيشتي منّا، خاصّةً إذا اتّضح أنه نفس الكتاب الذي يبحثون عنه. بعد إيداع توماس في غرفته، شاهدَني الحارس أدخلُ غرفتي لأغلق الباب خلفي. سمعتُ دوران مفاتيح، وقبل أن أعرف ما فعلهُ كنتُ محبوسةً في



غُرفي في البرج. هرعتُ إلى غرفة الاستحمام لأتفقّد باب السلالم السريّة، فوجدتُها موصدة من الجانب الآخر.

لم أنَم جيدًا في تلك الليلة، بقيتُ أذرع حجرتي مشيًا كأنّني حيوانٌ يُخطّط للهروب، حبيسةٌ حتى يُحرّرني أحدهم من قفصي.

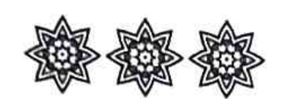
رشاش الكربوليك، فرنسا – 1887م





31

تشريحٌ مُثير



صالة عمليّات بيرسي

قلعة بران

15 ديسمبر 1888

بدا الأمير نيكولاي أكثر شحوبًا من الجثة التي شقَّها بيرسي وهو يُناول البروفيسور ملقطًا مسنّنًا ويستدير ليسعل بعيدًا عنها. كان سلوكًا غريبًا للأمير الشجاع في العادة؛ ربّما أصابتهُ إنفلونزا.

لا يُمكن أن تكون الجثّة الغامضة من الأنفاق هي ما تجعله شاحبًا. رغمَ أنّ بيرسي قد كشف النقاب عن الجثّة خلال الدرس قبل يومين، إلّا أنّ مولدفانو استعادَها قبل أن يتمكن أيٌّ منّا من فحصها بدقّة ولم يُعيدها للفصل إلّا مساء ذلك اليوم. كان مديرُنا هادئًا كثير التأمّل بشكلٍ غريب خلال درسنا الماضي، وبدا ذهنه عالقًا في مكان آخر. تساءلتُ ما إذا



كانت العائلة المالكة قد خيّرَته بين حلّ جرائم القتل وربطها جنائيًا، وبين فقدانه لمنصبَيه كطبيبٍ ملكيّ ومُدير أكاديميّة. ربّما كان أيضًا قلقًا بشأن مكان أنستازيا، إذ لا بدّ إنه استنتجَ أنّها ليسَت في المجرّ الآن. لم أستطع تخيّل أسباب أخرى لمثل ذلك القلق.

وضعَ بيرسي نصله على صينيّة، تاركًا الشقّ على شكل حرف Y غير مُكتمل. لقد دمّرَت الخفافيش الجائعة معظم ملامح الفتاة، لذا غُطّيَ وجهُها بقطعة قماش لطفًا به وبنا، رغمَ إنّني لا أظنّ أنّ بيرسي سيتوانى عن تعريضِنا لوحشيّة المهنة التي اخترناها. لم يأتِ الموت دومًا بسلام، واحتجنا إلى الاستعداد لرؤية نتائج هجومه.

"الرشّاش الكربوليكي، رجاءً."

انتظرَ بيرسي قيام نيكولاي برشّ صالة العمليّات. لقد كلّف أستاذنا نفسه العناء الذي مرّ به عمّي لتجنّب تلوّث المكان، رغمَ أنّ بعض العلماء ما زالوا يدّعون أنّ هذه الإجراءات غير ضروريّة خلال دراسة الجثث. لم أرَ قطّ جهازًا مثل الرشّاش الكربوليكي، ولم أستطع الانتظار لإخبار عمّي عنه. من المؤكد أنه سيطلب واحدًا لمختبرِه الخاصّ.

صوّبَ نيكولاي أداته راشًّا الغرفة بضبابٍ رقيق، فتصاعدَت سحبُ الضباب الرماديّ في الهواء، برائحة مُطهّرٍ حادّة دغدغَت أنفي.

"لقد حصلنا على إذن من العائلة لإجراء هذا التشريح..."

أزعجَني شيءٌ ما بخصوص بيان بيرسي، لكن عقلي عاد إلى إيليانا بينما واصل الأستاذ الدرس. لم أتمكن من معرفة دافعها في أيٍّ من جرائم القتل، لكن هذا لا يعني عدم تورّطها. في الواقع لم أصدّق أنها عملَت بمُفردها. لم تعُد أنستازيا إلى الأكاديميّة رغم قولها العكس، وتساءلتُ عن لعبها دورًا ما في الجرائم أيضًا. لقد كانت صديقةً لإيليانا رغم اختلاف مركزيهما، وكلاهما صارَتا في عداد المفقودين في غضون أسبوع واحد. في البدء صدّقتُ رسالة أنستازيا حول التحقيق في منزل القرية، لكنّني الآن غير متأكّدة.

ربّما اقتربتُ كثيرًا من كشف أسرارهما فَهربَتا. لقد تعلّمتُ أنّ الثقة في أولئك ذوي المظهر البريء لا تقود إلّا إلى الحزن والدمار. يُمكن للوحوش أن تصطنع ابتسامات الأصدقاء وهي تُخفي روح الشيطان المتعفّنة في أحلك زوايا قلبها. فكّرتُ في الأوقات التي قضيناها معًا في غرفتي وبزغَت فكرةٌ جديدة في ذهني. إذا عملَت أنستازيا مع إيليانا فربّما كانت لقاءاتنا وأفعالنا مُسبّقة الترتيب، ربّما قامتا بتمثيل ردود الأفعال تلك لتقوداني عمدًا إلى الطريق الخطأ.

"آنسة وادزورث، هل أنتِ معنا اليوم؟"

عدتُ إلى الحاضر بوجهٍ ساخن لألقي نظرةً حول المسرح. التوأمان بيانشي، نوح، أندريه وإيريك، كلّهم ركّزوا انتباههم عليّ، حتى توماس.



"أعتذرُ يا أستاذ. أنا -"

مشى مولدفانو داخلاً صالة العمليّات الجراحية وقبضتاه مشدودتان على جانبيه. لم تكن لديّ فكرة أنهُ قد حضر. كان رداؤه بنفس لون شعره الفضيّ، وتدلّى بنفس حدّة النظرة التي وجّهَها إليّ.

"أريدُ أن أكلّمكِ على انفراد، الآن."

ضحكَ أندريه وهمسَ بشيءٍ ما ليضحكَ إيريك أيضًا عند مروري بجانبهما، وفكّرتُ بدعس قدمه بكعب حذائي. لفتَ انتباهي كِيان الذي ابتسمَ لي بتردّد، كان ذلك دعمًا منه لأنّ الصبيّ الأيرلندي لم يعترف بوجودي أصلاً فيما مضى. لا بدّ أنّ نوح قد امتدحَني أمامه.

مشيتُ أسفل الدرج خارجةً من صالة العمليّات نحو الردهة حيث كان المُدير ينتظر، وأقدامهُ تطأ الأرض بانتظام كأنه يقتلُ بعض الصراصير.

"متى كانت آخر مرّةٍ تحدّثتِ فيها مع الخادمة إيليانا؟"

خفقَ قلبي. بدا أنّ توماس وأنا لم نكن الوحيدين الذين شكّوا فيها.

"أعتقدُ أنّها كانت قبل يومين، مساء الثالث عشر يا سيّدي."

"تعتقدين ذلك. هل الاهتمام بالتفاصيل ليس بتلك الأهميّة رغمَ كونكِ طالبةً في الطبّ الجنائيّ؟ ماذا سيفوتُكِ أيضًا من الأمور الأخرى التي قد تُدمّر القضايا؟ يجدر بي طردُكِ من الكورس الآن لأوفّر علينا

الوقت والجهد." أصابَني الخوف من نبرته، التي كانت في بالغ القسوة حتّى بالنسبة له. "كنتُ أتكلّم بتهذيب سيّدي. آخر مرّةٍ رأيتُها كانت في الثالث عشر، أنا واثقةٌ من ذلك، وقد حصلتُ على خادمةٍ جديدة منذ ذلك الحين. لقد أبلغَتني أنّ إيليانا تعمل في مكانٍ آخر بالقلعة، رغمَ إنّني لم أعُد أصدّق هذا. ربما يجب عليكَ التحدّث معها لمعرفة ما تُخفيه عن مكان وجود إيليانا."

فحصَني مولدفانو بنظرةٍ من عينيه الضيّقتَين كمَن يُحدّق في عيّنةٍ تحت المجهر. زممتُ شفتيّ مُقاومةً الانفجار في وجهه لاستغراقه كلّ ذلك الوقت للتحدّث. "وما الذي تظنّينهُ بشأن إيليانا الآن؟"

"أظنّها تعرف شيئًا عن مقتل السيّد فيلهلم آلديا سيّدي." تردّدتُ قبل البوح بقلقي التالي، خوفًا من قتل أنستازيا لي إذا عادَت سالمةً وعلمَت بخيانتي لثقتها. "أنا... أتساءلُ أيضًا عمّا إذا كانت تعرف مكان أنستازيا. لقد تركَت أنستازيا رسالةً لي... تتوسّل فيها بعدم إخبارك أين ذهبَت، لكنّها لم تذكر أيّة تفاصيل أخرى."

تقلّصَت يد مولدفانو إلى جانبه، في إشارةٍ إلى مدى غضبه. "لكنّكِ لم تُكلّفي نفسكِ عناء إخباري بشكوكك. هل تتذكرين أيّ شيء مُريب خلال الأيام القليلة الماضية؟ أيّ شيء يؤكّد ادّعاءاتك؟" كانت هناك مسألة اللصين اللذين كنتُ على يقينٍ من رؤيتهما وهُما يجرّان جثّةً عبر



الغابة. لقد أخبرتُه بالفعل عن ذلك وسخرَ مني، ولم أرغب في إخضاع نفسي لمزيدٍ من الذمّ. "لا سيّدي، مجرّد شعور."

"شعور، وهو شيءٌ غير علميّ. من المتوقّع بالتأكيد أن تقع شابّةٌ تحت سيطرة عواطفها بدلاً من التفكير المنطقيّ."

تنفّستُ ببطء لأهدّئ نيران انزعاجي. "أعتقدُ أنه من المهمّ دمج العلم مع الغريزة يا سيّدي."

لوى المُدير شفّتهُ بعيدًا عن قواطعه المُدبّبة. من العجيب حقًا أن تكون لدى الرجل مثل هذه الأسنان الحيوانيّة، وبدأتُ أتساءل إن لم تكُن تلك حالة طبّية فيجبُ عليه الاحتراس من لمس لسانه لأدوات الخوزقة الحادّة تلك.

"لقد تحدّثنا بالفعل مع خادمتك الجديدة، وتمّ فصلها من مهامّها. أقترحُ عليكِ الابتعاد عن إيليانا إذا رأيتِها مرةً أخرى. يُمكنكِ العودة إلى الدرس آنسة وادزورث."

"لماذا؟ هل تظنّ أنّ لها علاقة باختفاء أنستازيا؟ هل بحثتُم في الأنفاق؟" بدا تعبير وجه المُدير مُرعبًا بحقّ، ولم تكن أسنانهُ شيئًا مُقارنةً بالكراهية العميقة في نظراته المُتجمّدة.

"إذا كنتِ فتاةً حكيمة فابقَي بعيدًا عن تلك الأنفاق والغرف الموجودة فيها. اسمعي تحذيري آنسة وادزورث." نظرَ إلى غرفة

العمليات وإلى الجثّة المُمدّدة هُناك. بإمكاني أن أُقسم أنّ لمحة حزنٍ بدَت على وجهه قبل أن ينظر إليّ بغضب. "أو قد تجدينَ نفسكِ تحت نصل بيرسي بعدها."

استدارَ على عقبَيه وانطلق بعيدًا قارعًا الأرض بنعله الجلديّ. شعرتُ بثعابين تلتفّ في أمعائي، وعُدتُ أدراجي إلى صالة العمليّات لأغوص في مقعدي. قمتُ بحركات تدوين مُلاحظات لكنّ ذهني كان ممزّقًا.

لقد احتجتُ لمعرفة كيفيّة موت الفتاة التي على طاولة تشريح بيرسي، إن لم يكن فقط بسبب عضّات الخفافيش، واحتجتُ كذلك إلى حل لغز مكان وجود إيليانا وأنستازيا. راقبَني توماس من فوق كتفه كلّ بضع لحظات وشفتاه مزمومتان بقلق.

اخترقَت كلمات بيرسي التالية أفكاري المُتسارعة: "من الواضح أنّ الآنسة أنستازيا ناداسي ماتَت مُتأثّرةً بالجروح التي أصابَتها."

خلا رأسي من الأفكار كأنّ بالوعةً قد سحبَتها. حدّقتُ في بيرسي بإنكار... هل قصدَ...؟ انتقلَ نظري من الأستاذ إلى الجثة الموضوعة أمامه، قام برفع الغطاء عن وجهها، ودارَت التروس في رأسي لتستقبل هذه المعلومات الجديدة. الشابّة التي هوجمَت في غرفة النفق من قبل الخفافيش مصّاصة الدماء هي أنستازيا؟!



بدت الأرض كأنّها تهتزّ تحت مقعدي، وتصاعدَت نيرانٌ في داخلي ثم تجمّدَت. رمشتُ دموعي لأُبعدها بعد انزلاق بعضها على خدّي، ولم أهتمّ إن سخرَ شخصٌ في الفصل من إظهار مشاعري. حدّقتُ في الجثة بشرود مُحاولةً استيعاب الصورة. أنستازيا... مُستحيل! جلستُ هناك بقلبٍ خافق بشدّة، أنظرُ إلى هيئتها الهامدة. لمحتُ شعرها الأشقر لكنّي لم أتحمّل رؤية وجهها المُتعفّن عن كثب.

لقد ماتَت صديقتي، هذا يحدُث ثانيةً! شعرتُ بصدري ينكمش من الثقل الذي ضغطَ عليه. كيف ظننتُها مُذنبةً بجرائم القتل؟ متى فقدتُ ثقتي في الناس إلى هذا الحدّ؟ تقتُ إلى الهروب من الغرفة وعدم دراسة جثةٍ أخرى ما حييت. لم يكن توماس هو الملعون بل أنا: كلّ شخص اقتربتُ منه مات. لقد قال نيكولاي ذلك في الزقاق وكان مُحقًا.

نظرتُ من بين دموعي إلى زملائي. كلّهم كانوا مصدومين، وقد زالَت عنهم روح المنافسة والتعطّش للمعرفة والكفاح لنيل مقاعد الأكاديميّة. يحتاج العلم إلى البرود العاطفيّ لكي تتقدّم في الاستكشاف، لكنّنا في النهاية بشر. قدِ تكون عقولنا فولاذيّة أحيانًا لكنّ قلوبنا تنبض بالتعاطف. ما زلنا نهتمّ بالآخرين ونحزن لمصائبِهم.

تحرّك توماس في مقعده وانتباهه موجّهٌ على نيكولاي ثمّ عليّ. بدا صديقي حائرًا لكنهُ مُركّزٌ بما يكفي لملاحظة أيّ سلوكٍ مُريب. كدتُ

أنسى رسومات الأمير ودورها المُحتمَل في كلّ هذا. قلّصَ أندريه فكّيه وألقى بنظرةٍ قاتمة على صديقه، وبدا مُختنقًا بدموعٍ كان يحبسُها.

قال بيرسي بهدوء: "تتطابق علامات العضّ مع ثدييّاتٍ صغيرة الحجم. هل يرغب أحدُكم في تخمين ما هاجمَ هذه الشابّة؟"

حبستُ أنفاسي مع بقيّة الموجودين في صالة العمليّات. لم يجرؤ توماس ولا أنا على الردّ - أو حتى على إلقاء نظرة على بعضنا - رغمَ إننا رأينا بأعيُننا كيفَ ماتَت أنستازيا. كان السؤال مَن يعرف أيضًا في هذا الفصل؟ إذا تعاونَ أحدُهم مع إيليانا فسوفَ يكون على درايةٍ بكيفيّة الموت. قام بيرسي بالنظر إلى كل طالب بانتظار مَن يكسر الصمت الثقيل.

"ثعابين؟" سألَ فينشنزو وجوفاني معًا.

"عناكب سامّة؟" أضاف كِييان.

قال بيرسي بتشاؤم: "تخميناتٌ جيّدة، لكن لا. هل يرغب شخصٌ آخر في طرح فكرة؟"

بالكاد نظرَ نيكولاي إلى الجسد، وركّزَ انتباهه على الرشاش الكربوليكي الذي لا يزال في يديه. قامَ بتدويره من جانبٍ إلى آخر ثمّ ضغطَ على زر الإطلاق ليُفاجئنا برذاذه. كان ضبابُه نذير شؤم مثل نبرة كلامه.



"خفافيش." تمتمَ نيكولاي. "هذه الجروح يمتاز بها نوعٌ من الخفافيش يُشاع أنهُ يستوطِن هذه القلعة."

صفّقَ بيرسي، لنجفل جميعًا في مقاعدنا. "ممتاز أيّها الأمير نيكولاي! لاحظوا المسافات بين آثار الأسنان. إنّها تُشير إلى أصناف كبيرة الحجم أيضًا. أتخيّلُ أنّها قد تغذّت عليها لبعض الوقت، رغمَ أنّها فقدَت وعيها في مرحلةٍ ما."

ابتلعتُ ريقي بصعوبة ومعدتي تتقلص بعد تلك الصورة. إذا لم أُبقي مشاعري مُغلقةً بإحكام فسوف أنهار فورًا. ركّزتُ على التنفّس. الآن لن ينفعني التفكير في صديقتي وكم كانت نابضةً بالحياة، مع ذلك ومع قدراتي على التحكّم في مشاعري فقد تحطّمَت أجزاءٌ من قلبي. هذه خسارة. لقد تعبتُ للغاية من توديع أولئك الذين أرغبُ في خوض مغامرة الحياة معهم. ضغطتُ على خدّي وسحبتُ نفَسًا.

تفوّه إيريك وكِيبان بشتيمة. كنتُ أعلم أنّهما عاجزان عن القتل أو التعاون مع إيليانا، إذ كان فيهما لطفٌ ورحمة فطريّة. لقد شاهدتُ إيريك يُساعد نيكولاي بعدما رماهُ بمئزر، في استعدادٍ لمُساعدة مَن يحتاج إلى صديق. أمّا بشأن الأمير وهوسه بالخفافيش فلم يبدُ ذلك مصادفةً يُمكن تجاهُلها.

قال بيرسي: "حسنًا، مَن يرغب في عمل الشقّ التالي؟"

نظرَ كِيان ونوح إلى بعضهما ورفعا أيديهما ببطء. لقد أعجبتني قدرتهما على تجاوز الرعب، لكنّني لم أقوَ على استخدام نصلي على جسد صديقتي. لم أهتمّ إذا كلّفني ذلك مكاني في الأكاديميّة وبدا التفكير في المُنافسة الغبيّة تافهًا، رغمَ علمي أنّ أنستازيا كانت ستُوبّخني لشعوري بالهزيمة، وستطلب منّي المضيّ قدُمًا.

ساعدَتني تلك الفكرة، فجلستُ باستقامةٍ في الصفّ الأول من صالة عمليّات بيرسي، مُدركةً أنّ لا شيء على الإطلاق يُمكن تقديمه إلى أنستازيا عدا إرادة الانتقام لموتها. انحنى توماس إلى الأمام في مقعده لكنّه لم يرفع يده.

قال بيرسي: "سيّد هايل، رجاءً تعالَ وخُذ مكانك."

قام نوح بتعديل مئزره وأخذ المشرط من بيرسي ليشطفهُ بحامض الكربوليك قبل وضعه على اللحم البارد. أجبرتُ نفسي على رؤية الشقّ بشكل حرف Y على صدر أنستازيا وحافظتُ على تنفّسي ثابتًا، مانعةً نبضي من التسارع. كنّا بحاجةٍ إلى معرفة ما إذا كانت الخفافيش هي سبب موتها حقًا، أم أنّ هُنالك شيءٌ أكثر شرًّا أنهى حياتها أوّلاً.

نظرتُ إلى يديها: لم تكن هُنالك الكثير من الجروح الدفاعيّة، ووجدتُ صعوبةً في تصديق أنّ شخصًا مثل أنستازيا يستلقي ببساطة ويستسلم للموت دون القتال بكلّ ما لديه. لقد قاتلَت لكي تُعامَل

بمساواة، وقاتلَت لتُثبت قيمتَها لعمّها. مُقاتلةٌ مثلها لن تستسلم في المعركة الحاسمة. عزّزَت الفكرة معنويّاتي وشجّعَتني على الاستمرار.

"لاحظوا كيف يفصل السيّد هايل الأضلاع. شقوقٌ نظيفةٌ جدًا."

سلّمَ الأستاذ بيرسي قواطع الأضلاع لزميلنا ليأخذ المبضع منه. تقزّزتُ قليلاً عند كشف الأحشاء لكنّني ذكّرتُ نفسي أنّ هذه لم تعُد أنستازيا، بل ضحيّةً تحتاج إلينا. انبعثَت رائحة ثوم خفيفة عبر المكان بينما كان بيرسي يسير في أرجاء القاعة. ضيّقتُ عينيّ. قبل أن أتمكّن من طرح سؤالي فتحَ نوح الفكّين، ولم يكن هُناك شيءٌ غير عاديّ. ألقى توماس نظرةً تجاهي لم أفهم معناها.

تحرّكَ نوح حول الجثّة ليتفقّد تجويف البطن، واقتربَ بما يكفي ليشمّ الأعضاء ويسعل. "رائحة الثوم موجودة في أنسجة الجسم والفم سيّدي، رغمَ عدم وجود أثر للمادّة عليها. قد يكشف فحص محتويات معدتها المزيد."

توقّفَ بيرسي وانحنى لفحص الجثّة بنفسه. استنشقَ عدّة مرّات وهو ينتقل من الفم إلى المعدة، ثمّ هزّ رأسه مُخاطبًا الصفّ.

"في حالة تناول مواد سامّة نُلاحظ وجود رائحة أقوى في أنسجة المعدة، وهو بالضبط ما لدينا هنا، فرائحةُ الثوم غامرة بالقرب من معدة الضحيّة. هل يعرف أحدُكم أيّة علاماتٍ أخرى مُرتبطة بالتسمّم المُتعمّد

أو العرضيّ؟" رفعَ فينشنزو يده بعنف لدرجة أنه كاد ينقلب فوق الحاجز، وأمسكَ شقيقه بذراعهِ ليُثبّته.

"نعم سيّد بيانشي؟"

قال بلكنةٍ إيطالية واضحة وهو يبحث عن الكلمات الإنجليزية: "ستكون الكثير من... الإفرازات واضحة. كدفاعٍ طبيعيّ للجسم ضد... الهجوم الغريب."

"ممتاز." قال بيرسي وهو يأخذ ملقطًا مسنّنًا ليمرّره إلى نوح. "في أيّ مكانٍ آخر قد يجد المرء دلائل تسمّم؟"

تنحنحَ كِيبان قائلاً: "الكبد مكانٌ منطقيّ للفحص."

"صحيح." طلبَ بيرسي من نوح رفع العضو المعنيّ ومدّ له صينيّة العيّنات. كنتُ أعرف ذلك الشعور، حين يدفن المرء يديه داخل تجويف البطن ليُخرج كبدًا ناعمًا يتموّج بين أصابعه. كان من الصعب حمل وزنه بالملقط فقط، ولم يُظهر نوح أيّة عاطفة، رغمَ أنّ يديه لم تكونا ثابتتَين بالكامل. انزلقَ الكبد على الصينيّة ليُلطّخها بسائلٍ صدئ وابتلعتُ اشمئزازي.

رفعَ بيرسي الصينيّة ليسيرَ ببطء بين صفوف الطلاب مُتيحًا لكلٍّ منّا فرصة رؤية العضو. "لاحظوا اللون. يظهر اللون الأصفر عادةً بعد التعرّض لـ..."



تسارعَ قلبي مع أفكاري: "الزرنيخ."

التمعَت عينا بيرسي وهو ينظر إلى صينيّة الكبد بفخر كأنّه يُقدّم لنا الشاي في إناء خزفٍ صينيّ. "ممتاز آنسة وادزورث! تدلّ رائحة الثوم واصفرار نسيج الكبد على احتمال التسمّم بالزرنيخ. الآن وقبل القفز إلى الاستنتاجات يجب أن نُلاحظ ما يلي: الزرنيخ موجود في أغلب موادّنا اليوميّة. تحتوي مياه الشرب على كميّات ضئيلة منه، كما اعتادَت السيّدات على مزجه مع مساحيقهنّ الخاصّة لاستعادة مظهر الشباب."

ضممتُ يديّ، وعقلي يربط هذه المعلومات الجديدة بالضحيّة الأولى التي قابلناها في رومانيا: كان فم الرجل في القطار محشوًا بالثوم، لكن الرائحة أقوى بكثير من أن تنتج عن تلك الكمّية الصغيرة من النبات. كان يجب أن أحقّق في ذلك أكثر. من الواضح أنّ القاتل قد استخدمَ الثوم الحقيقيّ لإخفاء رائحة الزرنيخ المميّزة.

ركّزتُ على التنفس بشكل صحيح وغذّى تدفّق الأوكسجين عقلي. فكّرتُ في أعراض فيلهلم، وسرعة تحوّله من شابّ ذي سبعة عشر عامًا صحيح الجسد إلى جثّةٍ مُلقاة تحت نصلي في المختبر. لم يُسجّل أيّ سببٍ للوفاة في قضية فيلهلم. كان دمهُ المفقود بمثابة إلهاء وهي فكرةٌ جيّدة، فقد انشغلتُ بإثبات أنّ وجود مصّاصي الدماء مستحيلٌ علميًا ولم يخطر لي فحص كبده. حتّى بيرسي تركَ ذلك يجذب انتباهه بعيدًا عن فحص

الأعضاء الأخرى. فكّرتُ في أعراضٍ أخرى للتسمّم بالزرنيخ: تلوّن أو طفحٌ جلديّ، تقيّؤ، كلّها موجودة بانتظار مَن يجمعها في معادلةٍ بسيطة لا أكثر. مَن خطّطَ لجرائم القتل هذه فعلَها ببراعة، حتّى توماس لم يجد الخيط الذي يربطها معًا. من المحتمل أنّ الجاني علمَ بأنّ توماس لن يكون حادّ البصيرة كعادته، فالخوف من كشف نسبِهِ أعاقَ تفكيره بطريقةٍ لم يعتَدها. يبدو هذا القاتل أكثر دهاءً من جاك السفّاح.

لم نقُم بفحص جثّة الخادمة، لكن حسب التوأمَين بيانشي لم تظهر عليها علامات قتل خارجيّة، وليسَ من الصعب استنتاج أنّها قد تعرّضَت للتسمّم أيضًا.

أنستازيا، فيلهلم، الرجل من القطار، وأخيرًا الخادمة، لم تبدُ بينهم صلةٌ ظاهريّة بسبب أسباب الوفاة التي بانَت مختلفة: الخوزقة وفقدان الدّم. لكنّ كلا السببَين كانا مجرّد إلهاءاتٍ استفزازيّة تمّ إجراؤها إمّا بعد الوفاة وإمّا قبل الموت بقليل، لتأجيج المشاعر في مجتمعٍ ذي إيمانٍ عميق بالخرافات.

لم يكن هناك أكثر من قاتل واحد، شخصٌ يتمتع بمعرفة السموم ولديه فرصة تقديمها لكلّ ضحيّة. ابتلعتُ ريقي بصعوبة. مَن فعلَ هذا ذكيٌّ وصبور، وانتظرَ وقتًا طويلاً لتنفيذ خطّته، لكن لماذا الآن...

"آنسة وادزورث؟"



عدتُ إلى الحاضر وخدّاي يحترقان. "نعم أستاذ؟"

تمعّن بي بيرسي عن كثب وهو يخيط باستخدام إبرة هاجيدورن[1] كبيرة. "كانت غرزُكِ في ذلك اليوم نموذجيّة. هل ترغبين في مُساعدتي بخياطة الجثّة؟"

لم ينبس أحدٌ في الفصل ببنت شفة. كانت الأجواء في غاية البُعد عن سخرية وضحك الأيام السابقة: لقد جمعَتنا الآن مرارة الفَقد والتصميم. ألقيتُ نظرةً على الفتاة التي كانت صديقتي ووقفت. "نعم سيّدي."

1- إبرة هاجيدورن: إبرة خياطة الجلد البشري التي اخترعها الجراح الألماني فيرنر هاجيدورن في القرن التاسع عشر. (المُترجِم)



32

عقاقيرٌ وسموم



درس الفولكلور

قلعة بران

17 ديسمبر 1888

وقفَ الحراس خارج قاعة الدرس وأعينُهم تنظرُ إلى لا شيء، مع ذلك كانوا مُتيقّظين بما يكفي لتوجيه ضربة في أيّة لحظة، رغمَ أنّ رادو لم يهتمّ لوجودهم. لقد واصلَ درس الفولكلور كما لو أنّ القلعة لم تعجّ بالحرس الملكيّ والطلاب المفقودين أو المقتولين. إمّا أنه كان موهوبًا للغاية في إخفاء التأثّر، وإمّا أنه حقًا ضائعٌ في خياله، عالقٌ في مكانٍ ما بين الخرافة والواقع.

لقد مرّ يومان على اكتشاف أنّ أنستازيا هي ضحيّة الأنفاق، وقام المُدير بإغراق القلعة بالحرّاس. لم أستطع تحديد ما إذا كان وجودهم يُريحني أو يُخيفني أكثر.



"في ضوء الاكتشافات الأخيرة سيكون درسنا التالي عن الفيلسوف والعالِم ألبرتوس ماغنوس. تقول الأسطورة أنهُ كان أفضل كيميائيّ على الإطلاق، ويعتقدُ البعض أنهُ ساحر." قلّبَ رادو صفحات كتاب "المعادن" القديم الذي أخذه من المكتبة قبل أيام وتابع: "لقد درسَ أعمال أرسطو، هذا الرجل الجليل. يُقال أنه اكتشف الزرنيخ." رفعَ نوح يده بشجاعة وقفزَ رادو مسرورًا. "نعم سيّد هايل؟ هل لديكَ شيءٌ تُقدّمه عن موضوع وأسطورة السيّد ماغنوس؟"

"أتفهّمُ التحدّث عن الزرنيخ بسبب جرائم القتل سيّدي، لكن ما علاقة هذا بالفولكلور الرومانيّ؟"

رمشَ رادو عدة مرات وهو يفتح فمه ويُغلقه. "حسنًا... من الأساسي فهم بعض الأساطير التي تتضمّن موضوع درس اليوم: جماعة التنّين. في قمّة نشاطها كان أداء الجماعة جيّدًا في أماكن مثل ألمانيا وإيطاليا. يعتقد البعض أنّ تصاعد مراتب أعضائها من النبلاء كان بسبب مُمارساتهم السرّية باستخدام الزرنيخ لتسميم أهدافهم ببطء."

رفعتُ حاجبي باهتمام. لقد عُرفَ الزرنيخ باسم 'مسحوق الميراث' في إنجلترا، بسبب استخدامه من قبل النبلاء الذين أرادوا نيل لقبٍ ما بشكلٍ أسرع ممّا سمحَت به الوفاة الطبيعية. سأل كِيان: "هل تقصد أنّهم كانوا مجرّد مجموعةٍ من القتلة الخيميائيين النبلاء؟ اعتقدتُ أنّهم

قاتلوا أعداء المسيحيّة." "عجَبي عجَبي، أحدُهم قامَ بالبحث! لقد أبهرتَني سيّد فاريل. ممتاز." نفخَ رادو صدره وسار صعودًا وهبوطًا بين صفوف المقاعد. "بعد وفاة سيجسموند المجريّ أصبحَت للجماعة أهميّة كبيرة في هذا البلد وجيرانه، وبدرجةٍ أقلّ في مناطق غرب أوروبا. كان العثمانيّون يغزون ويُهدّدون البويار... آه، نعم سيّد فاريل؟"

"ما هُم البويار بالضبط سيّدي؟"

"أوه! البويار هم الأعضاء الأعلى رتبةً في الطبقة الأرستقراطيّة تحت أمراء والاشيا. كانوا يتنازعون على لقب الأمير، وكان نظامنا الحاكم فاسدًا بشكلٍ ميؤوس منه."

سألتُه: "ألا يجب أن ينتقل لقب الأمير إلى الشخص التالي في العائلة؟"

شخرَ أندريه بفتور وتجاهلتُه. قد يعرف القواعد الخاصّة ببلده لكنّني لم أعرفها ولم أشعر بالخجل من الاستفسار.

هزّ رادو رأسه. "لم تجرِ الأمور هُنا بهذه الطريقة في العصور الوسطى. كان بإمكان الأولاد غير الشرعيّين المُطالبة بلقب الأمير. في الواقع لقد تمّ إضفاء الشرعيّة على مُعظم المولودين من سلالة دانيشتي ودراكولشتي عندما عيّنَهم البويار على العرش. لم يكن الدّم النقيّ شرطًا للحُكم؛ بل احتاجوا ببساطةٍ إلى جيشٍ شرس. يختلف هذا كثيرًا عمّا



اعتدتِ عليه في لندن، حيث كان الكثير من الأقرباء يقتلون بعضهم البعض من أجل حقّ الحُكم."

لم أرَ اختلافًا كبيرًا عن إنجلترا في النهاية.

قال إيريك بلكنةٍ روسيّة واضحة: "أولئك الذين عارضوا الفساد والصراعات الداخليّة ارتقوا في صفوف الجماعة. أفترضُ أنّهم كانوا خائفين من ضياع ثقافتهم أمام القوّات الغازية."

"بالضبط، أنتَ على حقّ. رغمَ أنّ الجماعة عملوا بسرّية وبلا إسم فقد تجمّعوا وكافحوا من أجل حرّيتهم وحقوقهم. تقول الأساطير أنهم كانوا شرسين، آخذينَ على عاتقهم القضاء على التهديدات من داخل المملكة وخارجها. هناك أيضًا قصصٌ عن رغبتهم في توحيد البلاد، عبر القضاء على الاقتتال الداخلي بين السلالتَين الملكيّتَين."

نظرنا أنا وتوماس إلى بعضنا، وانجرفَت حواسّي لذلك القول. هذا بالضبط ما قلقتُ بشأنه. رفعتُ يدي.

"آه! نعم آنسة وادزورث؟ ماذا لديكِ لتُضيفيه إلى المناقشة؟ لا أستطيع إخباركم بمدى سعادتي لاهتمام الجميع بدرس اليوم، أكثر حيويّةً بكثير من درس الستريغوي."

"عندما تقول 'العائلة المالكة' فأنتَ تُشير إلى آل باسراب، أليس كذلك؟ وليسَ العائلة المالكة الحاليّة؟"



"تفصيلة رائعة. العائلة المالكة الحاليّة لا علاقة لها بآل باسراب بأيّ شكلٍ من الأشكال. عندما أقول 'العائلة المالكة' فأنا أقصدُ نسب فلاد دراكولا وأسلافه. أنا أقومُ بتركيز دروسنا على الأساطير المُحيطة بتاريخ قلعتنا المُثير في العصور الوسطى، ونتعامل في الغالب مع سلالة دراكولشتي. آخر مرّة حكمَ فيها نسل فلاد دراكولا كانت في القرن السابع عشر، وتمّ دفع الناس للاعتقاد بأنّ أحفاده قد رحلوا جميعًا."

تحوّل تركيزه صوب توماس. "مع ذلك، لا يزال هُناك مَن يعرف الحقيقة في رومانيا."

سأل كِييان متكئًا على مرفقيه: "هل تعمل جماعة التنّين اليوم؟ هل هُناك أعضاء جدد؟"

"هُناك -" سكتَ رادو وحكّ رأسه. "إنها لا تعمل منذ زمن طويل. أعتقدُ أنّهم توقّفوا في نفس الوقت الذي خسرَت فيه عائلة باسراب منصب الأمير، رغم وجود عائلة تدّعي انحدارها من هذا الخط، وهُم في الواقع بويار هنا اليوم. الآن وقبل أن نبتعد كثيرًا عن الموضوع لديّ بعض القصائد القديمة التي تُظهر مهارة ومُكر الجماعة. لم يكن الزرنيخ الحيلة الوحيدة التي استخدموها في التخلص من أعدائهم."

مرّرَ ورقتَين من المخطوطات لكلّ واحد منا، عليها قصائدٌ باللغة الرومانيّة ترجمَها إلى الإنجليزية.



"آه! أحبُّ هذه، تُذكّرني بالمرّة الأولى التي قدّمَني فيها والداي... حسنًا لنترك ذلك، إحم.

ينتحب السادة، وتبكي السيّدات

في نهاية المطاف يقولون وداعًا.

تتغيّر الأرض وتظهر كهوف

عميقةٌ فيها، دافئةٌ كالجحيم.

ينسابُ الماء باردًا، عميقًا وبسُرعة،

داخل جدرانها لن تصمدَ طويلًا.

تجمّدَ الدم في عروقي. لم تكن الكلمات مُطابقة تمامًا لكنّها تشبه بشكل كبير الترانيم التي سمعتُ مقتطفاتٍ منها خارج غرفتي. ضاقَت عينا توماس وتراجعَ في مقعده وهو يقول: "عفوًا أستاذ، ما عنوان هذه القصيدة؟"

رمشَ رادو عدة مرات وارتفعَ حاجباه الكثيفان. "سوف نصل إلى ذلك في لحظة، سيّد كريسويل. نُسِخَ هذا النص من كتاب نادر ثمين يُعرف باسم 'قصائد الموت'. لقد اختفى الكتاب الأصلي، أمرٌ غريب ومؤسفٌ حقًا." شعرتُ بنظرة توماس تجاهي لكنّني لم أجرؤ على ردّها. كان في حيازتنا نفس الكتاب الذي بحثَ عنه دانيشتي، أمّا كيف وصلَ إلى تلك المرأة المفقودة من القرية فهو لغزٌ آخر نُضيفه إلى قائمة الألغاز

المُتنامية. قامَ الأخوان بيانشي بخربشة ملاحظات في دفاترهم. يبدو أنّ الدرس أصبحَ أكثر إثارةً لاهتمامهم مع ذكر الموت، وبالكاد استطعتُ كبت حماسي. قد تستحقّ حكايات رادو العناء في النهاية.

سألتُه: "هل هذا النصّ مقدّسٌ للجماعة؟"

"بلى. تمّ استخدام محتوياته من قبل جماعة التنّين كنوعٍ من... حسنًا... استخدموه لتخليص القلعة من أعدائهم خلال العصور الوسطى. هل تعرف شيئًا عن ذلك سيّد كريسويل؟ كأحد أفراد الأسرة المتبقّين - والسرّيين كما أعتقد - فعائلتُك تعرف المزيد عن هذا النصّ. لا بدّ أنّ تعليمك استثنائيّ."

لم تفُتني ملاحظة تقلّص جذع توماس، وتحرّك زملاؤنا في الفصل بقلق في مقاعدهم. كان ذلك الكشف مُقلقًا حتى لأولئك الذين درسوا الموتى. لا عجب أنّ توماس رفضَ مُشاركة سرّ أسلافه، لقد خلّصهُ إخفاء صلته بفلاد دراكولا من الازدراء العامّ. يبدو أنّ رادو قد أجرى بعض الأبحاث حول نسَب والدة توماس. ارتعدَ جسدي بترقّب: كان رادو أقلّ سذاجةً بكثير مما بدا عليه.

رفع توماس كتفه، متقمّصًا دور الذي لا يهتمّ قيد أنملة بشأن موضوع المحادثة أو التوتّر الذي سادَ أجواء الغرفة. لقد حوّلَ نفسه إلى آلةٍ بلا عاطفة، تضعُ درعًا ضد الأحكام المُسبقة. نظرَ نيكولاي إلى ورقته



ولم يكلّف نفسه عناء النظر إلى قريبهِ البعيد. تخيّلتُ أنهُ كان يعرف مَن توماس ولم يُخبر أحدًا بذلك.

قال توماس: "لا يُمكنني القول أنّ القصيدة مألوفة، أو مُثيرةٌ للاهتمام حتّى. رغمَ اعتقادي أنه إذا استُخدمَت ضد أعداء فقد تقتلُهم بمرور الوقت. سطرٌ آخر من هذا الكتاب قد يقتلني أنا شخصيًا من الملل."

"لا لا، سيكون ذلك مؤسفًا للغاية! لن يسعد مولدفانو إذا تسبّبتُ في وفاة طلّابه." غطّى رادو فمه بيده وعيناه جاحظتان. "مع ذلك فإنّ هذه الكلمات جاءَت في توقيتٍ سيّء، بعد موت فيلهلم وأنستازيا، والآن ماريانا."

"مَن ماريانا؟" سأل توماس.

قال رادو: "الخادمة التي تمّ اكتشافها في ذلك الصباح."

زمّ شفتَيه وهو يُراقب التوأمَين بيانشي يتحرّكان في المقاعد. لقد نسيتُ أنّ زميلَينا اكتشفا جثّتها. دراسة الموتى والعثور على الجثث خارج المختبر شيئان مختلفان، ومن الصعب تجاوز الأخير ببساطة. كنتُ أعرف جيّدًا شعور ذلك الاكتشاف.

"ربّما هذا كافٍ لدرس اليوم."

قرأتُ الصفحة الثانية من الشعر وأنا أسحبُ نفسًا عميقًا. كنتُ بحاجةٍ إلى المزيد من الإجابات قبل انتهاء الحصّة. "أستاذ، القصيدة التي قرأتَها عنوانها XI. لا يبدو أنّ لأيٍّ من القصائد عنوان غير الأرقام الرومانيّة. لماذا هذا؟"

نظرَ رادو بين الصفحة والفصل وهو يمضغ شفته. بعد لحظة دفع نظارته على أنفه قائلاً: "أعتقدُ أنّ الجماعة استخدمَت هذا كترميز. تقول الحكايات إنّهم وضعوا علاماتٍ على ممرّاتٍ سرّية تحت هذه القلعة، وخلف الأبواب المُرقّمة برقمٍ معيّن سيكون هناك... حسنًا، أنواع من الأجهزة أو الفخاخ الرهيبة التي يهلكُ بها أعداؤهم."

"هل يُمكن أن تُعطينا أمثلة؟" سأل إيريك بالروسيّة ثم بالإنجليزيّة.

"بكلّ تأكيد! سيبدو أنّهم ماتوا لأسباب طبيعيّة، لكنّ الطريقة التي وصلوا فيها إلى حتفهم ليسَت طبيعيّة مطلقًا. يُشاع أنّ فلاد - وهو أحد أعضاء الجماعة مثل والده - كان يُرسل نبيلًا تحت القلعة بِوعد العثور على كنز هناك، وفي أحيانٍ أخرى يُرسل البويار الفاسدين إلى تلك الغرف للاختباء، مُدّعيًا وجود جيش خارج أسوار القلعة وأنّ عليهم الاحتماء. كانوا يتّبعون تعليماته ويدخلون الغرف المحددة ليُقابلوا حتفهم. يُمكنه بعدها نقل خبر وفاتهم كحادثٍ مؤسف إلى البويار الآخرين، رغمَ تأكّدي من شكّهم في ذلك.



كان يتمتّع بسُمعةٍ في القضاء على فساد هذا البلد بطرقٍ لا ترحم."

ضاقت عينا توماس وانصبّ تركيزه الآن على رادو، كما لو كان جروًا جائعًا مع عظم. كنتُ أعرف بالضبط ما يعنيه ذلك التعبير.

سألتُه: "لكن ماذا عن الشعر؟ ماذا يعني لأعضاء الجماعة؟"

أشارَ رادو إلى المخطوطة بحرصٍ على عدم تلطيخ الحبر. "خذوا هذا مثلًا." قام بترجمة النص من الرومانيّة إلى الإنجليزيّة مرّةً أخرى:

XXIII

أبيض، أحمر، شرٌّ، أخضر،
ما يسكن هذه الغابة يبقى خفيًا.
تجول التنانين وتحوم في الجوّ،
لتُمزّق المُقتربين من مخبئه.
لتأكُل لحمَك وتشربَ دمَك
وتترك بقاياكَ في الحوض.
عظمٌ أبيض، دمٌ أحمر،
على هذا الطريق ستموت قريبًا.

"يعتقد البعض أنّ هذه القصيدة تُشير إلى مكان اجتماع سريّ للجماعة، يقع في الغابة، حيث يقيمون طقوس موت الأعضاء الآخرين.

يعتقدُ البعض الآخر أنه يُشير إلى سردابٍ تحت القلعة، وبمجرّد دخول ضيف إلى داخله يتمّ حبسهُ من قبل الجماعة حتى يتعفّن. سمعتُ القرويين يزعمون أنّ عظام الضيوف قد تحوّلت إلى موقعٍ مقدّس."

"أيّ نوع من المواقع المقدّسة؟"

"آه، موقعٌ تُقدَّم فيه القرابين للأمير الخالد، لكن لا تُصدّقوا كلّ ما تسمعون. إن عبارة التنانين تحوم في الجوّ مجازيّة، والمقصود بها أنّ الجماعة تتحرّك خلسةً لتُطارد وتحمي ما هو ملكها: أرضها، حُكّامها المُختارون من الربّ وأسلوب الحياة خاصّتها. تتحوّل الجماعة إلى مخلوقاتٍ شرسة تأكلك وتترك عظامك، بمعنى أنهم يقتلونك ولن تبقى منك سوى رفاتك."

سألتُه: "هل تظنّ أنّ جماعة التنين تُحافظ على الأنفاق حتّى يومنا هذا؟"

"عجيب، لا أظنّ ذلك." قال رادو وهو يضحك بصوتٍ عال. "رغمَ أنني لا أستطيع الجزم. كما ذكرنا سابقًا فقد شكّلَت الجماعة نفسها في البداية على غرار الصليبيّين. في الواقع، لقد أصبح سيجسموند ملك المجرّ إمبراطورًا رومانيًّا مقدّسًا فيما بعد."

قبل أن يتحدث رادو عن الصليبيّين طرحتُ سؤالًا آخر: "ما طرق الموت التي احتوَتها الأنفاق؟"



"آه، دعينا نرى آنسة وادزورث. لقد احتوت بعض الممرّات على خفافيش، وأخرى على عناكب، كما يُقال أنّ الذئاب طاردَت ممرّاتٍ أخرى. تزعم الأساطير أنّ الطريقة الوحيدة للهروب من حجرة الماء هي تقديم القليل من الدّم للتنّين." ابتسم بأسى. "لن تعيش المخلوقات تحت الأرض دون مصدر غذاء أو رعاية. إذا كانت الممرّات موجودةً اليوم فهي على الأغلب غير خطرة، رغمَ أنني لا أقترح البحث عن أيّ شيءٍ مذكور في هذا الكتاب. معظم الخرافات لها أساسٌ في الواقع. خذوا مثلاً الستريغوي، لا بدّ من وجود جانبٍ من الحقيقة وراء هذه الشائعات."

وددتُ الإشارة إلى أن أساطير الستريغوي جاءت على الأرجح نتيجة عدم دفن الجثث عميقًا بما يكفي خلال فصول الشتاء، فتنتفخ الجثث بالغازات وتندفع خارج قبورها؛ أضِف إلى ذلك انحسار نهايات الأظافر الذي جعل الأيدي تبدو مثل المخالب، مُرعبةً وتشبه أصابع مصّاصي الدماء. بالنسبة للجهلة فقد بدا الأمر كأنّ أحبّاءهم يحاولون تسلّق قبورهم، وأثبتَ العلم أنّ هذه مجرّد خُرافة. دقّت الساعة مُعلنةً نهاية الدرس ودخول الحرّاس لمُرافقتنا، فجمعتُ الأوراق التي أعطاها لنا رادو ووضعتُها في جيبي. قلتُ وأنا أراقبه عن كثب: "شكرًا لك أستاذ. لقد استمتعتُ بهذا الدرس."

ردّ رادو: "من دواعي سروري، أشكرُك. لديّ الآن - هل الساعة الثالثة حقًا؟ آملُ أن أصل إلى المطابخ قبل الاستراحة في غرفتي. إنهم يصنعون كعكاتي المفضّلة. ها أنا ذاهب!" حمَلَ حفنةً من الكتب من طاولته واختفى خارجًا.

التفتُّ إلى توماس، مستعدةً لمُناقشة كلّ ما عرفناه واحتمال تورّط رادو، عندما لوّح لنا دانيشتي من المدخل. ابتسمَ ابتسامةً عريضة بوجه توماس، ساخرًا منه بطريقةٍ لن يُقاومها.

"هيّا، ليسَ أمامنا اليوم بطوله."

سحبَ توماس نفسًا عميقًا. لقد فاقَ الإزعاج طاقة تحمّله، وقبل أن يتاح لي وقت الردّ فتحَ فمهُ الملعون: "الكلاب تفعلُ ما تؤمَر به. ليس لديها ما تفعله سوى الجلوس وانتظار أوامر السيّد التالية."

"إنها تعضّ أيضًا عند استفزازها."

"لا تتظاهر بأنّ مُرافَقتي جيئةً وذهابًا ليسَت أهمّ ما في يومكَ البائس. للأسف لم تفعل الشيء ذاته لتلك الخادمة المسكينة، رغمَ أنّ التحديق في وجهي أجمل بكثير." قال توماس وهو يُمرّر يده عبر خصلات شعره الداكنة. "على الأقل أعلمُ أنّني لستُ في خطر مواجهة مصّاص دماء، لأنّكَ مشغولٌ في الإعجاب بي. مجاملةٌ حسنة، شكرًا لك."



تحوّلت ابتسامة دانيشتي إلى ابتسامةٍ قاتلة. "آه، كنتُ أنتظرُ هذا." نادى بالرومانيّة ليدخل أربعة حرّاس آخرين قاعة الدرس التي خلت من الطلاب عدانا. "اصطحبوا السيّد كريسويل إلى الزنزانة للساعات القليلة القادمة. يجب أن نُظهر له أصول الضيافة الرومانيّة."

عزيزتي وادزورث،

لقد خرجتُ أخيرًا من الجحيم الرّطب الذي يُكرّمونه باسم "الزنزانة". أجلسُ الآن في غرفتي، وأفكّرُ في تسلّق جدران القلعة للتسلية. سمعتُ الحراس يتحدثون ويبدو أنّ هذه الليلة قد تكون أفضل فرصةٍ لنا للتسلّل في الغابة، بحثًا عن الجثّة التي تمّ جرّها عبر الأنفاق في تلك الليلة.

على عكس المُدير المُوقّر فأنا لا أعتقدُ أنّكِ اخترعتِ هذا السيناريو، وأخشى أنّنا قد نكون مُخطئين جدًّا بشأن تورط إيليانا. ربّما تكون الفتاة ضحيّةً أخرى، وهناك طريقةٌ واحدة فقط للتأكّد. إذا لم تسمعي المزيد عنّي فذلك لأنّني أتسلّل عبر الممرّات، في الطريق إلى غرفتك.

المُخلص لكِ دومًا، كريسويل.

33

جحيمٌ رطب



غرف البرج
قلعة بران

17 ديسمبر 1888

يا له من شابّ دراميّ. إذا كان توماس الآن في غرفته يكتب لي رسالةً فهذا يعني إنه لم يقضِ إلّا وقتًا قصيرًا في الزنزانة. انتهيتُ من صياغة ردّي وقمتُ بطيّه مُضيفةً بعض الشمع الأحمر وضغطتُ عليه بالختم الأحمر الذي يحمل اسمي.

"من فضلكِ خُذي هذه إلى توماس كريسويل." حدّقَت بي الخادمة الجديدة بعدم فهم فحاولتُ ثانيةً بالرومانيّة، على أمل أن تكون لغتي دقيقة. كان عقلي في عدّة أماكن في وقتٍ واحد. هذه المرّة فهمَت الخادمة طلبي ثمّ عرضَت عليّ المُساعدة في تغيير ملابسي، لكنني رفضتُ بلُطف لبساطة ثوبي. أومأت الخادمة برأسها قبل أن تلصق الرسالة خلف غطاء



الأواني الذي كانت تحمله وهي تخرج من غرفتي، ودعوتُ أن تُسلّمها دون ملاحظة الحرّاس.

كنتُ أذرع السجادة في غرفتي الرئيسيّة مشيًا وعقلي يتخبّط بين تفاصيل اليوم الأخيرة. لم أعرف من أين أبدأ بفكّ تشابك الخيوط الجديدة. قد يكون القاتل رادو أو إيليانا. رادو لمعرفته بالسموم، وإيليانا لقُدرتها على دسّها في وجبات الطعام. لكن بتعليمها البسيط هل كان لديها فهم كافٍ للتعامل مع شيءٍ مثل الزرنيخ؟ وهل أتيحت الفرصة لرادو لإطعامِهِ للطلّاب؟ لقد اعتقدَ توماس أنّ إيليانا ضحيّة، ممّا جعل رادو المُشتَبه به الرئيسيّ. شعرتُ بشيءٍ مُزعج في داخلي. لا زال عندي حدس بأنّ إيليانا متورّطة بطريقةٍ ما لم أستطع شرحها.

كنتُ قد ارتديتُ بزّة الركوب لأتخلّص من حجم تنّورتي وأنا أواصلُ السير في أنحاء الغرفة في ملابسي الجديدة.

لكن مَن غير إيليانا يعرفُ أنّ توماس سينشغل بِعار سلالته؟ كيف يعرفه شخصٌ هنا بما يكفي لاستخدام ذلك ضده وتشتيت أسلوبه المميّز في الاستنتاج؟ ربّما حصلَت إيليانا على المعلومات من داسيانا وكانت تستغلّها طيلة هذا الوقت. توقّفتُ عن المشي. هذا ليسَ صحيحًا أيضًا؛ لا يُمكن التظاهر بحبٍّ قويّ لتلك الدرجة بسهولة، ممّا أعادَني إلى أستاذنا. لا يُمكن لأيّ بحثٍ يقوم به رادو أن يكشف أسرار شخصيّة

توماس. ربّما كان ذلك مجرّد ضربة حظّ، هديّة سماويّة. هناك فكرةٌ أفضل: قد يكون القاتل شخصًا لم نتعامل معه على الإطلاق. انزلقَت قشعريرة أسفل ظهري. لقد أرعبَني تخيّل قاتل بلا وجه، يملك المهارة والحظّ معًا.

انقضَت نصف ساعة بلا علامة على توماس، فجلستُ على طاولة الكتابة خاصّتي ورفعتُ قلمًا من محبرة. لقد وعدتُ أبي بأنّني سأكتب إليه ولم أتمكّن بعد من تكوين رسالة مناسبة. حدّقتُ في الورقة الفارغة، غير متأكّدة ممّا يجب كتابته. لم أستطع ذكر جرائم القتل له. لقد باركَ أبي وشجّعَ مُتابعة تعليمي في الطبّ الجنائيّ حتى الآن، لكنه لو علمَ بالجثّة التي وجدناها في القطار لأعادَني إلى لندن على الفور.

شدّ ضجيجٌ خافت انتباهي نحو النافذة، وبدا الأمر كأنّ حيوانًا كان يعدو فوق السطح. قمتُ من كرسيّي وحدّقتُ في العالم الثلجيّ الذي حاصرهُ الظلام. خفقَ قلبي بانتظار رؤية وجهٍ مروّع يُحدّق بي بعينَين بيضاوين لا تطرُفان، لكن شيئًا لم يحدث من هذا القبيل. من المحتمل أن تكون قطعة ثلج أو جليد تتدحرج على السطح، أو عصفورًا يبحث عن مأوى من العاصفة. تنهّدتُ جالسةً على مكتبي، لن أكفّ أبدًا عن خلق الأشرار من الظلال.



دحرجتُ القلم بين أصابعي مُحاولةً التفكير في أيّ شيء غير الغول ومصّاصي الدماء والأشخاص البارعين في السموم. كدتُ أنسى أنه موسم الكريسمس، وقت الفرح والحبّ والعائلة. من الصعب تذكُّر وجود حياة طبيعيّة خارج ذلك الموت والخوف والفوضى.

حدّقتُ في صورة أبي وأمّي، سامحةً للذكريات الدافئة بإذابة الأجزاء العلميّة الباردة مني. تذكّرتُ كيف كان أبي يطلب من الطبّاخ سلّة حلويات لنأكلها قبل أن يلعب الغميضة معنا في متاهة ثورنبراير. كان يضحكُ كثيرًا وبحُرّية في ذلك الوقت، ولم أدرك أبدًا كم سأفتقدُ هذا الجزء منه بمجرّد موت والدتي. كان في طور الخروج ببطء من ذلك العدَم المُقفر الذي يعقبُ فُقدان جزءٍ من الروح، لكنّني قلقتُ من وقوعه في عاداته السيّئة من جديد بعد أن باتَ لوحده. من الآن فصاعدًا تعهّدتُ أن أكتبَ إليه كثيرًا لإبقائه مشغولًا بالأحياء، إذ كنّا مُحاطين بما يكفي من الموت.

عملتُ بنصيحة أخي القديمة ونسيتُ القتل والموت لبضع لحظات، لأتذكّر جمال الحياة حتى في أحلك الساعات. فكّرتُ في عظمة هذا البلد، في تاريخ حُكّامه وعُمرانه، وفي اللغة الرائعة لشعبه والطعام وحبّهم لصناعته.

أبي العزيز،

مملكة رومانيا ساحرةٌ حقًا. أوّل ما فكرتُ فيه عند رؤيتي لقلعة بران وأبراجها هي قصص الأطفال تلك التي كنتَ تقرأها أنت وأمّي لنا قبل النوم، كما ذكّرَتني قطع البلاط على الأبراج بحراشف التنّين. بتُّ أتوقّع قدوم فارسٍ على صهوة حصانه في أيّة لحظة. (رغمَ أنّ كلينا يعلم أنّني غالبًا سأستعير حصانه للبحث عن تنّين أذبحُه بمفردي، ولن يُمانع ذلك إذا كان حقًا فارسًا نبيلًا).

جبال الكاربات من أروع الجبال التي رأيتُها، ولا أطيق الانتظار لأرى هذه الأرض خلال فصل الربيع. أتخيّل أنّ الجبال المغطّاة بالجليد ستطفح بالخُضرة. أظنّكَ ستستمتع بقضاء عطلةٍ هنا.

لديهم مُعجّنات لحوم رائعة، مليئةٌ بالفطر اللذيذ وجميع أنواع التوابل. لقد أكلتُها كلّ يومٍ تقريبًا حتّى الآن! في الحقيقة معدتي تشتهيها بمجرّد ذكرها، سوف أجلبُ بعضًا منها حين أعود.

أتمنّى أن تكون بخيرٍ في لندن. أفتقدُكَ بشدة ولديّ صورةٌ لك أتمنّى لها ليلةً سعيدة قبل النوم. قبل أن تتساءل سأقولُ أنّ السيّد كريسويل رجلٌ مثاليّ، لقد أخذ واجباته على محمل الجدّ وهو رفيقٌ شديد البأس. ستكون فخورًا به. لقد دعَتنا أخته الآنسة داسيانا كريسويل إلى حفلة عيد الميلاد في بوخارست. إذا سمح الطقس فسنمضي وقتًا رائعًا. أتمنّى



أن أتمكّن من العودة إلى المنزل في العام الجديد. أرجو أن تنقل حبّي للعمّة أميليا وليزا، وأن تعتني بهم وبنفسك.

سأكتبُ مرةً أخرى قريبًا. أتعلّمُ الكثير هنا في الأكاديميّة ولا أستطيع شكركَ بما يكفي للسماح لي بالدراسة في الخارج.

ابنتك المُحبّة، أودري روز.

ملاحظة: كيف حال عمّي؟ أتمنّى أن تكون قد واصلتَ اللقاء به ودعوته لتناول العشاء. قد تكون هذه جرأةٌ منّي لكن أريدُ القول أنّكما بحاجةٍ لبعضكما البعض، خاصّةً خلال هذا الموسم العصيب. عيد ميلاد مجيد يا أبي، أتمنى لكَ أخبارًا سعيدة للعام الجديد 1889! لا أصدّق أنّهُ وشيك الحلول. هُناك شيءٌ جميل في بداية العام الجديد، وآملُ أن يكون بشيرَنا ببدايةٍ جديدة. سوف

ارتطام. ارتطام.

تناثرَ الحبر عبر الكلمات الأخيرة على الصفحة ليُفسد كتابتي، خلال اندفاعي بعيدًا عن المكتب بسرعةٍ قلبَت كرسيّي. كان هُناك شيءٌ ما على السطح. لقد علمتُ أنه جنون، لكنّني تخيّلتُ مخلوقًا شبيهًا بالبشر نهض لتوه من القبر، ورائحة الأرض فيه تُغلّف حواسّي بينما انبثقَت أنيابه جاهزةً لاستنزاف دمي.

سحبتُ نفسًا سريعًا واندفعتُ إلى دُرج أدوات التشريح لأنتزع أكبر منشار عظام أمامي وأحمله. ماذا بحقّ الملكة -

ضجيجٌ آخر. بدا الأمر كأنّ نفس الشيء يشقّ طريقه خلال السقف المكسوّ بالبلاط الأحمر. مرةً أخرى هاجمَت حواسّي صورة ستريغوي، مخلوق بشريّ بلحمٍ ميّت رماديّ ومخالب سوداء تقطر دم آخر وجبةٍ له، في طريقه إلى غرفتي ليفترس من جديد. رغبَ جزءٌ مني في الاندفاع نحو الممرّ ومُناداة الحرّاس.

ارتطام، ارتطام، ارتطام. دقّ قلبي ضعفَ دقّاته الطبيعيّة. كان صوت وقع خطوات ثقيلة. أيًّا كان مَن على السطح فقد ارتدى حذاءً سميك النعل. تلاشَت صور مصّاصي الدماء والمُستذئبين أمام صور بشرٍ أشرار نجحوا في قتل خمس ضحايا على الأقلّ.

تراجعتُ نحو المنضدة خاصّتي دون رفع نظري عن النافذة، وخفضتُ المنشار لإطفاء مصباح الزيت. حلّ الظلام، على أمل جعلي غير مرئيّة لذلك الزاحف ببطء على السطح.

انتظرتُ والرّعب يقبضُ على أنفاسي. في البداية لم أرَ سوى تيّاراتٍ من الثلج الكثيف يتساقط على نافذتي، واستبدلَ وقع الأقدام الثقيل صوت انزلاق غامض، ثمّ حدثَ ذلك فجأةً. حجبَ ظلٌّ مُعتمٌ كالفحم العالمَ الثلجيّ في الخارج، قبل أن يهزّ عتبة نافذتي بقوّةٍ هائلة بالكاد صمدَ



المزلاج الصغير أمامها. أصابَني الخوف بالشلل. ذلك الدّخيل على بُعد ثوانٍ من تحطيم الزجاج أو المزلاج الضعيف.

حملتُ المنشار وخطوتُ خطوةً صغيرة إلى الأمام، ثم أخرى. ضاعفَت الضربات على زجاج النافذة من سرعة نبضي وأنا أقتربُ من النافذة، حتّى سمعتُ صوت الشبح وهو يضرب ويسبّ. دقّت يدٌ بقفّاز على الزجاج، فرميتُ المنشار وتحرّكتُ بسرعة لأفتح النافذة وأمسكُ به، كأنّها مسألة حياة أو موت.

34

مغامرةٌ ليليّة تعيسة



غرف البرج

قلعة بران

17 ديسمبر 1888

"هل فقدتَ عقلك بالكامل؟"

ركلَت أرجل توماس الطويلة بقوّة صوب حافة النافذة بينما كنتُ أمسكُ معطفه بقوّةٍ أكبر ممّا ظننت. "توقّف عن الضرب! ستُفلت قبضتَك وتُسقطني معك."

ضحك قائلاً: "إذن ما اقتراحُك بالضبط يا وادزورث؟"

"ادفع نفسك للأمام وسوف أقومُ بسحبك."

"كم... سخيفٌ... الذعر... وأنا أتدلّى... على بُعد بوصات... من الموت المحتوم."



تطلّبَ الأمر بعض المناورة لكنّني تمكّنتُ من لفّ يديّ تحت ذراعيه، ثمّ استخدمتُ وزن جسدي بالكامل للتراجع وسحبه عبر حافة النافذة نحوي. اصطدمنا بالأرض مُتسبّبين بكلّ أنواع الضجيج بينما تصادمَت أطرافنا ورأسانا.

هبّت الثلوج في غرفتي غاضبةً، بينما تدحرجَ توماس مبتعدًا عني ليستلقي على الأرض لاهثًا ويده مُتشبّثة بجذعه. كان معطفه الأسود منقوعًا تقريبًا. دفعتُ نفسي للنهوض وذراعاي ترتعشان تحت وطأة الأدرينالين والرّعب، الذي لا زال يتدفق عبر جسدي في موجاتٍ شرّيرة، وأغلقتُ النافذة.

"ماذا كنتَ تُفكّر بحقّ الملكة؟ تتسلّق سقفًا حجريًّا خلال عاصفة ثلجيّة! أنا..." كوّرتُ يديّ في قبضتَين لمنعهما من الارتعاش بردًا. "كدتَ تسقط من السطح يا توماس."

"أخبرتُكِ أنّني كنتُ أستعدّ لتسلّق القلعة." سقطَت خصلة شعر رطبة على جبينه وهو يرفع رأسه نحوي. "ربّما يجب أن تستقبليني بقليلٍ من الأحضان أو التهاني على الأقل. كان الأمر بطوليًا بالنسبة لي، مُواجهة كلّ الصعاب لاقتحام غرفتك. لا أحتاجُ إلى توبيخ."

تنهّدت. "لا أصفُ هذا بالبطولة. ولا تنزعج مني لكنّ تصرّفكَ غير لائق."

جلسَ توماس بتلك الابتسامة الملتوية اللعينة على فمه. "اعتدتُ أنا وداسي التسلّل من غُرفنا وتسلّق السطوح عندما كنا أطفالًا، وأثارَ ذلك جنون أمّنا. كانت تستضيف حفلات عشاء مُملّة في غياب أبي وكنا نتجسّس على النبلاء الحاضرين." نهض نافضًا معطفه بنقراتٍ من أصابعه ذات القفّاز. "مع ذلك لا أتذكّر أنّ أيًّا من نزهاتِنا تلك ضمّت عاصفةً ثلجيّة. خطأ طفيف."

"طفيفٌ حقًا." تنفّستُ بعمق. توماس هو الوحيد القادر على فعل شيء في غاية الجنون - مثل المُخاطرة بالسقوط والموت أمام عينيّ - قبل سرد القليل من ماضيه لي لتهدئة غضبي. "هل كانت والدتك تستضيف الكثير من الحفلات عندما يغيب والدك؟"

اشتدّ تعبيره. "نادرًا ما سافر أبي معنا إلى بوخارست، إذ لم يُعجبه الاحتفال بأسلافنا الملعونين." ذهبَ توماس إلى خزانتي باحثًا في أشيائي قبل أن يُسلّمني معطفي. "يجب أن نُسرع؛ لقد بدأت العاصفة للتوّ."

كنتُ ممتنّةً لجواربي السميكة ونحنُ نمشي عبر الثلج الثقيل الرطب الذي تشبّثَ بأسفل عباءتي بشدّة. في الماضي كنتُ أحبّ ليالي الشتاء، الصمت الذي يُغلّف الأرض وبريق الجليد المتلألئ تحت ضوء القمر. لكن ذلك خلال وجودي بأمان داخل منزلي في لندن مع كوب من الشاي وأنا أحضنُ كتابًا قرب النار المُشتعلة.



"هذا هو المكان الذي رأيتِهم يأخذون الجثّة إليه، أليس كذلك؟"

أشارَ توماس نحو فتحةٍ في الغابة، عند الممشى في الجزء الخلفيّ من القلعة التي خرجنا منها. أومأتُ برأسي وأسناني تصطكّ في الصقيع. كانت ليلةً بائسة لمُغامرةٍ في الهواء الطلق، لكنّنا لم نملك رفاهية انتظار ظروف أفضل. إذا تمّ أخذ داسيانا أو إيليانا فربّما نجد دليلًا هنا، بعد فشلنا في إيجاده في المشرحتَين، رغمَ أن العثور على أيّ شيء في ذلك الظلام تحت غطاء الثلج بدا مهمّةً مُستحيلة.

وقفنا قرب مدخل الغابة، وألقى ضوء القمر بظلال الأشجار الطويلة الرفيعة تجاهنا بشكل مخالب وأنياب أقلقَتني. تفقّد توماس الأرض على جانبي الطريق، وارتعش جسده قليلاً مع اشتداد الريح.

"لا أثر هنا. يجب أن نفحص المنطقة القريبة أيضًا للتأكّد من خلوّها من آثار خطوات، وربّما نتحقّق من ادّعاء مولدفانو بوجود مخازن غذاء. ثمّ سنعود إلى القلعة وندخل بنفس الطريقة التي خرجنا بها، عبر المطابخ."

قامَت الرياح بنثر خيوط من شعري على وجهي، لكنّ البرد منعَني من إخراج يدي من تحت عباءتي. كنتُ على يقينٍ أنّ تلك أبرد ليلة عرفَها العالم على الإطلاق. حينما لم أردّ التفتَ توماس إليّ، ناظرًا إلى الدموع المسكوبة على خديّ والريح التي تضرب وجهي بشعري، فاقتربَ مني ببطء وقامَ بدسّ شعري خلف أذني بأصابع مُرتجفة.

"آسفٌ على بؤس الظروف يا وادزورث. فلنُسرع بالعودة إلى القلعة."

همَّ بمُساعدتي على العودة نحو القلعة لكنّني ثبّتُّ أقدامي. "كلا... دعنا نرى... ما هُناك."

"لستُ متأكدًا -" رفعَ يديه مُستسلمًا أمام نظرة إصراري. "حسنًا، إذا كنتِ مُصرّة..."

راقبتُ ارتجافه واحمرار أنفه. "هل أنتَ قادر على البقاء هنا أكثر قليلاً؟"

أومأ برأسه إيجابًا بشيء من التردّد، فجمعتُ قواي وتوجّهتُ إلى الغابة وتوماس في أعقابي. تدلّت أغصان شجر التنوب المكسوّة بالثلوج على ارتفاع منخفض لتُغيّر الأصوات من حولنا: بدا أنّ أحدهم قد غطّى أذنيّ بقفّازاته وبدا أيضًا أنّني تمكّنتُ من السماع لأميال في الاتجاهين. ركّزتُ على وقع خطى توماس وهو يُسرع للّحاق بي، وتساقطَ الثلج في كُتل مُصطدمًا بالأرض.

لم أسمع صوت حيوانات وشكرتُ السماء على تلك النعمة. من المُحتمل أنّ برودة الجو منعَت حتّى الذئاب من التجوّل في هذه المنطقة. امتدّ المسار لما بدا كأنه أميال رغم أنه لم يتجاوز بضع مئات من الأقدام، قبل أن نصل إلى مفترق طرق. بدا الطريق إلى اليمين أوسع، كأنّ شخصًا



ما قد اعتنى بتقطيع الأغصان والفروع، وتخيّلتُ أن هذا هو درب مخازن الطعام.

أمّا الطريق إلى اليسار فكان مليئًا بالشجيرات الشائكة، وبانَت الأشواك والأوراق الحادّة كتحذيرٍ لأيّ شخص يُفكّر في المرور. كبتُّ رغبتي في الفرار في الاتجاه المعاكس، وغمرَني ذلك الشعور المألوف بأنّ كيانًا قديمًا ومُخيفًا يُراقبني.

كنتُ أعرف أنّ دراكولا غير حقيقيّ، لكن ربّما تحتلّ روحهُ هذه الغابة. وخزَ جلد قفا رقبتي وأنا أرى صور ستريغوي يزحفون عبر الغابة في انتظار الهجوم، فأخذتُ لحظةً لتهدئة أعصابي. لم أرغب في استكشاف ممرّ عزمَت الطبيعة على إخفائه، خاصّةً في الليل وخلال عاصفةٍ ثلجيّة وبوجود قاتل حقيقيّ في الجوار. قد يكون ذلك جُبنًا لكن على الأقل سنعيش لنخوض مُغامرةً أخرى. أشرتُ نحو المسار السالك والثلج يتساقط بشكل أسرع.

"سوف نتحقّق من الطريق الآخر خلال النهار. دعنا نرى ما إذا كانت مخازن الطعام هنا." كان الردّ الوحيد هو الصمت الذي تخلّلتهُ أصوات تساقط الثلوج، فاستدرتُ وعباءتي تدور حولي مثل تنّورة راقصة الباليه. "توماس؟" لا شيء. كان كلّ شيءٍ حولي صامتًا بشكلٍ مُريب، عدا طنين أذنيّ. اندفعتُ نحو المسار الذي على اليمين لأرى آثار

الأقدام عليه. كريسويل اللعين! هذا الافتراق خلال العاصفة في وسط الغابة فكرةٌ أخرى من أفكاره اللامعة. شتمتُه بهدوء طيلة الوقت الذي استغرقتُه للمشي عبر الثلج، حتى وصلتُ بعد قليل إلى هيكلٍ حجريّ صغير يقع بين صخرتَين أكبر منه. لم يكن أكثر من كوخٍ اختفَت آثار أقدام توماس في داخله. أقسمتُ أنّني سأعطيه واحدةً من -

فجأةً خرجَ راكضًا من المبنى الذي كادَ يكسر بابه بعد غلقه بقوّة، وقبل أن أسأله عمّا حدث شقّت زمجرةٌ صاخبة هدوء المكان، وتبعَها عواءٌ طويل. اقشعرّ بدني بالكامل مع تزايُد الصرخات المُتصاعدة في الليل.

"كريسويل!"

التفتَ توماس ويداه تُمسكان بمقبض الباب، بينما ضربَت الأرجل بشكلٍ محموم على الخشب من الداخل بصوتٍ مُرعب. "وادزورث، عند ثلاثة اهرُبي!" لا وقتَ للجدال. قامَ توماس بالعدّ بسرعةٍ وقبل أن يهتف ثلاثة انطلقت. كنتُ ممتنّةً أكثر من أيّ وقت مضى لارتدائي البنطلون بدلًا من التنّورة وأنا أجري فوق جسور من الثلج.

جرى توماس عبر الغابة ورائي، صارخًا بألّا أنظر خلفي وأن أواصل الركض. لقد تجاهلت أصوات العواء، رغمَ إنني استطعتُ سماع مخلوقاتٍ أخرى تجري على الثلج خلفنا. لم أبطئ، ولم أكترث لحرق رئتيّ بالهواء المتجمّد خلال لهاثي. لم أركّز على العرق البارد الذي غطّى بشرتي،



أو مسار العودة إلى القلعة الذي بدا بلا نهاية، والأهمّ أنّني لم أتخيّل ذئابًا بحجم الأفيال تخترق الغابة وراءنا على استعدادٍ لتمزيق أطرافنا في لحظات.

تمنّيتُ لو أنّ مولدفانو ودانيشتي كانا يُراقبان الغابة مرةً أخرى، لكنّنا لم نكن محظوظين إلى هذا الحدّ. أوشكنا على الخروج من الغابة، راكضين بالسرعة التي سمحَت بها الظروف وأجسادنا، وأمسكَ توماس بيدي كشِريان الحياة في عاصفة الرّعب. علَت صرخات النباح والزمجرة من بين الأشجار، لقد باتت الذئاب الآن على بُعد بضعة أقدام منّا. شعرتُ أنّ قلبي سيتوقف في أيّة لحظة. كنّا سنتعرّض للهجوم... لا سبيل للنجاة... كنّا -

انطلقَ عيارٌ ناريّ من حافّة الغابة.

ألقى بي توماس على الأرض وحماني بجسده. رفعتُ رأسي فوق كتفه لأشاهد ذئبين كبيرين يتراجعان نحو الغابة. تجمّدَ كل جزءٍ مني، ولم أستطع التركيز إلا على سيل الأدرينالين. لقد أطلقَ أحدُهم النار على الذئاب، هل نحنُ الهدف التالي؟

تناثرَت كتلٌ من الثلج على شعري وملابسي. رفع توماس نفسه عنّي ليقوم بمسح المنطقة ببطء، ولاحظتُ تسارع أنفاسه وترقّبه لأيّ هجوم جديد قبل أن يأخذ بيدي ليُساعدني. "أسرِعي. لا أرى أحدًا لكن هُناك

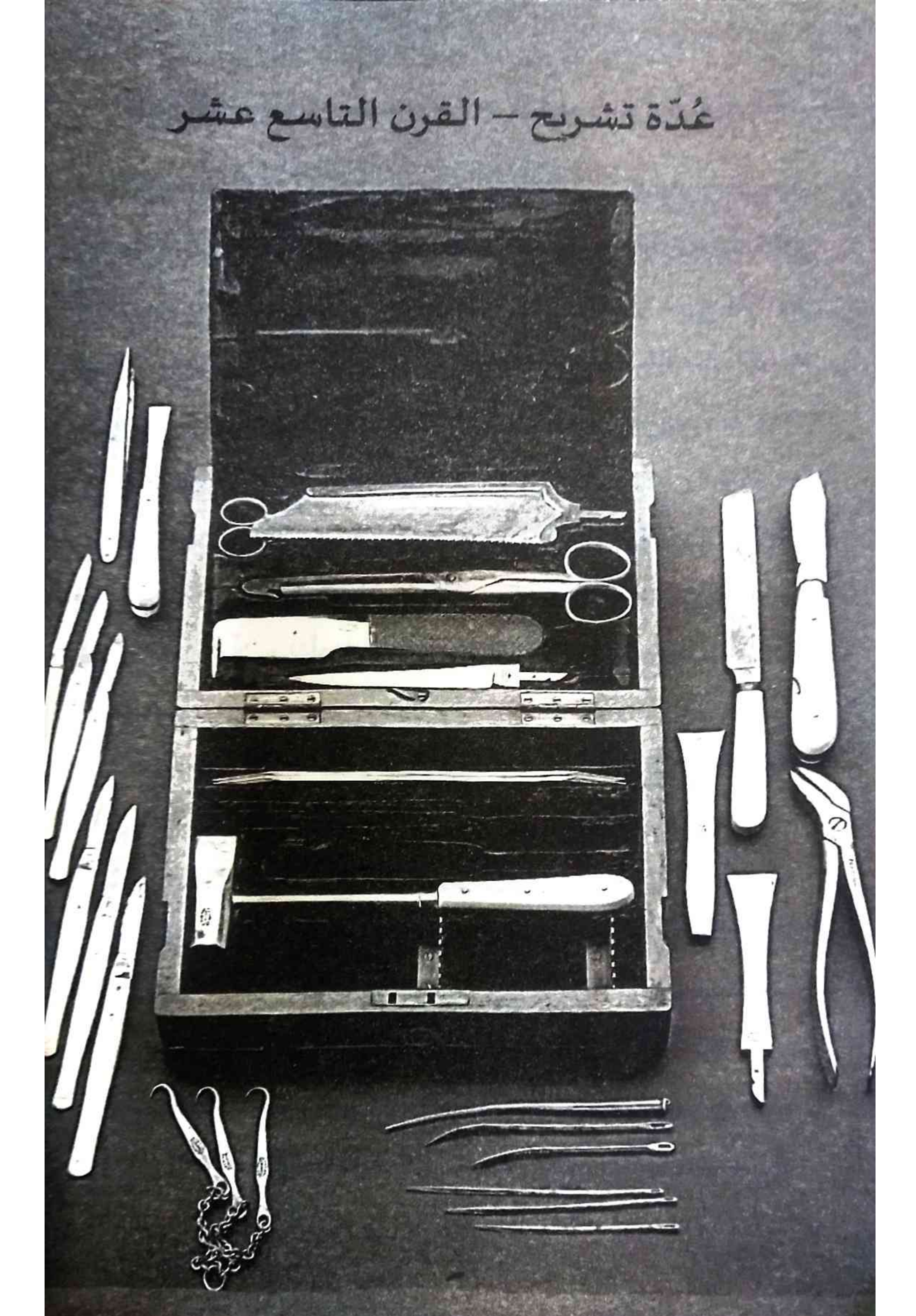
شخصٌ ما بالتأكيد." بحثتُ عن شبح المُسلّح، ولم أجد سوى الدخان ورائحة البارود النفّاذة. هذه المرة لم يكن لارتجافي علاقةٌ بالجليد الذي انزلقَ على طول ظهري. هرعنا نحو الضوء الأصفر للمطابخ ولم ننظر إلى الوراء، حتى وصلنا بأمانٍ إلى الداخل وأغلقَ توماس الباب. ارتميتُ على طاولةٍ خشبية طويلة قُرب بضع كُتل من العجين المُرتفع.

"مَن تظنّ -"

فُتحَ الباب ونفضَ شخصٌ ما الثلج عن حذائه، بينما تعلّقَت بندقيةٌ على ظهره. أمسَكنا أنا وتوماس سكاكين من المنضدة، وتحرّكَ الشخص إلى الأمام غافلًا عن أدوات المائدة الموجّهة نحوه. دفعَ قلنسوته إلى الخلف، ليرمش رادو في وجوهنا.

"سيّد كريسويل، آنسة وادزورث." أزالَ السلاح من كتفه ليسندهُ على منضدةٍ، عليها وعاءٌ من الحساء لا زال البخار يتصاعد منه، إلى جانب بعض الخبز المُقطّع. "لقد حذّرتُكما بشأن الغابة. مِم؟" سحبَ رادو كرسيًا ليجلس قُبالة وجبته الليليّة المتأخّرة. "أسرِعا إلى غُرفكما. إذا اكتشفَ مولدفانو أنّكما غادرتُما القلعة ستتمنّيان لو نالت منكما الذئاب قبله. خطيرٌ، خطيرٌ جدًا ما فعلتُماه. المُستذئبون في كلّ مكان."

لم نجرؤ أنا وتوماس حتّى على تبادل النظر خلال اعتذارنا منه والانصراف.



عُدّة تشريح – القرن التاسع عشر

35

بلا دماء



صالة عمليّات بيرسي

قلعة بران

21 ديسمبر 1888

"سأقودُ درس اليوم بدلاً من الأستاذ بيرسي." أشارَ مولدفانو إلى التوأمَين بيانشي. "إذا كنتُما ترغبان في أداء هذه المهمة فأقترحُ عليكُما القدوم إلى طاولة العمليّات."

هرعَ التوأمان إلى المنصّة واتّخذا مكانيهما. رغمَ أنّ أكاديميّتنا كانت تتعرّض لهجوم لكن كورس التقييم لم يُلغى، وبقيَ أمامنا هذان المقعدان اللّذان قاتلنا جميعًا من أجلهما.

قامَ جيوفاني بعملٍ استثنائي في شدّ الجلد لمشرطه، وسلّمهُ توأمه سكّين تشريح بعد أن فتحَ جثّة الخادمة القتيلة ماريانا. رفعَ كبدها بعناية،



مُشيرًا إلى نفس اللون الذي كان موجودًا في جثّة أنستازيا، ثمّ استخدمَ جيوفاني السكّين الطويل لقصّ عيّنة منه ووضعها على شريحة فحص.

عرضَ كِيبان إجراء تشريح الجثة هذا لكنّ التوأمَين أصرّا على القيام به، فبعدَ اكتشافهما لجثّة الخادمة شعرا بوجوب مُساعدتها بعد الموت. سادَ المكان شعورٌ بالضيق إذ كان من الصعب دراسة الجثث الخالية من الدماء، ولم يُساعد إعطاء مولدفانو للدرس في تخفيف الأجواء الثقيلة. كان وجهه أقسى من المعتاد، وهو درعٌ إضافيّ ارتداه منذ اكتشاف بقايا صديقتي. رغبتُ في تقديم التعازي إليه قبل الدرس لكن التهديد في نظراته أخرسَ لساني.

"تقنيّةٌ مُمتازة." قامَ مولدفانو بتعديل مئزره. "كما ترون فإنّ هذه الجثة قد فقدَت دمها أيضًا مثل حال الجثث الأخرى. ما السبب في رأيكم؟ هل تظنّون أنّ القاتل يأخذ الدّم؟"

ارتفعَت يد نوح في الهواء: "تقول الصحف المحليّة أنّ اللورد المُخوزِق قد عاد، والقرويّون مرعوبون. أعتقدُ أنه شخصٌ يستمتعُ بالخوف. لا يُرضيه الموت والقتل فحسب، بل يبتغي الجنون الذي يُحيط بهما."

"نظريّةٌ مُثيرةٌ للاهتمام. كيف يتخلّص من الدم بعد أخذه إذَن؟"

تجعّد جبين نوح. "يوجد نهرٌ بالقرب من القرية. ربّما يرميه هناك."

"ربّما." رفعَ مولدفانو كتفه. "دعونا نرى مَن قرأ كتب التشريح خاصّته. كم لتر من الدّم في جسم الإنسان؟"

قال إيريك: "خمسة، ربّما أكثر قليلاً... اعتمادًا على حجم الشخص."

"صحيح، وهو حوالي جالون واحد." تجوّل مولدفانو حول الجسد وانتباهه ينتقل بيننا. "هذه كميّةٌ غير قليلة من الدّم لتُنقَل عبر القرية، رغم أنّ ذلك ليس مستحيلاً، أليس كذلك؟"

أضاف نوح: "هذا الأمر محفوفٌ بالمخاطر. حتى لو تمّ حمله في دلوٍ خشبي فإنّ احتمال انزلاقه على الجانبين وارد، وإذا لاحظَ أيّ شخصٍ ذلك فسوف يفتضح الأمر بين القرويّين."

"معكَ حقّ. رغم كونه مكبًّا ممتازًا للدم إلّا أنّ النهر يُشكّل تهديدًا كبيرًا لهذا القاتل بالذات. يبدو لي من النوع الحذر الذي يرغب في الاستمرار، وعلى الأغلب كان يُخطّط لهذا منذ زمنٍ غير قصير. أعتقدُ أنّ لديه تاريخًا من أعمال العنف بدءًا من الطفولة. قد يدّعي آخرون أنّ هذا لا عواقب له لكنّني أجدُ البحث في تاريخ الجاني نافعًا."

طلبَ مولدفانو من التوأمين مُتابعة تشريح الجثّة، فقامَ جيوفاني بإزالة جزء من المعدة ليتمّ فحص محتوياته بحثًا عن علامات الزرنيخ، رغمَ وجود رائحة الثوم المألوفة أصلًا في الهواء. نظرتُ إلى زملائي بسُرعة: كان كلّ طالب يُخربش مُلاحظاته بعنايةٍ وتركيز أكثر تحت عيني



المُدير. حاولتُ التفكير ثانيةً في مُحادثاتي مع أنستازيا، مُقتنعةً بوجود علامة على ما اكتشفَتهُ في منزل المرأة المفقودة. كرهتُ فكرة سفرها إلى القرية بمُفردها وملاقاة حتفها، ولم أعرف حتّى إذا كانت قد وصلَت إلى هُناك أم لا، فربّما لم تتجاوز الأنفاق التي عثرنا على جثّتها فيها. هل القاتل شخصٌ في هذه الغرفة؟ وإن كان كذلك فمَن سيتخلّص من ذلك القدر من الدّم بهذه السرعة؟

تفحّصتُ أندريه ونيكولاي خلسةً، اللّذين تحدّثا لبعضهما بهدوء بالرومانيّة. يُمكن أن يكونا متعاونَين، لكنّني حذّرتُ نفسي من التركيز كلّيًا عليهما وتفويت الأدلة الأخرى. انتقل انتباهي إلى التوأمين بيانشي، وتذكّرتُ تعليقات أنستازيا على كيفيّة تجاهلهما لمُحاولات الدردشة. هل أحدُهما هو مَن أثارَ اهتمامها؟ إذا كان التخلّص من الدّم يُشكّل خطرًا كبيرًا على فردٍ واحد، فهل يُشير ذلك إلى أنّ الاثنَين يعملان معًا؟ لقد كانا ممتازَين في الطبّ الجنائيّ ولا بدّ من امتلاكهما معرفة جيّدة بالسموم. ربّما ليسَت مصادفةً أنهما اكتشفا جثّة الخادمة أيضًا.

نظرتُ إلى توماس الذي راقبَني برأسٍ مائل كأنهُ يقرأ أفكاري. لم نعرف ما خطب رادو في تلك الليلة، ولم نتمكّن من التحدث بعدها بسبب دوريّات الحرّاس المستمرة في الممرّات. كنّا محظوظين في الأساس لوصولنا إلى غُرفنا دون أن يتمّ إمساكنا.

لم أصدّق أنّ رادو أنقذنا من الذئاب المفترسة في جوف الليل ثمّ عادَ إلى تناول حسائه كأنّ شيئًا لم يحدُث على الإطلاق. كان مُضطرب السلوك عمومًا لكنّ تصرّفاته سهلة التوقّع، ومع ذلك ما زلتُ أجد صعوبةً في تخيّله يقتل الطلاب أو أيّ شخصٍ آخر.

"أخشى أنّ هذا هو كلّ الوقت المُتاح لنا لدرس اليوم. في ضوء الأحداث الجديدة قرّرتُ أن تكون هذه حصّتكم الأخيرة قبل عطلة عيد الميلاد." قال مولدفانو بينما كانت الساعة تدقّ. "ستبدأ الحصص من جديد في يوم السادس والعشرين. لا تختبروا صبري لأنّني لا أسمحُ بالوصول المتأخّر."



36

آل باسراب



المدخل

قلعة بران

22 ديسمبر 1888

في صباح اليوم التالي التقينا أنا وتوماس في حجرة الاستقبال بالقلعة، مستعدّين لبدء رحلتنا إلى بوخارست. كان نوح وكِيان قد ودّعانا قبل أن يختفيا في قاعة الطعام، وغرقتُ في التفكير خوفًا من أنّ داسيانا لن تكون هناك لتُحيّينا عند وصولنا. كان توماس قد كتب لها على فورًا بعد شكوكنا الأوليّة بشأن إيليانا لكنّ داسيانا لم تردّ. إذا أصابها مكروه أو ما هو أسوأ... لم أستطع حتّى السماح لنفسي بالتفكير بهذه الطريقة.

كان توماس يتحرّك في كلّ لحظة وانتباهه مُنصبّ على النافذة الصغيرة بجانب الباب. من المُقرّر أن تصل عربتنا في أيّة لحظة. أغمضتُ عينيّ باذلةً قصارى جهدي لتجاهُل ذكرى جثّة أنستازيا. كانت هناك

مئات الخدوش وعلامات العضّ الوحشيّ عليها... تخيُّل تلك الخفافيش وهي تُغطّي جسدها دفعَ سخونةً مفاجئة في أطرافي، واحتجتُ للخروج نحو البرد قبل أن أُصاب بالغثيان.

هرعتُ متجاوزةً توماس وفتحتُ الباب لأشهق دُفعاتٍ كبيرة من الهواء الجليديّ، الذي اختلطَت فيه رائحة الصنوبر برائحة مدافئ الداخل. بالكاد مدّت الشمس المُغطّاة بالغيوم ذراعيها عبر الأفق، وكانت البرودة كافية لتكوين رقاقاتٍ جليديّة كالأنياب لتُحيط بالمدخل الرئيسي، بينما تساقطَ الثلج بإيقاعٍ ثابت. أدّى البرد إلى استقرار حرارة جسدي وسمحَ لنوبة الغثيان بالمرور.

"هل أنتِ بخير؟" وقف توماس بجانبي وجبينه مُجعّد بقلق.

أومأت قائلةً: "الهواء يُساعدني."

حوّل توماس انتباهه إلى الطريق المرصوف بالحصى وبدا تائه العقل. لقد ارتدى كلانا أثقل ملابسه، وغمرَتنا طبقاتٌ فوق طبقات من القماش الثقيل الذي يُقاوم عواصف الشتاء. كانت عباءة توماس سوداء مثل القطران مع فراء مُطابق حول الياقة، ووقف يُحدّق في العدم بفكّين مُتقلّصَين. لم أستطع تخيّل الأفكار التي تدور في رأسه. حشرتُ يديّ في جيوب عباءتي. "مهما كان ما سنكتشفه فسوف نتجاوزه. نحن فريق يا كريسويل." داسَ توماس الثلج ثمّ نفخ بعض الدفء في يديه المكسوتين



بالقفّازات، والبخار يتصاعد حوله مثل ضباب لندن. "أعرفُ ذلك."
استقرّت برودةٌ مألوفة في ملامحه. كان هذا توماس كريسويل الذي التقيتُ به لأوّل مرّة في لندن، الشاب الذي لم يسمح لشيء أو شخص بالاقتراب منه، والذي أدركتُ أنه عميق المشاعر. كانت ليزا مُحقّةً طيلة الأشهر الماضية أكثر مما توقّعت.

لقد استخدم توماس المسافة كحاجزٍ ضد التعرّض للأذى. لم يكن باردًا أو قاسيًا، ولم يُشبه أسلافه الذي يخشى أن يُقارَن بهم.

كان قابلاً للكسر وهو يعرف بالضبط نقاط ضعفه، وحين يتعلق الأمر بأولئك الذين يُحبّهم فهو جاهزٌ لتمزيق العالم إلى نصفين.

"توماس. أنا -"

توقّفَت عربةٌ سوداء أنيقة أمامنا بخيولٍ طويلة فخورة مثل السائق الذي فتحَ لنا الباب بابتسامةٍ مُبالَغ فيها. قدّم توماس يده ليُساعدني في الركوب قبل أن يجلس قُبالتي.

حاولتُ تجاهل الإحساس بالخطأ الذي أثارهُ الجلوس في مثل هذه المساحة الصغيرة دون مُرافِق بينما كان يدفع الطوب الساخن نحو قدميّ.

"ماذا كنتِ تقولين وادزورث؟"

ابتسمت. "لا شيء، يُمكنه الإنتظار."

"بماذا تُفكّرين؟ بعض الخوف المُتأصّل أو..." انتعشَت قواهُ الإدراكيّة فجأةً، وامتدّت ابتسامة كسولة على وجهه لتحلّ محلّ تعبيره الجامد السابق. جلسَ إلى الوراء ثمّ ربّتَ على المساحة الصغيرة بجانبه على المقعد. "بوخارست على بُعد عدّة ساعات. لنترك الحديث عن الأمور الجدّية الآن."

نظرتُ إلى صديقي ولم أقُل شيئًا، فقد عادَت أفكاري إلى عدم الارتياح. كان السفر دون مُرافق أمرًا فاضحًا بحقّ، لكنّ السيّدة هارفي قد غادرَت براشوف واحتجنا إلى تأكيد وجود داسيانا بأمان في بوخارست. يجب تنحية اللباقة وحتّى سُمعتنا من أجل الصالح الأكبر، رغم إنّ أبي قد لا ينظر للموضوع بنفس الطريقة. اتّكأتُ للخلف دافعةً تلك المخاوف عن ذهني.

انطلقنا تاركين القلعة القوطيّة في موقعها المُسيطر بين الجبال، وشاهدتُها تختفي ببطء خلف دوّامات الثلج. تخيّلتُ نظرات القلعة الجليديّة تُمسك بعربتنا مُحاولةً عبثًا جرّنا إليها. لم أستطع فهم كيف يُمكن لمبنى من الحجر أن يكتسب ذلك القدر من الصفات البشريّة، والوحشيّة أيضًا. أسقطتُ يدي في حضني وابتسامتي تتلاشى. "لقد أجريتُ بعض البحث عن آل باسراب الليلة الماضية." رفعَ توماس وجهه بعيدًا ليفحصني من زاوية عينه، ممّا منعني من قراءة ردّ فعله بالكامل. "يبدو



الأمر مُملًا بشكلٍ مُخيف. لقد استأجرَت أمّي مُربّيةً لي ولداسيانا، وشملَ جزءٌ من تعاليمها المجيدة حفظ شجرة عائلة باسراب. كان فيها من الفروع الشائكة ما يفوق غابةً من العلّيق، وكنّا أنا وداسي الزهرتَين الوحيدتَين. هل أنتِ متأكّدة من إنّكِ لا ترغبين في الاحتضان؟ سيكون هذا أفضل بكثير من هذا الموضوع. أودُّ بشدّة ألّا أفكّر في أيّ شيء يتعلّق بالعمّ دراكولا."

تململَ في مقعده، وهي علامةٌ على وجود أسرار لم يُفشيها. كانت حركاته وتعابيره لحظيّة لكنّني تلميذةٌ مُجتهدة، فانحنيتُ إلى الأمام وقلبي ينبض بحماس.

"تحمَّلني. كما قلتَ فقد انقسمَ آل باسراب منذ زمنٍ طويل إلى عائلتَين مُتنافستَين: دانيشتي ودراكولشتي. عائلتك وعائلة الأمير نيكولاي من فرعين مختلفين، فهو من دانيشتي وأنتَ من دراكولشتي. كما أنّ فيلهلم آلديا والحرس الملكي أيضًا من العائلة الملكيّة، وهُم أقرباء نيكولاي. صحيح؟" قامَ توماس بفكّ الستائر عن بعضها وفمهُ مغلقٌ بعناد، ومرّت لحظات قليلة اجتزنا فيها مطبًّا ثلجيًّا قبل أن يعتدل في جلسته ويزفر، فعلمتُ أنه قرر الإجابة على أسئلتي.

"نعم. كلانا ينحدر من آل باسراب، رغم أنّ ذلك كان منذُ أجيال عديدة. لستُ متأكدًا من مكان الحارس دانيشتي في شجرة العائلة،

لكنّني أفترضُ إنه قريبٌ من نيكولاي وفيلهلم بطريقةٍ ما. تقنيًا أنا من نسل فلاد دراكولا، ونيكولاي ليس كذلك."

"هل تعتقدُ أن هذا في صالحك و... صالح داسيانا؟"

تركَ توماس المخمل ينزلق إلى مكانه ليغطّي النافذة باستثناء قطعة صغيرة منها، تسلّل الضوء عبرها ليضيء حافة فكّه. "هل تقترحين أنّ أختي قد لا تكون ميّتة؟"

"لستُ متأكّدة ممّا أفكّر به." قضمتُ شفتي بتردّد من مُتابعة الكلام. "أليسَ من الغريب أن تعرف إيليانا - وهي قرويّة غير مُتعلّمة - الأصل التاريخيّ لعائلةٍ حكمَت في الماضي؟ الأمر مُعقّد. أنتَ شخصيًا تنحدرُ منها ويصعُب عليكَ فهمها، فكيفَ تفهمُ هي تعقيدات عوائل العصور الوسطى، وإن كانت ذائعة الصيت؟"

"ماذا تقصدين؟"

"ماذا لو كان شخصٌ ما يستخدمُ إيليانا... ماذا لو أجبرَتها جماعة التنّين على تنفيذ مُخطّطها؟ كيف نكشفُ عضو الجماعة؟ مَن لديه خبرةٌ في السلالات؟ لماذا يقتلون فقط أعضاء عائلة دانيشتي والطبقة الدُنيا؟" تنفّستُ بعُمق وأرغمتُ نفسي على التعبير عن أكبر مخاوفي. "حتّى الآن لم يُقتَل فردٌ من سلالتك. قد تكون داسيانا سليمةً في بوخارست. أو... ماذا لو... ماذا لو لم تكن مفقودةً على الإطلاق؟ أو على الأقل ليسَت



مفقودةً بفعل فاعل. مَن هم الجماعة يا توماس؟ ماذا يُريدون في النهاية؟ هل يقومون بحماية أختك أو عائلتك؟ ما موقفهم من العائلة المالكة الحاليّة؟ هل كان رادو مُخطئًا؟ هل هم من أقارب أسرتكَ أصلاً؟"

"العائلة المالكة الحاليّة لا تقرُب من أيّ جانب لآل باسراب." انحنى إلى الأمام بعينين جادّتين. "هل تظنّين أنّهم -"

توقّفَت العربة بشكل مُباغت وهي تتأرجحُ بقوّة. نادى سائقنا شخصًا ما بالرومانيّة، ولم تكن نبرته بنفس بهجتها قبل دقائق. ضغطتُ وجهي على النافذة المُتجمّدة لكنّني لم أتمكّن من رؤية مَن تحدّث معه السائق؛ لقد انسكبَ الصقيع من السماء في غماماتٍ بيضاء.

عندما استدرتُ لم ينظر توماس إلى النافذة بل إلى مقبض الباب. دارَ المقبض ببُطء إلى أحد الجانبين، وانزلقَت قشعريرة خلال بدني. صاحَ سائقنا بما بدا كأنّهُ شتيمةٌ بالرومانيّة، وقفزتُ عبر مقعدي لا إراديًا لأُمسك بالمقبض، لكنّني لم أستطع منع فتح الباب.

برزَ وجهٌ ملتوٍ في عربتنا، بحواجبٍ بيضاء من الثلج وخدودٍ قرمزيّة من الريح الباردة. ابتسمَ دانيشتي ابتسامةً لم تصل إلى عينيه. "لا أحد يُغادر المكان، بأمرٍ من العائلة المالكة."

قامَ توماس بوضع أطرافه أمامي بخفّة ليصنع حاجزًا بيني وبين الحارس. "لا يُمكنكَ حجزنا هنا. لقد منحَنا المُدير الإذن بالمُغادرة."

"لم نجد الأمير نيكولاي في غرفته عندما ذهبنا لمُرافقته، والجميع محجوزون حتّى إيجاده." أغلقَ دانيشتي الباب دون كلمةٍ أخرى، وشاهدتُ خيول الحرّاس تُحيط بعربتنا. تمّ إرجاعُنا إلى الأكاديمية، وارتعشَت الغابة القاسية بالإثارة كلّما اقتربنا عائدين لأرضها. حاولتُ استيعاب هذا الخبر الجديد. لم يكن نيكولاي مرتبطًا بالملك والملكة الحاليّين، فلماذا ارتعبَ البلاط الملكيّ بشأن اختفائه؟ إذا كان الأمير مفقودًا حقًا فلا يُمكن أن يكون شريكًا لإيليانا أو عضوًا في الجماعة، ممّا يعني أنّ القاتل شخصٌ آخر لديه معرفة بسُلالات العوائل. لم أستطع منع شكوكي من التصاعد: هل داسيانا هي ذلك الشخص؟ هل أصابَنا العمى مرّةً أخرى؟ ربما لم تكن مُحتجَزةً رغمًا عنها أو تحت الحماية، بل هي مَن خطّطَ هذا الأمر برمّته. إذا كان أفراد العوائل الأرستقراطيّة أعضاء في الجماعة السرّية، كما ادّعى رادو، فقد تكون داسيانا متورّطةً حقًا، لكن هل يسمحون لشابّةٍ بالانضمام إلى صفوفهم؟ عوَت الريح كأنّها تتألم، وبعث صوتها قشعريرةً في ذراعيّ ورقبتي. لم يسَعني إلا تخيّل أنّنا عائدون إلى حتفنا. كانت قلعة فلاد دراكولا مُفعمةً بالحيويّة والترقُّب الخبيث حين وقفنا أمامها، وشعرتُ أنّ الأكاديميّة لا تقوى على الانتظار لتغرس أنيابَها فينا.



37

غرفةٌ من المُشتبَه بهم



قاعة الطعام

قلعة بران

22 ديسمبر 1888

ومضَت الشموع بعصبيّة في الثريّات المعلّقة فوق رؤوسنا، ونحنُ ننتظرُ في صمتٍ قلِق تحديثات حجزنا القسريّ.

كان أحدُهم يخبزُ باستخدام القرفة في المطابخ، وتسرّبَت إلينا الرائحة عبر فتحات التهوية، حاملةً بعض المُتعة في مقابل العاصفتَين خارج القلعة وداخلها. وقفَ المُدير مولدفانو بالقرب من باب قاعة الطعام، تُغطّيه الظلال وهو يتهامس مع دانيشتي وبيرسي ورادو. ظلّ أستاذ الفولكلور يشمّ بقوّة، لا شكّ في أنّ رائحة كعكاته المُفضّلة قد شتّتته. طقطق مولدفانو أصابعه بتعابير قاتلة بينما تمتمَ رادو باعتذار.

بحثتُ في أرجاء الغرفة عن أمين المكتبة لكن بيير كان غائبًا بشكل ملحوظ. غريب، لقد قيل لنا أنّ كلّ كادر القلعة سيحضرون هذا الاجتماع. بدا الجميع مُشتبَهًا بهم الآن في نظري.

نقّلتُ نظراتي بين الطاولات فاحصةً زملائي. لم يعد لدى فينشنزو وجيوفاني كتب طبّية مفتوحة أمامهما، وجلسا بتوتّرٍ معًا دون أن يتفوّها بكلمة. كان إيريك وكِيبان ونوح يتكهّنون بهدوء بشأن اختفاء نيكولاي، ولم يعرف أحد ما يجب فعلُه في هذا الوضع.

تجاهلتُ الثقل الجاثم على صدري، ذلك الإحساس الرهيب بالفَقد، وأنا أختلسُ النظر إلى كرسي أنستازيا الفارغ. لم أصدّق بعد أنّ صديقتي قد رحلَت إلى الأبد، وأنّ شخصًا ما قد أطفأ نورها الساطع... لم أشكّ في أنّها كانت ستحكُم العالم لو عاشَت. ومن أجل ماذا قُتِلَت؟ ليسَ لعائلتها صلةٌ بدراكولا أو آل باسراب. لم أعرف بعد إن كانت قد وصلَت إلى المكان الذي خطّطَت للذهاب إليه، أو قد تمّ قتلُها قبل أن تكشف خيوطًا جديدة. قادَني ذلك الجهل إلى الجنون.

تمنّيتُ لو تمكّنتُ من التحدّث معها قبل أن تُغادر. لم أملك فكرة عمّا كانت تعرفه والذي استوجبَ إعدامُها هكذا.

تجمّعَ الغضب ببطء مثل قطرات الزيت ليملأ بئر الحزن الفارغة هذه وأنا أشجّع نفسي على القيام بعمل. لقد كرهتُ القتل، بكلّ ما يسلبهُ من



ضحاياه ومَن يتركُهم في أعقابه. لن أسمحَ بموت شخصٍ آخر في هذه القلعة. لن يؤخذ المزيد من الطلاب أو الأصدقاء ويُقتَلون كما لو كانوا لا شيء. لقد كنتُ عمياء سابقًا ولن أسمحَ لنفسي بالخطأ في تحديد هويّة المُجرم. أطفأتُ كل أحاسيسي باستثناء واحد: العَزم.

إن لم تكن إيليانا أو داسيانا أو نيكولاي، فمَن إذن؟ نظرتُ في أرجاء الغرفة في شكٍّ من وجود القاتل بيننا، مُرتديًا قناع القلق خاصّته ليُخبّئ فرحه الداخليّ.

لفتَ البروفيسور رادو انتباهي مرةً أخرى. كان يجفّف العرق على جبينه ويومئ برأسه بحماس لما يقوله المُدير. هل كانت صرخاته وخياله النشط فيما يتعلق بالفولكلور أكثر من مجرّد اهتمامٍ بالتاريخ؟ كان يعرف تفاصيل عن عائلتَي آل باسراب وعن جماعة التنّين. ربما أصابهُ الملل من سرد قصص الستريغوي والكائنات الخارقة التي تقطن الغابة. هل دفعهُ حبّه وإعجابه بفلاد دراكولا إلى طريقٍ مُظلم؟ كل شيء وارد.

ثمّ هُناك دانيشتي، المولع بتنفيذ العقوبات. هل تلك دلالة على تحوّله من رجل أمن إلى قاتل؟ لم أستطع التأكّد.

بحثتُ عن أنواعٍ أخرى من السلوك الغريب بعيدًا عن ظاهر الأشخاص. جلسَ أندريه بمفرده في نهاية طاولة طويلة شارد الذهن. لقد اختفى انحناء الغرور في شفتَيه والوضع المربّع لكتفيه الذي اعتدته

عليهما، وجلس الآن منطويًا على نفسه، كأنه لم يقدر على إيجاد الطاقة للجلوس.

نكزتُ توماس بقدمي ثم انحنيتُ حتى كادَت شفتي تلمس أذنه. لاحظتُ الارتجاف الطفيف الذي أحدثهُ ذلك فيه وتجاهلتُ اضطراب نبضاتي في المقابل.

"ما رأيُك فيه؟" قلتُ مشيرةً إلى أندريه. "هل كلّ هذا لأجل نيكولاي؟"

"ممم." درسهُ توماس للحظاتٍ بنظرة حادة، مُقيّمًا كل حركاته ومظهره، ثمّ نقر بأصابعه على حافة طاولتنا. "لا يبدو قلقه مرتبطًا بالكامل بنيكولاي. لاحظي السلسلة حول عنقه والقلادة المتدلّية منها، أراهنُ أنها خُصلة شعر. لقد كان شارد الذهن منذ ظهور الآنسة أنستازيا ناداسي في مختبرنا. أعتقدُ أنه ينعى كليهما، لكنّ موتها حطّمهُ أكثر. ربما كان يتوق للارتباط بها." "لقد ذكرَت لي أنها مُعجبة بشخصٍ لكنها ظنّت إنه لم يُلاحظ مشاعرها. هل تعتقدُ أنه قد يكون متورّطًا في موتها؟ كلّ مَن حوله إمّا ميّتٌ وإمّا مفقود. هل هذه صدفة؟" فكّر توماس في ذلك وأجاب: "احتمالٌ وارد بالتأكيد، رغم أنّ أندريه يبدو من النوع الذي يزمجرُ كثيرًا ونادرًا ما يعضّ. لديّ شعور بأنّ مَن أخذَ نيكولاي لديه دوافعٌ أعمق، هذا إذا تمّ أخذه من الأساس."



"هل تعتقدُ أنه ليسَ مفقودًا؟"

"حسب ما نعرفه ربّما يكون مُختبئًا. قد تكون إيليانا هي الشخص الذي أمسكَ به الأمير وفعلَ له أمورًا فظيعة. ما زلنا لا نعرف لماذا رسمَ تلك الرسوم، أو كيف عرفَ أن إصابات أنستازيا من صُنع الخفافيش، رغمَ إنه بالكاد فحصَها. تمييزه لتلك الجروح دون عناء مثيرٌ للإعجاب."

قفزَت فكرةٌ في رأسي. "إذا كُنتَ مُذنبًا وأردتَ الاختباء، فأين ستذهب؟"

"هذا يعتمدُ على ما أنا مُذنبٌ به. إذا كانت أفكارٌ جامحة أو رغباتٌ غريزيّة فسوف أرسلُ نفسي مباشرةً إلى غرفتكِ لنيل العقاب."

"تكلّم بجدّية!" وبّختُه وأنا أنظر فوق كتفي للتأكد من أنّ كلامه لم يصل أسماع بيرسي أو رادو. "نحن بحاجة إلى إيجاد طريقة للعودة إلى الأنفاق. أنا أضمنُ أنّ هذا هو المكان الذي سنجدُ فيه الأمير المفقود."

اجتاحَ الحرّاس قاعة الطعام، وقعقعَت سيوفهم كمخالب التنانين. سارَ المُدير مولدفانو إلى مُقدّمة القاعة وشعره الفضيّ الطويل منسدلٌ خلفه كأنّهُ عباءة جنرال.

"أنتُم مُطالَبون بالبقاء هنا حتى نحدّد مكان الأمير نيكولاي، وحفاظًا على أجواء الحياة الطبيعية ستستمرّ الفصول الدراسيّة. سيتمّ اصطحاب الجميع من وإلى قاعات الدروس، وسيتمّ إرسال وجبات

الطعام مباشرةً إلى غُرفكم الخاصة. لا أحد يغادر غرفهُ أو هذه القلعة حتى تُعلن العائلة المالكة عكس ذلك. أيّ شخصٍ يُمسَك وهو يرتكب عصيانًا سيُواجه تهمًا خطيرة." نظرَ إلينا عبر الطاولات وتوقّفَت نظراته مُركّزةً عليّ قبل أن يسير نحو الباب ليفتحه. "بإمكانكم الانصراف. سيُرافقكم الحرّاس إلى الخارج الآن."

قامَ التوأمان بيانشي ببطء من مقعديهما، وتبعهما أندريه وإيريك وكِيان ونوح، لتخدش المقاعد الخشبية الأرض باحتجاج. لم يكن منطقيًّا على الإطلاق أن تُبقينا العائلة المالكة محبوسين في الأكاديميّة والقاتلُ في مكانٍ ما داخل أسوارها، إلّا إذا أرادوا منع انتشار خبر اختفاء نيكولاي... خاصّةً إذا كانوا يعرفون شيئًا عن الأمير لا نعرفهُ بعد. إذا كان هو المُخوزِق الذي تحدّثَت عنه الصحف فربّما حاولوا إبعاده عن بقيّة المملكة، لحماية مواطنيهم في مُقابل خسارة القليل، أو ربما كانوا يمنعونه من تحويل انتباهه إلى عرشهم.

أطلقَ دانيشتي وبعض الحرّاس الآخرين أوامر لنا بالتحرّك بسرعة وأيديهم قُرب أسلحتهم، ولم ينطق أحد منا بكلمة ونحن نخرجُ من الغرفة إلى الممرّات. بدا أنّ علينا أنا وتوماس إيجاد طريقة أخرى للتواصل، وصلّيتُ لكي لا يحاول تسلّق القلعة مرةً أخرى. بعد اصطحابي إلى غرفتي كالسجناء كان أوّل ما لاحظتُه مظروفًا مثبتًا بخنجر



على باب غرفة الاستحمام خاصّتي. لم يُكلِّف حارسي بتفتيش غرفتي لذا غادرَ على الفور بعد إيداعي في البرج. سحبتُ الورقة من الباب، ولاحظتُ أنّ الخنجر يُشبه شيئًا لم يُمكنني تذكّره. كان مقبضهُ على شكل ثعبان بعيونٍ زمرّدية، أين رأيتُ هذا الشيء من قبل؟

استعدتُ ذكرياتي منذ وصولي إلى رومانيا وعرفت: في القطار. الضحيّة خارج غرفتي كانت بحوزتها عصا مُشابهة مرصّعة بالجواهر. أمّا كيفيّة ارتباط ذلك بهذه القضية فهو لغزٌ آخر يجب حلّه لاحقًا، الآن جلّ اهتمامي هو المخطوطة وما تحتويه. ترددتُ للحظة قبل فتح غلاف الرسالة. كان داخلُها بسيطًا: رقمٌ رومانيّ مكتوب بالدّم.

XI

ارتجفَت ركبتاي. في البدء تلاشت أفكاري المنطقيّة بسبب تدفّق المشاعر التي هدّدَت بتحطيمي. مَن تركَ هذه الورقة يُحاول تقليد رسائل جاك السفاح التي كتبَها بالدم. جثوتُ على الأرض قُرب حوض الاستحمام ونبضي يتسارع. كانت تلك رصاصةٌ موجّهة مباشرةً إلى أضعف أجزائي، لكنّني لستُ نفس الفتاة التي كنتُ عليها منذ أسابيع. أنا أقوى عاطفيًا الآن، وقادرةٌ على التحمّل أكثر من أيّ وقتٍ مضى. لن تُجبرني هذه الضربة على الخضوع؛ بل ستدفعني إلى اتخاذ موقعٍ هجوميّ. لم أعُد فريسةً، بل الصيّاد. نهضتُ مُمسكةً بالورقة لأقوم بفحصٍ سريع للباب الخفيّ الموجود في الخزانة ووجدتُه لا يزال مغلقًا من الخارج. إمّا

أنّ الشخص الذي وضعَ هذه الرسالة لديه المفتاح وإمّا إنه لم يعلم بالدرج السرّي.

تشكّلَت خطة عمل في رأسي وأنا في غرفة نومي أبدّلُ ملابسي. مَن أرسلَ هذه الرسالة فكّرَ أو أملَ في أن أتبعه، ولن أخيّب أمله. لقد تغلّبتُ على الموت والدمار ووجع القلب، ولن أسمح لأيٍّ من تلك الأوقات المظلمة بكبتي. أنا الوردة ذات الأشواك التي عرفَتني عليها أمّي.

كان بنطلوني لا يزال قيد التجفيف من مُغامرة الليلة الماضية، لذا ارتديتُ تنورةً بسيطة. فرحتُ للتخلّص من المشدّ، وشعرتُ بالروعة لقابلية التحرّك بسهولة. لم أرغب بأيّة عوائق خلال تسللي عبر القلعة هذه الليلة. سأقوم بمُطاردة الجماعة وأيّ شخص يتظاهر بأنّ دراكولا حيّ.

مشيتُ إلى مرآتي وربطتُ شعري لأعلى، بحرصٍ على تثبيته بإحكام على رأسي. بدأ صداعٌ طفيف في صدغيّ لكنّني قاومتُه بإرادتي، وفورَ انتهائي من الملبس كتبتُ رسالةً إلى توماس.

كريسويل،

لديّ طلبٌ عاجل: أريدُ رؤية كتاب قصائد الموت. أحضِرهُ إلى غرفتي بعد وجبة العشاء. لقد خططتُ لبعض المغامرات في هذا المساء.

المُخلصة، أ. ر.



ملاحظة: أرجو عدم تسلّق جدران القلعة هذه المرة. أنا متأكدة من أنك ستجد طريقة إبداعيّة للتسلّل دون أن ينتهي بك الأمر في الزنزانة مرةً أخرى، أو مُلقى على حديقة الأكاديميّة.

"هل ستأخذين هذا إلى السيّد كريسويل من أجلي؟" سألتُ الخادمة عندما أتت لتقديم غدائي. ابتلعَت ريقها بصعوبة ونظرَت إلى الرسالة كأنّ لها أسنانًا جاهزة لعضّها. "الأمر طارئ."

"حسنًا آنستي." أخذَتها لتضعَها على مضض على صينيّتها. "هل تحتاجين إلى شيءٍ آخر؟"

هززتُ رأسي وأنا أشعرُ بالسوء حيال إشراكها في مُخطّطي، لكن لم أجد طريقةً أخرى لإيصال الرسالة.

قضيتُ ما تبقى من النهار أذرعُ غرفتي وأخطّط، في اختبارٍ كبير لإرادتي. استغرقَ المساء وقتًا طويلًا لارتداء عباءته الفاحمة، ولم أسعد أكثر برؤية السماء السوداء الحبريّة. خفتُ من أنّ توماس قد لا يأتي بعد كلّ هذا، ربّما لم تُسلّم الخادمة رسالتي، وربّما قبضَ عليه أحد الحراس وأعيدَ ثانيةً إلى الزنزانة.

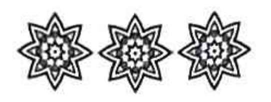
من بين كل السيناريوهات التي تخيّلتُها لم أفكّر في تنفيذ خطّتي بمُفردي. عندما أقنعتُ نفسي أنه لن يحضر وأن الوقت قد حان للانتقال إلى المسار التالي، سمعتُ طرقةً خفيفة على بابي. انزلقَ توماس إلى الداخل

قبل أن أتحرّك ونظراتُه يملؤها الاهتمام. "لديّ شعور بأنّكِ لم تجلبيني إلى هنا لتبادل القُبَل، رغمَ أنّ السؤال لا يضرّ أبدًا." ابتسمَ ابتسامةً عريضة وهو يتفحص ملابسي فاركًا يديه، وشرارة الإثارة تتطاير مثل الألعاب النارية من حوله. "أنتِ ترتدين ملابس التسلّل في قلعة دراكولا. اصمِد يا قلبي المسكين! تعرفينَ كيف تجعلين الشابّ يشعر حقًا بالحياة يا وادزورث."



38

بداية المُطاردة



غرف البرج

قلعة بران

22 ديسمبر 1888

"هل أحضرتَه؟" سألتُ توماس وأنا مستعدّةٌ للبحث في جيوبه بنفسي إن لم يتحرّك بشكلٍ أسرع.

"مرحبًا، سررتُ برؤيتك أيضًا وادزورث." ابتعدَ عن الباب وهو يُلوّح بكتاب قصائد الموت، فأخذتُه منه دون تأخير وقلبتُ على القصيدة "XI" خلال إخباري له بالرسالة التي وجدتُها على باب غرفة الاستحمام.

XI

ينتحب السادة، وتبكي السيّدات

في نهاية المطاف يقولون وداعًا.

تتغيّر الأرض وتظهر كهوف

عميقةٌ فيها، دافئةٌ كالجحيم.

ينسابُ الماء باردًا، عميقًا وبسُرعة،

داخل جدرانها لن تصمدَ هي طويلًا.

قلتُ وأنا ابتلع قلقي: "أنظرُ إلى هذا! لقد أضافَ أحدهم كلمة 'هي' بريشة. هل تظنّها إشارةً إلى أختك؟"

قرأ توماس القصيدة ثانيةً، وشاهدتُ تحوّل تعابيره من الدفء والمُغازلة إلى الجمود الذي كان يُظهره لمُعظم الآخرين. رغمَ ذلك بقي التوتّر ظاهرًا في كتفيه، في إشارةٍ إلى أنه لم يشعر بالراحة.

"أعتقدُ إنه يشيرُ إليها أو إلى إيليانا. ربّما حتى أنستازيا." واصلَ توماس التحديق في القصيدة. "إنه أمرٌ غير طبيعيّ حقًا. مهما كان مَن خطّطَ هذا... هذه لعبةٌ مُروّعة والآن فقط أدرَكنا أننا مجرّد لاعبين."

ارتجفت وأنا أتذكّر قول أنستازيا ذات مرة أنّ مولدفانو يستمتع بإضافة عناصر تُشبه اللعبة إلى كورسات التقييم، رغمَ أنّني لم أصدّق أنّ ذلك يتضمّن قتل طلّاب أو تابعته المحبوبة، مهما انتشرَت في القلعة



شائعات أنهُ يبتغي الدماء خلال هذا الموسم. لقد رأيتُ الدمار الحقيقيّ على وجه مولدفانو بعد اكتشاف جثّة أنستازيا.

تنهّد توماس. "لا أفترضُ أنّكِ سترتضينَ البقاء ولعب جولة من الشطرنج حتى يقوم الحراس الملكيون بإيجاد القاتل، أليس كذلك؟"

هززتُ رأسي ببطء. "حسنًا إذن، فيمَ تفكّرين؟"

لقد تركتُ رسالةً على أريكتي موجهةً إلى المُدير، مع خوفي من أن يحرمنا هذا الشيء بالذات من نيل المقعدَين الثمينَين. تجاهلتُ شعور الندم. إذا أوقَفنا هذا القاتل فقد نُمنَح قبولًا مُباشرًا في الأكاديمية. كنتُ على يقين من شيء واحد: إذا لم ننجح في العودة هذه الليلة فإنّ مولدفانو سيعرفُ مكان وجودنا، قبل طردنا نهائيًا.

أشرتُ إلى توماس بالهدوء. "سنقوم باصطياد مصّاصي الدماء يا كريسويل."

تسلّلنا إلى سلالم البرج وتمكنّا من الوصول إلى ممرّ الخدم قبل رؤية دورية حرّاس. لقد ساروا في القاعة الرئيسية في طريقهم نحونا، وصوت جلود أحذيتهم وأسلحتهم عالٍ بما يكفي لتنبيهِ الموتى إليهم. سحبتُ توماس إلى تجويفٍ مخفيّ بلوحةٍ قماشيّة. لن يرَونا ما لم يحملوا فانوسًا باتجاهنا، كما آملت.

تحرّكتُ في الفجوة الصغيرة وأدركتُ مدى صُغر المساحة لشخص واحد ناهيكَ عن شخصين. شتّتَ دفء جسد توماس ذهني بطرقٍ لم أتخيّلها سابقًا، خاصةً خلال مُطاردة المُخوزِق أو الجماعة أو أيًا كان وراء هذه الجرائم.

رغبَ جزءٌ مني في ترك هذه المهمة للحرس الملكي واستغلال الوضع الذي كنّا فيه، ويبدو أنّ أفكارًا مماثلة دارَت في ذهن توماس؛ إذ ارتجف حلقه أكثر من المعتاد وهو يقتربُ مني. علَت أصوات الأقدام في الممرّ، وثقلَ الوطء بينما اشتدت قوة الشحنات بيننا.

أدارَ توماس وجهه نحو وجهي وخرجَت أنفاسنا في رشقاتٍ هادئة، بخوفٍ وبشوق. ربّما كان يختلقُ عُذرًا لوجودنا في الردهة إذا تمّ إمساكنا، وربّما رغبَ في إلغاء المسافة الفاصلة بيننا بقدر ما أردت.

أغمضَ عينيه وكانت الرغبة التي رأيتُها فيهُما كافيةً لزعزعتي. رفعتُ وجهي سامحةً بأخفّ وأقصر اتصال بين شفتَينا. لم يكن أكثر من شبح قبلة، لكنهُ أشعل نارًا في كلّ أنحاء جسدي. تصاعدَت أنفاس توماس بما يكفي لإيقاف قلبي، وتجمّدَ جسده بالكامل عندما توقّفَت خُطى الحراس فجأة.

توقّف الحراس على مقربة من مخبئنا، ودون أدنى صوت أغلقَ توماس المسافة بين أجسادنا، ومسّني كلّ شبر منه وهو يُخفيني عن



الأنظار بجسده. بقينا هكذا، عالقَين بين الجدار والحرّاس، بالكاد نتنفّس. لم أستطع التفكير بشكلٍ صحيح، فقد أخذ المنطق إجازةً من عقلي، وناضلتُ بكلّ ما أوتيتُ من قوّة لأُبقي يديّ على جانبيّ بدلًا من تمريرهما عليه.

بعد مرور ما بدا كأنّهُ عام واصلَ الحرّاس السير في الممرّ. لم أتحرّك أنا ولا توماس، وانبعثَت الحرارة منّا بطريقةٍ جعلَتني أفكّر في أكثر الأفكار بذاءةً على الإطلاق. لقد ولّت الفتاة التي تحمرّ خجلًا لمجرّد التفكير في التعبير عن شغفها.

يا ربّ ساعِدني في إنهاء هذه القضيّة قريبًا. لو لم أقبّل توماس فقد أتحوّل إلى رماد. كانت العمة أميليا ستَذهل من أفعالي الخاطئة، لكنّني لا أهتم. لو لم تكن الرومانسيّة مصدر إلهاء لا يُقاوَم لَعِشتُ في إثارة هذه اللحظة إلى الأبد. حتّى مع تلك الأفكار العقلانيّة في رأسي ما زلتُ أواجه صعوبةً كبيرة في الابتعاد عنه.

أخيرًا تحرّكَ توماس بما يكفي ليهمس في أذني، وشفتاه تتدحرجان على حافّة فكّي. "من المؤكّد أنّ موت كرامتي سيكون على يديكِ يا وادزورث."

ابتسمتُ بلطف والتقطتُ أنفاسي. "لقد ماتت هذه منذ زمان يا صديقي. تعال، لنتحرّك بسرعة قبل أن يعودوا." وقبل أن أقرّر ترك

الطبّ الجنائيّ والمُطاردات وقضاء بقيّة المساء أقبّلهُ في ممرٍّ مهجور بينما كان القاتل يتجوّل. بانَت ابتسامةُ مرح على وجه توماس. "ماذا؟"

"ما الذي كنتِ تفكّرين فيه للتوّ؟ عزيزتي وادزورث، تبدينَ كمَن وُضعَ أمامهُ صينيّة حلوى. ربّما" - قرّبَ فمه بوقاحةٍ من فمي - "قد أقدّم لك إحداها قبل أن نُغادر؟"

"هذا مُغرٍ." مررتُ تحت ذراعيه وألقيتُ نظرةً فوق كتفي، مُستمتعةً بالطريقة التي تتبّعت فيها نظراته كلّ حركةٍ من حركاتي. "لسوء الحظ يجب أن أرفض في الوقت الراهن. لدينا موعدٌ سرّي في الأنفاق الخفيّة."

تنهّد توماس. "لقد أعجبَني اقتراحي أكثر."

بدَت العناية السماويّة في جانبنا، لأنّنا لم نواجه أيّ حرّاس آخرين ووصلنا إلى مشرحة الطابق السفلي دون عوائق. ركضتُ إلى إحدى الخزانات وفتّشتُ فيها حتى وجدتُ بعض الأدوات: فانوس ومشرط ومطرقة فتح الجماجم.

"كنتُ أفكّر،" همستُ بينما كان توماس يرفع باب الأرضيّة المؤدّي إلى الأنفاق. توقف وذراعاه فوق رأسه لينظر إليّ، وتلاعبَت ابتسامةٌ بزوايا فمه رغم أنه حاول منعها. "وهي على الدوام إحدى هواياتك الخطيرة يا وادزورث."



قُلت: "مُضحكٌ للغاية، كالعادة. على أيّة حال، أعتقدُ أنّ الأمير نيكولاي هو الفاعل. إيليانا لا... لا أعلم، غير مُناسبة. لا أستطيع تخيّلها تُخوزِق شخصًا أو تفرّغ دمه بجهازٍ جنائزيّ. فضلًا عن ذلك فقد رأيتُ الطريقة التي نظرَت بها إلى أختك. لا يُمكن إخفاء هذا النوع من الحبّ. أمّا نيكولاي، فقد كان بحوزته تلك الرسوم ومن ضمنها رسومات خفافيش. لقد أتيحت له فرصة إرسال التهديدات إلى العائلة المالكة. و... كنتُ أنوي إخبارِكَ بشيءٍ آخر قام به."

"هل سأرغبُ في قتله؟" رفع توماس حاجبه. "لم يعترف نيكولاي لكِ بحبّه الأبديّ، أليس كذلك؟" واصلَ ببطء وهو يُعيد الباب الخفيّ إلى مكانه. "إلّا أنّ القليل من المُنافسة الجيّدة لن تؤذي أحدًا، على ما أعتقد."

"كانت هُناك... رسوماتٌ لي في دفتره. لقد جعلني شيئًا مُرعبًا، لقد اعتبرَني تقريبًا مصّاصة دماء."

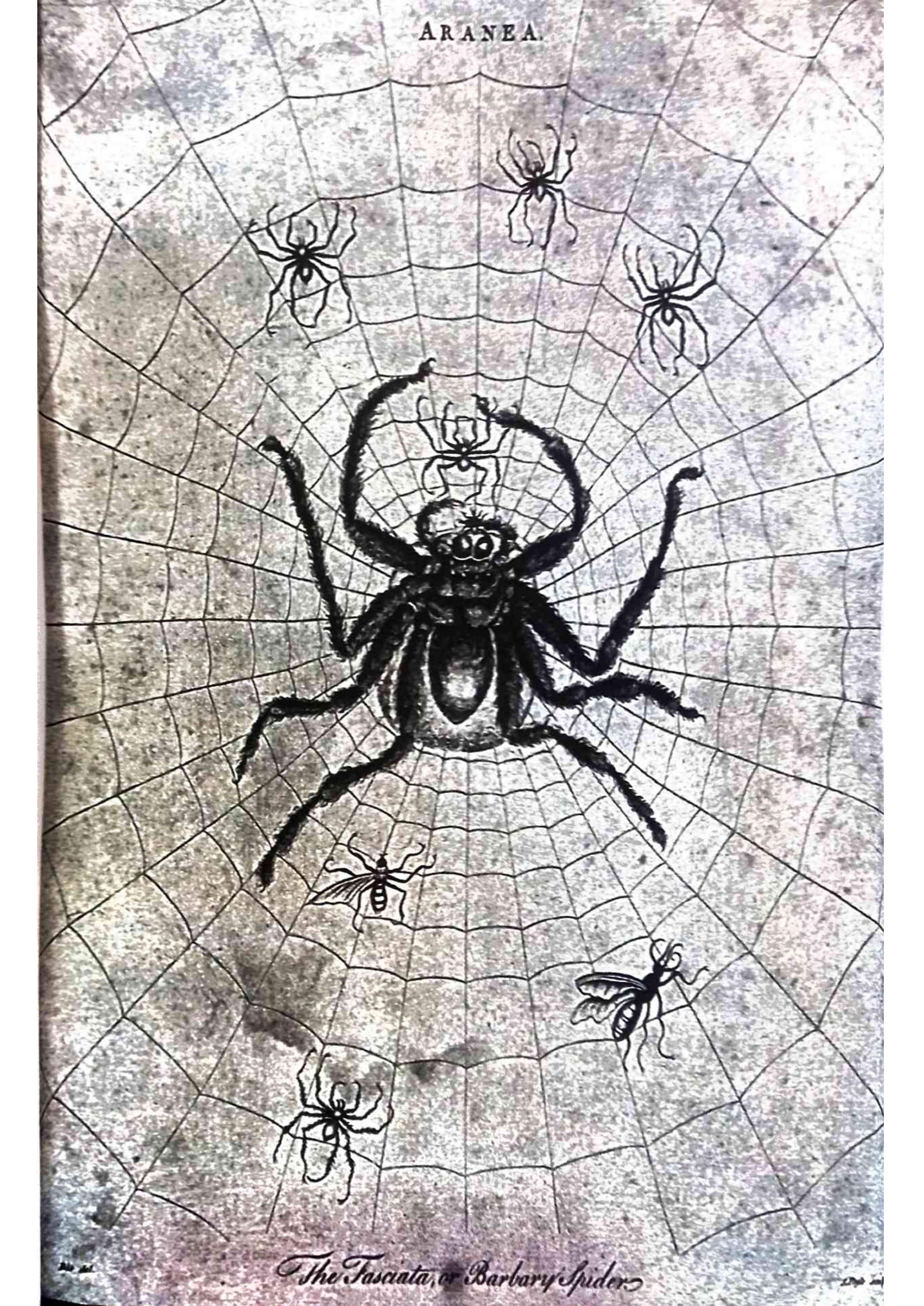
"لماذا لم تُخبريني بهذا من قبل؟" جاء صوت توماس هادئًا، وخلَت لهجته من مرحه السابق. "إذا كنتِ لا تثقين بي فكيفَ لي أن أُساعد يا وادزورث؟ نحن شريكان." أخذَ يتجوّل في الغرفة ويداه تنقران بشدّة على جانبيه. "لقد أخبرتُك، لا يسعُني الاستنتاج حينما تُحجَب الحقائق عني. لستُ ساحرًا." توقّفَ عن الحركة وأخذَ نفسًا عميقًا قبل أن تلتقي

عيوننا. "ماذا بعد؟" تنفّستُ بعُمق. "الأمير نيكولاي له معرفةٌ بالطبّ الجنائيّ وكان بإمكانه الوصول إلى كلّ ضحيّة، كما أنّ التهديد الذي وُضعَ في غرفتي يذكر كلمة 'هي' ولا أعتقدُ أنهُ يقصدني."

فتحَ توماس الباب من جديد وأشارَ نحو السلّم. "هل تظنّين إننا على وشك العثور على أختي وعشيقتها مُحوزَقتَين في هذه الأنفاق؟"

رغمَ استقرار نبرته وقوّة تعليقه إلا أنّني لمستُ قلقَهُ الداخليّ. بغضّ النظر عن مدى برودته وحرفيّته في المختبر فإنّ نقل خبر وفاة داسيانا إلى عائلته ستكون مُهمّةً تفوق طاقته. اقتربتُ منه لأضغط على ذراعه برفق. "أظنّ أنّه يجب أن تستعدّ للأسوأ. قد أكون مُخطئة."

حملتُ الفانوس ومشيتُ بحذر أسفل الدرج، حين خلتُ أنني سمعتُه يتمتم: "أخشى أنّكِ قد تكونين على صواب."



The Fasciata, or Barbary Spider

39

الرُتَيلاء الرومانيّة



ممرّ سرّي

قلعة بران

22 ديسمبر 1888

"للتوضيح، لم يكن هذا ما تخيّلتُه حينَ دعوتِني إلى أمسيةٍ مليئة بالمُغامرات يا وادزورث."

انتزعَ توماس نسيج عنكبوت من سترته وفمه مجعّدٌ بعد التصاقه بأصابعه. لقد قضَينا وقتًا رائعًا في العبور بسرعة عبر الأنفاق التي زرناها من قبل، حتى وصلنا إلى أوّل دليل، حسب اعتقادي. تململَ توماس بجانبي.

قال: "إذا جرَت مُطاردتنا جميعًا من قبل قاتل مُبدع للغاية فربّما يجب أن نستمتع بلحظاتنا الأخيرة في الحياة. هل يُمكنني اقتراح بعض البدائل



للعناكب والأنفاق المُظلمة؟ ربّما شُرب النبيذ، نارٌ دافئة، مُغازلاتٌ غير لائقة."

حملتُ الفانوس بعيدًا عن جسدي وأنا أحدّق في الظلام دائرةً في مكاني، وتحرّكت الظلال بخفّة حول الضوء.

قُلت: "مُذهل."

"اعتقدتُ ذلك أيضًا، رغمَ أنهُ من الجيّد سماعُكِ توافقين على اقتراحاتي لمِرّة."

"كنتُ أعني هذا: هُنالك بابٌ هنا." حدّقتُ في الحروف السوداء العتيقة التي عليها، وتيقّنتُ من أنّنا على طريق اكتشاف مكان المُخوزِق أو الجماعة. "هُناك... هل هذه لاتينيّة محروقة على الخشب؟"

"بلى. لقد أُحرِقَ صليب في الغرفة الأخرى. يبدو أننا على الطريق الصحيح إذن." اندفع توماس ليقرأ الكلمات على الباب وهو يقضم شفته السفليّة. "*Lycosa singoriensis*. هذا يبدو... مألوفًا."

دفعَنا صوت سقوط بعض الأحجار خلفنا إلى الاستعداد لمعركة. تمسّكتُ بالمشرط وتسلّحَ توماس بمطرقة فتح الجماجم، وهما أفضل ما وجدناه من أسلحة.

"هل سمعتِ ذلك؟" همسَ توماس وهو يقترب منّي.

دوّرتُ مقبض الفانوس وهسهسَ الغاز في نفس الوقت الذي انطفأت فيه الشعلة. رمشتُ عدة مرّات ولم يُحدث ذلك فرقًا. بدون الضوء كان النفق جدارًا صلبًا من السّواد يجثمُ علينا، والتوى شيءٌ في صدري كادَ يخنق أنفاسي. تظاهرتُ أنني أقفُ على سحابة تحت سماء الليل المخمليّة الزرقاء، وإلّا كنتُ سأتخيّل دفني تحت الحجارة والموت فورًا. علا الصوت وكان قادمًا من النفق الذي خرجنا منهُ للتوّ.

لقد قرّرنا ترك الباب الخفيّ في المشرحة مفتوحًا، على أمل أن يُصادفه أحد الحراس إذا حدثَ لنا مكروه، وأملتُ ألّا يكونوا قد بدأوا بالفعل في مُلاحقتنا. لمسَ توماس ذراعي في الظلام في تذكيرٍ لطيف بأنّه بجانبي.

"ربما ضايقْنا إحدى جحور الفئران يا كريسويل. لا حاجة لجمع ملابسِك[1]."

سمعتُ الابتسامة في صوته قبل أن يُجيب. "عندما تكون هذه أكثر الأفكار راحةً في ذهنك فالأمور لا تسير على ما يرام، رغمَ سعادتي لتفكيركِ في ملابسي."

قبل أن أتمكّن من الردّ اخترق صوت الخطى المميّز أفكاري. لقد ارتطم المداس بصوتٍ عالٍ بما يكفي لأعرف أنّ هناك شخصين على الأقل يُلاحقاننا، أو أيّ سرٍّ آخر قد نكون على وشك اكتشافه. كانوا

1-عبارة انكليزية تُقال بمعنى: "لا داع لأن تستعد للهرب." (المُترجِم)



يقتربون، وفجأةً لم يعُد احتمال ظهور مولدفانو ودانيشتي علينا هي الفكرة الأكثر إرعابًا، إذ لم تكن لدينا فكرة عن أفراد الجماعة أو عددهم.

"مهما كان مَن يتّجه نحونا فلن نرغب في مُقابلته في مكان مهجور، حيث لا يُمكن للناس سماع صرخاتنا يا كريسويل."

شعرتُ بيدَي توماس تتخبّطان في الظلام على الحائط مع تصاعد صدى الخطوات وراءنا، حتّى بانَت ظلالٌ طويلة حول الزاوية مُشيرةً إلينا. إذا لم نجد مخبئًا الآن...

سمعتُ صريرًا خافتًا وانبثقَت رائحة تعفّن، فعرفتُ أنّ توماس قد نجحَ في فتح الباب، وصلّيتُ أنّ مُطاردينا لم يسمعوه. "آه، لقد نجحت. لنُسرع هيّا."

غمرَتني قشعريراتٌ حين تذكّرتُ الباب الذي ضمّ الخفافيش مصّاصة الدماء. لقد كرهتُ خوض تلك التجربة من جديد لكنّني لم أجد خيارًا آخر. إذا كان المُخوزِق أو الجماعة خلفنا فالخفافيش أفضل منهم بكثير. ارتدّ الضوء من المصابيح أو الفوانيس، وسمعنا أصواتًا خافتة في نفقنا: لقد حان وقت التحرّك.

تسلّلنا إلى داخل الحُجرة السوداء وأغلقنا الباب، مُتجاهلينَ ما قد راقبَنا. تعلّقَت رائحةٌ لاذعة في الجوّ، كأنّ شيئًا ما قد تعفّن منذ زمن طويل هُناك. مرّ دهرٌ ونحنُ ننتظرُ عبور الدخلاء في الغرفة المُعتمة. لا بدّ

أنّ توماس قد مدّ يده لأنّ أصابعه علقَت في شعري لِلحظات. "حقًا؟" همستُ بشدّة. "هل اضطررتَ لخرمشَتي الآن؟"

"رغمَ أنّني فكّرتُ كثيرًا في لمسكِ في هذا المكان المُروّع الجميل يا وادزورث، لكنّ عقلي فشل في تطبيق ذلك على أرض الواقع."

"هل تُقسِم؟"

"بالقبر الفارغ لجدّي الأكبر دراكولا، نعم."

"إذن ماذا كان ذلك يا كريسويل؟"

بدلاً من الإجابة شعرتُ بتوماس يخطو أمامي، ويداه - الخفيّتان في الظلام - تنجرفان ببطء من صدري إلى خدّي قبل أن يبتعد. إذا لم تكن أصابعه متشابكة في شعري فمَن - أو ماذا - كان؟ خفقَ قلبي بوتيرةٍ محمومة، وابتلعتُ ذُعري المُتزايد وأنا أشغّل الفانوس ببطء. ملأ الوهج الصغير المساحة الكبيرة كذهبٍ مُنصهِر مسكوب على الأرض. استغرقَ الأمر لحظةً حتى تتأقلم عيني، وعندها ابتسمَ أمامي شبحُ وجهٍ بشع ابتسامةً عريضة.

شهقتُ بحدّة وكدتُ أُسقِط الفانوس من يدي ناسيةً ما لمسَ شعري منذُ ثوانٍ. ضعفَت أطرافي بمجرّد استيعابي لما حدّقتُ فيه: بضعة هوابط صخرية التوَت في نصف دائرة مع بعض الظلال المُلقاة من الصخور الناتئة، مكوّنةً شكلًا غريبًا لشيطان يبتسم لنا مُكشرًا عن أسنانه الحادّة.



خلف الأحجار المُعلّقة أمكنَني رؤية أنّ النفق يمتدّ لمسافةٍ طويلة. "لديّ... لستُ متأكدًا. أعتقدُ أنّه شعور، أنا أعاني من شيء." كانت وقفة توماس مُتصلّبة مثل فكّيه المشدودَين، ومُزحته محاولةٌ واضحة لتخفيف سوء حالتنا. "يبدو الأمر كأنّ مجموعةً من الثعابين قد سكنَت جسدي في وقتٍ واحد. شعورٌ بغيض."

"آه، نعم. لكنّكَ تشعُر يا كريسويل، وهذا تحسّنٌ كبير."

مع استمراري في توجيه الضوء حول المنطقة لاحظتُ وجود خيوط شاحبة فضّية مُعلّقة بين هوابط الصخور. انفصلتُ عن توماس على أمل فحص التكوين الشرّير بشكلٍ أفضل، قبل أن يتحرّكَ ظلٌّ نازلًا من السقف إلى مستوى النظر.

حدّقَ بي عنكبوتٌ بحجم قبضة يدي عبر عيونه اللامعة. كان مُغطّى بشُعيراتٍ سوداء كثيفة، ولهُ أنيابٌ بطول إبهامي تقريبًا. سارَت موجاتٌ من الجليد على طول رقبتي. لو لم يكن خطر القتل أو الطرد كبيرًا لصرختُ حتى تنفجرُ رئتاي.

سالت قطرةٌ من سائلٍ قرمزيّ خفيف من أطراف الأنياب، ولم أعرف ما إذا كانت دمًا أو سمًّا. كانت تلك الصرخة في أعماقي تُكافح من أجل التحرّر. رفعَ توماس يده وهو يخطو بحذرٍ نحوي. "ركّزي على وسامتي، وكم تريدين ضغط شفتيكِ على شفتيّ، ولا يُصيبنّكِ الذعر يا

وادزورث. إذا صرختِ فسوف أنضمُّ إليكِ وعندها سنقع في ورطة."

كل شيءٍ بداخلي هدّدَ بالاستسلام. عندما يتمّ تحذير شخص من شيءٍ ما ففي الغالب أنّ ذلك الشيء هو بالضبط ما يجب أن يفعله. تحدّيتُ عقلي ورفعتُ الفانوس بذراعٍ مُهتزّة، لأرى عنكبَين آخرَين يتدلّيان فوق رؤوسنا.

"أتساءلُ متى تمّ إطعامها آخر مرّة. لا يحدُث الكثير من النشاط في هذه الأنفاق." استدارَ توماس وشتَم فانزلق انتباهي خلفه، صوبَ الباب الذي جئنا منه. لقد استحالَ كائنًا حيًّا بجيش العناكب الماشية عليه. "توماس..." أومأتُ برأسي نحو الباب رغمَ أنه كان مذهولًا به بالفعل. "لا بدّ أنّ هُناك أكثر من ألف منها. كل جزءٍ منه ينبض بالحياة والحركة." "*Lycosa singoriensis*..." تمتمَ توماس باللاتينيّة لنفسه وتركيزه يتصاعد مع تكرار الكلمات. لقد نزعَ مشاعره كما يخلع المرء قفازاته، وحلّ محلّها ذلك القناع الميكانيكيّ الرائع الذي ارتداهُ في بعض الأحيان. "إنها رُتَيلاء رومانيّة."

"رائع. هل هي سامّة؟"

"أنا... في الواقع لستُ متأكدًا." ابتلعَ توماس ريقه بصعوبة، وكان ذلك المؤشر الوحيد على مدى خوفه. "لا أظنّ ذلك. على الأقل ليسَ هذا الصنف."



سألتُه: "هل جميعُها رُتَيلاء؟"

هزّ رأسه نافيًا ببطء، وهو يتفحّص كلّ حركاتها بشكلٍ منهجيّ. بالطبع لم تكن جميعها رُتَيلاء. لماذا ستأوي هذه القلعة المليئة بكلّ طرق الموت المُروّعة عناكب غير سامّة؟ دقّ قلبي بهلع. كنّا بحاجةٍ إلى خطة هروب، لكنّ مسحًا سريعًا أثبتَ قلّة الخيارات المُتاحة. لم نتمكّن من العودة بالطريقة التي أتينا بها فقد أغلقَ جيش العناكب طريقنا، كما لمعَت عيون العناكب من مئات النقاط الأخرى في الظلام، حاجبةً أيّ مخرجٍ بديل.

تراجعتُ بخطوةٍ مُتسرّعة إلى الوراء فتعثّرتُ بصخرةٍ كبيرة. شتمتُ ووجّهتُ الضوء نحو الأرض لأرى خطئًا جديدًا. لم تكن تلك صخرة، بل جمجمةً بلون الحليب.

"يا إلهي." أوشكتُ على الانهيار تحت ضغط الرعب عليّ من جميع الجهات. وجود هيكل عظميّ هنا لا يُبشّر بقوّة فرصتنا في الهروب. "توماس، يجب علينا..."

التفّت ثمانية أرجل طويلة ببطء من محجرَي الجمجمة بينما زحفَت ثمانية أخرى من فكّها المفتوح. زحفَ كلا العنكبَين العملاقَين نحوي بحركاتٍ مُضطربة، كأنّهما وحشان أزليّان يتّجهان صوب الوجبة التالية. إذا روى القرويّون هذه الأنواع من القصص لأطفالهم - حكاياتٌ عن

عناكب آكلة للبشر كامنة تحت الأرض، مع وجود جُثثها كإثبات - فلا عجب أنهم يؤمنون بوجود مصّاصي الدماء. لماذا ننكر وجود وحش ولدينا دليلٌ على وحشٍ آخر؟

سبحَ المشهد باللون الأسود المتموّج، ليس بسبب نقص الأوكسجين فحسب بل نتيجة تدفّق سيل العناكب من الشقوق والجحور، كشياطين تُلبّي نداءً من العالم السفليّ. كنّا بحاجة إلى التحرّك فورًا.

سلّمتُ الفانوس لتوماس وجمعتُ تنّورتي وذكائي. سقطَ شيءٌ على كتفي ولمسَ عنقي، فمددتُ يدي وشعرتُ بعنكبوتٍ يتشابكُ في شعري. يُمكنني التعامل مع إزالة الأعضاء من الجثث، والتنقيب داخل الأحشاء الجيلاتينيّة لمعظم الكائنات المتوفّاة، لكنّني أعترفُ أنّ العنكبوت الذي اخترقَ شعري كان فوق طاقتي. نزلَت أرجلهُ على لحم رقبتي المكشوف ثانيةً، فصَرخت. هُنا غادرَني المنطق. رميتُ نفسي جانبًا لأهزّ شعري بعُنف، مُحاولةً عدم الصراخ ثانيةً بينما كان العنكبوت يزحف على رقبتي، مُبتعدًا عن ضربات يديّ. قبل أن أنجح في إبعاده اخترقَت قرصةٌ حادّة بشرَتي بالقُرب من الياقة. اجتاحَني الذعر في موجةٍ مُفاجئة. "لقد عضّني!" أسقطَ توماس الفانوس ووجدَني في لحظة. "دعيني أرى."

كنتُ على وشك سحب ياقتي جانبًا عندما سقطَ عنكبوتٌ آخر أمامنا، وكلّ ما رأيتُه كان فم توماس المفتوح في إثر الصدمة قبل أن أرفع



تنّورتي إلى ركبتيّ لأركض، ناسيةً كلّ شيء عن الهدوء. لندَع مَن كان في الأنفاق يُواجه الرُتيلاء بمُفرده.

ارتجفَت أطرافي بشدّة وبالكاد استطعتُ الاستمرار في الحركة، لكنّني ركضتُ كما لو كنتُ هاربةً من فلاد دراكولا بعينه. في هذه المرحلة كنتُ على استعداد لتصديق أيّ شيء.

فقدتُ زخم اندفاعي لِلحظة مُتعثّرةً بتنّورتي الملفوفة، فاخترقَ شيءٌ حادّ ربلة ساقي وترنّحتُ إلى الجانب. أصابَني ألمٌ كأنّ أحدهم وخزَني بعدّة إبر جنائزيّة في وقتٍ واحد. "آه!"

خنقَتني صرخةٌ أخرى. لم أعرف ما إذا كان عنكبوتٌ آخر قد عضّني أم إنني قد شققتُ ساقي بما كان على الأرجح بقايا عظام بشريّة، ولا يُمكن التوقّف للتحقّق من ذلك. دفعَ توماس مجموعةً من العناكب من فوق مقبض الباب ثمّ سحبَنا عبره، والضوء يتأرجح مُتسبّبًا في مَيلان العالم من حولنا. كان ذلك عرض سيرك دون خدعٍ سحريّة. انطلَقنا بأقصى سرعة من الغرفة، وأملتُ ألّا نكون في طريقنا إلى رُعبٍ جديد.

بعد عدّة دقائق خرجنا من النفق المُظلم إلى مكان هادئ آخر، فانحنينا لاهثين بشدّة. أمسكَ توماس الفانوس فأظهرَ ضوؤه الخافت أنّها غرفةٌ حجريّة هائلة. رغبتُ في إلقاء نظرة لكنّني لم أستطع استنشاق ما يكفي من الهواء لتثبيت نفسي.

قبل أن تستقرّ أنفاس توماس قامَ بوضع المصباح بجواري وجلسَ القرفصاء ليفحصَ جروحي. كانت يداه باردتَين ودقيقتَين وهُما تسحبان جواربي المُتشقّقة، وبدا قلقٌ على شكل طيّةٍ بين حاجبيه.

"لقد تعرّضتِ للعضّ من قبل عنكبوتٍ واحد من النوع غير السامّ كما يبدو، إذ لا يوجد تورّم أو تغيّرٍ لونيّ يُشير إلى سمّ. أمّا ساقُك فقد جُرِحَت بصخرةٍ حادّة، هذا الجرح يحتاج إلى غسل وبعض الضماد."

"لقد تركتُ عُدّة الجروح في ثوبي الآخر. يا للتعاسة."

ارتعشَت شفتا توماس، في أوّل علامة على خروجه من ذلك الجزء البارد المعزول من نفسه. فتّشَ في سرواله ولوّح بلفافةٍ صغيرة من الشاش. "من حُسن حظّكِ أنّني تذكّرتُ عُدّتي."

دون إضاعة المزيد من الوقت، قامَ بتنظيف جرحي بأفضل ما يُمكن ولفّهُ بكفاءةٍ عالية، وبمجرّد الانتهاء من تلك المسألة وقفَ ليتفحّصَ الغرفة الكهفيّة. انتشرَت أمامنا عدّة ممرّات مُميّزة بأرقام، ولم يرتبط أيٌّ منها بالقصائد التي قرأناها في الفصل.

قال وهو يرفع الفانوس: "لا أعتقد أنّنا كُنّا مُطارَدين، وإلّا لَسمِعنا الآن أصواتَهم. أيّ ممرٍّ بائس يجب أن نُجرّبه أوّلًا؟"



"لستُ -" خطرَت لي فكرةٌ ولم أستطع منع نفسي من الزفير. أشرتُ إلى أضيق نفق، أعلى مدخلهِ المقوّس بدا الرقم الرومانيّ الثامن. "هذا دليلٌ داخل دليل يا توماس."

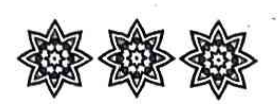
رفعَ حاجبه. "ربّما تأثّرتُ بالظلام أو العناكب، لأنّني لا أفهم العلاقة بالضبط."

"قد يكون الرقم الرومانيّ ثمانية رمزًا لفلاد المُخوزِق. ف ثلاثة، فلاد الثالث هو الأمير دراكولا."

قال توماس مُوجهًا نظره إليّ: "أنتِ مُثيرةٌ للإعجاب يا وادزورث. لو لم نكن على وشك دخول ممرٍّ رهيبٍ آخر مليء بالمخاطر المُميتة لَحملتُكِ بين ذراعيّ في هذه اللحظة."

40

فيضانٌ من المعلومات



الأنفاق السرّية

قلعة بران

22 ديسمبر 1888

فورَ دخولي الممرّ أخذتُ الفانوس من توماس وحرّكتُ الضوء حول الفضاء وأنا أدور ببطء. لم أجد كلماتٍ أقولُها وأنا أفحصُ الجدران. لم يكُن هذا نفقًا منسيًّا آخر تحت القلعة، بل انتهى الممرّ بغرفةٍ حجريّة مُربّعة مُنتظمة. تغطّت جدرانها والأرضيّة والسقف بأنماطٍ محفورة بشكل صليب أصغر قليلاً من يدي، ولمَعَت الجواهر والبلاط في ضوء المصباح.

لم أرَ في حياتي كميّة مجوهرات كَتلك في الفسيفساء المتلألئة، وذكّرَتني بالمعابد القديمة حيث أمضى الرسّامون العباقرة سنين حياتهم في التقاط كلّ التفاصيل. لم أفهم غرض مثل هذه الغرفة هُنا في قلعة فلاد دراكولا السابقة. ربّما هذا مكان اجتماع سرّي لجماعة التنّين، فقد كان لها ارتباطٌ



بالصّليبية. لم أعتقد أنّها حجرة موتٍ أخرى. مشيتُ نحو أقرب جدار وتلمّستُ الحافة الخارجية للحجر. كان كلّ صليبٍ متطابقًا. فحصتُ المكان، وفاجأتني رؤية الطحالب تنمو في بقع على طول الزوايا العلويّة والسفليّة للغرفة.

"هذا لا يُصدَّق."

"مُريبٌ بشكلٍ لا يُصدَّق. انظُري هناك." أشارَ توماس إلى رقمٍ رومانيّ محفور، رقم أحد عشر. "هل ستقرئين تلك القصيدة؟"

"نعم، أعطِني لحظة لأجدها."

دارَ توماس ببطء في مكانه مُتفقّدًا أكبر قدر مُمكن من الغرفة الحجريّة الرطبة، بينما فتحتُ كتاب قصائد الموت لإيجاد القصيدة المُرتبطة بالمكان الذي وقفنا فيه. لم تكن لديّ فكرة عن كيفية فكّ شفرتها بطريقة رادو، ولا عمّا ينتظرُنا هنا.

سأل توماس: "حسنًا؟ هل هناك المزيد فيها؟"

أجبت: "كلا. إنها نفس القصيدة التي سمعناها: ينتحبُ السادة وتبكي السيّدات، في نهاية المطاف يقولون وداعًا، تتغيّر الأرض وتظهر كهوف عميقةٌ فيها، دافئةٌ كالجحيم. ينسابُ الماء باردًا، عميقًا وبسُرعة، داخل جدرانها لن تصمدَ طويلًا."

في وسط الغرفة بالضبط انتصبَت طاولةٌ حجريّة بارتفاع حوالي أربعة أقدام، مغطّاة بنفس المحفورات الصليبيّة. أصابَني توتّرٌ ودقّ كالأجراس في صدري؛ من المُحتمل أنّ المائدة ليسَت سوى مذبح يُستخدَم لتقديم القرابين.

معرفتي لَمن تنتمي القلعة جعلَتني أستحضر صور تعذيب مُروّعة. كم عدد الأشخاص الذين عُوملوا بوحشيّةٍ هنا باسم الحرب؟ كم عدد البويار الذين عُذّبوا وشُوّهوا من أجل خلق أمّةٍ مُسالمة؟ لا يوجد رابحون في أوقات الحرب، الجميع يُعاني.

"أنا مُتيقّنة من وجود لوحة في ممرّ الخدم تُصوّر حجرةً مثل هذه." قلتُ وتردّدَ صدى صوتي في الأرجاء. "لكنّ الجدران في تلك الصورة بدَت مُلطّخةً بالدماء."

نظرَ توماس في اتجاهي، وبانَت مسحةُ خوفٍ على وجهه قبل أن تختفي. "مُلطّخةٌ بالدماء أم مليئةٌ بها؟"

استحضرتُ صورةً ذهنيّة للعمل الفنيّ، كانت فيه قطراتٌ مُتساقطة.

"تُمطرُ دمًا في الواقع." التوَت شفتاي لا إراديًا. "لم أدرسها عن كثب."

تحرّكَ عبر الغرفة وانتزعَ ياقوتةً بحجم بيضة من الحائط، وميّلَها في اتجاه ثم في الاتجاه المُعاكس. كانت أشبه بقطرةٍ عملاقة من الدم المُتبلور.



"يجب أن تُعيدها -"

على حين غرّةٍ انطلقَت سلسلةٌ من النقرات وأصوات الصرير كتروس ساعة هائلة الحجم جرى إحياؤها. ارتبكَ توماس ثم أصابهُ ذعر، وحاولَ دفع الياقوتة إلى مكانها لكنّ الجدران باتت تهتزّ وتهدر مثل عمالقة يستيقظون من سُباتٍ طويل، كما انهارَت أجزاءٌ من الصخور حول النقطة التي أخذَ منها الحجر الثمين، ممّا ضمنَ أنّ القطعة لن تعود كما كانت من قبل.

تراجعتُ ببطء عن المذبح، وكدتُ أصطدم بحجرٍ دائريّ انبثقَ من الجدار المُجاور لي كسدّادة الشمبانيا، وتلا ذلك انبثاق صخرة أسطوانيّةٍ أخرى من الجدار، ثمّ أخرى.

"حان الآن وقت المُغادرة يا وادزورث. لا داعٍ للوقوف هنا حينما ينطبقُ السقف."

حدّقتُ في صديقي. "استنتاجٌ رائع يا كريسويل."

استدرتُ على الفور راكضةً إلى الممرّ وتوماس في أعقابي، قبل أن يُمسكني من خصري ليجذبني نحوه فجأةً. في تلك اللحظة سقطَ بابٌ فولاذيّ من السقف مثل المقصلة، ليفصلنا عن العالم ويحبسنا باصطدامٍ مُدوٍّ عالي الصدى، وكانَ سيشطر جسديّ إلى نصفين لولا توماس. اهتززتُ بشدّة وارتجفَت معي ذراعاه.



"آه... لا يُمكن أن نُدفَن أحياء توماس!" قمتُ بدفع الباب، أولاً بقبضتيّ ثم مررتُ أصابعي على طول سطحها الأملس، بحثًا عن أيّ ميكانيكيّةٍ لتحريرنا بلا جدوى. لم يكن هناك مقبض أو قفل أو آليّة فتح، لا شيء سوى قطعة صلبة من الفولاذ التي لم تؤثّر بها ركلاتي المُتعاقبة.

"توماس! ساعِدني!" حاولتُ دفع الباب بثُقلي لكنه كان عالقًا بقوّة في مكانه، وحاولَ توماس فتحهُ بالارتماء عليه بينما واصلتُ الركل. لم يبدُ الباب قابلًا للتحريك على الإطلاق. فركَ توماس كتفه وخطا بضع خطوات لاستطلاع وضعنا.

"حسنًا، هذه على الأقل أسوأ مشاكلنا في الوقت الحالي. يُمكن أن تمتلئ الغرفة بالثعابين أو العناكب بعد حين."

"لماذا؟ لماذا تتفوّه بمثل -"

صدرَ صوت هسهسة خافت من الزاوية البعيدة، ثمّ علَت الضوضاء حتّى بدا جدار الغرفة هو خطّ الدفاع الوحيد الذي يحول بيننا وبين ما كانَ في طريقه إلينا. "ما ذلك بحقّ الملكة؟" ابتعدتُ بسرعة عن الباب، واندفعَ توماس نحوي في لحظة، ليقفَ بالقرب مني في استعدادٍ لحمايتي من ذلك التهديد. أمسكتُ بذراعه، مع علمي بأنّنا سنُواجه ذلك معًا. ثمّ رأيتُها: قطراتٌ تصبُّ على الحائط. ركضتُ لأتأكد ممّا رأيتُه. "هذا ماء. الماء يتدفّق -"



انبثقَت المزيد من أصوات الهسهسة، من ثقوبٍ في الأرض والجدران والسقف وأخذ الماءُ يصبُّ علينا. سكبَت عشرات الشلالات الصغيرة مياهًا ذات رغوةٍ بيضاء في الغرفة، وفي غضون ثوان غطّت كواحلنا. حدّقتُ في الأرض بصدمة؛ هذا مُستحيل.

"ابحث عن مخرجٍ في الأرض!" صرختُ وسط هدير المياه. "لا بدّ من وجود عتلة أو آليّةٍ ما للخروج من هذه الغرفة."

رفعتُ تنّورتي وانحنيتُ نحو الأرض على أمل العثور على منفذ، لكنّني فشلت. لم أجد سوى المزيد من الصُلبان المحفورة عليها، كأنها تسخرُ بسيّء الحظ الذي وجدَ نفسه في غرفة الموت هذه. أو ربّما كانت طريقةً لطيفة للتنويه عن لقاء الربّ قريبًا، لِمَن يؤمن بهذهِ الأمور.

ربّما استُعملَت هذه الغرفة لتطهير العُصاة من خطاياهم. خلا عقلي تمامًا للحظة... كان هذا أسوأ مصيرٍ يُمكن أن أتخيّله.

"تحقّقي من الجدران وادزورث." رفعَ توماس نفسه على الطاولة ومرّر يديه على السقف، باحثًا عن أيّ نوعٍ من الخلاص.

عدتُ إلى العمل. "أنا أحاول!"

وصلَ الماء المُثلّج إلى ركبتيّ. هذا يحدُث بالفعل. لم نُدفَن أحياء، بل سنغرق: كان خوفي بمثل برودة وثُقل الماء الذي نقعَت فيه تنّورتي. إذا كنّا على وشك الموت، فلن أرحلَ بسهولة. عدت إلى الباب لأبحث

للمرّة الثانية عن مزلاجٍ مخفيّ، وأدرتُ يديّ بشكل محموم فوق كلّ سطحٍ مُمكن. غدَت تنّورتي أثقالًا تجرّني للأسفل، لكنّني لم أستطع التخلّص منها بنفسي. وصلَ الماء إلى فخذيّ، ممّا جعلَ الحركة أصعب بكثير. قفزَ توماس إلى البُركة المُتصاعدة ووصلَ إليّ في ثوان.

"تعالي أودري روز. قِفي على المذبح." أخذَ توماس يدي لكنّني أفلتُّ من قبضته. لا بدّ من وجود طريقة لفتح الباب.

"لن أقف على طاولةٍ بانتظار حدوث معجزة، أو الموت الوشيك يا كريسويل. ساعِدني في خلع تنّورتي أو ابتعِد."

"نحنُ على وشك الموت وهذا هو طلبُكِ المُخزي؟"

"لن نهلك هنا يا توماس."

التمعَت عيناه بالعاطفة. لقد ظنّ حقًا أنه لا فرارَ لنا من هذا. غرقَ قلبي بشكلٍ أسرع من تنّورتي بينما تطايرَ الماء على خصري. لقد كانَ بارعًا في رؤية المُستحيل... إذا استسلمَ فهذا يعني...

"توماس..." صدمَت ذكرى مُحاضرة البروفيسور رادو ذهني في نفس الوقت الذي استحوذَت فيه رعشاتٌ على أجسادنا المنقوعة. "أطعِم التنّين!" صرختُ وأنا أتفادى مجرى مائيًا جديدًا انبثقَ فوقنا. تدفّقَت المياه بسُرعةٍ حتّى باتَت تُغطّي المذبح الآن. "هذا هو المفتاح بلا شكّ!"



"أين هذا التنّين الذي نحتاجُ إلى إطعامه يا وادزورث؟"

"أنا... أنا..."

لم ينتظر توماس ردّي، بل حملَني بين ذراعيه ووضعَني على المذبح قبل أن يسحبَ نفسه للأعلى بعدي. أمطرَت علينا المياه المُتجمّدة كأنّنا قد هبطنا على جزيرةٍ مهجورة في موسم الفيضانات. في أحسن الأحوال كانت أمامنا دقائق قبل وصول الماء إلى السقف. ضاقَ مجال رؤيتي عند الأطراف. الدفنُ حيّةً دائمًا فكرةٌ مُخيفة، لكنّني لم أعرف قطّ مدى خوفي من الموت في قبر مائيّ. تدحرجَت مشاعري وتحطّمَت أمام أفكاري. كانت آثار انخفاض حرارة الجسم وشيكة الحدوث، وقد بدأت بالفعل في تشتيت عقلي. تحوّلت شفتا توماس إلى اللون الأزرق الخفيف وهو يرتجف بجانبي. إذا لم يقتلنا الماء فسوف يتكفّل البرد بالأمر. أين التنّين؟ بدَت كفكرةٍ لامعة قبل لحظات...

جذبَني توماس تجاهه، ورفعَني عندما وصل الماء إلى ذقني.

"اص... اصمِدي... وادزورث... إبقَي... معي."

كان يستخدم طوله لمنحي وقتًا إضافيًا قبل أن أبدأ بابتلاع الماء. أردتُ أن أبكي وأدفن وجهي في رقبته، وأقول له كم ندمتُ على جره إلى هنا، إلى هذا النفق الرهيب في هذه المُغامرة الحمقاء. مَن سيهتمّ إذا أمسكنا بالمُخوزِق أو بالجماعة؟ كان يجب أن أخبر المُدير بنظريّاتي، وكان

يجب أن يجوب الحرس الملكيّ هذه الأنفاق بدلًا عنّا. "توماس..." بصقتُ الماء، وقد اجتاحَتني رغبةٌ مُفاجئة بالبوح بكلّ أسراري. قلتُ من بين أسناني المصطكّة: "اس... اسمع... كر... كريسويل... هُناك شيء... يجب أن أخبرُكَ به... أنا -"

"تو... توقّفي وادزورث. لا... لا أسمح باعترافات اللحظة الأخيرة. سنخرُج من هنا." انزلقَ الماء على خدّي وهززتُ رأسي، فقامَ توماس بمسك ذقني بيديه الباردتين ونظرَ بشراسة في عينيّ. "ركّزي... لا تستسلمي. استخدمي دماغك الجذّاب للعثور على تنّين رادو وإخراجنا من هنا... يُمكنكِ القيام بذلك أودري روز."

"لا توجد تنانين!" صرختُ وأنا أضعُ وجهي على كتفه. لقد غمرَني البرد حتّى تمنّيتُ الانطواء على نفسي والموت. أردتُ أن يخفّ ألم أطرافي، أردتُ الاستسلام. حدّقتُ في المذبح تحت أقدامنا بعينيّ المليئتَين بالدموع بينما اتّضحَ الشكل الموجود عليه. لقد كنّا نقف على الحلّ. تمّ نحت تنّين بحجم المذبح تقريبًا على قمّته، كان فمه مفتوحًا ليُظهر أسنانًا حجريّة بدَت حادة بما يكفي لقطع الجلد.

"لقد وجدتُها!" "كـ... كم... هذا... را...ئع." قال توماس والارتجاف يجتاحُ جسده وصوته. "لدينا طاولةٌ... مثل هذه في... منزلنا في بوخارست. إلا أنّ تنّيننا... أقلّ ابتسامًا. لقد أسميتُه... هنري."



نظرتُ إليه بحدّة، كان على وشك الاختلاج، واحتجتُ للتحرّك بسرعة. أفلتُّ من قبضته وأملتُ رأسي للخلف بقدر ما أمكنَني لآخذ نفسًا عميقًا وأغوص. رفستُ نحو النحت، ولم أضطرّ إلى بذل جهد لأنّ ملابسي عملَت كمرساة. دفعتُ إصبعي في فم التنّين وسحبتُه عبر السنّ الحجرية، مُتألّمةً بينما اختلطَ دمي مع الماء.

دقّ قلبي بشدّة. لقد تحرّكَ شيء، أسنان التنّين انحسرَت قليلاً، ثم فُتحَ بابٌ خفيّ في الأرضيّة الحجريّة سامحًا لبعض المياه بالتفريغ لكن ليس بما يكفي. سحبتُ مرةً أخرى غير إنّ الأسنان رفضَت الانصياع. بالطبع، لا يُمكن أن يكون الأمر بهذه السهولة.

احتجتُ للتنفّس، فحاولتُ العودة إلى السطح لكنّ طبقات ملابسي كانت ثقيلةً جدًا. تسلّلَ الذعر إليّ وأنا أتخبّط تحت الماء، وتصاعدَت الفقاعات من حولي. أردتُ الصراخ طلبًا للمساعدة لكنّني لم أستطع المُخاطرة بخسارة المزيد من الهواء.

حينما ظننتُ أنّني قد وصلتُ إلى آخر أنفاسي رفعَني توماس، ومسحَ خيوطًا من الشعر المبلّل عن وجهي بينما كنتُ ألهث وأوشكُ على التقيؤ. تأكّد من كوني بخير قبل الغوص إلى الباب الخفيّ محاولًا فتحه، وأخذتُ نفسًا عميقًا قبل أن أتبعهُ، على أمل نجاح قوّتَينا معًا، لكنّنا بذلنا قُصارى جهدنا دون جدوى.

أمسكَ توماس بيدي المُرتجِفة بيده، وركلنا طريقنا نحو الهواء المُتبقّي. عندما أخرَجنا رأسَينا من سطح المياه كان فيض الماء ينهمر علينا وقد تجاوزَ ذقنَينا، وشهدتُ اللحظة التي استسلمَ فيها توماس لمصيرِنا المحتوم.

سحبَ نفَسًا مُتقطّعًا، ربّما نتجَ من انخفاض حرارة جسمه أو إدراكه أنّنا نعيش لحظاتنا الأخيرة. لم أرهُ من قبل دون خطّة. نظرَ إليّ بنوع من التحديق الذي يحفظ كلّ تفصيلة، وكان إبهاماهُ يُداعبان وجنتيّ. غطّى الماء فمي فرفعتُ وجهي لأعلى، وعلمتُ أنّ هذه هي النهاية، هذه هي اللحظات الأخيرة في حياتي. ملأني الندم بحُزنٍ لا يُوصف. هُنالك الكثير ممّا لم أفعلْه وما لم أقُلْهُ بعد.

"أودري روز، أنا -" سادَ الذعر نظراته، وبالكاد استطعتُ فهم كلماته بعد اندفاع الماء في أذنيّ. ناضلتُ لرفع وجهي فوق الماء، وشهقتُ جرعةً أخيرة من الهواء.

"أودري روز!"

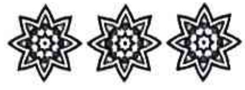
نسيتُ نداء توماس في الثانية التي اهتزّت فيها الغرفة. تردّدَ صوت صدع هائل من جدران الغرفة بينما انفتحَت الأرض تحتنا على مصراعيها. أمسكَ بي وهو يصرخ بشيءٍ لم أستطع سماعه بسبب الضوضاء التي تصمّ الآذان. نزلَت المياه في سيولٍ بسرعةٍ خاطفة لتدخل



نفقًا على هيئة دوّامة عملاقة جذبَتنا معها. مددتُ يدي نحو يد توماس الممدودة، صارخةً وسط الماءِ الذي فرّقَنا. لقد غرَقنا في حفرةٍ ابتلعَت كلماتِنا وأجسادنا بالكامل.

41

عظمٌ أبيض



سرداب
قلعة بران

22 ديسمبر 1888

جاهدتُ لإبقاء أنفي وفمي فوق الماء في أثناء انزلاقنا خلال ما افترضتُ أنهُ أنبوبٌ قديم مغطّى بالطحالب الزلقة، متّجهين نحو المجهول.

أبقيتُ يديّ مطويّتَين على جسدي لمنع الأوساخ من تغطيته. لو لم أكن أعلم أنّنا على وشك الوقوع في حجرةٍ أسوأ - أو أنّ مشرطي ومطرقة توماس على وشك التسبّب في إصابةٍ خطيرة لنا - لربّما استمتعتُ برحلة المياه الجوفية العملاقة تلك. مع ذلك لم أصدّق أنّ فلاد دراكولا أو جماعة التنّين قد صمّموا هذا للتسلية، وتقلّصَت عضلاتي تحسّبًا للمكان الذي سنهبطُ فيه. سيطرَ عليّ الارتجاف وأنا أنزلقُ أسفل



الأنبوب الذي بدا بلا نهاية. لم أستطع تخيّل إلى أيّ مدى وصلنا تحت الأرض، كان الظلام دامسًا لدرجة أنني لم أستطع رؤية يدي وهي أمامي.

التوى الأنبوب ودارَ بضع دورات قبل أن يستقيم في النهاية. بعد ثوانٍ أُلقيتُ في بُركةٍ ضحلة، ورفضتُ التفكير فيما قد تحرّكَ عبر سطحها بينما كنتُ أتخبّط؛ على الأقل لم تكن الرائحة كريهةً جدًا. عندما نهضتُ خرجَ توماس طائرًا ليهبط عليّ ويُسقطنا على الأرض، وأطرافُنا وجباهُنا تتلاطم في رقصةٍ خرقاء. بطريقةٍ ما تمكّنَ من حماية رأسي بيده من الارتطام بالحجر الموجود تحتنا، وتخيّلتُ أنّ مفاصل يده لم يُحالفها ذلك الحظّ.

قال وهو ينفجرُ في نوبة ضحك: "هذا... كان... مُرعبًا... ولا يُصدَّق." أردتُ أن أوافقه الرأي، لكن كلّ ما فكّرتُ فيه هو يداه الملفوفتان حولي. لقد نجونا من حافّة الموت للتوّ. أبحرَ فانوسنا في الماء كنجمٍ سائر[1] عبر فضاء الليل، عائمًا على السطح ليبعث القليل من الضوء.

نظرَ إليّ توماس وكفّ عن الضحك، أصبحَ تعبيره الآن جادًّا ومدروسًا. حدّقتُ فيه مُلاحظةً رموشه الطويلة المُظلمة مثل سماء الليل.

1-يُقصَد به الشّهاب. (المُترجِم)

كانت عيناه مجموعة النجوم المُفضّلة عندي؛ والحلقتان الذهبيّتان حول بؤبؤيه مجرّاتٌ جديدة تنتظرُ مَن يكتشفها. لم أُفتَتن بعلم الفلك من قبل، لكنّني وجدتُ نفسي الآن طالبةً مُتحمّسة.

"لقد أنقذتِني مرّةً أخرى." انحنى توماس على مرفقيه، مُبتسمًا أمام تعبيري المذهول به. مدّ يده لينتزع بعض الطين من شعري. "أنتِ جميلةٌ يا وادزورث."

"نعم بالتأكيد. مُغطّاةٌ بالأوساخ وهذا الشيء ذي الرائحة الكريهة..."

"من الأفضل ألّا تعرفيه حقًا."

كتمتُ ضحكة وأنا أحرّك كلّ طرفٍ من أطرافي بحذر، مُتحقّقةً من سلامة عظامي. بدا كلّ شيء في حالةٍ جيّدة، رغمَ أنه من الصعب معرفة ذلك دون الوقوف.

"كيف كان ذلك كمُغامرة؟" سألتُه وأنا أرتجفُ في مكاني. "هل كان أقرب إلى ما دارَ في ذهنك؟" مالَت شفتاه بابتسامة. "من الواضح أنّكِ بحاجةٍ للنوم. لستُ متأكدًا من استمرار صداقتنا بعد الآن يا وادزورث؛ أنتِ جامحةٌ للغاية بالنسبة لي."



تأوّهتُ بعد أن رفعَ بعض ثقله عنّي. كان الاستلقاء منقوعةً على الأرضيّة الحجريّة للبُركة أمرًا مُروّعًا لا يُمكن تجاهُله، بغضّ النظر عن استمتاع جزء مني بكوني قريبةً من توماس، الذي ظهرَ القلق في ملامحه.

"ماذا؟ هل أنتِ مُصابة؟"

"ربما ينبغي أن نعود إلى مهمّتنا، المُتمثّلة في تحديد موقع المُخوزِق، وإذا كُنتَ لا تُمانع فابتعِد عنّي لأتنفّس بشكلٍ صحيح... أنتَ أسوأ من مشدّي."

رمشَ كمَن يستفيق من حُلم، ثم قفزَ وقدّم لي يده. "أعتذرُ يا سيّدتي الجميلة." أخرجَ الفانوس من الماء ومسحَ جوانبه. "ما غرفة الهلاك التالية في القائمة؟"

"لستُ واثقة. هل ما زلتَ تملك كتاب قصائد الموت؟"

"ها هو ذا." ربّتَ توماس على جيبه الأماميّ. "رغمَ اختفاء مطرقة الجمجمة."

"مشرطي أيضًا اختفى." ألقيتُ نظرةً على الغرفة ولاحظتُ وجود حافّات صخرية على جانبَي بُركة الماء التي وقفنا فيها، فأشرت إليهما. "لنجرّب بعض التجفيف."

صعَدنا إلى الحافّة وعصَرنا ملابسنا وشعرَينا بأفضل ما نستطيع. لقد التصقَت تنّورتي بأطرافي، ممّا جعل كلّ حركة أصعب من سابقتها.

فوجئتُ برؤية بخار يتصاعد من بضعة شقوق في صخور الجدار، مُبدّدةً معظم البرد القارس من الهواء. رفعتُ يدي المُرتجفة نحوها وسرعان ما فعلَ توماس الشيء ذاته.

"لا بد أنّ هذا ينبوعٌ ساخن في إحدى هذه الجبال." قال وهو يخلع معطفه ليُعلّقه على البخار. حدّقتُ في صدره، المُحدّد بوضوح بفضل قميصه المنقوع. لقد تمّ نحتُه بدقة، قريبًا من التماثيل النصفيّة للأبطال أو الآلهة القدماء.

أبعدتُ نظري عنه مُمسكةً بتنّورتي قُرب البخار قدر الإمكان. الآن ليسَ الوقت المُناسب للتشتّت برغباتٍ غير لائقة. استدرتُ على أمل تجفيف ظهر ثوبي، فرأيتُ مدخل نفق آخر عليه الرقم XII. مرّت قشعريرةٌ في جسدي.

"دعني أرى الكتاب يا كريسويل."

نظرَ توماس إلى المدخل الذي أشرتُ إليه وسلّمني المجلّد القديم، وقلّبتُ صفحاته بتعجّبٍ من نجاتها من المياه. لا بدّ أنّ مَن صنعهُ قد خطّط لتحمّله مثل هذه الأخطار. وجدتُ ضالّتي، واستغرق الأمر بعض الوقت لأفهم الرومانيّة لكنّني ترجمتُها في النهاية.

XII

عظمٌ أبيض، دمٌ أحمر،

هنا يرقدُ ما ماتَ منذُ زمن،



شجرةُ الموت وقلبُ الحجر.

لا تدخُل السرداب لوحدِك

وإلّا فسوف يكشفُ مسارَك،

ويُطاردك، ثمّ يُهاجم.

عظمٌ أبيض، دمٌ أحمر،

هُنالكَ يرقدُ مَن كان عليهم الفرار.

قرأتُها بصوتٍ عالٍ لتوماس، وركّزتُ أفكاري بالكامل على مهمّتنا من جديد. دفعَ خصلاتٍ من شعره الداكن عن جبهته وتنهّد. "لا أذكر أنّ رادو ذكرَ شيئًا عن قتال ستريغوي، أليس كذلك؟"

"للأسف لم يذكر." هززتُ رأسي. لم تُقدّم دروسنا عن مصّاصي الدماء أيّة تلميحات حول كيفيّة النجاة في غرفةٍ مُخصّصةٍ لهم. قلتُ وأنا أرفعُ تنّورتي التي جفّ جزءٌ منها وأشيرُ نحو المدخل: "هيّا، لن نخرج من هذه الأنفاق عبر الوقوف هنا."

"كلا." وافق توماس وتابعَ ببطء: "لكنّني أفضّلُ أن أقف مغطّى بالطين على مُواجهة ما ينتظرنا من مُتعٍ جديدة."

لم يكن النفق طويلاً وقادَنا إلى غرفةٍ أخرى، كما لو كنّا نسير من قاعةٍ كبيرة إلى أخرى في القلعة. "متعٌ مثل هذه. كم هذا ساحر."

رفعتُ انتباهي لأفحص المكان الذي وصلنا إليه، وانتابَني الندم على الفور. كانت الغرفة عبارة عن سرداب قديم هائل، مقسومٍ إلى قسمَين بواسطة قوسٍ حجريّ مُتقَن. لقد مرّ أحدُهم من هنا مؤخرًا وأشعلَ المشاعل، فارتعبتُ من الفكرة، لا بدّ من وجود طريقة للوصول إلى هنا غير المسار الجهنّمي الذي سلكناه. وجدتُ نفسي محتارةً بين الاندفاع إلى الأمام والعودة في الاتجاه المعاكس.

توقّفنا أنا وتوماس تحت القوس، غير راغبين في العبور إلى الفضاء خلفه. نظرَ إليّ ورفع إصبعه إلى شفتَيه: احتجنا إلى التحرّك بأسرع وأهدأ ما يُمكن.

حدّقتُ في القوس، مُحاولةً السيطرة على القشعريرات التي انسابَت عبر بدني. لقد صُنِعَ بالكامل من قرون الأيائل، ولم أستطع تقدير عدد الحيوانات التي ماتَت لابتكار مثل هذا الشيء الفظيع، لكن سُرعان ما انجذبَ انتباهي إلى باقي المكان الذي كان أكثر رُعبًا.

لم يرقد الموتى بسلام في هذا السرداب؛ بل استُخدمَت رُفاتهم وتمّ تشكيلُها والعبث بها في مشهدٍ كابوسيّ من مشاهد كتُب الرّعب القوطيّ. لقد صُنِعَ كلّ شيء هُناك من عظامٍ بيضاء باردة: شواهد قبور، صُلبان مُزخرفة، الجدران، السقف، سياج مُنخفض، كلّ شيء تكوّنَ من أجزاء من الهياكل العظمية البشريّة والحيوانية معًا. ابتلعتُ اشمئزازي



بصعوبة. كان رادو مُخطئًا بشأن امتلاء الغابة بالعظام، فالعظامُ كلّها هُنا، أسفل الجبل.

من مكاننا استطَعنا رؤية ضريحٍ مُسيَّج، يقفُ مثل كنيسةٍ شرّيرةٍ صغيرة داخل مقبرةٍ شاسعة. كانت أرضيّة المقبرة من التربة بدلًا من الحجر، ممّا جعلني أتساءل عن وصولنا أخيرًا إلى القاع الحقيقيّ للجبل. لقد بُنِيَ السياج من عظام مُنتصبة ثابتة في التربة، وفي وسطها بابٌ بدائيّة مُواربة. تصلّبَ جسدي بالترقّب والرّهبة... لم أرغب في العبور إلى ذلك الجزء من الجحيم.

وقفَت أعمدةٌ ضخمةٌ من العظام المُتشابكة بشموخ على طول الجوانب الأربعة للضريح، الذي صُنِعَ أيضًا بكاملِهِ من بقايا الأحياء. في وسط تلك المقبرة مُترامية الأطراف من الهياكل العظميّة مثُلَت شجرةٌ كبيرة وصلَت أغصانها إلى حدود السقف المُرتفع، ومثل أيّ شيءٍ آخر في هذا المكان المُروّع كانت أطراف الشجرة مكوّنة بمُجملها من العظام. لا بدّ أنّ طولها بلغَ عشرين قدمًا على الأقل.

مشَينا حتّى توقّفنا عند السياج. صمتَ توماس مثل المقبرة التي وقفنا بالقُربِ منها، واهتمامه يتنقّل بين المشاهد الشائِنة. دغدغَت رائحة التراب والعفن أنفي لكنّني لم أجرؤ على العطس؛ يُمكن لأيّ شيء أن يكمُن في وكر الرّعب المُحيط بنا. حوّلَ توماس تركيزه إلى المشهد الكريه

أمامَنا مباشرةً. "أعتقدُ أنّنا وجدنا شجرة الموت المذكورة في كتاب القصائد." همسَ وهو يُلقي نظرةً حوله.

"على الأقل اسمها يُلائمها. بالتأكيد لن يتمّ الاشتباه بينها وبين شجرة الحياة."

"إنه أمرٌ رهيب حقًا، مع ذلك فأنا مسحورٌ بشكلٍ غريب." نطقَ توماس اسماء كلّ عظمةٍ تعرّفَ عليها في الشجرة داخل السياج. "عضد، كُعبرة،" - سحبَ نفَسًا مُشيرًا إلى قطعةٍ أخرى من العاج - "وهذا عظم زندٍ رائع عملاق. قصبة، شظيّة، رُضفة..."

"شكرًا لك على درس التشريح كريسويل، أنا أعرفُها أيضًا." قلتُ له بهدوء وأومأتُ نحو المدخل المُسيّج وعظامه. "من أين نبدأ؟"

"نبدأ بالشجرة طبعًا، ونحنُ بحاجةٍ إلى الإسراع. لديّ شعورٌ أنّ مَن أشعلَ المشاعل سيعود قريبًا." سلّمَني توماس الفانوس. "من بعدِك يا عزيزتي."

لم يرغب جزءٌ كبير منّي في دخول أرض الشيطان هذه - فقد بدا الأمر انتهاكًا صارخًا لحُرمة الموت - لكنّنا قطعنا شوطًا طويلًا ورفضتُ السماح للخوف بالسيطرة عليّ. إذا كانت داسيانا أو إيليانا أو نيكولاي في ورطة فيجبُ أن نمضي قدُمًا، مهما دفعَتني غريزتي للإمساك بيد توماس والركض في الاتجاه المُعاكس.

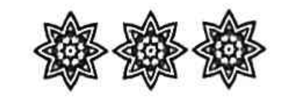


تنفّستُ بعُمق، على أمل ألّا يخذُلني خيالي ولا جسدي. هذا هو وقت الأفكار السديدة والنبض الثابت. رفعتُ ذقني واتّجهتُ نحو سياج العظام العتيقة، مع ذلك لم أستطع الكفّ عن التنفّس بحدّة عندما دخلتُ البقعة التي احتوَت على ما سمّاهُ الكتاب شجرة الموت.

أمكنَني بسهولة تخيّل فلاد دراكولا ينهض من هُناك أمامَنا، لتحيّة آخر وريثٍ له من الذكور.

42

دمٌ أحمر



شجرة الموت
قلعة بران

22 ديسمبر 1888

كانت الشجرة أسوأ مما ظننت حين باتَت على بُعد عدّة ياردات. لقد صُنِعت هذه التحفة المُخيفة من عظام أيدٍ وجماجم مجوّفة المحاجر وأقفاص أضلاع مكسورة، وتعجّبتُ من كيفيّة ارتباطها دون خيط أو رباط ظاهر، لقد تمّ نسجُها سويّة.

تجمّعَت عظام الأفخاذ في الوسط لتشكيل الجذع، وواجهَت أقفاص الأضلاع بعضها البعض لتحبس عظام الساق كأنّها لحاء. لاحظتُ أكوامًا من العظام المُلقاة في مُحيط قاعدة الشجرة، ربّما في انتظار تجميعها، والبعض منها لا تزال لديه أجزاءٌ مُتّصلة من اللحم والأوتار. لم تكن كلّ تلك الهياكل العظميّة قديمة، فكرةٌ تقشعرّ لها الأبدان.



أدركتُ أنّني حبستُ أنفاسي خشية إحداث ضوضاء. كنتُ أرغب في الإسراع لكن من المستحيل عدم التوقّف والصدمة أمام كلّ رعبٍ جديد في هذا المكان، مثل الذي أمامَنا الآن.

قبعَ بجانب كومة العظام حوضٌ كبير مليءٌ بالدّم الأحمر الغامق، ولسعَت أنفي رائحتُه النحاسيّة. كانت على الأرجح خدعةً من حواسّي لكنّني أقسمُ أنّ شيئًا ما تحرّكَ في عُمق الدماء. ظلّ توماس ساكنًا، وتعلّقَ انتباهه بحوض الاستحمام وهو يمدّ ذراعه مُشيرًا بإيقاف الحركة. لم أجرؤ على التجوّل بالقُرب منه، فَخوفي مما قد يستحضرهُ عقلي عظيمٌ للغاية. استمرّ توماس في التحديق فيه وأكتافه مشدودة. لقد وجدنا الدم المفقود لضحايا المُخوزِق، ممّن عرفناهم وممّن لم نعرفهم بعد. كان القاتل قريبًا، قريبًا جدًا. ارتعشَ جسدي كلّه بترقّب. شعرتُ كأنّنا قد توغّلنا في أعماق جحيم دانتي[1] دون إدراك.

همستُ مُرتجفةً: "'أنتَ يا مَن دخلتَ هنا، تخلَّ عن كلّ الآمال.' إنهُ أمرٌ مُرعب للغاية. لا أفهم كيف يُمكن لأيّ شخص أن يصنع سردابًا كاملًا من العظام... أو هذا الحوض... فيلهلم وماريانا المساكين. الجماعة موهوبون حقًا في ألعاب الحرب النفسيّة."

1-دانتي أليغيري: الشاعر والفيلسوف الإيطالي الأشهر صاحب ملحمة الكوميديا الإلهية. (المُترجِم)

"هذا حمّام دمٍ حقيقيّ." رفعَ توماس نظرهُ من الحوض بتعبيرٍ قاتم. "أحدُهم لديه حسٌّ دعابةٍ مُنحرِف وشيطانيّ للغاية."

أغمضتُ عينيّ مُحاولةً إبطاء خفقان قلبي السريع. كنّا بحاجة للعثور على داسيانا وإيليانا، ورحتُ أكرّر الفكرة حتى تركَني الخوف.

ابتعدنا بهدوء عن حوض الدم، لكن رعبه علقَ بنا. شعرتُ به ورائي، ينتظرُني، كأنه يلوّح لي بكيانه الكابوسيّ. لن أفكّر حتّى فيمَ سنفعله إذا تمّ وضع مفتاح آخر داخل حمّام الدّم الوحشيّ ذاك. إذا كان القرويّون يؤمنون بخُرافات تدنيس الموتى بالتشريح فلا أتخيّل ردّ فعلهم إذا عثروا على هذه المقبرة الملعونة.

"هُناكَ أكثر من مئتَي جثّة بشريّة اشتركَت في صُنع هذا النصب الرهيب." حملَ توماس الفانوس باتجاه الفرع العلوي، حيث تمّ ربط مجموعة من عظام السُلاميات معًا كأنها أوراقٌ بيضاء. "ربّما تكون الشائعات حول خلود فلاد دراكولا صحيحة."

رفعتُ عينيّ عن شجرة العظام لأتفحّص صديقي، باحثةً عن علامات صدمة، فابتسمَ ابتسامةً عوجاء. "أنتِ في غاية اللطافة حين تُحدّقين في وجهي هكذا يا وادزورث. أنا أمزح. انطلاقًا من حمّام الدم أعتقدُ أنّ مَن قام بالتلميح لكِ بتلك القصيدة السيّئة قد زار هذه البقعة. ربما سنجد دليلًا بخصوص داسي."



"هل رأيتَ أيّة أرقام رومانيّة منحوتة على الشجرة؟" ركّزتُ على المقبرة والضريح، ولم أستطع منع نفسي من الانبهار بمُحيطنا. لقد اصطفّت الجماجم على الجدران، بل كانت هي الجُدران في الواقع، مُكدّسةً فوق بعضها بإحكام لدرجة أنني شككتُ في إمكانية دسّ أحد أصابعي بينها.

هزّ توماس رأسه. "كلا، لكن وفقًا لتلك العلامة فيجبُ على المرء تسلّق الشجرة لقطفِ ثمرتها."حدّقتُ في اللوحة المُعلّقة على البوّابة العظميّة. كانت مكتوبةً بالرومانيّة، وحروفها بخشونة الأداة التي استُخدمَت لحفرها. اقتربتُ أكثر وقرأتُها لنفسي، توماس على حقّ. لقد نصّت على حاجة المرء إلى قطف الثمرة من الشجرة لنيل المعرفة. سرتُ بنظري على أغصان الشجرة بحثًا عن علامة على تلك 'الثمرة'. تعلّقَت جماجم الطيور من جميع الأحجام على أماكن ومناقيرها تتّجه باتجاهاتٍ مختلفة، فأشرتُ إليها. "ربّما تكون تلك الجماجم؟ إنها تقريبًا تُشبه الكمثرى بطريقةٍ مُقزّزة." سمعتُ صوت فقاعات خافت من الخلف، فدرتُ حول نفسي باحثةً وقلبي على وشك الانفجار. كان الدّم على نفس وضعه السابق، وسطحهُ مُظلمٌ كزيتٍ قرمزيّ.

"هل سمعتَ ذلك؟"



أخذَ توماس نفسًا عميقًا ونظراتهُ تتفقّد المكان والغرفة التي خلفنا.

"أخبريني ثانيةً لِمَ لا نستغلّ هذا الوقت بحكمةٍ أكثر. يُمكننا الالتفاف حول بعضنا البعض بدلاً من كلّ هذا."

"نحن بحاجةٍ للإسراع يا كريسويل. لديّ شعورٌ فظيع."

دون أن ينبس ببنت شفة واجهَ توماس الشجرة ومدّ قدمهُ، واضعًا ثقله على قفصٍ صدريّ ليتسلّق ببطء العظام العاجيّة. وضعَ قدمه اليسرى على ضلعٍ آخر، واختبرهُ برشاقة قبل نقل وزنه بالكامل عليه. كرّرَ الحركة مرتَين أخرَيين، وبالكاد وصلَ إلى ارتفاع أقدام قليلة من الأرض، عندما صدرَ صوت كسر قويّ وسقط توماس. تقدّمتُ لإمساكه لكنهُ حطّ برشاقة قافزًا دون مُساعدة.

"يبدو أنني لن أحصد أيّة فاكهة من هذه الشجرة في النهاية." مسحَ يديه على سرواله وفمه مضغوط بانزعاج. ظهرَت بضع قطرات من الدم على أطراف أصابعه قبل أن يمتصّها. "اقرئي لي القصائد مرةً أخرى من فضلك. يجب أن تكون إحداها ذات صلة بهذا الوضع، وعددُها ليس بالكثير."

أخرجتُ الكتاب البالي من جيبي وسلّمتُه إليه. لم أحبّ نطق تلك الكلمات المُروّعة بصوتٍ عالٍ أكثر من اللازم. بينما كان توماس يقرأ القصائد لنفسه قمتُ بفكّ تنّورتي بسرعة. الوقت ينساب من قبضتنا،



وبطريقةٍ أو بأخرى كان علينا انتزاع أيّة معرفة مُمكنة من هذه الشجرة المُرعبة قبل العودة إلى الأكاديميّة. بحلول هذا الوقت ربّما أدركَ مولدفانو ودانيشتي أنّنا في عداد المفقودين، ومن الأفضل العودة ومعنا شيءٌ نافع إذا كنّا على أعتاب الطرد، كما إنّني لم أرغب في أن يقبض عليَّ القاتل هُنا.

انقطعَت أزرار ثوبي بسهولة، ودقّ رنينها الخافت الأرض كما ضربَ قلبي أضلاعي بقوّة. شكرتُ السماوات لتغييري ثوبي الأكثر تعقيدًا في وقتٍ سابق من ذلك المساء. لم يكن لديّ مشدّ أو تعقيدات، وقبل أن أغيّر رأيي أو أجد سببًا للإحراج خطوتُ خارجةً من تنّورتي، وشعرتُ بالعُري وأنا في قميصي وملابسي الداخليّة رغمَ أنّها غطّت ركبتيّ وكان فيها عدّة بوصات من دانتيل بيدفوردشاير المالطيّ[1]. فكّرتُ في أنّها لم تختلف كثيرًا عن البنطلون خاصّتي، رغمَ أنّ البنطلون كان أقلّ زخرفةً وأنوثة.

سقطَ فكّ توماس مع كتاب قصائد الموت من يديه.

"ولا كلمة يا كريسويل." أشرتُ نحو قمّة شجرة العظام. "أنا أخفُّ منكَ ويجب أن أكون قادرةً على تسلّق الشجرة. أعتقدُ أنني أرى شيئًا في تلك الجمجمة هناك. هل تراها؟ تبدو كأنّها قطعةٌ من الورق."

---

1 - من أنواع الدانتيل المزركشة الشائعة في بريطانيا في القرن التاسع عشر. (المُترجِم)

أبقى توماس انتباهه ثابتًا على وجهي، واحمرّ وجهه في كلّ مرةٍ انزلق فيها نظره إلى الأسفل. رغبتُ في قلب عينيّ باستنكار، إذ لم أكشف عن جزءٍ مني باستثناء أطراف ذراعيّ وبضع بوصاتٍ من ساقيّ لم تُغطّها ملابسٌ أو جوارب. كانت لديّ فساتين سهرة تُظهر المزيد من أعلى الصدر.

"أمسِكني إذا وقعت، حسنًا؟"

التوَت شفتاه بابتسامةٍ بهجة. "أنا شخصيًا قد وقعتُ بشدّة يا وادزورث. كان يجب أن تُحذّريني قبل فعلها."

تركتُ غزلهُ الشيطانيّ وحوّلتُ تركيزي إلى الشجرة، باحثةً عن المسار الذي سأسلكه. وبدون تلكّؤ رفعتُ نفسي، واضعةً يديّ واحدة بعد الأخرى، مُفكرةً فقط في المهمّة. امتدّ الجرح في ربلة ساقي بشكلٍ كبير فانسابَ دفء الدم عليها، لكنّني تجاهلتُ الانزعاج لصالح الحركة السريعة. رفضتُ النظر للأسفل، وكانت الورقة تقترب مع كل خطوةٍ أتسلّقها. كنتُ في منتصف الطريق إلى القمّة عندما انكسرَت ترقوةٌ تحت قدميّ. تعلّقتُ في الهواء، مُتأرجحةً من جانب إلى آخر كالبندول.

"تشبّثي يا وادزورث!" اهتزّت أصابعي بمُحاولات الحفاظ على قوّة قبضتي. "وإذا لم تفعلي... فأنا سأمسكُك، كما أظنّ."

"هذا غير مُطمئِن يا كريسويل!"



استخدمتُ زخم جسدي لمصلحتي وتأرجحتُ إلى قفصٍ صدريّ قويّ المظهر لأسند ثُقلي عليه. ارتعشَت عضلاتي بفيض الأدرينالين وبالفخر. لقد فعلتُها! لقد تحكّمتُ بمشاعري و... أطلقَ العظم في أطراف أصابعي صرير تحذير، يُمكن للاحتفال بالنصر أن ينتظر. تحرّكتُ بثباتٍ وحذر، وتسلّقتُ بدقّةٍ بطيئة، أختبرُ ثم أتحرّك.

عند وصولي إلى القمّة توقّفتُ لالتقاط أنفاسي ونظرتُ إلى توماس، لأندمَ فورًا على فِعلتي. لقد بدا أصغر بكثير من هذه النقطة. كنتُ على علو ما لا يقلّ عن عشرين قدمًا، والسقوط خطيرٌ من هُنا.

لم أرغب في تصوّر الطرق الجميلة التي يُمكنني بها أن أصبح جزءًا من الأعمال الفنّية للهياكل العظميّة بنفسي، لذا شققتُ طريقي صعودًا حتى آخر مجموعة عظام ووصلتُ إلى الورقة، لأُخرجَها من الجمجمة التي تمّ تثبيتها عليها. لقد استخدم أحدهم خنجرًا - مقبضه مرصّعٌ بالذهب والزمرّد - لطعن المخطوطة في محجر المتوفّى.

"مكتوبٌ فيها XXIII." بلّغتُ توماس وأنا حذرةٌ من فُقدان توازني. آخر شيء أردتُه هو خوزقة نفسي خلال مُطاردة القاتل المعروف باستخدام نفس الطريقة للقتل. وجدَ توماس القصيدة المطلوبة ليقرأها بصوتٍ عالٍ، وتأثّرتُ من قوّة صوته وصداه في هذا المكان المشؤوم.

XXIII

أبيض، أحمر، شرٌّ، أخضر،

ما يسكن هذه الغابة يبقى خفيًا.

تجول التنانين وتحوم في الجوّ

لتُمزّق المُقتربين من مخبئه.

لتأكُل لحمَك وتشرب دمك

وتترك بقاياكَ في الحوض.

عظمٌ أبيض، دمٌ أحمر،

على هذا الطريق ستموت قريبًا.

"آه، يا إلهي." تلك القصيدة... التي قرأها لنا رادو في الفصل. مكان اجتماع الجماعة، والمكان الذي قدّموا فيه الضحايا كقرابين للأمير دراكولا. لقد احتجنا للخروج من السرداب في الحال. كنتُ أعرفُ في أعماق قلبي أنّنا على وشك مُواجهة شيء مُرعِب لدرجةٍ تفوقُ خيالنا. لفتَت انتباهي ورقةٌ أخرى حينَ بدأتُ النزول، فتحرّكتُ نحوها بعناية وقرأتُها بصوتٍ عالٍ لتوماس: "انحنُوا للكونتيسة."

هتف: "ما معنى هذا؟"

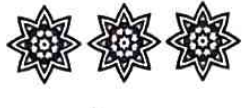
"لحظة واحدة." كان هناك رسمٌ توضيحيّ يُرافق الجملة. رمشتُ وقرأتُها ثانيةً. تمنّيتُ بالتأكيد أن تكون هذه من بقايا الحروب الصليبيّة، رغمَ أنّ إحساسي الداخليّ أبلغَني بخلاف ذلك. كنّا مُخطئين مرّةً أخرى



بشأن تورّط جماعة التنّين. يبدو أنّ هذا عمل الأمير نيكولاي آلديا، والكونتيسة التي في الرسم كانت تُغطّيها الدماء بالكامل.

43

اصطياد الأمير دراكولا



سرداب
قلعة بران

22 ديسمبر 1888

أدخلتُ الدليل الثاني في ملابسي الداخليّة ونزلتُ بأسرع ما استطعت، ولم أرغب في الصراخ خوفًا من جذب الانتباه.

جعلَت الرّهبة يدي ترتجف حين مددتُها نحو عظم فُخذ وأخطأتُه. ركّزتُ على أنفاسي. سوف أتعامل مع هذا كجثّةٍ تحتاجُ إلى دراسة، الدقّة هي المفتاح. تأرجحتُ نحو العظم التالي وأصابعي تنزلق على سطحه الأملس. إذا لم أستجمع نفسي وأعود إلى توماس... لم أرغب في التفكير فيما قد يحدث. كان الأمير نيكولاي قريبًا، لقد شعرتُ بوجوده وأمرَتني كلّ خليةٍ في جسدي بالفرار.



يجب أن نُغادر السرداب فورًا وإلّا سننتقل من كوننا صيّادين إلى فرائس. عندما وصلتُ إلى نقطة المُنتصف على الشجرة المُروّعة، لفتَ انتباهي شكلٌ غريب عند الجانب البعيد من البوّابة العظميّة. في البداية ظننتُه إحدى الحيوانات الغريبة التي تعيش في الكهوف، ثمّ وقفَ وهو يتعثّر بعض الشيء.

"توماس..."

توقّفَت أنفاسي. لقد بدا ككتلةٍ تنهضُ من بين العظام، بهيئةِ شبحٍ ذي رداء. لم يكن جثةً أو ستريغوي، بل إنسانًا، ولم أرَ فيه أيّ شيءٍ خياليّ عدا طريقته الدراميّة في المشي.

لقد غطّى رأسه بعباءةٍ سحبَها على وجهه كالقلنسوة، وتعلّقَ صليبٌ كبير حول رقبته. ذكّرَتني عباءته نوعًا ما بتلك التي ارتداها سارقا الجثّة اللّذان اختفيا في الغابة قبل بضع ليالٍ. كان الصليب أكبر من قبضتَين ومصنوعٌ من الذهب، بدا فاخرًا ومن القرون الوسطى، وقابلًا للاستخدام كسلاحٍ جيّد بحدّ ذاته.

"توماس... اهرُب!"

مدّ توماس رأسه غير مُدركٍ للتهديد الجديد. "لا أستطيعُ سماعكِ يا وادزورث."

لم أتمكّن من الإشارة لتشبُّثي بالشجرة وشاهدتُ الشبح يقترب منه. لقد بدا مجروحًا لكن بإمكانه التظاهر بذلك لِمنحنا إحساسًا زائفًا بالأمان.

"خلفَك!" صرختُ لكن الأوان كانَ قد فات، فقد سقطَ الشبح على البوابة ليُغلقها بتعثُّره.

كنتُ قد قطعتُ ثلاثة أرباع الطريق إلى الأسفل في اللحظة التي انكسرَ فيها الفرع الذي تمسّكتُ به، لأسقطَ مثل شجرةٍ مقطوعةٍ في غابة الجُثث. تحرّك توماس بسرعةٍ خاطفة ليقطع طريق سقوطي ويُخفّفه. لم يكن إنقاذًا بمعنى الكلمة لكنّ تصرّفهُ كانَ في غاية الإقدام.

تأوه توماس مرّةً وهو يضربُ الأرض، ومرّةً أخرى حينَ ارتطمَت جبهتي بقفا رأسه. نزلتُ عنه مُسرعةً ودرتُ في مكاني باحثةً عن الشبح الذي لاحقَنا، لكنّني لم أرَ شيئًا. كانت أمامَنا لحظاتٌ للهروب. انقلبَ توماس والدم يسيلُ من أنفه.

"أينَ الضمّادات خاصّتك؟"

أمسكَ أنفه. "لقد فقدتُها في غرفة الماء."

شققتُ قطعةً من قميصي وقدّمتُها لبطلي النازف. قد تكون ذات نفع لوقف تدفّق دمه أو لخنق مُهاجمنا بها بينما أصرُف انتباهه.

"أسرِع يا كريسويل. علينا أن نتحرّك -"



ظهرَ الشبح ثانيةً من العدم، مُتخبّطًا نحونا من خلف شجرة الموت، ووَعيد العُنف واضحٌ عليه.

"أخرُجا..." قالَ من بين أسنانه المُطبَقة ثمّ تشبّثَ بصدره. كان تنفّسهُ عسيرًا وكلماته ذات اللّكنة تخرج بمشقّة. "بسُرعة."

أفلتَ الخوف قبضتهُ المُحكمة على عقلي، وانحنيتُ إلى الأمام لأحدّق في الوجه الذي عرفتُه من الصوت. "الأمير نيكولاي؟ أنتَ... مَن فعلَ بكَ هذا؟"

أبعدَ الأمير العباءة من فوق وجهه، الذي كان مُلطّخًا ببقعٍ داكنة وهزيل الوجنتَين. "إذا لم تستعجلا... فسوفَ..."

انهارَ على الأرض وصدره يرتفعُ بالكاد. لم يتظاهر الأمير بأنه مصاب، بل كان حقًا على وشك الموت. جثوتُ على ركبتي رافعةً رأسهُ في حُضني. كانت عيناه زجاجيّتَين وبلا تركيز، وراهنتُ بحياتي على أنهُ قد تسمّمَ بالزرنيخ. يجب إخراجُه من هذه الأنفاق إلى طبيب على الفور. "توماس... ارفعهُ من..."

حينَها، وكأنّ كابوسًا قد أُعطيَ الإذن بأن يُولدَ في هذا العالم، نهضَ كائنٌ من حوض الاستحمام المليء بالدماء. طرفتُ بعينيّ، وأنا أدركُ بساطة فكرة قشّة الشُرب التي سقطَت على الأرض. كان الدمُ قاتمًا لدرجة السّواد تقريبًا وهو يغطّي كلّ شبرٍ من وجهه وجسده، بينما قطّرَ

شعرُه القرمزيّ فوق الحوض، وأصابعه النحيلة منقوعةٌ به. بالكاد استطعتُ التنفس. رفعَ توماس ذراعه، كأنّهُ قادرٌ على منع الوحش من رؤيتنا أنا ونيكولاي.

فتحَ الكائن عينيه على وسعهما ليتناقض بياضهُما بشكلٍ صارخ مع القرمزيّ المُحيط بهما. كلّ شيء تجمّدَ في ذهني. لم أستطع تمييز المخلوق من مكاني، لكنّها بالتأكيد امرأة. لقد كنّا على صواب، لكن هل هي إيليانا؟ أو يُمكن أن تكون... داسيانا؟

قامَ الكابوس الدامي بإخراج إحدى ساقيه من الحوض وتناثرَ الدم على الأرض وعلى العظام القريبة. كانت ترتديْ ثوبًا خفيفًا تخلّفَ ذيلهُ الأحمر المُقطّر وراءها كطرفِ ثوب زفافٍ منقوع وهي تتجّهُ نحونا. حينما انحنَت قُربَ كومةٍ من العظام فكّرتُ في الهرب، في الإمساك بتوماس والفرار من هذا السرداب دون النظر إلى الوراء، لكن لم يكن هُنالك مخرَج ولم نتمكّن من ترك الأمير. وقفَ الكابوس الحيّ مُصوّبا إلينا مسدّس سيّداتٍ صغير.

خطَت كونتيسة الدّم إلى الأمام، وكشفَت ابتسامةٌ مروّعة عن بياض أسنانها. "عظيم! سعيدةٌ للغاية لأنّكما وصلتُما سالمَين. لقد قلقتُ من عدم وصولكما في الوقت المحدّد، أو من إحضار عمّي وذلك الحارس المُزعج معكُما."



حدّقتُ في الفتاة التي أمامنا، وأنا أرمشُ بإنكار. لا يُمكن لهذا أن يحدُث، مع ذلك... كان صوتها واضحًا، لكنتُها المجرّية مختلفةٌ قليلاً عن الرومانيّة.

"أنستازيا؟ كيف... لا يُمكن أن يكون هذا حقيقيًا." قُلت بعجزٍ عن فهم الحقيقة. "لقد مُتِّ. رأيناكِ في تلك الغرفة... تلك الخفافيش."

هززتُ رأسي. "لقد قامَ بيرسي بفحصِك وقُمنا بتشريح جثّتِك!"

"هل أنتِ متأكدة؟ توقّعتُ منكِ أن تفهمي يا صديقتي." ابتسمَت أنستازيا ثانيةً لتلمعَ أسنانها وسط الدم. "عندما ذكرتِ مصراع النافذة في القرية كادَ أن يُغمى عليّ. اضطُررتُ إلى العودة ركضًا وترتيب الغرفة قبل رحلتنا في تلك الليلة. آه أعصابي، كانت أعصابي حُطامًا!"

لم أستوعب كيف يُمكن أن تكون تلك حقيقة. أجبرتُ عقلي على تخطّي حالة الذعر التي هدّدَت بإسقاطي على ركبتيّ. كنّا بحاجةٍ إلى إبقاء أنستازيا تتحدّث، ربّما نتوصّل إلى خطة حول كيفية المُناورة للخروج من هُنا. "لماذا سمحتِ لي بالعيش؟"

"لقد فكّرتُ في قتلكِ في تلك الليلة بالذات، لكنّني اعتقدتُ أنهُ" - أومأت برأسها نحو توماس - "ربّما يُغادر قبل أن أكون مُستعدةً للهجوم. تعالَ الآن يا صديقي، أعلمُ أنّكَ أذكى من باقي الأولاد. أخبِرني كيفَ فعلتُها. أوه، أوه!" لوّحت بالسلاح في وجه توماس. "لا

كلمة منكَ أيّها الوسيم. من غير المُهذّب مُقاطعة سيّدة." رغبتُ في التقيّؤ لكنّني أجبرتُ عقلي على العمل. لقد تمنّت أنستازيا أن تُكافأ على ذكاء لعبتها، وقد تكون الحاجة للتميُّز تلك هي نقطة ضعفها. ابتلعتُ ريقي بصعوبة، مُتجاهلةً المسدس المُصوّب الآن نحو صدري. فجأةً فهمتُ حلّ بعض قُطع اللغز الصغيرة.

"الفتاة المفقودة." أغمضتُ عينيّ. بالطبع، كلّ شيء منطقيّ الآن، كان ذكاءً بأفظع طريقةٍ مُمكنة. "لقد استخدمتِ جثّتها لتُمثّلك، وزرعتِها في الأنفاق بالتزامن مع اختفائك. كنتِ تعلمين أنّ وجهها سيتشوه لدرجةٍ لا يُمكن التعرّف عليه فيها، وقياسات شعرُها وجسمها تشبهكِ مع عموم الوجه أيضًا. لقد ظننتُها تشبهُكِ حينَ رأيتُ شكلها في ذلك الرسم في القرية، وكان الشبه قريبًا بما يكفي لخداع الطلّاب والأساتذة. حتّى عمّكِ ظنّها أنتِ، وهو من أفضل خبراء الطبّ الجنائيّ في العالم."

"مُمتاز." ابتسمَت أنستازيا ابتسامةً عريضة بأسنانٍ تخطّطت الآن باللون الأحمر. كانت فظيعةً ووحشيّة، وجعلَ الدهاء اللامع في عينيها أعماقي ترتجف. "قلوبُنا غريبة، عاطفيّةٌ جدًا وسهلة الخداع. اسحبي الخيوط أو الحبال الصحيحة، وبووم! الحبُّ يخنقُ الذكاء، حتّى عند أذكانا." لم أرغب في الحديث عن أمور القلب مع امرأةٍ غارقة في دماء الأبرياء. لاحظتُ توماس يتحرّك بخفّة إلى جانبي، وبحثتُ عن إلهاءٍ



آخر لها. "كيف فرّغتِ دم فيلهلم بهذه السرعة؟" "بجهازٍ جنائزيّ مسروق، ثم رميتُ جثّته من النافذة." خطَت نحو توماس وتوقّفت لتفحصهُ، كقطّةٍ تُراقب طيرًا جريحًا، ولسببٍ ما أحنَت رأسها في تبجيل له. "هل أنتَ مُنبهرٌ يا صاحب السموّ؟ أم ينبغي أن أناديكَ الأمير دراكولا؟"

توقّفَ توماس عن الحركة وابتسمَ بِكسل، لكنّني لاحظتُ توتّرًا في عضلاته وعرفتُ أنه كان يُمثّل دور سليل دراكولا المُسترخي الذي يشعرُ بالملل. "ساحرٌ جدًا منكِ، لكن الانحناء أمامي ليسَ ضروريًا على الإطلاق، رغمَ أنّني أفهمُ الرغبة في القيام بذلك. أنا إلى حدٍّ ما ملكيّ ومُثيرٌ للإعجاب. مع ذلك فالأمير دراكولا ليسَ لقبي الحقيقيّ."

لم أصدّق أنّهُ نجح. ابتلعَت أنستازيا ريقها ناظرةً بتركيز إلى يدَي توماس وهُما تُعدّلان قميصهُ المتّسخ. لقد كدتُ أقتنع أنه يستحقّ الملوكيّة والانحناء أمامه، وهو واقفٌ في ملابسهِ القذرة التي خاضَ بها أهوال الجحيم.

قامَت أنستازيا بتحريك مسدسها لتُوجّهه مباشرةً إلى توماس. "لا تسخَر من سُلالتك سيّد كريسويل. تحدثُ أمورٌ سيّئة حينَ ينقلبُ المرء على أهله. لقد حان وقت الظهور وقبول قدركَ يا ابن التنّين، حان وقت دمج سُلالتَينا واستعادة حُكم هذه الأرض بأكملها."

قلتُ وأنا أنظرُ بينهما: "لا أفهم... مِن أيّ نسلٍ تكونين؟"

دفعَت أنستازيا كتفَيها للخلف ورفعَت رأسها، في إنجازٍ مُثير للإعجاب نظرًا لكميّة الدماء الملتصقة عليها؛ مع ذلك فقد امتلكَت روحًا مَلكيّة.

"إليزابيث باثوري دي إكسيد."

تمتَمَ توماس: "بالطبع. المعروفة أيضًا باسم الكونتيسة دراكولا."

للحظةٍ لم يتكلّم أو يتحرك أحد، وتذكّرتُ الإشارة الموجزة للكونتيسة في درس رادو.

"إذَن أنتَ تعلم إنه القدَر." تألّقَت عينا أنستازيا بالفخر. "كما ترَين فأنا كذلك من منزلٍ معروف بسفك الدماء يا أودري روز. لقد استحمّت سلَفي في دماء الأبرياء، وحكمَت بالخوف." أشارَت أنستازيا إلى توماس. "لقد كُتِبَ علينا أنا وهو أن نلتقي، وقدرُنا أن نُنتجَ ورثةً أكثر رُعبًا من أسلافهم. لم أعلم أنّ النجوم قد خطّطَت هكذا! أنتِ مصدر إزعاج بسيط، ومن السهل التخلّص منه."

لم أجرؤ على التنفّس. كانت أنستازيا وريثةً مخلوعة تبحث عن حقّها في الحُكم، ولم تهتمّ إن استردّتهُ بالقوّة أم بالحبّ. لكن إذا ظنّت أنّها تستطيع مُطاردة توماس وإرغامه على الزواج بها بعد أن تقتلني، فهي لا تعرف حقًا من أنا. ضغطتُ بقبضتي، وأنا أكثر عزمًا من أيّ وقت مضى



على مواصلة الحديث بينما أضعُ خطةً للهروب. "كيف قتلتِ الرجل في القطار، ولماذا؟"

حدّقَت صديقتي السابقة فيَّ لِوهلة وضاقَت عيناها. صلّيتُ بِصمت أن تكون حاجتها للتباهي مُغريةً بما يكفي لها لتُجيب على أسئلتي دون فهم دافعي الحقيقيّ. "جماعة التنّين موجودة، وكنتُ أرغب في تطهير صفوفهم. في هذه الأيّام يضمّون في الغالب أفرادًا من خطّ دانيشتي غير المهمّ."

قامَت بتوجيه المسدّس نحو المكان الذي رقدَ فيه الأمير نيكولاي كدميةٍ من القماش، وقد تغيّرَ لون جلده ممّا افترضتُ أنه الزرنيخ، وبانَ ثقبان الآن على رقبتِه. بدا الأمر كأنّها قد استخدمَت دمه بنفس طريقة سلفها: لقد استحمّت فيه، وتركَت له بالكاد ما يكفي لبقائه على قيد الحياة. هذا إذا تمكّنَ من النجاة؛ إذ لم يبدُ أنّ صدره يرتفع وينخفض بالتنفّس.

"كان الرجل من القطار عضوًا رفيع المستوى في الجماعة. أعطيتُه جرعةً قاتلة من الزرنيخ، ثم خوزقتُه وهو يلهث لالتقاط أنفاسه." بدَت أنستازيا كأنّها تتذكر فستانًا صنعَتهُ من الحرير الفاخر. "لم أعرف أصلًا أنهُ خارج مقصورتك، صدفةٌ سعيدة. ثم عدتُ مُسرعةً إلى غرفتي. لم يُلاحظ أحدٌ الفتاة ذات الشعر الداكن؛ الباروكات وسيلة اختفاء ممتازة.

كنتُ قلقةً من أنّ فيلهلم قد يتعرّف عليّ عاجلًا أم آجلًا، لذا احتجتُ إلى التخلّص منه على الفور."

عادَت ذكرى ذلك الصباح إلى ذهني، لقد رأيتُ فتاةً ذات شعر داكن وكانت تصرُخ لطلب طبيب. لكنّ الفوضى السائدة شغلَتني لدرجة أنّني لم ألاحظ وجهها.

قاطعَ توماس ذراعيه على صدره، واكتسبَت نبرتهُ نغمة الملل من جديد. "أين أختي؟"

"كيف لي أن أعلم؟ لستُ حارسة أحد." أشارَت أنستازيا بذقنها نحوي ونحو سلاحٍ في حزام نيكولاي. "أعطي السكّين لِوريث دراكولا."

اتّسعَت عينا توماس وهو يُحدق في اتجاهي، وكدتُ أبكي من الارتياح. خلال سعيها المحموم لتوحيد سلالتَيها لم تُدرك أنّها أهدَتنا للتوّ طريقة هزيمتها. تعرّقَت راحتا يديّ مع اندفاع أعصابي.

وضعتُ الخنجر الصغير المُرصّع بالجواهر في يد توماس وحبستُ أنفاسي، خوفًا من أيّ إظهار لإثارتي قد يُنبّه أنستازيا إلى خطئها الجسيم. ابتسمَت ابتسامةً عريضة ونظرُها متعلّق بالنصل الذي استقرّ الآن في قبضة توماس الثابتة.

قالت لتوماس: "خلّصهُ من مُعاناته، افعلها بسُرعة."



"ولِمَ السمّ؟" سألتُ في مُماطلة. لا بدّ من وجود طريقة للخروج من هنا لا تتضمّن قتل نيكولاي. وجّهَت أنستازيا المسدّس إلى عنقي، وبدا أنّ صديقتي السابقة قد فكّرَت في التمرّد. مشَت إلى نيكولاي ونكزَتهُ بقدمها وما زال سلاحُها صوبي.

"الزرنيخ أعجوبة." انحنَت لتُزيح خيوط الشعر الداكن من فوق وجه الأمير. "إنه عديم الطعم وعديم اللون، ويُمكن دسّهُ في كلّ أنواع الطعام والشراب. الأمير الشابّ لا يرفضُ شرب النبيذ أبدًا، على ما يبدو."

قال توماس: "إذا كُنتِ تُحاولينَ زرع نفس الخوف الذي زرعهُ فلاد دراكولا في خصومه، فإنّ تسميم نيكولاي والآخرين بالكاد يبدو مُخيفًا."

حرّكَت أنستازيا يدها إلى رقبة نيكولاي للتحقّق من نبضه. "لكنهُ مُخيف، أليسَ كذلك؟ استخدمتُ الزرنيخ لإضعاف الضحايا وشلِّهم وليسَ للقتل: من الصعب عليَّ قتال الشباب، وكانت جرائم القتل ستُصبح فوضويّة في تلك الحالة."

قلتُ بفهمٍ مُفاجئ: "أردتِ أن يُصدّق القرويّون قصص نهوض دراكولا. لا يُمكنكِ طعن الضحايا ثم الادّعاء بأنّ دماءهم قد شربَها مصّاص دماء."

وقفَت أنستازيا قائلةً: "تهدُف الأساطير إلى بثّ الخوف، ويجب أن تكون أعظم من الحياة التي نعيشها لتُحافظ على بريقها عبر الأجيال. 'لا تدخلوا الغابة بعد غروب الشمس.' لا نُفكّر أبدًا في أميرةٍ جميلة تنتظرُنا في ليل الغابة، أليسَ كذلك؟ بل نتخيّل الوحوش المُفترسة ومصّاصي الدماء. يُذكّرنا الليل بأنّنا أيضًا فرائس، واحتمالُ كوننا مُطارَدين يُثيرنا ويُرعبنا."

"رغمَ ذلك، ما زلتُ لا أفهمُ شيئًا واحدًا،" قلتُ مُحدّقةً من نيكولاي المُسجّى إلى جسد أنستازيا المُغطّى بالدم. "لماذا قتلتِ الخادمة؟"

"تلك الجريمة كانت تكريمًا لذكرى سلفي. الآن توماس،" أعادَت المسدس إلى جبهتي "إنهِ حياة الأمير نيكولاي. لقد طاردتُ وريث دراكولا وسنبدأ من جديد. سوف نكون الأمير والكونتيسة دراكولا، ونستردّ هذه القلعة وحياتكَ الحقيقيّة."

التفّ التوتّر حول الغرفة، كعود ثقاب جاهز لإشعال نار المعركة. عادَ توماس خطوةً مُضطربة إلى الوراء، وتركيزه بين نيكولاي والسلاح المُصوّب إلى رأسي. لم أرغب في أن يفعل شيئًا يقضي بقيّة حياته نادمًا عليه. توماس كريسويل ليسَ فلاد دراكولا. لم تكن حياته مبنيّةً على صُنع الموت بل على حلّ ألغازه. كان نورًا يحفرُ طريقه في الظلام مثل المنجل، لكنّني علمتُ أنه مستعدٌ لتحطيم نفسه دون تفكير في سبيل إنقاذي.



هتفت: "لماذا تُشركينَ توماس؟ إذا كُنتِ الكونتيسة دراكولا فلماذا تجعلينَه يقتُل؟"

حدّقَت أنستازيا في وجهي كأنّني مجنونة. "توماس آخر ذكر من عائلة اللورد المُخوزِق. من المهمّ رمزيًا أن يقوم بنفسِه بإنهاء حياة هذا الأمير المُزيّف، ومن ثمّ تدمير الأكاديميّة. لن يرغب أحد في الالتحاق بأكاديميّة يموتُ طلابها بشكلٍ مُروّع في ظروف غامضة. بمجرّد توقّف الأكاديمية سنستردّها كمقرّنا الشرعيّ."

"ماذا عن الملك والملكة الحاليّين؟"

"ألَم تنتبهي لما قُلت؟ الزرنيخ سيُنهي حياتهم. سأتعرّض لكلّ أسرةٍ نبيلة حتى يُصبح حقّ توماس في الحُكم هو الوحيد المُتبقّي، وسوف أنجحُ في تدمير الجماعة بهذه الطريقة أيضًا."

عند ذلك الإعلان تقدّم شخصان يرتديان عباءتَين إلى الأمام، بعد أن كانا مُختبئين خلف أكوام العظام المُحيطة بنا. ظننتُ أنّني لن أتفاجأ بشيء بعد الآن، لكنّني شهقتُ عندما قامَ الشخص الأطول برمي غطاء رأسه إلى الخلف وإشهار سلاحه.

وقفَت داسيانا أمامنا، ترتدي بنطالًا وسترة عليها شارة التنّين مع سكاكين أكثر من مشارط مختبر عمّي. ألقى عليها توماس نظرة عدم تصديق وارتياح في نفس الوقت، وهو يُمسك الخنجر المرصّع بالجواهر

بقوّة في قبضته. "لن يكون هُنالكَ المزيد من القتل هذه الليلة يا كونتيسة." قالت وهي توجّه نصلها نحو أنستازيا. "إيليانا، جرّديها من سلاحها."

أزالَ الشخص الثاني غطاء رأسه وتوقّفَت أنفاسي. انجذبَ انتباهي إلى توماس، غير واثقة ممّا إذا كان عقلي يُمارس حيله عليّ. ربما كنتُ أعاني من كابوسٍ مُتقَن الخيال وسأصحو منهُ بعد قليل، مُتعرّقةً أتشبّثُ بأغطيتي. أخته وإيليانا كانتا... أدركتُ ذلك في نفس اللحظة مع توماس، والتقى نظرهُ بنظري هازًّا رأسه، وتعبير الدهشة المُطلقة واضحٌ في ملامحه. كان هُنالكَ شعورٌ مُرضٍ بشأن تفويته لحلّ قطعة اللغز هذه.

نظرَت أنستازيا إلى توماس ثمّ إلى داسيانا وإيليانا، وانتقلَت من الارتباك إلى الغضب. كانت تُأرجح سلاحها على صدر نيكولاي.

"كيف تجرؤين؟" صرخَت مُحدّقةً في إيليانا. "لقد رتّبتُ كلّ شيء، كلّ شيء! أنتِ خادمةٌ حقيرة، ليسَ لديك حقّ في هذا!"

"تراجَعي أنستازيا!" قالت إيليانا بنبرة شخصٍ اعتادَ على إعطاء الأوامر. "لديكِ ثانيتَين قبل أن –"

"لا داعٍ لطاعتِك!" اندفعَت أنستازيا للأمام بعينَين مُشتعلتَين وهي تسحبُ مطرقة سلاحها لإعدام نيكولاي، لكنّ إيليانا كانت أسرع، واخترقَ سيفها مباشرةً جسد أنستازيا. حدّقتُ فيها مرعوبةً، وهي تنزلقُ



على النصل لاعقةً الدماء الداكنة من شفتَيها قبل أن تضحك. "لقد... قتلَتني... خادمة." لهثَت أنستازيا والدم الطازج يُقطر من فمها ليمتزج مع البُركة الحمراء على الأرض. "وريثة باثوري تقتُلها خادمة... كم هذا مُناسِب."

ضحكَت مرةً أخرى حتّى انبثقَ الدم من حلقها، ولم يُحاول أحدٌ مُساعدتها وهي مُستلقيةٌ تختنقُ بدمائها. لقد فات الأوان، كما فاتَ على الرجل الذي قتلَتهُ في القطار، وفيلهلم آلديا، والفتاة من القرية وزوجها، والخادمة ماريانا. لا شيء يُمكنهُ إعادتَها من سُلطان الموت الآن.

لقد كان مشهدًا عرفتُ أنهُ سيُلاحقُ ذهني، جنبًا إلى جنب مع جرائم جاك السفّاح، لما تبقّى من حياتي.

44

جماعة التنّين



سرداب

قلعة بران

22 ديسمبر 1888

حدّقتُ في الدم الذي قطّرَ ببطء من طرف سيف إيليانا والكلماتُ تخنقُ حلقي، لتغدو السبب الوحيد الذي منعَني من التقيّؤ على جسد أنستازيا المُخوزَق، صديقتي التي شاهدتُ الحياة تُغادر عينَيها. أخافَتني السَكينة التي حلّت بها، رغمَ أنّ جسدها بالكامل قد تغطّى بالأسود والأحمر من الدماء الجافة والطازجة.

فركَ توماس يديه على ذراعي لكن ذلك لم يكفي لتخفيف البرد في أعماق روحي. كانت إيليانا - الفتاة التي عرفتُها كخادمة - جزءًا من جماعةٍ سرّية من المُحاربين، وقد قامَت بطعن امرأةٍ أمامي كأنّها تقطع بعض الجبن لتقديمه. أعرفُ أنّ أنستازيا مُذنبَةٌ في هذه المسألة وأنّ إيليانا



لم تملك خيارًا آخر، مع ذلك... ارتميتُ على توماس بإعياء، دون القلق بشأن ما قد يظنّهُ أيّ شخص بشأن افتقاري إلى اللباقة.

"هل أنتِ بخير أودري روز؟" أخذَت إيليانا قطعة قماش من داسيانا لتمسحَ نصلها، وبدا عليه خطّ دم قبل أن يختفي بالمسحة التالية.

قلتُ تلقائيًا: "بالطبع."

'بخير' مُصطلحٌ نسبيّ. قلبي ينبض وجسدي حيٌّ ويعمل، فظاهريًا كنتُ بالتأكيد بخير. لكنّ عقلي أرادَ الانطواء واعتزال العالم بكلّ قسوته ووحشيّته. لقد تعبتُ من الدمار.

رفعَ توماس نظره عن جسد أنستازيا ليُحوّله نحو أخته. استطعتُ رؤية عقله يدور بين الحقائق، وأدركتُ أنها إحدى طرُقه للتعامل مع الصدمات. كان بحاجة إلى حلّ اللغز لإيجاد ارتكازه الهادئ وسط العاصفة المُستعِرة.

سألها: "كيف؟"

فهمَت داسيانا سؤاله بالضبط. "عندما بلغتُ الثامنة عشرة تلقّيتُ ميراثًا جزئيًا من أمّي، بعض ممتلكاتها من جواهر وأقمشة ولوحات مع حُزمةٍ من الرسائل. في البداية كانت الرسائل أجزاءً صغيرة من ماضيها... قصصٌ عن كيفيّة لقائها بأبينا، وكم كانت تُحبّنا وتعتزّ بنا، وبطاقات عيد ميلاد كتبَتها لي مسبقًا، ورسالةٌ لي حينَ أتزوّج." مسحَت

إيليانا دمعةً من خدّ داسيانا. "لفترةٍ طويلة لم أستطع دفع نفسي لقراءة المزيد. ثم في مساء يومٍ مُثلج كنّا في البيت فأخرجتُ الرسائل ثانيةً وقرأتُ إحداها، ثمّ أكملتُها حتّى النهاية."

قال توماس: "ثمّ ماذا؟ من فضلكِ اجعلي التشويق قصيرًا."

"كتبَت أمّي قصص النبلاء الذين ما زالوا يؤمنون بأساليب جماعة التنّين، الذين تاقوا لاستئصال الفساد من نظام الحُكم. لقد تواصلوا معها بسبب روابطنا العائلية، ليسَ لكي تُصبح عضوةً بنفسها بل لتوفير مكان آمنٍ لهم لعقد الاجتماعات. هل تتذكّر لوحة التنّين في غُرفتها؟"

أومأ توماس برأسه بوجهٍ مُتجهّم. تذكّرتُ الرسم الذي رسمهُ في القطار والقصّة التي أخبرَني بها عن ذكراه.

"كان ذلك شرفًا ممنوحًا لعائلتِك، وما زال كذلك." قالت إيليانا بهدوء. قالت داسيانا: "تودّ الجماعة أن تُفكّر في تقديم خدماتِك لها يا توماس. نحنُ بحاجةٍ لأناسٍ صادقين لا يخشَون مُحاربة الفاسدين."

مرّت لحظةُ صمتٍ طويلة بينما فكّرَ توماس في ذلك.

قال مُتمعّنًا في أخته وإيليانا: "في الأساس، الجماعةُ ببساطة مجموعةٌ من حُماة القانون الذين لا يرتبطون بالسُلطة، لكنّهم يؤمنون بأنّهم قد يُحافظون على القانون بشكلٍ أفضل من الحُكّام."



اتّسعَت عينا داسيانا. "كلا، نحن لا نؤمنُ بذلك مُطلقًا! هدف الجماعة ببساطة هو الحفاظ على التوازن وعلى النظام. غالبًا ما تجلبُ السلطة معها الفساد، ثمّ يقبلُ أحد الحكماء - رجلًا كان أم امرأة - دورهُ كجزءٍ من الكلّ. نحنُ ببساطة خطّ دفاع، وقد طلبَت العائلة المالكة مُساعدتنا."

في أثناء حوار توماس وأخته كانت إيليانا تتمعّن فيَّ عن كثب، قبل أن تُقاطعهُما بالقول: "لقد مررنا جميعًا بأمسيةٍ مُضنِية، لذا سأختصر كلامي. أنا عضوةٌ رفيعة المستوى في جماعة التنّين، وكانت مهمّتنا دائمًا الحفاظ على النظام والسلام. ذات مرة كانَ ذلك لأجل عائلة دراكولا فقط؛ لكن الآن هو للنبلاء والعامّة على حدٍّ سواء. ولاؤنا لبلدنا، الذي يشمل جميع طبقات الشعب."

"آه، فهمت." ضيّقَ توماس عينيه. "إذن داسيانا كانت تعلم باللقب الذي تحملينه؟"

أومأت إيليانا برأسها. "لقد احتفظَت بسرّي، وآملُ أن تحذو كلاكما حذوها. قلّةٌ قليلة من الناس يعرفون ارتباطي بالجماعة. أنا أوّل امرأةٍ تتم دعوتها إلى صفوفها، وداسيانا هي الثانية." "كيف علمتُما أنّ عليكما مُراقبة القلعة؟" سألتُ مُتجاهلةً بُركة الدم عند قدميّ. تمنّى جزء مني أن يكون لديّ كيس من نشارة الخشب لأنثرها على الأرض. "أفترضُ أنّكُما

وُضِعتُها هُنا عن قصد." "بلى، بعد وصول أفراد من آل باسراب تمّ تكليفي بالانضمام إلى طاقم القلعة مُتخفيّة. وبعد جريمة القتل الأولى في براشوف شعرَت الجماعة بضرورة وجود شخصٍ بالقرب من القرية. سأكون أيضًا في موقعٍ جيّد لسماع الشائعات الدائرة في الأكاديمية، القيل والقال بين الخدم. بدا أنه مكانٌ مُمتاز للحصول على المعلومات بسُرعة."

فكّرتُ في كلامها مُستذكرةً درس رادو عن الجماعة ومراتب أعضائها. "لماذا لم يتعرّف عليكِ المُدير كَنبيلة؟"

ابتسمَت إيليانا بحُزن. "مولدفانو مثل الأغلبيّة، لا يولي الكثير من الاهتمام لِمَن هُم في خدمته. بمجرّد خلع ملابسي الثمينة يمكنني التحوّل إلى أيّة فتاة. قد يكون أكثر انتباهًا من غيره بسبب مهاراته الخاصّة، لكنّهُ ليس معصومًا عن السهو."

سألتُها: "لماذا استغرقتُم كلّ هذا الوقت لإيقاف أنستازيا؟ لماذا انتظرتُم حتى الآن؟"

"لم نكن نعرف أنّها القاتلة." تقدّمَت داسيانا للأمام ولمسَت ذراع إيليانا برفق. "لقد مشّطنا الأنفاق خلال الأسبوع الماضي على أمل العثور على معلومات. كانت أنستازيا ذكيّةً وتتحرّكُ كثيرًا. لم نتمكّن قطّ من تحديد مكانها." أضافَت إيليانا: "لقد شعرتُ أنّ معظم أسئلتها مُريبة، أو على الأقل تستحقّ التحقيق بها، لكنّنا استبعَدناها عندما تمّ العثور على



جُثّتها المزعومة. بدا نيكولاي المشتبه به الرئيسيّ من جديد، لكنهُ لم يكن موجودًا بالقُرب من أيٍّ من الضحايا. الجماعة ليسَت بارعةً في حلّ الجرائم. لقد بذلنا قُصارى جهدنا بتسليح أنفسنا بالمعرفة، لكن ذلك لم يكن كافيًا لسوء الحظّ."

دارَ الأمير نيكولاي إلى جانبه والرغوة تسيل من فمه، وشعرتُ بالندم لأنّني لم أفكّر في إخراجه من المكان بشكلٍ أسرع. جلسَ توماس بجانبه رافعًا رأسه ثم نظرَ بقلق إلى داسيانا. "إنه بحاجةٍ إلى طبيب، ويجب أن نُعيده إلى القلعة قبل فوات الأوان."

هبّت الريح عبر صدوعٍ في سفح الجبل، وارتجفتُ عندما شقّ الهواء المُتجمّد طريقه خلال ملابسي الرّطبة. لقد نسيتُ أنّني كنتُ في ملابسي الداخليّة. بدَت النجاة من الأنفاق كأنّها شيءٌ حدثَ لفتاةٍ أخرى في وقتٍ آخر. لم يفُت ذلك توماس، الذي حدّثَ أخته. "ربّما تُقدّمين عباءتكِ إلى أودري روز."

لفّتها داسيانا حول كتفيّ وضغطَتها على بدني بقوّة.

"شكرًا." تنفّستُ دفء العباءة وزفرتُ الإرهاق الذي خيّمَ عليّ. لقد رغبتُ في تجنّب مُشاهدة أيّ شخص يموت بعد الآن، رغمَ شعوري أنّ هذه لن تكون آخر مرة أشهدُ فيها موتًا عنيفًا.

قالت داسيانا: "تعالا. دعونا نُقرّبكما من نار. يبدو كلاكما على وشك الانهيار."

خرَجنا مُتعثّرَين من مشرحة القبو، مُتعبَين مُضطربَين حاملَين بيننا طالبًا يحتضر، لنجد أمامنا المُدير والعديد من الحراس. شهقَ البروفيسور مولدفانو ثمّ أطلقَ الأوامر. "خذوا الأمير إلى بيرسي واطلبوا منه إعطاءه السوائل الوريديّة على الفور، وليُعالجه من الزرنيخ. لديه مُضادّ كان يعمل عليه."

هرعَ دانيشتي إلى جانبنا وحملَ الأمير على نقّالة ذات عجلات. "إلى الطبيب حالًا!"

أخرجَ الحرس الملكيّ نيكولاي وكان صوت الطاولة يتردّد على طول الطريق أسفل الممر. انهرتُ على الأرض وقد غلبَني الإعياء، بينما طوى توماس نفسهُ بجانبي، شريكي في رحلة الجحيم. كدتُ أضحك. كانت ليزا على حقّ مرةً أخرى: توماس سيتبعُني حقًا إلى داخل أحشاء جهنّم إذا لزمَ الأمر دون لحظة تردّد.

قال مولدفانو: "أطالبُ بمعرفة ما يجري في هذه الأكاديميّة. لماذا أنتُما مُغطّيان بالقذارة والدماء وتجرّان الأمير عبر الأنفاق؟"

رفعتُ رأسي وحدّقت في توماس. لم أعرف من أين أبدأ. كنّا قد تركنا داسيانا وإيليانا في الأنفاق، إذ لم ترغبا في كشف هويّتيهما لأحد. وجدتُ



صعوبة في تذكّر القصة التي من المُفترض أن نُقدّمها، لكنّني اعتدلتُ في جلستي قليلاً بينما أبعدَ توماس شعري من وجهي.

قُلت: "إنّها قصةٌ طويلةٌ للغاية، لكن باختصار أنستازيا قد زيّفَت موتَها..." تلاشَت سُخرية مولدفانو حينما رويتُ تفاصيل بحثنا في الأنفاق، وكتاب قصائد الموت وقصائده، وغُرف الموت التي نجونا منها بأعجوبة، ونسَب عائلة أنستازيا ورغبتها في اصطياد الأمير دراكولا وجعلهُ عريسها. لم أنسَ شيئًا فيما تعلّقَ باستخدامها للزرنيخ وخوزَقتها لبعض الضحايا. انزلقَت دمعةٌ على وجهه وأنا أروي قصة الموت الفعلي لأنستازيا، ثمّ أخرجتُ كتاب القصائد وسلّمتُه له مُتمنّيةً ألّا أراهُ إلى الأبد. عندما انتهيت رفعَ توماس كتفه قائلًا: "يبدو أنّنا نستحقّ مُكافأةً إضافيّة. لقد منَعنا قاتلةً من تدمير الأكاديميّة." لم تعُد عينا مولدفانو تدمعان، بل تجمّدَتا وماتتا. "عودا إلى غُرفكما واحزما أغراضكُما على الفور. سأقرّرُ ماذا أفعلُ بكُما بعد العطلة، والعربة تنتظركما عند شروق الشمس. لا تَظهرا هنا حتّى تحصُلا على إذني، وهو أمرٌ قد لا يحدُث مُطلقًا." بدون كلمة شُكر واحدة، خرجَ المدير من مشرحة القبو وسمعنا صوت خطواته الحادّ بعد عبارات وداعه القاسية. قدّمَ توماس يده لمُساعدتي على النهوض. "هل أنا وحدي في هذا، أم إنّكِ أيضًا تعتقدين أنهُ بدأ يُحبّنا؟"



45

البجع والذئاب



مسكن آل كريسويل
بوخارست، رومانيا

24 ديسمبر 1888

"أوه! كلاكُما هنا!"

نزلَت داسيانا بسُرعة على الدرج الكبير بثوبها المُزيّن بالخرز. كان الأمر غريبًا، الوقوف هنا وسط كلّ هذه الأشياء الجميلة. تألقَت حافّات الأثاث بالذهب لتعكس ضوء الشموع في مشهدٍ مُذهلٍ حقًا. ثنيتُ ركبتيّ في تحيةٍ لائقة عند وصول داسيانا، التي فعلَت الشيء ذاته.

"إنه لأمرٌ رائع أن أراكِ في ظروفٍ أكثر... تحضُّرًا." قبّلَت خدّي ثم عانقَت أخاها بشدّة. "تمكّنتُ من الاتصال بالسيّدة هارفي قبل أن تُغادر إلى لندن، لكنّها في الطابق العلوي -"

"تأخذ قيلولة؟" سأل توماس.



قالت داسيانا: "كلا، أيها البائس. إنها تستعدّ للحفلة. يجب عليكما الإسراع في الاستعداد أيضًا، سيصل ضيوفنا في غضون ساعة."

بعد أحداث السرداب المُروّعة كانت الحفلة أبعد شيء عن أفكاري. في الواقع، بالكاد وجدتُ الوقت لجمع مُتعلّقاتي، وقامَ المُدير بإخراجنا بسُرعة من القلعة دون أن نودّع أيّ شخصٍ، ناهيك عن الذهاب في رحلة تسوّق. تركتُ رسالةً لنوح لكنّني تمنّيتُ توديعه شخصيًا، كنتُ سأفتقدهُ هو وذهنهُ الحادّ. جلبَ لي التفكير في زميلي ذكرياتٍ أكثر ظلامًا، وحاولتُ عدم تخيّل خوزقة أنستازيا دون جدوى.

مدّت داسيانا يدها لتجذبَني من تلك الصور الرهيبة، واشتدّت قبضتها في يدي قليلاً لتُعطيني القوّة. قالت: "سيأتي شخصٌ لمُساعدتك في تغيير الملابس."

"لم أُحضِر شيئًا أرتديه."

تبادلتُ نظرةً متوتّرة مع توماس، لكن داسيانا هزّت يدها وقد أنارَت ابتسامةٌ ماكرة وجهها. قالت: "لا شيء يدعو للقلق. إنهم ببساطة مجموعة من الأصدقاء المُقرّبين يستمتعون بليلة عيد الميلاد معًا. لا شيء فخم، وأفضل فستان معكِ الآن يفي بالغرض." كانت الغرفة التي اختارَتها لي داسيانا ممتازة، وامتازَت بكلّ الرفاهية التي يُمكن أن تطلبها الأميرات، ناهيكَ عن ابنة لورد. وقفتُ في مدخل الغرفة للحظةٍ مأخوذةً

بروعتِها. طقطقَت مدفأةٌ بهدوء في إحدى الزوايا، ولم أستطع منع نفسي من التوجّه إليها للاستمتاع باللوحات التي زيّنَت رفّها الفاخر. كانت تُصوّر الزهور والجبال والطبيعة في بوخارست بألوان الجواهر. اقتربتُ منها أكثر لأفحصها باهتمام. كُتِبَ على طول الجزء السفلي منها اسمٌ مألوف بخطٍّ جميل تعرّفتُ عليه على الفور: توماس جيمس دورين سيل-رو كريسويل.

ابتسمتُ لنفسي وانتقلتُ إلى السرير الكبير ذي الأربع أعمدة والستارة الرقيقة لأتوقّف هناك. لقد تمّ وضع صندوق مألوف مربوطٍ بشريطٍ أسود. لقد نسيتُ فتحه خلال وجودي في الأكاديمية، وكدتُ حتّى أنسى اليوم الذي حاولَ فيه توماس التسلّل إلى غرفتي لوضعِه. تلمّستُ الشريط بأصابعي، مُعجبةً بالحرير الناعم الرائع. بعد كلّ ما مررنا به لم أصدّق أنّ توماس تذكّرَ جلبه. سحبتُ أحد طرفي الشريط ببطء وشاهدتُه وهو يُفتَح. داهمَني الفضول فمزّقتُ غلاف الورق البُنّي لأرفع الغطاء عنه، وتجعّدَ الورق بصوتٍ مُريح وأنا أكشفُ النقاب عن قطعة القماش المُتقَنة المُخبّأة تحتها.

"أوه..." رفعتُ الفستان الرائع من صندوقه مُحاربةً اجتياح العاطفة المُفاجئ الذي غمرَني. لقد اشترى لي توماس بعضًا من شروق الشمس والأحلام السعيدة، شيئًا مليئًا بالضوء لطرد الكوابيس العالقة في رأسي.



لمعَت الأحجار الكريمة على ضوء الشموع وأنا أديرها في اتجاهين. كان أجمل حتّى ممّا بدا في نافذة العرض في براشوف، وجعلني لونه الأصفر الباهت والقشديّ أرغبُ في غرس أسناني فيه.

كانت واحدة من أروع الملابس التي رأيتُها على الإطلاق. تسارعَت دقّات قلبي وأنا أتخيّل توماس يتسلّل عائدًا إلى محل الملابس ليأخذه. لم أتأثّر بجانب كُلفته المادّية، لكن حقيقة أنه اشتراه لمجرّد إسعادي هي التي سرقَت أنفاسي.

أمسكتُ بالثوب عن كثب ورقصتُ في أنحاء الغرفة، سامحةً لتنّورته التول بالدوران كأنّها شريكي المُتحمّس. لم أستطع الانتظار ليراني توماس به، وأكون مثل شعاع الشمس الذي يُضفي إشراقةً على روحه في المُقابل. قد لا يحمل السيّد توماس كريسويل لقب الأمير، لكن ذلك جيّدٌ بالنسبة لي، لأنهُ سيكون دائمًا مَلك قلبي.

عندما تُقيم داسيانا حفلةً فلن تكون حدثًا متواضعًا، بل حفلةً تليقُ بملكة. كانت فيكتوريا وبقيّة الفتيات من حفلات الشاي خاصّتنا سينبهرنَ بصنوف الحلويات والمُعجنات والفواكه واللحوم، المكدّسة بما يكفي لإطعام قرية براشوف بأكملها. تم تشكيل الأطعمة في أشكالٍ من الوحوش الخياليّة التي لم أستطع تمييزها تمامًا من مكاني المُرتفع هذا. تمنّيتُ لو كانت ليزا هنا لتُبدي إعجابها معي. لم أتلقَّ خطاب ردٍّ منها

وبدّدتُ شعورًا بالقلق المتزايد، كلّ شيء على ما يُرام. تجوّلتُ في الشرفة الواسعة مفتونةً بالترفيه الذي يجري في وسط قاعة الحفلات. تُوّجَ الراقصون بتيجان ألماس مع ريش أبيض مُذهل على جانبي الصدغ ذي الشعر الفضيّ، كأنّهم طيور بجعٍ طائرة. كما صُنع الجزء العلويّ من ثيابهم المُطابقة لها من الريش الأبيض مع درجاتٍ من الرماديّ، مع ذلك كانت قُفّازاتهم هي أكثر ما جذبَ اهتمامي وهم يُرفرفون حول حلبة الرقص. بدأ الدانتيل الأسود عند أطراف أصابعهم، وتحوّلَ إلى خيوطٍ من الشاش الذي يشبه الدخان وهو يلتفّ بإحكام حول مَرافِقهم. وقفتُ أراقبُهم بدهشة وهُم يقفزون برشاقة من قدمٍ إلى أخرى. لقد شاهدَهم البعض من الجمهور، لكن الغالبيّة انشغلوا في المُحادثات.

"هذا مُؤسف."

استدرتُ لأرى إيليانا تومئ برأسها نحو الناس تحتنا. لم أستطع كتم الشهقة التي أفلتَت من شفتي. لقد ذهبَ زيّ الخادمة المُطرّز واللباس الفلاحيّ، وحلّت محلّه شابةٌ مُتألّقة في ثوبٍ أنيق فاخر بما يكفي لأميرة. مدَّت زينةٌ بهيئةِ فراشةٍ جناحَيها عبر صدرها الواسع، وكانت مُذهلةً مثل الفتاة التي ارتدَتها. لم يسَعني إلا الإعجاب بهذه المرأة وكلّ ما فعلَتهُ لأرضِها المحبوبة. كانت نبيلةً من النوع الذي يحتاجهُ العالم، النوع الذي لا يخشى خوض غمار الأماكن المُخيفة من أجل شعبه. لا عجبَ أنّ



داسيانا تُحبّها؛ من الصعب عدم الإعجاب بشجاعتِها وعزمِها. أومأت نحو الحاضرين. "إنهم لا يتوقّفون أبدًا للاستمتاع بالسحر الذي يجري حولهم."

اعترفتُ: "لم أتوقع هذا العدد من الناس. عندما ذكرَت داسيانا حفلةً صغيرة مع أصدقاء مُقرّبين..." تراجعتُ بينما كانت إيليانا تضحك. "من المؤكد أنّ آل كريسويل لديهم ميلٌ للدراما، على الأقل أعلم أنّ الأمر بالوراثة، لكنّني أعتقدُ أنّ توماس مسرحيٌّ أكثر منها."

"لِداسيانا لحظاتُها أيضًا."

وقفنا قليلًا في صمتٍ ودّي. لا يزال هناك شيءٌ واحد لم أفهمه بعد، فواجهتُ إيليانا به.

"كنتِ أنتِ وداسيانا في تلك الليلة في الأنفاق، تنقُلان جثةً من مشرحة البرج، أليس كذلك؟ كنتُما تُردّدان ترنيمة..."

أومأت إيليانا ببطء.

"ذكرَ رادو أنّ الجماعة تؤدي طقوس موت أعضائها في الغابة. هل هذا ما كنتُما تفعلانه؟ هل تعرفين ضحيّة القطار؟"

"نعم." حدّقت إيليانا في الناس. "كان هذا أخي. عندما اكتشفتُ أنّ مولدفانو سيُجري تشريحًا عليه..." ابتلعت ريقها بصعوبة. "هذا يتعارض مع مُعتقداتنا، وساعدَتني داسيانا في نقل جثته إلى موطنها."

"إذن هُنالكَ مكان للقاءاتكُم في الغابة؟"

مرّت لحظة وافترضتُ أنّ إيليانا كانت تزنُ كلماتها، لتُقرّر مقدار ما تُشاركه معي. "هنالكَ مكانٌ مقدّس تحرسهُ الذئاب. معظمُ الناس لا يقتربون منه أبدًا، بفضل الفولكلور والعظام التي يتمّ العثور عليها في بعض الأحيان." بانَت ابتسامةٌ خفيفة على وجهها. "نحنُ نُطعم الذئاب الحيوانات الكبيرة، وهي تنثرُ العظام من تلقاء نفسها. هذا يُعطي قصةً جيّدة للذين يؤمنونَ بالخرافات. لا أحد يُريد إغضاب روح فلاد دراكولا الخالدة."

قُلت: "إنّها طريقةٌ جيّدة للتمويه. آسفةٌ بشأن أخيك. فُقدان الأخ أمرٌ مُروّع."

"بالفعل. لكن يُمكننا حمل ذكراهم معنا لنستمدّ منها القوّة." أمسكَت إيليانا بيدي ذات القفّاز في يدها وضغطَت برفق. "أحتاجُ إلى هواءٍ نقيّ. إذا رأيتِ داسيانا أخبريها أنّني على السطح. المكان هنا خانقٌ أكثر من اللازم بالنسبة لي."

بعد أن لوّحتُ لها بالوداع اقتربتُ من السلّم وجهّزتُ أعصابي للنزول. وقفتُ ساندةً وركي على الدرابزين، وانتباهي عالقٌ على حشد روّاد الحفلة بملابسهم الملوّنة. ارتدَت النساء فساتين باللون الأخضر والذهبي وجميع درجات الأحمر. مرّرتُ يدي على صدري المتلألئ، لقد



خُيطت الأحجار الكريمة الصفراء والذهبيّة بعناية على القماش الرائع، لتُعطي مظهرَ ضوء الشمس على سطح الثلج. لم أستطع نكران عشقي للثوب وشعوري بأنّني أميرة، وجلبَت الفكرة ذكرياتٌ جميلة للأوقات التي لفّتني فيها جدّتي بالساري المُرصّع بالجواهر. ألقيتُ نظرةً على الغرفة المُبهرة وانتباهي يلتهم كلّ تفصيلةٍ بهيجة. تدلّت أغصان التنوب فوق النوافذ والرفوف ليُغطّي البريق أغصانها، بينما لاحظتُ مجموعاتٍ من نبات الدبق موضوعة بينها بذكاء وهدأ قلبي.

ربما أنغمسُ في بعض السلوكيّات الحُرّة ولو لليلةٍ واحدة فقط. لقد تمّ إيقاف المُخوزِق وإنقاذ الأكاديميّة من الخراب، وحان وقت الجلوس والاستمتاع بالنصر قبل أن نعرف ما إذا اجتَزنا كورس التقييم أم لا. يجب أن يصلنا خطابٌ قريبًا، يحوي كلمةً عن مصيرنا للفصل الدراسيّ القادم.

قطعَ شابٌ الغرفة كالظلّ، شاهدتُه يشقّ طريقه بين الأزواج الراقصين بثقةٍ نحو وجهته، وهو يسحبُ كأسين من الشراب من صينيّةٍ مارّة بقربه، قبل أن يتوقّف عند أسفل الدرج وتُقابل عيناه عينيّ. بدا توماس كالأمراء تمامًا، سواءٌ أكان حقّه في العرش صحيحًا أم لا. تسارعَ قلبي وهو يأخذ رشفةً من كأسه وجرعاتٍ أكبر منّي في عينيه.

جمعتُ طبقات تنّورتي ونزلتُ السلّم الكبير بحذر لكي لا أتعثّر بالدرجات. بالنسبة لشخصٍ يدّعي أنهُ يقضي العطلة بمُفرده مع السيّدة هارفي، لم أصدّق عدد الضيوف الذين كانوا يجوبون المكان. ستُلحق داسيانا العار بالعمّة أميليا بقدراتها في استضافة الحفلات. بدا أنّ نصف سكان بوخارست قد حضروا، مع وصول المزيد في كلّ دقيقة. أينَ ذهبَت الأمسية الصغيرة الهادئة مع بعض الأصدقاء!

عندما وصلتُ إلى أسفل الدرج لمحتُ السيّدة هارفي وهي ترقص قُرب حافة حشد الحاضرين، وخدّاها مُحمرّان بسرور.

"سوف تدفعين الجميع إلى الجنون هذه الليلة يا وادزورث." قال توماس وهو يمنحني نصف الابتسامة التي أحبُّها مع كأس. "سيكون رقصُكِ مثل قصص الأساطير."

أخذتُ رشفة وأنا في حاجةٍ إلى كلّ الثقة السائلة التي يُمكنني نيلها. دغدغَت الفقاعات حلقي خلال انسيابها فيه، وأخذتُ رشفةً أخرى بسرعة.

"في الواقع، أخطّطُ للوقوف تحت الدبق لمُعظم المساء."

"قد ترغبين في إعادة النظر في ذلك يا وادزورث. هذا سلوكٌ تطفُّلي كما تعلمين." ابتسم توماس. "بالطبع، سأتفقّدُ الخاطِبين المُحتمَلين أوّلًا إذا أردتِ، لا أريدُ أن يضيع أحدُهم منّا. هذا ما يفعله الأصدقاء، أليس



كذلك؟" ستُحيطه الشابّات هو أيضًا. كان شعرهُ البُنّي الغامق مُصففًا بخبرة، وبدلته تُناسب هيكله الرشيق البارز، وحذاؤه الجلديّ لامعٌ إلى حدّ الكمال. كان وسيمًا بشكلٍ يُحطّم القلوب.

"أنتَ تبدو... عاديًا يا كريسويل." قلتُ بوجهٍ بارد، ولاحظتُ أنهُ راقبَني وأنا أُفهرسُ تفاصيله، وارتعدَت زوايا فمه. "كنتُ أتوقّع المزيد منكَ حقًا. شيءٌ... يليقُ بأمير. خابَ أملي لأنّكَ لم تضع شعرًا مستعارًا."

"كذّابة."

تجاهلتُه وأنا أُنهي كأسي وأضعهُ على صينيّة مارّة. سبحَ رأسي بالحرارة السائلة التي خفقَت في عروقي كأنّها بنزين في انتظار شرارة إشعاله. قلبَ توماس رأسه إلى الوراء وأفرغَ كأسه بسرعةٍ مذهلة. شاهدتُه يُحدّق في شكلي بالكامل ثانيةً، آخذًا حريّته في التوقّف عند كلّ انحناءٍ أبرزهُ ثوبي. لم أصدّق بَعد أنّهُ قد جلبهُ من أجلي. اقتربَ مني ووضع يدًا كبيرة حول خصري، ليجذبَني إلى رقصة فالس مع بدء الموسيقى. "لقد وعَدنا بعضنا، أتذكُرين؟"

"ممم؟"

واجهتُ صعوبةً في التركيز على شيء غير خطاه الواثقة التي قادَتني حول الغرفة في حلقةٍ تلو الأخرى. كان من الصعب معرفة ما إذا وقعَ اللوم في ذلك على عاتق الكأس الذي شربتُه أم على عاتق الشابّ الذي

أمامي. وضعتُ إحدى يديّ على كتفه والأخرى في يده ذات القفّاز، سامحةً لنفسي بالانغماس في سحر الأغنية والجوّ الخيالي. كانت هذه أرض العجائب الشتويّة، وتناقضُها عظيم مع الجحيم الذي عشناه.

رفعَ توماس شفتَيه إلى أذني هامسًا، ليُشعل دمي: "عندما كنّا في لندن، قطعنا وعدًا ألّا يكذب أحدُنا على الآخر."

جذبَني إليه حتى لم تعُد بيننا مسافةٌ لائقة، ووجدتُ نفسي لا أُمانع بينما كنا نخطو بين التنانير المُلتفّة، وحشد الراقصين أشبهُ بلوحةٍ من البهجة. تحوّلَت بقيّة الغرفة إلى حلمٍ لم أنتبه إليه. كان هنالك شيءٌ أفضل من الأحلام، شيءٌ ملموسٌ في يدي، احتجتُ فقط للتمسّك به وطمأنة نفسي على أنه حقيقيّ وليسَ شبحًا من الماضي.

"هل تريدُ الحقيقة يا كريسويل؟" لففتُ ذراعيّ حول رقبته حتّى اندمجَ جسدانا، حتّى أمسَت الفكرة الوحيدة التي تشغلُ عقلي هو تقريبهُ أكثر والسماح لناري بحرقهِ هو أيضًا. لم يبدُ أنّ أحدًا لاحظَ سلوكي الوقح، ولو لاحظوا لما كنتُ سأهتمّ في تلك الساعة.

"أخبريني." قرّبَ توماس فمهُ بشكلٍ خطير من فمي للحظةٍ داعبَت وترًا جامحًا في داخلي. مرّرَ يديه على ظهري مُهدّئًا ومُحفّزًا. "من فضلِك."لم ألاحظ أنّنا وضَعنا أنفسنا في كوّةٍ بين أصصٍ من نباتات السرخس، ووفّرَت سعفاتها الكبيرة لنا حاجزًا عن الحفلة المُحتدمة



وراءها. كنّا لوحدنا، بعيدًا عن أعين المُتطفّلين، بعيدًا عن قواعد المجتمع وقيوده.

قام توماس بدفع خصلة من الشعر خلف أذني، وبانَ تعبيرهُ حزينًا بالنظر إلى وضعنا. "أمّي كانت ستعشقُك. كانت تُخبرني دائمًا أنّني بحاجة إلى شريك يُساويني، وبأن لا أرضى أبدًا بفتاةٍ بسيطةٍ مُذعِنة لي كزَوج." نظرَ ثانيةً نحو الحشد وعيناهُ تلمع. "الوجود هنا... صعب، أكثر بكثير مما اعتقدت. أراها في كلّ شيء. إنه أمرٌ سخيف... لكنني أتساءلُ غالبًا عمّا إذا كانت ستفتخرُ بذلك، رغمَ ما يقوله الآخرون عني. لا أعرف ماذا ستُفكّر." مررتُ يدي على طيّات صدر سترته، وسحبتُه إلى داخل الكوّة. لقد جعلَ الظلام الاعترافات أسهل، وأراحَني بطريقةٍ لم يستطع النور فعلها أبدًا.

قُلت: "ستكون فخورة." مالَ توماس في بدلته وتركيزه ثابت على الأرض. "هل تريد أن تعرف رأيي؟ الحقيقيّ؟"

"نعم." حدّقَ في عينيّ بلا خجل. "اجعلي كلامكِ فاضحًا أيضًا. حديثُنا جدّيٌّ أكثر من اللازم بالنسبة لي."

"رأيي...

خفقَ قلبي. حدّقَ توماس في وجهي برغبة، كما لو كان بإمكانه انتزاع سرٍّ لم أفصح عنه حتّى لِنفسي بعد. نظرتُ في عينيه المُرقّطتَين بالذهب، رأيتُ فيهما مشاعري نفسها تنعكس إليّ، بلا حواجز أو حيل.

"رأيي أن تكفّ عن القول بأنّكَ ستُقبّلني أيّها الأمير دراكولا." جفلَ كأنّ كلامي قد لدغه، فأدرتُ وجهه إليّ. "وأن تفعلَها فقط يا كريسويل."

ظهرَ الفهم في ملامحه ولم يتردّد في إطباق فمه على فمي. استندنا على الجدار ودفء جسده يُحيط بي. انزلقَت يداه فوق جسدي، وانعقدَتا في شعري وهو يُعمّق قُبلتنا. سقطَ العالم واختفى، وأمسَت القيود والقواعد أمورًا من الماضي. لم يكن هُناك سوانا نحن الاثنان، نقف في سماءٍ مليئةٍ بالنجوم، في غفلةٍ عن أيّ شيء سوى الطريقة التي تكاملَت بها أجسادنا مثل المجاميع النجميّة. كان يُكمّلني من جميع النواحي. خلعتُ قُفّازي لأسمح لأصابعي بحُرّية لمس تضاريس وجهه دون عائق وفعلَ المثل. كانت بشرته ناعمة تحت لمستي. تراجعَ توماس وداعبَ شفتي السفلى بلطف بإبهامه، وأنفاسه تضطرب. "أودري روز، أنا -"

سحبتُ وجهه إلى وجهي وأعطيتُ فمه شيئًا أكثر تشويقًا للقيام به. لم يُمانع توماس المُقاطعة ونحن نستكشفُ طرقًا جديدة للتواصل. في النهاية سحَبنا أنفسنا من مكاننا السرّي خلف السرخس، ورقصنا



وضحكنا حتى آلَمَتني قدماي ومعدتي. هذه الليلة لم تكن مُقدّرةً للحزن والموت. لقد حان الوقت لاستذكار عظَمة شعور الحياة الحقيقيّة.

عزيزتي الآنسة وادزورث،

أنا متأكدٌ من أنّ هذا لن يكون مُفاجئًا، لكن يجب أن أبلغكِ بأن لا مكان لكِ في الأكاديميّة هذا الموسم. بعد تفكيرٍ مليّ، قررتُ أنّ الطالبَين الأكثر استحقاقًا خلال هذا الكورس هُما السيد نوح هايل والسيّد إيريك بيتروف. لقد أظهرا سلوكًا مثاليًا بالإضافة إلى مهارات الطبّ الجنائيّ. ربّما في المرة القادمة ستفعلين ما يُطلَب منك. جزءٌ مهمّ من تعليم الفرد يشمل الاستماع إلى مَن هُم أعلى مرتبةً وأكثر خبرة، وهو أمرٌ فشلتِ فيه للغاية في أكثر من مُناسبة.

مع ذلك، بالنيابة عن الأكاديميّة، أقدّمُ خالص امتناني لمُساعدتِك لنا. قد تُصبحينَ بارعةً في الطبّ الجنائيّ بمزيدٍ من التدريب والانضباط، رغمَ أن ذلك لم يتّضح بعد.

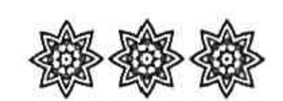
أتمنّى لكِ كلّ التوفيق.

المُخلص، واديم مولدفانو

مُدير أكاديميّة علوم الطبّ الجنائيّ.

خاتمة

وعدٌ بالمغامرة



مسكن آل كريسويل
بوخارست، رومانيا

26 ديسمبر 1888

انحنى الأمير نيكولاي مُقابل الأريكة في غرفة الاستقبال، بوجهٍ نحيف لكنه استعادَ لونهِ الطبيعيّ، وقد أسعدَتني رؤيتهُ للغاية.

قال توماس بصراحة: "أنتَ الآن أقلّ شبَهًا بالجُثث." لم يسَعني إلا الضحك. رغمَ كل النموّ الذي شهدتُه فيه لكن لا تزال هناك بعض الجوانب التي لن تتحسّن أبدًا. التفتَ إليّ بجبينٍ مُجعّد. "ماذا؟ ألا يبدو بشكلٍ أفضل؟"

"أنا سعيدةٌ لأنّكَ بخير أيّها الأمير نيكولاي. لقد كان..." شعرتُ أنّ وصف ما مرّ به بكلمة 'فظيع' لا يفي بالغرض مطلقًا، ما مررنا به



نحنُ جميعًا. أخذتُ نفسًا عميقًا. "ستكون قصةً عظيمة ننقلُها إلى أطفالنا يومًا ما."

"آنستي، نادِني بنيكولاي فقط." بدَت عليه ابتسامة لكنّها لم تتّسع بالكامل. "أردتُ أن أشكرَكما شخصيًا، وأردتُ الاعتذار."

سحبَ قطعة ورق من دفتره الذي احتفظ به وقدّمَها لي. كانت تحوي الرسم الذي ظهرتُ فيه كأنّني الكونتيسة دراكولا. نظرتُ نحوه مُتجاهلةً الطريقة التي شخرَ بها توماس من فوق كتفي. قال نيكولاي بوضوح باسطًا كفّيه: "لم يُصدّقني أحد. لقد حاولتُ تحذير عائلتي، ثم البلاط الملكيّ الحاليّ، لكنّهم اعتقدوا أنّني معتوه. ثمّ ماتَ فيلهلم... ومع ذلك لم يستمعوا إليّ. لذا قرّرتُ إرسال التهديدات. كنتُ آملُ أن يتّخذوا الاحتياطات. افترضتُ أنه إذا تمّ استهداف سلالتنا، فهي مسألة وقت فقط قبل أن يتمّ تهديد الملك والملكة أيضًا." أشارَ إلى الرسم الخاصّ بي. "اعتقدتُ أنّكِ الجانية، ورسمتُ ذلك بقصد نشرِهِ بين القرويّين. إذا لم تستمع الأكاديميّة... دانيشتي أو مولدفانو... ظننتُ أنّ القرويّين قد يتخلّصون من أيّ شخص يُنظَر إليه على أنه ستريغوي. أنا أعتذر." لم يقُل توماس شيئًا، ووقفت آخذةً يديّ الأمير بين يديّ. "شكرًا لكَ على قول الحقيقة. أنا سعيدةٌ لأننا نفترقُ بمشاعر أفضل ممّا كانت عند لقائنا أوّل مرّة."

"وأنا كذلك." دفعَ نيكولاي نفسه ليقف على قدميه، مُستخدمًا عصا فاخرة وعرجَ نحو الباب. "رافقَتكُما السلامة."

تم توصيل صندوق طويل معقودٌ بخيوط إلى غرفتي مع الإيصال في مساء ذلك اليوم. كانت أفضل هدية كريسمس اشتريتُها لنفسي على الإطلاق. نزعتُ الخيط وفتحتُ الغطاء لأكشف عن بنطلون أسود مطويّ مع بلوزة حريريّة، وانصبَّ انتباهي على أثمن جزء من العبوة: حزامٌ جلديّ بإبزيمٍ ذهبيّ. عندما نعود إلى لندن سأكون القوّة التي تُهاب. كنتُ أتمنّى أن يقبل أبي، رغمَ أنني لن أضغط عليه في البداية. دفعتُ المخاوف جانبًا ووجدتُ أنني لا أطيق الانتظار لتجربة الملابس الجديدة، فنزعتُ ملابسي على الفور.

شددتُ البنطلون وقمتُ بتثبيته حول خصري، مُعجبةً بالطريقة التي بدا عليها شبحي مغموسًا في أفضل أنواع الحبر ثم تُرِكَ ليجفّ في الشمس. سحبتُ البلوزة فوق رأسي بعد ذلك وقمتُ بلفّه بعدّة أربطة في الأمام قبل دفعه تحت البنطلون. لقد صنعَت الخيّاطة قميصًا حريريًا، مع ذلك كان له قوامٌ كافٍ لدعم مفاتني على أكمل وجه.

مرّرتُ يدي على مُقدّمة القميص، مُزيلةً تجاعيده وأنا أدورُ من جانبٍ إلى آخر قُبالة المرآة. برزَ شكلي بطريقةٍ تمنع الخلط بيني وبين زملائي الذكور عندما أعود إلى حضور دروس عمّي، برغم أنّني ارتديتُ ثيابًا



تُشبه ثيابهم. خجلَ جزءٌ منّي ممّا كُشِفَ عنه من مُنحنيات جسدي في هذا الزيّ، لكنّني في الغالب شعرتُ أنّني سأتجوّل برأسٍ مرفوع. وجدتُ حُرّيةً في الحركة نادرًا ما شعرتُ بها مع طبقات الفساتين والأربطة.

ابتعدتُ عن المرآة لأرفع الحزام الجلديّ من الصندوق، وأقوم بإدخال إحدى ساقيّ فيه قبل غلق إبزيمه على فُخذي. وضعتُ المشرط في مكانه داخله وابتسمت. لو خجلتُ من ثيابي من قبل فقد كان هذا مستوى جديدًا تمامًا من الجرأة التي يجب أن أتحمّل تجربتها. سأحتاجُ إلى ارتداء مئزر لتجنّب الهمسات والنظرات.

"أنتِ مُذهِلة."

استدرتُ ويدي تشردُ نحو المشرط المُغلّف على فُخذي قبل أن أرفعها. "التسلّل إلى غرفة نوم فتاة شابّة مرّتَين في شهرٍ واحد هو أمرٌ غير مُهذّب، حتى وفقَ معاييركَ السائبة يا كريسويل."

"حتى إن كنتُ أتسلّل في منزلي؟ ومعي هديّة؟"

كانَت ابتسامته مائلة وهو يضعُ لوحةً على الباب ويدخل الغرفة ليدور حولي، ويفحص كلّ بوصةٍ من زيّي، قبل أن يقترب منّي بما يكفي لأشعر بحرارة جسده. فجأةً شعرتُ بالخجل فأومأتُ نحو اللوحة. "هل لي أن أراها؟"

مدّ توماس ذراعه: "من فضلكِ، انغمسي في خيالاتِك."

مشيتُ إلى اللوحة وقلبتُها، وتوقّفَت أنفاسي عند رؤيتها. لمعَت في وسطها زهرة أوركيد واحدة كأنّها مُغلّفةٌ بالجليد، ثمّ انحنيتُ نحوها لأدرك أنّ ذلك ليسَ صحيحًا على الإطلاق. كانت زهرة الأوركيد في الواقع سماءً مُزيّنة بالنجوم، لقد رسم توماس الكون بأكمله داخل حدود زهرتي المُفضّلة. خطرَت في بالي ذكرى تقديمه زهرة أوركيد لي خلال التحقيق في قضايا السفّاح. أسندتُ اللوحة على الحائط ورفعتُ بصري عنها. "كيف عرفت؟"

"أنا..." ابتلعَ توماس ريقهُ بصعوبة وركّزَ على اللوحة. "الحقيقة؟"

"لو سمحت."

"لديكِ فستانٌ مُطرّز عليه أزهار الأوركيد، مع شرائط بأغمق درجات الأرجوانيّ. أنتِ تُحبّين اللون، لكن ليس بقدر حبّي لك." أخذَ نفسًا عميقًا. "أمّا النجوم فهي ما أحبّهُ أكثر من الطبّ والاستنتاج. الكون شاسع، معادلةٌ رياضيّة لا أملَ لي في حلّها. النجوم لا حدود لها وأعدادها لا نهائيّة، ولهذا السبب بالضبط قستُ حبّي لكِ من خلالها، مقدارٌ لا حدّ له ولا يُمكن أن يُحصى."

مدّ يده وسحبَ دبوسًا من شعري ببطءٍ كافٍ لجعل قلبي يُسرع، فسقطَ جزءٌ من لفائف شعري الغُرابي لينسدل على ظهري.



"أنا مسحورٌ بالكامل يا وادزورث." رفعَ دبوسًا آخر ثمّ آخر حتّى حرّر شعري تمامًا من قيوده. كان هُناك شيءٌ حميميّ بشأن رؤيته لي بشعري الطليق في غُرفتي الخاصّة، وبشأن اعترافه، مثل لغةٍ سرّية لا يُجيدها غيرنا.

قلتُ مازحةً: "إذَن هل تُلمّح إلى أنّ مشاعركَ ناتجة عن نوع من تعاويذ السحر؟"

"ما أعنيه هو... لا أستطيعُ التظاهر بأنّني لستُ... ما أقوله هو أنّهُ قد مرّت بضعة أشهر." حكّ توماس جبينه. "كنتُ أتمنّى جعل الأمور... أكثر رسميّة. أيًّا كانت الطريقة التي تُفضّلينها في الواقع."

"رسميّة بأيّة طريقة؟" دقّ قلبي على صدري من الداخل باحثًا عن صدعٍ يهرب منه. لم أصدّق أنّنا نُجري مثل هذه المُحادثة، خاصّةً ونحنُ لوحدنا. رغمَ أنّني لم أصدّق أيضًا أنّ توماس قد قال 'أحبُّك'، وهو ما احتجتُ لسماعه ثانيةً، مرةً واحدة فقط دون حثّ.

"تعرفينَ الطريقة يا وادزورث. أرفضُ الاعتقاد بأنّكِ لا تفهمين مشاعري. أنا أحبُّكِ كلّيًا، حبًّا دائمًا."

هذا هو البيان الذي تقتُ إليه. أخذَ يعضّ شفته بعصبية، مُحتارًا رغمَ ذكائه في إمكانيّة أن أحبّه حقًا. أردتُ تذكيره بمُحادثتنا حول عدم وجود مُعادلة للحبّ، لكنّني وجدتُ نبضي يتسارع لسببٍ مختلف. كنتُ على

استعداد لقبول يد السيّد توماس كريسويل، وقد أرعبَني ذلك وأذهلَني. راقبَني وأنا أعتدلُ في وقفتي وأرفعُ ذقني، قبل أن أخضع لمشاعري احتجتُ للتأكّد من شيء أخير.

"هل ستطلُب الإذن من والدي فقط لمُرافقتي؟ ماذا عن مشاعري؟ قد يُعجبني نيكولاي، أنتَ لم تسألني مُباشرة."

نظرَ توماس إليّ بلا تردد. "إذا كان هذا صحيحًا فأخبريني ولن أتحدّث عن هذا ثانيةً. لن أفرضَ وجودي عليكِ أبدًا."

لم يسَعني إلا التفكير في المُفتّش الذي عملَ معنا في قضية السفّاح، وفي دوافعه الخفيّة. "إنها فكرةٌ جميلة حقًا، لكن ما أعرفهُ أنّكَ قد تحدّثتَ بالفعل إلى والدي وتمّ تحديد موعد، مثلما حدثَ من قبل."

"كان بلاكبيرن أحمقًا. أعتقدُ أنهُ يجب أن يكون لديكِ دائمًا خيارٌ في هذا الشأن، ولن أجرؤ على استبعادكِ من حياتك."

"أبي ربّما... لستُ مُتأكدة، قد لا يوافق على مثل هذا النهج الحديث بطلبِكَ إذني قبل إذنه. ظننتُكَ تهتمّ برأيه."

رفعَ توماس يده إلى وجهي، مُداعبًا زاوية فكّي بلُطف. "صحيح، أريدُ موافقة والدك لكنّني أريدُ إذنك قبل أيّ أحدٍ آخر. هذا لا يُمكن أن ينجح بطريقةٍ أخرى، أنتِ لستِ مُلكي بل مُلك نفسك." مرّت شفتاه على شفتيّ، بلطفٍ شديد حتى كدتُ أتخيّلها هناك حين أغمضتُ عينيّ.



يُمكنه إقناعي ببناء باخرة تُبحر إلى القمر حينما يُقبّلني. يُمكننا السفر عبر النجوم معًا.

خطوتُ بين ذراعيه ووضعتُ راحة يدي على صدره، لأسحبهُ نحو الكرسي ذي العُقد. لقد اكتشفَ مُتأخرًا أنّ هُناك شيئًا أكبر من قطّةٍ تُلاحقه؛ لقد جذبَ اهتمام لبوة وأصبحَ الآن فريستي.

"إذَن أنا أختارُكَ يا كريسويل."

سُررتُ بحقيقة أنه تعثّر مُتراجعًا على الكرسي وعيناه مُتّسعتان. اقتربتُ أكثر حتى وقفتُ أمامه، ونكزتُ ساقه برُكبتي.

"ليسَ مُهذّبًا أن تلعبي مع وجبتِك يا وادزورث. لم –"

"أنا أحبُّكَ أيضًا." أمسكتُ شفتَيه بشفتيّ، وسمحتُ لذراعيه بالالتفاف حولي ليجذبني أكثر. فتح فمه لتعميق قُبلتنا، وشعرتُ أن السماوات تُفتح داخل تكوين جسدَينا. لم أكترث بأنستازيا وجرائمها، أو بأيّ شيء آخر غير –

"أكرهُ أن أفصلَ بينكما..." سعلت داسيانا من المدخل. "لكن لدينا ضيف." نظرَت إلى ملابسي الجديدة وابتسمَت. "تبدين رائعة، مُخيفةً وقاتلة!" تنهّدَ توماس وأنا أخرجُ من قبضته، ثم رمق أخته بنظرةٍ كانت العمّة أميليا ستفتخر بها. "سأصبحُ أنا قاتلًا إذا واصلتِ إفساد كلّ لحظاتنا الحميمة يا داسي. اذهبي للترفيه عن ضيفكِ لوحدك."

أخرجَت داسيانا لسانها في وجهه. "كفّ عن الغضب، إنه غير لائق. أودُّ استقبال ضيفنا لكن لديّ شعور أنّ أودري روز سترغب في رؤيته."

قمتُ بتعديل مقدّمة زيّي وكان شعري مفتوحًا، لكنّ الفضول سحبني من غرفتي لنزول الدرج الملتوي قبل عقده. توقّفتُ في الأسفل، وكادَ توماس أن يسقط أرضًا بعدما اصطدم بي. رأيتُ رجلًا بشعرٍ أشقر ونظارات ذهبيّة مألوفة يدور حول المدخل ويداهُ ترفرفان على جانبيه. تطلّبَ الأمر كلّ ما لديّ من ضبط النفس لكيلا أقفز بين ذراعيه.

"العمّ جوناثان؟ يا لها من مُفاجأة جميلة! ماذا أتى بكَ إلى بوخارست؟"

نظرَ إليّ وشاهدتُ عينيه الخضراوين تطرُفان استجابةً لما اخترتُه من ملابس. كنتُ على يقين من أنّ الحزام الجلديّ حول فخذي قد يُسبّب جلطة للناظرين، لكنهُ أخذَ الأمر برويّة. على الأقل لم ينتقد حالة شعري، وهي معجزةٌ بحدّ ذاتها. حدّقَ عمّي في الشاب الذي بجانبي ثم لوى شاربه، فأمسكتُ بالدرابزين وأنا أعلمُ من حركتِهِ أن لديه أخبارًا غير جيّدة.

مرّت مخاوف متنوّعة أمام عينيّ. "هل كل شيء على ما يُرام في البيت؟ كيف حال أبي؟"



"إنه بخير." أومأ العم برأسه مؤكدًا كلامه. "رغمَ ذلك أخشى أنّ كلاكما سيتأخّر في العودة إلى المنزل. لقد تمّ استدعائي إلى أميركا. هُنالك قضيّة جنائيّة مُحيّرة، وأحتاجُ مُساعدة أفضل اثنين من المُتدرّبين لديّ." سحبَ ساعة جيب من تحت عباءته. "ستُبحر سفينتنا من ليفربول في رأس السنة الجديدة. إذا أردنا الوصول فعلينا المُغادرة الليلة."

"لستُ متأكدًا من أنّ هذه فكرةٌ حكيمة. ما رأي اللورد وادزورث في ذلك؟" وقف توماس باستقامة والقلق بادٍ عليه. "أفترضُ أنّ والدي أنا لن يُمانع. هل اتصلَ أحدٌ باللورد؟"

هزّ عمّي رأسه. "إنه مسافرٌ يا توماس، وأنتَ تعرف صعوبة تلقّي البريد، لهذا السبب أتيتُ بنفسي."

سقطَت خصلة شعر على جبين توماس، ورغبتُ في مدّ يدي إليها لرفعها وتبديد مخاوفه. ضغطتُ على يده برفق قبل أن أتّجه نحو عمّي.

"هيّا يا كريسويل. أنا متأكّدة من أنّ كلا أبوَينا سيُوافقان. بالإضافة إلى ذلك،" قلتُ بنبرةٍ مرحة "أرغبُ حقًا في خوض مغامرةٍ أخرى معك."

أضاءَ بريق إثارة تعابير وجهه. لا بدّ أنه تذكّر قولهُ لي في نهاية قضيّة السفّاح: "أنا لا أُقاوَم يا وادزورث، وقد حان وقت اعترافكِ بذلك." مدّ ذراعه بنظرةٍ مُتسائلة: "هلّا فعلنا؟"

نظرتُ إلى عمّي مُلاحظةً الابتسامة على وجهه. كنتُ أرغبُ دائمًا في السفر عبر المُحيط، ورفض قضيّةٍ أخرى مع رحلة على متن باخرةٍ فخمة بدا أحمقًا. ركّزتُ على ذراع توماس الممدودة، مع علمي بأنهُ يُقدّم لي أكثر بكثير من أفضل سلوكيّاته، كان يمنحُني كلّ الحبّ والمغامرة التي يُمكن أن توجد في الكون.

كان السيّد توماس كريسويل - آخر ورثة الأمير دراكولا - يُقدّم لي قلبهُ ويده. أخذتُ ذراع توماس دون تردّد وابتسمت. "إلى أميركا!"



مُلاحظات المؤلفة
التغييرات التاريخية والإبداعية التي اتخذَتها المؤلفة:

لقد مزجتُ الحقائق التاريخية مع الكثير من الخيال في قلب هذه القصة لتعزيز أجواء الإثارة والمُغامرة. في الحقيقة لم يتوقّف قطار الشرق السريع في بوخارست حتى أوائل عام 1889 (بعد بضعة أشهر من ركوب توماس وأودري روز إلى المدرسة خلال شتاء عام 1888)، ممّا أثارَ قلقي كثيرًا، لكنّني لطالما أحببتُ القطار ولم أستطع مقاومة افتتاح روايتي به. كان الأمر رومانسيًّا للغاية حتى ظهور تلك الجثة المُخوزَقة...

لسوء الحظ (وربّما العكس) لم تكن قلعة بران قطّ مدرسةً داخليّة أو استضافَت أيًا من طلاب الطبّ خلال تاريخها الطويل. كما إنّ فلاد الثالث (فلاد المُخوزِق) لم يمرّ بالقلعة إلّا خلال فترة حكمه الثانية قبل مهاجمة الساكسونيين في براشوف، رغمَ انتشار ما هو عكس ذلك في القصص والسينما. وبما أنّها اشتهرَت باسم "قلعة دراكولا" (بفضل الوصف المُماثل لها من قبل برام ستوكر، رغمَ وجود خلافاتٍ حول ما إذا كانت القلعة الفعليّة هي ما ألهمَت قصته الشهيرة عن مصّاصي

الدماء)، فقد قرّرتُ أنها ستكون المكان المثالي لقاتلٍ مُتسلسل يتظاهر بأنهُ مصّاص دماء.

خلال الإطار الزمني لهذه الرواية كانت قلعة بران من مسؤولية قسم الغابات في المنطقة. من المُثير تخيّلها كمدرسةٍ للطبّ الجنائي بدلًا من كونها مهجورةً بائسة طوال تلك الثلاثين عامًا حتى أهداها مواطنو براشوف إلى ملكة رومانيا ماريا.

بعض الأوصاف الداخلية – مثل وصف المكتبة – مستوحاة من الكاتدرائية الحقيقية في القلعة وقد تمّ تزيينُها بشكل كبير من أجل القصة. المدخل مع السلالم المؤدية لأعلى ولأسفل وشمعدانات التنّين من خيالي. كما إنّني حرصتُ على إضافة ممرّات ومتاهات سرّية تحت الطوابق الرئيسية. أحببتُ تخيّل عدّة طرق يُمكن لفلاد الثالث من خلالها الهروب من القلعة، في حالة قيام أيّة جيوش غازية أو حلفاء مُتآمرين بعمل تمثيليّة لإنهاء حياته ونزع سيطرته على بلده الحبيب. لمزيد من المعلومات حول القلعة وجدولها الزمنيّ التاريخيّ، يُمكن التحقق من موقعها الرسمي على الإنترنت. هُنالك حقائق مذهلة فيه مع صور رائعة.

كانت جماعة التنّين حقًا جماعةً سرّية من الفرسان، وكلٌّ من فلاد الثالث ووالده (فلاد الثاني) أعضاء فيها. لقد استندوا حقًا إلى الحروب



الصليبية، لكنهم لم يكونوا نشطين خلال وقت هذه القصة (وغالبًا لم يكن لديهم أعضاء من الإناث، لكن هذا لم يمنع فتياتي الشُجاعات من غزو نادي الأولاد واستخدام سيوفهنّ فيه).

حقائق عن بعض العلوم المذكورة:

تم اكتشاف الحمض النووي في عام 1869 بواسطة كيميائي فسيولوجي سويسريّ يُدعى فريدريش ميشر، وأطلقَ عليه اسم "نيوكلين" لأنه اكتشفه داخل نوى خلايا الدم البيضاء. نظرًا لكونها طالبةً في الطبّ الجنائي وقارئةً نهمة لكتب العلوم فقد كانت أودري روز معجبةً به كثيرًا. حصل مارفن سي ستون على براءة اختراع قصبة شرب السوائل الحديثة في عام 1888، على الرغم من أن السومريين قد استخدموا أقدم قشة معروفة للشرب في عام 3000 قبل الميلاد.

الحركة النسويّة الحديثة/المُبكرة: أودري روز مستوحاة من كتب مثل كتاب ماري وولستونكرافت "إثبات حقوق المرأة"، الذي نُشر قبل حوالي مئة عام من هذه المغامرة في عام 1792. (في كلٍّ من أمريكا وأوروبا كانت المرأة تُناضل من أجل حقّها في التصويت، لذا لم يكن من الصعب تخيّل والدة أودري روز تُعلّمها هذه الأفكار "الأكثر حداثة" التي وجّهَتها إلى دراسة الطبّ الجنائي بدلًا من التفكير في الزواج.)

عائلة دراكولشتي ودانيشتي:

الأمير نيكولاي آلديا وأفراد أسرته في هذه القصة من نسج الخيال. في الواقع، معظم الألقاب مستوحاة من العوائل المُشاركة في حُكم رومانيا قبل القرن التاسع عشر. تم تسمية نيكولاي باسم نيكولاي ألكسندرو من آل باسراب.

أحد الجوانب المُثيرة للاهتمام في بحثي كان العائلة المالكة وكيف يُمكن زيادة أفرادها عبر وضع الأبناء المولودين "غير الشرعيين" كحُكّام. كان آل باسراب وأل دانيشتي من السلالات الرئيسية التي حكمَت والاشيا في العصور الوسطى، ومنها جاءني الإلهام لتنافُس توماس ونيكولاي. لن يُعتبَر نيكولاي ولا توماس أمراءً لأن عائلتاهما قد فقدَت السيطرة على المنطقة منذ زمن طويل. هذا خيال وأحبُّ التفكير في توماس على أنه الأمير ذو السلف الشرّير الساحر لأحلام أودري روز (وهو ساحرٌ للغاية تحت مظهره البارد). في هذه القصة، تنحدر سلالة والدة توماس من فلاد المُخوزِق عبر مينيا سيل-رو (ابن فلاد المُخوزِق).

الكونتيسة إليزابيث باثوري نبيلةٌ مجرّية تاريخيّة وهي واحدة من أكثر القتلة المُتسلسلين إجرامًا في التاريخ. بحسبَ ما وردَ فقد قتلَت ما يقرب من سبعمئة شخص (معظمهم من خدمها) وكانت تُلقّب بالكونتيسة



دراكولا وكونتيسة الدّم. تردّدَت شائعات بأنها استحمّت في دماء ضحاياها، الأمر الذي دفعَ إلى مُقارنتها بفلاد الثالث ومصّاصي الدماء. لقد سمّيتُ أنستازيا على اسم إحدى بنات الكونتيسة باثوري.

معلومة ممتعة: هُناك حكايةٌ شعبية رومانية عن أسر أميرة تدعى إيليانا من قبل الوحوش وإنقاذها من قبل فارس. لكن في قصّتي، أردتُ تخيّلها على أنّها بطلة قصّتها الخاصّة.

ترانسيلفانيا:

ترانسيلفانيا هي منطقةٌ تاريخيّة في رومانيا تضمّ كلاً من براشوف وقلعة بران. خلال هذه الفترة من التاريخ كانت تسمى "ترانسليتانيا" وكانت جزءًا من أراضي تاج القديس ستيفن، التي كان تحكمها النمسا والمجرّ. من أجل هذه القصة احتفظتُ بها في ترانسيلفانيا ورومانيا، وآملُ ألّا يغضبُ منّي المؤرّخون وهواة التاريخ كثيرًا. لديّ جذورٌ شرق أوروبيّة وحاولتُ بذل قصارى جهدي لتصوير المنطقة وفولكلورها بأكبر قدرٍ مُمكن من الدقّة.

أيّة أخطاء تاريخية أخرى - مثل التخلّي عن البروتوكول الفيكتوريّ فيما يخصّ مسك اليد، وامتلاك حزام لحمل الأسلحة وما إلى ذلك - تم إجراؤها لمنفعة كلٍّ من الحبكة والشخصيات لإنتاج قصّةٍ قوطيّة مُمتعة كما آمل.

الفهرست

